مجلة
العلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة، سداسية تُصدرها
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

العدد 11-12 ديسمبر2016 ـ جوان 2017

مدير النشر

الأستاذ الدكتور دحو فغرور

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد صاحبي

Revue N° 11/12-2017
Dépôt Légal: 2012-2141
ISSN: 2253-0975
EDITIONS
DAR ELQODS EL ARABI
84 cooperative elhidaya belgaid – ORAN
Tel: 0556230762- FAX: 041385548
quds_arabi@hotmail.fr
حقوق الطبع محفوظة

هيئة التحرير

د.العربي بن حجار ميلود

أ.د عبد المجيد بن نعمية أ.د عبد القادر خليفي

أ.د محمد دادة د. محمد برقان

د.ة فلة بن غربية د. الأزرق بن عبد الله

د.الأخضر عمراني أ.جبران خليل ناصر

د.ة رقية بحوصي أ.الأعرج مرسلي

الهيئة العلمية

أ.د محمد القورصو أ.د محمد بن معمر

أ.د عبد المالك بن سبتي أ.د الأخضر الأخضاري

أ.د إبراهيم مهديد أ.دة أم الخير العقون

أ.د رابح لونيسي أ.دة جهيدة بوجمعة

أ.د محمد موفق د.أحمد عمراني

أ.د حنيفي هلايلي أ.د محمد داود

د.ة أم الخير تومي د.ة شايب الذراع بنت النبي

والمجلة ترحب بالإسهامات العلمية في مجالات العلوم الإنسانية بجميع فروعها وبالأخص في الميادين التالية:

- التاريخ وعلم الآثار
- علم المكتبات والمعلومات
- علوم الإعلام والاتصال

المواد العلمية التي تتلقاها المجلة

- الدراسات العلمية الأصيلة، المتصلة بالبحوث التي لم يسبق نشرها.
- دراسة وتحقيق المخطوطات.
- مراجعات الكتب والتعليقات عليها.
- تقارير المؤتمرات والندوات التي لها علاقة بموضوعات المجلة.

شروط النشر

-على الباحثين التقيد بالشروط العلمية والمنهجية المطلوبة في النشر: الأصالة، التوثيق والجدة.

-تخضع المقالات المقدمة للمجلة للتقييم من طرف خبراء محايدين.

- الآراء الواردة في المقالات تخص أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- أن لا يفوق حجم المقال **20** صفحة، مرفوقا بملخص باللغة الأجنبية إذا كان المقال باللغة العربية والعكس صحيح.
- يجب أن تكتب المقالات على الحاسوب بخط **Traditional14 arabic**، تبعث عن طريق البريد الإلكتروني أو تسلم مسجلة على قرص مضغوط **CD-ROM** مع نسخة ورقية.
- المقالات والبحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات أو إضافات عليها تعاد إلى أصحابها، لإجراء تلك التعديلات قبل النشر.

تبعث المقالات على البريد الإلكتروني الآتي:

Revuescienceshumaines_univoran@yahoo.fr

أو على العنوان التالي:

مجلة العلوم الإنسانية
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
– جامعة وهران – الجزائر
ص. ب **1514**، المنور **31000**
وهران- الجزائر
الهاتف: **0550432329(00213)**
0560172868(00213)

الفهــرس

المحور الأول

-كلمة مدير المجلة.....11

-كلمة رئيس التحرير.....13

-المعتزلة في المغرب الأوسط بين السجال الفكري والمواجهة العسكرية.

- **أ.د. محمد بن معمر.....21**

- محاولة حفظ وصيانة برج موسى بمدينة بجاية.

- **د.ة عائشة حنفي.....34**

- رسالة الشيخ سليمان بن القاسم النفوسي إلى الإمام ناصر بن مرشد اليعربي والرد عليها (صور من العلاقات العمانية الجزائرية)

- **د. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي.....65**

- إشكالية استمرارية وتزمين تاريخ المقاومة الجزائرية من سنة 1830م الى 1962م من خلال الكتابات التاريخية.

- **أ.ة وردة هشماوي.....88**

- النشاط الجمعوي ودوره في تدعيم الحركة الوطنية بمدينة مستغانم: جمعية الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي أنموذجا.

- **أ.ة جيلالي حورية.....108**

المحور الثاني

- تصنيف المعرفة عند التهانوي من خلال كتابه "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"

- **أ.ة صدوقي نسيمة.....123**

– قتل الكتب والمكتبات جريمة ضد الإنسانية جمعاء.

- د. قوميد فتيحة د. جبران خليل ناصر..... 151

– جودة الأداء بالمكتبات المدرسية:ضرورة حتمية من أجل منظومة تربوية ناجحة بالجزائر

- د. العربي بن حجار ميلود د.خالدة هناء سيدهم.....167

أرشيف مديريات التربية في الجزائر: طبيعة الوثائق،التسيير،الحفظ

- د.ة رحمونة بوشتة.....185

مواصفـات كتـاب الطفـل: الشكل والمضمون

- د. بن دحو أحمد.....200

من استرجاع الوثائق إلى نظم استرجاع المعلومات:

- د.شاشة فارس. 209

مظاهر البيئة الرقمية وانعكاساتها على المكتبات: مقاربة نظرية

- أ.ة حمزة زريقات مريم أ. د عبد الإله عبد القادر.....229

المحور الثالث

الهوية الافتراضية بين الذات الاصيلة والذات الزائفة: قراءة في الاغتراب الذاتي للمتلاعبين بالهوية عبر الفضاءات الافتراضية من منظور إريك فروم

- أ.ة غمشي الزهرة 247

الصحافة المكتوبة في الجزائر بين الحرية والأخلاقيات المهنية: مقاربة نقدية لفترة ما بعد التعددية

- أ.ة نجاة لحضيري / د. محمد برقان.....272

الوعي السياسي والإعلام الرقمي: قراءة في المفاهيم والأدوار

- أة /قدوري ريم فتيحة.....283

جمهور الدراما التلفزيونية التركية في الجزائر.

- أ.ة بلغيثية سميرة / أ.د علي قسايسية.. 315

التويتر من يستخدمه ولأي غرض: دراسة نظرية – ميدانية

- أ.ة بن عمار هاجر.. 329

دور الفيس بوك في تدعيم الحوار بين المنظمة والجمهور -دراسة في إطار نظرية الاتصال الحواري (الجزء الثاني)

- حاتم علي حيدر الصالحي.....347

المحور الرابع

المختصرات وأثرها على الفقه المالكي.

- أ.أحمد بلقندوز حبالي / أ.د أحسن زقور.....367

مفهوم "الاتصال الإسلامي" بين التأصيل والتبعية: قراءة نقدية في أبرز التعاريف العربية.

- د. مرزوقي بدر الدين.....387

الجريمة المنظمة: دراسة في المفهوم، الأسباب والآثار.

- أ.ة سلطاني سارة.....402

الشركات العسكرية والأمنية الخاصة: الوجه الآخر لعودة المرتزقة.

- د. بوسماحة نصر الدين.....430

مأزق خطاب الإسلام السياسي: دراسة تحليلية

- د. الهواري بركة..... 447

المستخلصات

كتابات حول تمرد "شيز وويسكي" خلال الجمهورية الأمريكية المبكرة: انتفاضة المزارعين

- **نورية علاوة.....479**

دور الأجهزة السمعية في تطوير مهارات التحدث.

- **أ.ة نشوى كلكولة.....480**

كلمة مدير المجلة

لعل من الأمور التي تتكرر في كل مرة يحين فيها وقت كتابة هذه السطور الافتتاحية لمجلتنا المباركة "مجلة العلوم الإنسانية " مسألة تتعلق بما يجب أن ينزوي تحتها من عدمه ؛ وهنا ترتسم أمامنا قائمة أولويات وثانويات علينا أخذها بعين الاعتبار والارتكاز عليها لانتقاء ما يجب أن يندرج هاهنا وما يجب التغافل عنه أو على الأقل عدم الوقوف عنده مطولا لكي لا تتحول هذه المساحة الخاصة بالكلمة الافتتاحية إلى مقال آخر بينما المطلوب هو غير ذلك تماما.

وعليه وانطلاقا من هذا المدخل المنهجي ، وعطفا على ما سبق ذكره ، نقول آن أولى أولويات الأمور الواجب التنويه بها هي المسافة التي قطعتها المجلة والتي أصبحت على إثرها تجربة اشتد عودها وبدأت تؤتي أكلها كمنبر علمي أكاديمي يهرع إليه الباحثون من داخل الوطن وخارجه لنشر أبحاثهم والتعريف بتجاربهم في ميدان البحث العلمي الهادئ والهادف، هذا م جهة ومن جهة أخرى فيجب التنويه أن كل هذا ما كان ليتأتى لولا جهود رجال ونساء التفوا حول المشروع وآمنوا بنجاعته منذ أول وهلة وواكبوا نموه خطوة خطوة حتى صار على ما هو عليه.

كما يجب التنويه بكل الجهود الطيبة المبذولة من طرف الوزارة الوصية وخاصة مديرية البحث التي ما فتئت تبذل الجهد تلوى الآخر دفعا للحركة العلمية عامة وحركة البحث على وجه الخصوص حيث لم يعد الأمر يتعلق بالبحث من أجل البحث بل أصبح المسعى ينشد البحث النافع (La recherche utile). وهنا تكمن أهمية " مجلة العلوم الإنسانية " حيث أصبح من المسلمات أن علوم المادة لا يمكنها أن تخدم الإنسان وتحقق رفاهيته وسعادته إلا إذا كانت مؤطرة تأطيرا أخلاقيا من طرف العلوم الإنسانية من حيث الماهية والغاية. وعلى سبيل الإشارة فقط نذكر بمعضلات العصر المتنامية مثل مشاكل البيئة والاستعمال المفرط للطاقة وتناقص المخزون العالمي من المياه ....وهي كلها معضلات لا يمكن لعلوم المادة وحدها أن تنفرد بها لوحدها حيث الشيجة ظاهرة للعيان لا يكاد ينكرها أحد.

أ.د دحو فغرور

كلمة رئيس التحرير

ردة الفعل وغياب السؤال:
ملمحان يُميزان التجربة الثقافية والسياسية العربية المعاصرة

عرف العالم العربي الإسلامي الحديث ثلاث محطات أساسية في علاقته مع الأنا والآخر، يمكن إيجازها فيما يلي:

الأولى وكانت مع محمد علي باشا في مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، أطلق عليها الباحثون لفظ النهضة العربية الأولى.

الثانية مع الزعيم عبد الناصر في مصر أيضا، وقد عرفت في الأدبيات بعصر النهضة العربية الثانية.

ثالث هذه المحطات هي تلك الحركة السياسية والدينية المعروفة في كتابات الباحثين بالصحوة الإسلامية التي بدأت معالمها الأولى بعيد الثورة الإسلامية في إيران سنة 1979م وتناسلت بعد هذا التاريخ.

أما **الأولى** وإن تمت في فترة من أحلك الفترات التاريخية التي عاشها العالم العربي الإسلامي، أي تحت نير الاستعمار الأوروبي و"الاستبداد" التركي، إلا أنها كانت ذات بعد نهضوي، حاول خلالها محمد علي بناء دولة عصرية على النسق الأوروبي، مستعينا بالخبرة والعلم الفرنسيين، وبالأخص بأتباع سان سيمون.[1] فالبعد القومي أو الديني لهذه "النهضة" - وإن كانت مضيئة في بعض الجوانب مثل تأسيس المعاهد التقنية واستجلاب الطباعة- كان غائبا تماما، وبالأخص في أثناء الحملات لاستعمارية الشرسة على بعض البلدان العربية والإسلامية؛ مثلها في ذلك مثل ما يحدث الآن من تفكك وانحلال لجسد العرب، سياسيا واقتصاديا واستراتيجيا.

والأمثلة على ذلك عديدة منها، على سبيل المثال لا الحصر:

- صمت الأتراك المريب لما حدث بالجزائر والهروب الجماعي لدايات وباشوات الجزائر محملين بالأموال نحو تركيا وبلدان أخرى منها مصر محمد علي، بعد الاحتلال مباشرة وترك الجزائريين أمام مصيرهم..

- العلاقات السياسية والاقتصادية بين مصر محمد علي وبين فرنسا، كانت في أوج ازدهارها، فهذا رافع رفاعة الطهطاوي، وهو المثقف المبعوث إلى باريس، يتجول بشوارع باريس منبهرا بشوارعها النظيفة ونسائها الحسناوات، يعلق على ما يحدث بالجزائر بقوله:

«.. إن الحرب بين الفرنساوية وأهالي الجزائر، أنها مجرد أمور سياسية ومشاحنات تجارات ومعاملات ومشاجرات ومحاولات منشؤها التكبر والتعاظم.. « [2] بل وذهب بعض المؤرخين الفرنسيين إلى أبعد من ذلك حينما أقروا بأن الفرنسيين قد اقترحوا على محمد علي باشا مساعدتهم في غزر الجزائر، وهو الأمر الذي قبله بشروط.(؟؟) وكان ذلك قبل أن يعرف ما عرفه الأسطول البحري الجزائري في معركة "نافارين".

فعلى الرغم مما اصطبغت به حركة النهضة "العربية" بمصر محمد علي من تلوينات "تقدمية" و" تمدينية" فإنها لم تكن مؤسسة على استراتيجية السؤال بقدر ما كانت استجابة لردة فعل غير محسوبة، قوامها التقليد والمحاكاة دون الوقوف عند الشروط الموضوعية والذاتية لهذه النهضة، بل إن تسمية "النهضة " هذه، كانت هي أيضا استحضارا لما عرفته أوروبا الغربية في فلورنسا وغيرها من إحياء بعد سبات.

ومثلما أخفقت هذه التجربة "النهضوية" في الوصول إلى مبتغاها، وهو تحديث المجتمع بفكره وأساليب حياته، ستعرف التجربة "الناصرية" أو النهضة **الثانية**، نفس الإخفاق، ذلك لأنها وبحسب منظريها أنفسهم، تحولت الدولة إلى مجرد جهاز بأرجل من طين، ليس بإمكانه لا التحرك أو تحريك المجتمع، فاتسمت أغلب حركاته وسكناته بالانتهازية والعشوائية وغياب الأفق، وقد أظل ذلك بظلاله مصر وبقية البلدان العربية التي انتهجت نهجها. والحق يقال إنه رغم هذه العيوب التي ترجع في الأساس إلى الخلط في المفاهيم ولي ِ عنق بعضها لتتلاءم والخطاب السياسي والفكري الرسمي- هذا ليس عيبا مصريا بحتا، بل هو عيب اشتركت فيه

كافة البلدان العربية، جمهورية كانت أو ملكية- فإن مصر والعالم العربي، قد عرف لحظات مضيئة، رفعت أو كادت أن ترفع الغشاوة عن الأعين، وأسهمت في تغيير مجرى التاريخ ليس في مصر وحدها بل في أقطار عربية وإفريقية عديدة، لكنها أخفقت في مقابل ذلك في الدفع بمصر والعالم العربي نحو التقدم والتحديث والحداثة. والأصل في هذا الإخفاق هو عدم طرح السؤال: ما نريد؟ وكيف؟ ولماذا؟ إلى آخر التساؤلات التي يطرحها أي مبتدئ في مجال البحث العلمي. أو هكذا يتصور لنا الأمر.

والأمر والأدهى من كل ذلك كله هو أن أي تقييم أو تقويم لهذه المرحلة أو تلك، كان ولايزال مبنيا على العاطفة بدل الموضوعية، النقل بدل العقل، الإجابة بدل التساؤل، كل ذلك استجابة لميكانيزمات تفكير جلها أو كلها تراكمات من القرون الوسطى وعصر الانحطاط الإسلامي، قائمة على قيمتي " ليس في الإمكان أبدع مما كان " و" التقليد الأعمى للغرب" دون الالتفات إلى الواقع العربي الإسلامي الحي ومتطلباته الثقافية والفنية والفكرية الملحة.. أو على رأي صبحي غندور وهو يناقش تجربة جمال عبد الناصر بقوله نجد الحديث عنه في معظم الأحيان يتراوح بين حب العاشق الذي يرى الكمال في محبوبه، أو حديث الحاقد الذي يعمم جزئية سلبية على كل الصورة، فلا يرى إلا السواد والظلم والظلام. فالحب الشديد والحقد الشديد كلاهما يتساويان في تسبب غشاوة البصر وأحيانا في الإصابة بالعمى!.[3]

وردات الفعل المميزة للبنية الفكرية والنقدية العربية ومحركها منذ "عصر النهضة الأولى" ستتجلى مرة أخرى خلال العقد الثامن من القرن الماضي لترفض كل أشكال المشاريع النهضوية السابقة، مهما كانت طبيعتها، تحت مسوغات عديدة منها أنها ذات مرامي ليبيرالية أو علمانية أو "شيوعية" لا تمت بصلة إلى التربة والأصل العربيين الإسلاميين. وكانت هذه النعوت التي خلعت على ما سبق ذكره في نظر الموجة الجديدة أي "الصحوة الإسلامية " بمثابة اتهامات وأصحابها "زنادقة" إذا كانوا مفكرين، و"هراطقة" إذا كانوا مجددين ومصلحين دينيين. ومثل سابقاتها، فقد عرفت هذه "الصحوة " أيضا ذيوعا كبيرا في أوساط الناس، سواء من خلال الخطاب الديني المسجدي أو الإعلامي، وحصلت على التأييد والرعاية من لدن الجمعيات والحكومات والدول، حتى تم التقافها من بعض الدوائر لتكون

حصان طروادة في الصراعات الدولية والجهوية. وما حرب أفغانستان خلال الثمانينيات ببعيدة عن الأذهان، حيث شاركت هذه "الصحوة" في لم شمل الشباب المسلمين من كل بقاع العالم لـ"فتح" موسكو، يكاد يكون الدافع الرئيسي في ذلك تحقيق شعار عرف سريانا كبيرا في كتابات ومنظري "الصحوة" وخطبائها وإعلاميها هو "الإسلام هو الحل". لكن ما لم يتمكن هؤلاء من تقريبه إلى الناس هو ما المقصود من هذا الإسلام، هل هو الإسلام السني أم الإسلام الشيعي أم الإسلام الصوفي؟

ومع مرور الأيام، اتضح للناس أن الغلبة لأصحاب شعار "الإسلام هو الحل" كانت "للمؤمنين" الأقوياء، وليس "للمؤمنين" الضعفاء، أي أولئك الأقوياء بالبترودولار أو بالرز حسب تعبير الإخوة المصريين.

وعلى ذلك عرف التوجه الوهابي تمددا واسعا في جسد "الوطن" العربي الكبير، والتحق به العارفون وغير العارفين، فكان وبالا ما وراءه وبال على العديد من المجتمعات، وكان الجزائريون خلال التسعينيات أول من خبر هذا الشعار، ولا داعي لسرد ما وقع وقتها، لأنه لا يزال يختبر في العديد من الدول والمجتمعات العربية والإسلامية حتى الآن.

وبعد، فإن ردات الفعل وعدم طرح السؤال تكرس منهجية بحث في الثقافة العربية والإسلامية المعاصرة في كل مجالات المعرفة فأنتجت ركاما من المفاهيم والمصطلحات غريبة عما يعتمل داخل المجتمع وقضاياه، وكأن حكم علينا الآن وعلى الأجيال اللاحقة ألا نبحث وألا نستقصي عن الحقيقة إلا مما خلفه الأجداد فقط ومما يستفز به من لدن معاصرينا من البشر شرقا وغربا(؟؟) أولم يحن الـ وقت أن نبادر نحن بالسؤال ونصبح مشاركين في رسم معالم هذا العالم ؟

- الهوامش والتذييلات:

1- السانسيمونية "Saint-simonisme " مذهب ينسب إلى مؤسسه الفرنسي " Claude Henri de Saint-Simon " (1760- 1825).ولقد كان هذا المذهب الفلسفي والسياسي الذي حمل لواء بـ" الاشتراكية الطوباوية" فيما بعد ، بمثابة الدين الجديد في أوساط الفئات المثقفة بفرنسا. وتحول هذا المذهب على يد خليفته بروسبير آنفانتين Prospère Enfantin (1796-1864) إلى مشروع سياسي و ديني يتولى القيام بنفس الرسالة التي قامت بها الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى، ولكن بصورة جديدة قوامها مشروعات صناعية كبرى تربط

أجزاء الأرض بعضها ببعض هادفة إلى توحيد العالم صناعيا، وصولا إلى توحيده روحيا.ومن مبادئه: إن العلم قاعدة المجتمع و الإدارة السياسية – على أتباع هذا المذهب النضال من أجل سعادة البشر و بالأخص أولئك المقصيين في المجتمعات بإنجاز المشاريع الصناعية الكبرى- و من أجل تحقيق هذه الأهداف لا بد من تولي المثقفين و الفلاسفة إدارة الحكم .

2- رفاعة رافع الطهطاوي، تخليص الإبريز في تلخيص باريز. مصر: مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، د.ت، ص. 271.

3- صبحي غندور" عن تجربة جمال عبد الناصر" متاح على الخط:

http://www.arabworldbooks.com/Articles/articles71.htm

المحور الأول

المعتزلة في المغرب الأوسط
بين السجال الفكري والمواجهة العسكرية

أ.د. محمد بن معمر
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

مقدمة

تعد فرقة المعتزلة من أهم الفرق الإسلامية خوضا في علم الكلام وأمور العقيدة الإسلامية، فقد أثارت حولها المسائل ووضعت لها الأصول، وتعود الجذور الأولى للاعتزال إلى الفترة نفسها تقريبا التي ظهر فيها الشيعة والخوارج، وكان ذلك بالمدينة المنورة، أما الولادة الحقيقية لهذا المذهب فقد كانت بالبصرة وتعود إلى أواخر القرن الهجري الأول وأوائل الثاني. وهذا يعني أن "نشأة الاعتزال كانت في أول أمرها نشأة سياسية، لكنها في الوقت نفسه حملت بين طياتها نطفة مذهبية قدر لها أن تولد في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني الهجري"[1].

ويعتبر أبو حذيفة واصل بن عطاء (80-131هـ) المعروف بالغزال[2]، أستاذ المعتزلة الأول ومؤسس فرقتهم، وهو أحد البلغاء المتكلمين في علوم الكلام، وهذا ما أجملته عبارة القاضي عبد الجبار التالية: "ليس أحد أعلم بكلام غالية الشيعة، ومارقة الخوارج، وكلام الزنادقة والدهرية والمرجئة، وسائر المخالفين، والرد عليهم، منه"[3]. رباه بالمدينة محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب وعلمه مع ابنه أبي هاشم عبد الله، وانتقل بعد موته إلى البصرة حيث لازم الحسن ابن أبي الحسن البصري مدة ثم اعتزله[4].

وإليه يعزى الفضل في إقامة نظام مذهب الاعتزال ووضع أصوله، وإحكام خططه وأساليبه، وتحديد أهدافه ومراميه، وذلك من خلال مؤلفاته العديدة وعلى رأسها "كتاب الدعوة". وقد اتخذ من البصرة مركزا لدعوته حيث وجه دعاته ورسله إلى مختلف أقاليم العالم الإسلامي وجهاته ومنها خراسان واليمن والجزيرة والكوفة والشام والمغرب وغيرها.

دخول الاعتزال إلى بلاد المغرب

لقد كانت بلاد المغرب من الأقاليم التي وجه إليها واصل بن عطاء أحد رسله، "وفرق رسله في الآفاق يدعون إلى دين الله، فأنفذ إلى المغرب عبد الله بن الحارث، فأجابه الخلق"[5]. ولم يذكر النص على وجه التحديد، التاريخ الذي وجد فيه الاعتزال طريقه إلى بلاد المغرب، ولا الكيفية التي نشط بها داعية المعتزلة في نشر المذهب وجذب الاتباع حتى أجابه هؤلاء الخلق، ولا القاعدة التي انطلق منها لبث فكره.

وإذا وضعنا في الحسبان أن وفاة واصل بن عطاء كانت سنة 131هـ، أدركنا أن قدوم داعيته عبد الله بن الحارث إلى بلاد المغرب كان إبان العقود الثلاثة الأولى من القرن الهجري الثاني "وقياسا على انتشار المذاهب الأخرى، فإن دعاة الاعتزال، وهم من التجار والعلماء، قد اتخذوا من القيروان مركزا للدعوة حيث جرى الاتصال برؤساء القبائل الوافدين إليها"[6]، ذلك أن مدينة القيروان كانت وحتى منتصف القرن الهجري الثاني المركز الأم للثقافة العربية الإسلامية ببلاد المغرب.

وعلى العموم فقد انتشر المذهب في أقاليم بلاد المغرب الثلاثة، إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى. ففي إفريقية ورغم الظروف الصعبة التي أحاطت بانتشاره بسبب غلبة المذاهب الأخرى وعلى رأسها مذهب مالك، إلا أن دعاته استطاعوا كسب الكثير من الأتباع والأنصار، وصار المعتزلة جماعة قوية لها شيوخها ورؤساؤها، وقد ذكر الخشني في طبقاته تحت عنوان "تسمية أهل المناظرة والجدل من طبقة العراقيين" بعض مشاهيرهم[7].

ومن هؤلاء سليمان ابن أبي عصفور المعروف بالفراء، الذي كان من أهل الجدل والمناظرة، وكان يقول بخلق القرآن، وله تآليف في ذلك[8]. وعبد الله بن الأشج الذي كانت له رحلة ودخل العراق، وكان من أهل الجدل والمناظرة[9]. ومنهم رجل يعرف بالعمشاء ويكنى أبا إسحاق، يذهب إلى خلق القرآن ويناظر فيه المناظرة الشديدة، وله في ذلك داعية وله لمة وأصحاب وأحزاب في ذلك يجالسونه ويختلفون إليه[10].

ومن مظاهر نفوذ المعتزلة في إفريقية الأغلبية، اختصاصهم بمناصب القضاء والفتيا على عهد الأمير زيادة الله الأول (201-223هـ) الذي كانت دولته تدين بالولاء والطاعة للخلافة العباسية، فاستجاب لمشيئة الخليفة العباسي المأمون (198-218هـ) الذي تربى في أحضان الاعتزال وقرب أهله. وقد أسند الأمير الأغلبي قضاء القيروان إلى أبي محرز محمد بن عبد الله الكناني المعتزلي، وأسد بن الفرات، وجعلهما شريكين في القضاء، ولم يعلم قبلهما أن اشترك قاضيان بمصر واحد في المنصب نفسه[11].

أما في المغرب الأوسط، وإن كانت المعلومات والأخبار تعوزنا عن معرفة أسماء الدعاة وجهودهم في نشر الاعتزال، فإننا لم نعدم النصوص الهامة التي تثبت وجود أتباع المذهب وأنصاره بهذا الإقليم على عهد الدولة الرستمية حيث كانوا يعيشون في كنفها. ففي أيام إمامها الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (168-208هـ) كان "مجمع الواصلية (المعتزلة) قريبا من تيهرت، وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها"[12]. كما أطلق عليهم ابن خلدون وصف الظواعن ساكني الخيام[13]. ويضيف ابن خرداذبة أنه "في يدي إبراهيم بن محمد البربري المعتزلي مدينة تلي تاهرت تدعى أيزرج"[14]. وهي المدينة التي وردت عند اليعقوبي على أن أهلها من قبيلة مطماطة البترية[15]. في حين اجملت الرواية الإباضية الانتماء القبلي لمعتزلة المغرب الأوسط على النحو التالي: "والواصلية قوم من البربر أكثرهم من زناتة"[16].

وأما في المغرب الأقصى فقد اعتنقته قبيلة أوربة الضاربة حول مدينة وليلي قاعدة جبل زرهون على يد زعيمها وكبيرها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي الذي آوى إدريس الأكبر بعد فراره من موقعة فخ وذلك في سنة 172هـ. وإذا كانت المصادر[17] تؤكد انتماء الزعيم الأوربي إلى مذهب الاعتزال، فإنها تهمل تاريخ وكيفية اعتناقه المذهب، وهل كان ذلك على يد الدعاة الذين أنفذهم واصل بن عطاء أم أنه رحل إلى القيروان مركز الدعوة الأول ببلاد المغرب، أو إلى العراق مركز الدعوة الأم؟.

ومن مدن المغرب الأقصى التي غلب عليها الاعتزال أيضا، يذكر البلخي في معرض كلامه عن الكور التي سادها هذا المذهب قائلا: "ومن المغرب البيضاء[18]

وهي كورة كبيرة، يقال أن فيها مائة ألف تحمل السلاح يقال لهم الواصلية، وطنجة هي بلاد إدريس بن إدريس وأهلها معتزلة"[19]. ويضيف في موطن آخر قائلا: "وأنصار ولد إدريس بن إدريس إلى يومنا هذا (يقصد سنة نيف وتسعين ومائتين) بطنجة وما والاها من بلاد المغرب هم المعتزلة"[20].

وقد أورد القاضي عبد الجبار أن بشير الرحال وهو من شيوخ معتزلة البصرة لما قتل في باخمري بين الكوفة وواسط، لحق بعض أصحابه وأولاده بالمغرب، فغلبوا على مدن منها، وأظهروا الحق فيها[21]. كما أشاد الشاعر المعتزلي صفوان الأنصاري بجهود دعاة الاعتزال الذين أنفذهم واصل بن عطاء إلى أنحاء العالم الإسلامي في قصيدة جاء في مطلعها:

له خلف شعب الصين في كل ثغرة إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجـال دعاة لا يـفل عزيـمهم تهكم جبار ولا كيد مـاكـــر[22]

هكذا تغلغل الاعتزال في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى، وتمكن دعاته من كسب آلاف الأنصار، بل إنهم استطاعوا التأثير في بعض فرق الصفرية التي قالت بالعدل مثل فرقة المعرورية[23]، وخاضوا غمار الحرب والسياسة على حد سواء، فضلا عن سجالاتهم الفكرية ونشاطهم الكلامي الذي كان ميزتهم الأساسية التي عرفوا بها في المشرق قبل المغرب.

نشاط المعتزلة في المغرب الأوسط

يستفاد من الإشارات السابقة الواردة عند البكري وابن خلدون حول مضارب المعتزلة في المغرب الأوسط أنهم لم يكونوا من سكان العاصمة تيهرت ولكنهم كانوا بدوا ظواعن يضربون خيامهم بالقرب منها، ولعل عددهم الكبير، وغلبة الطابع البدوي عليهم، وخلافهم المذهبي مع الرستميين، كان كفيلا بمنعهم من سكنى العاصمة الرستمية، ولكن في إشارة ابن خرداذبة إلى تجمع المعتزلة الثاني في مدينة أيزرج، وهم من بربر مطماطة كما ذكر اليعقوبي، ما يدل على أن طائفة منهم كانت من ساكنة المدن.

ومن خلال استقراء النصوص المتوفرة تبين أن نشاط المعتزلة في المغرب الأوسط لم يقتصر على الطابع الفكري السجالي، شأن نظرائهم في المشرق، ولكنه جمع إلى ذلك الطابع الحربي والجنوح إلى الصدام المسلح مع السلطة القائمة وهو

ما لم يعرفه المشرق مصدر الاعتزال، وهذا راجع إلى اختلاف ظروف المشرق والمغرب آنذاك، كما أن جميع المذاهب والتيارات الوافدة من المشرق إلى المغرب قد اصطبغت بالصبغة المغربية وتأثرت بالعوامل المحلية ومنها العصبيات القبلية ودورها في النزاعات المختلفة، فكثيرا ما حملت الخصومات والنزاعات طابعا عرقيا وعصبيا وليس مذهبيا.

ومن نشاط المعتزلة الحربي ضد الرستميين حكام المغرب الأوسط على عهد الإمام الثاني عبد الوهاب، الحرب التي تناقلتها المصادر الإباضية تحت مسمى "محاربة الواصلية للإمام عبد الوهاب" بأسلوب مكرر متشابه حيث تجمع على أن هؤلاء الواصلية أكثرهم من قبائل زناتة [24]، وأنهم ثاروا على الإمام الرستمي عبد الوهاب في ظروف صعبة كانت تمر بها إمامته وذلك خلال الفترة التي تلت مباشرة الحرب التي خاضها هذا الإمام ضد النكار أتباع يزيد بن فندين أول المنشقين عنه والمعارضين لإمامته بعد وفاة أبيه عبد الرحمن. وما كاد يقضي على هؤلاء النكار حتي قامت عليه طائفة المعتزلة الذين انتهزوا فرصة ضعف الإمامة وانشقاق الصف الإباضي. ولم يكن بالتأكيد دافع هؤلاء من وراء الثورة سياسيا فحسب، تمثل في استغلال الوضع، بل كان قناعة مذهبية أيضا، حين رفض المعتزلة وهم من "العدلية" مبدأ التوريث الذي تبنته الدولة الرستمية بدل الاختيار.

يقول صاحب السير: وحدث غير واحد من أصحابنا أن الإمام عبد الوهاب لما أوهن الله على يديه كلمة النكار وأورثهم الخزي والعار تحركت الواصلية بعض الحركة وهم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زناتة وذلك حين أحسوا ببعض الفرقة في الإباضية وأرادوا أن ينتهزوا بعض الفرصة[25]. ويواصل صاحب السير الحديث عن تفاصيل هذه الحرب وعن طلب الإمام عبد الوهاب الدعم العسكري والعلمي من أتباعه في جبل نفوسة، وكيف وصله هذا الدعم الذي استطاع بفضله أن يثخن في المعتزلة قتلا ويهزمهم، ولم يكد يفلت منهم إلا اليسير[26]، وبعد ذلك دخلت فلول المعتزلة تحت الإمام وطاعته ووضعت الحرب أوزارها[27].

واضح من الرواية الإباضية أنها تتسم بالمبالغة في القضاء على المعتزلة، فالدعم العسكري الذي جاء إلى تيهرت من نفوسة لم يكن جيشا كما أراده الإمام الرستمي ولكنه جاء في صورة أربعة رجال لا غير، وقد ذكرت الرواية الإباضية

أسماءهم[28]، كما تفاجأ الإمام الرستمي نفسه بهذا العدد وساءه الأمر، ولكن النفر الأربعة طمأنوه ووعدوه بالنصر، ولم يكن هؤلاء الأربعة جميعا أبطال مبارزة ولكن حسب الرواية الإباضية فإن رجل المبارزة الوحيد هو أيوب بن العباس الذي نسبت إليه بطولات خارقة في الانتصار على المعتزلة.

لعل هزيمة المعتزلة رغم كثرة عددهم تعود إلى ضعف خبرتهم وقلة تجربتهم في خوض الحروب سيما وأن هذه أول مواجهة عسكرية جمعتهم مع الرستميين، ولم يكن دعم نفوسة من خلال النفر الأربعة هو سبب الهزيمة كما تقول الرواية الإباضية، فهو مجرد دعم معنوي. وبغض النظر عن عدد القتلى في صفوف المعتزلة فإن فلولهم قد دخلت في طاعة الإمام الرستمي كما تقول الرواية الإباضية، وهذا ما يؤكده ابن خلدون متحدثا عن الإمام الرستمي عبد الوهاب حين وصفه برأس الإباضية والصفرية وأن الواصلية كانوا من أتباعه[29]. وقد خفت نشاط واصلية المغرب الأوسط إثر هذه الهزيمة، ولم يرد ذكرهم في المصادر إلا في أواخر أيام الدولة الرستمية حين اشتركوا مع غيرهم من الفرق الإسلامية في محاربة الإباضية، ولكنهم استمروا في نشاطهم الفكري كما سنرى.

تثير الحرب آنفة الذكر مسألة العلاقة المذهبية بين معتزلة المغربين الأوسط والأقصى وهي العلاقة التي لم تولها المصادر أي اهتمام وتركت لنا فراغا كبيرا في هذا الجانب، ومن الإشارات القليلة الواردة في هذا المجال والقابلة للتأويل تلك التي جاءت بها الرواية الإباضية في سياق حديثها عن الحرب السابقة حين قالت: "فتكاثفت كلمة الواصلية واجتمعوا من كل نقب، وجازوا من كل أوب، فانحازوا عن تاهرت وأخذوا عن جبالها، وهم أصحاب العمود.. ."[30].

حاول صاحب كتاب الخوارج في المغرب الإسلامي تفسير هذه العبارة وتأويلها على أن أمير الدولة الإدريسية إدريس الثاني كان من وراء تمرد الواصلية على الإمام الرستمي عبد الوهاب، وأنهم كانوا معضدين بإخوانهم في المغرب الأقصى الذين جاؤوهم من كل أوب[31].

إن القول بأن إدريس الثاني كان وراء هذا التمرد فذلك أمر غير مؤكد، وأن يكون معتزلة المغرب الأقصى قد التحقوا بإخوانهم في المذهب بالمغرب الأوسط بناء على عبارة "من كل نقب وأوب"، فهي مسألة غير مؤكدة أيضا. لأن ما يستنتج من

النص نفسه، الذي لا يشير صراحة إلى واصلية المغرب الأقصى، أن الثائرين على الإمامة الرستمية كانوا من أصحاب العمود، أي من أهل البادية الضاربين في نواحي تيهرت، وهو الوصف الذي يتطابق مع ما ذكره البكري وابن خلدون حين أشارا إلى واصلية المغرب الأوسط على أنهم أصحاب خيام ظوعن. بينما المعروف عن أشهر قبيلة اعتنقت الاعتزال في المغرب الأقصى وهي قبيلة أوربة كانت من البرانس المستقرين في منطقة "متوسطة خصبة كثيرة المياه والغروس والزيتون"[32].

ويضيف صاحب كتاب الخوارج في المغرب الإسلامي أن تمرد الواصلية على الإمام عبد الوهاب كان سنة 195هـ، ولكن الثابت في المصادر الإباضية أن أول فتنة داخلية واجهها هذا الإمام بعد توليه السلطة هي فتنة النكار بزعامة يزيد بن فندين الذين أنكروا إمامته واعتبروها غير شرعية، ولكن الإمام عبد الوهاب نجح في القضاء عليها وهو النجاح الذي اعتبره ابن الصغير خطوة نحو اشتداد ملكه حين يقول: ثم اشتد أمر عبد الوهاب وقوي عليه وانتقل من حال الإمامة إلى حال الملك[33].

وبعد فتنة النكار التي لم تعطنا المصادر الإباضية تاريخا محددا لها، تخبرنا أن حرب الواصلية جاءت بعدها مباشرة وهو ما سلف الحديث عنه في الفقرات السابقة. غير أن الرواية الإباضية لا تذكر تاريخ هذه الحرب أيضا كعادتها في أغلب الوقائع التاريخية، ولكن من المؤكد أن هذه الأحداث قد واجهت الإمام عبد الوهاب في صدر ولايته (168-208هـ).

كما تذكر هذه المصادر أن عبد الوهاب بعد قضائه على مشاكله الداخلية بما فيها تمرد الواصلية وتمكنه من الخلافة وانقطاع مادة الفساد والفتنة وهدوء الأوطان، أراد القيام بفريضة الحج فاتجه صوب المشرق من أجل ذلك، ولكن أهل جبل نفوسة التابعين لدولته أقنعوه بعدم الذهاب إلى الحج لأن في ذلك مخاطرة بحياته وخوفوه من خطر العباسيين، وبعث إلى أرباب المذهب في المشرق يستفهم في هذا الأمر فأجابوه بألا حج عليه وأرسل رجلا يحج مكانه.

وهنا تخبرنا المصادر الإباضية أن الإمام عبد الوهاب مكث في جبل نفوسة مدة سبعة أعوام كاملة[34] دون أن تحدد لها بداية أو نهاية، ولكن أثناء إقامة عبد الوهاب بجبل نفوسة وقعت الحرب بين هوارة وعبد الله بن إبراهيم الأغلبي في

طرابلس، فتحرك ابن رستم على رأس جيش كبير من نفوسة لنجدة هوارة وحاصر المدينة وانتهى الحصار بعقد صلح بين الطرفين، وهو الحدث الذي أرخته المصادر التاريخية بسنة 196هـ[35].

فلا يعقل أن يكون تمرد الواصلية على عهد عبد الوهاب بتحريض من إدريس الثاني قد تم سنة 195هـ، ففي هذا التاريخ كان الإمام عبد الوهاب مقيما، خلال رحلة السنوات السبع، بجبل نفوسة الذي يبعد عن تيهرت بأكثر من مسيرة شهر على ظهور الإبل، وهو الجبل الذي أمد عبد الوهاب بنجدة عسكرية وعلمية في حربه مع الواصلية كما رأينا. وعليه فإنه من غير المستبعد أن يكون تمرد الواصلية على عبد الوهاب قد حدث في وقت كان فيه إدريس الثاني لا يزال طفلا رضيعا.

وعلى الرغم من خلو الرواية الإباضية من إشارة صريحة إلى اشتراك معتزلة المغرب الأقصى إلى جانب إخوانهم في المغرب الأوسط ضد بني رستم، فإن ذلك لا ينفي العلاقة المذهبية بينهما، وأنه ليس بالضرورة أن يؤازروا بعضهم بعضا في هذه الثورة أو غيرها. فمن المستبعد أن يجد الاعتزال طريقه إلى المغرب الأقصى دون أن يمر حتما بالمغرب الأوسط. ومن المستحيل أن يرحل معتزلة المغرب الأقصى إلى القيروان أو البصرة إلا عبر المغرب الأوسط، وعليه فإن الصلات المذهبية بين هؤلاء وأولئك، وإن كانت المصادر قد أغفلت ذكرها، فإنها لا محالة كانت قائمة.

ولما انهزم الواصلية وفلت شوكتهم على يد الإمام عبد الوهاب، فإنه من المحتمل جدا أن يكون بعضهم ممن رفضوا الدخول في طاعة الإمام الرستمي، قد تركوا مواطنهم بالمغرب الأوسط واتجهوا صوب إخوانهم بالمغرب الأقصى حيث السلطة الإدريسية التي كانت على وفاق تام مع المعتزلة.

وأما عن نشاط المعتزلة الفكري فتقول الرواية الإباضية إن هزيمة المعتزلة على يد الإمام الرستمي لم تكن هزيمة عسكرية فحسب بل كانت هزيمة فكرية أيضا، ذلك أن الحرب بين الطرفين قد جرت في ساحة المناظرة قبل أن تتحول إلى ساحة الوغى، فقد اشترط الإمام الرستمي عبد الوهاب على أتباعه في جبل نفوسة حين استمد منهم الدعم العسكري أن يبعثوا إليه رجلا مناظرا بارعا في فنون الرد على المخالفين ورجلا عالما بفنون التفسير، تحسبا لمواجهة المعتزلة على الجبهة

الفكرية. ومن الواضح أن الإمام كان متخوفا من مواجهة هؤلاء المعتزلة على الصعيدين الحربي والفكري، فقد خبرهم بنفسه وناظرهم فوجدهم مجادلين بارعين ولم يكن يومئذ في تيهرت من يستطيع مناظرتهم والتصدي لهم بمن في ذلك الإمام نفسه.

وكما نسبت الرواية الإباضية بطولات خارقة إلى رجل نفوسة المبارز أيوب بن العباس في كسر شوكة المعتزلة في ساحة الوغى، فعلت كذلك مع رجل نفوسة الثاني مهدي الويغوي البارع في فنون الرد على المخالفين. فبعد وصوله مع النفر الأربعة إلى تيهرت واستراحته بضعة أيام خرج ذات مرة عن أصحابه وتغيب عنهم ولم يعرفوا وجهته، ولما تأخر إلى ما بعد العشاء سألوه أين تغيب فقال لهم: إني رددت إلى دين الله سبعين عالما من أهل الخلاف في غيبوبتي عنكم[36].

وتضيف الرواية نفسها أنه لما اصطفت الصفوف يوم المعركة خرج مهدي الويغوي بين الصفين ومعه الإمام الرستمي مع وجوه من أصحابهما، كما خرج من جهة المعتزلة الفتى المناظر مع وجوه من أصحابه، وكان مشهورا بالمناظرة في أوساطهم، وتقدم مهدي إلى الفتى وجرت بينهما وجوه من المناظرة في مسائل، والناس يعلمون ما يقولان، ولم يفلح أحدهما على صاحبه. ثم دخلا في فنون من العلم خفيت على الحاضرين باستثناء الإمام الرستمي الذي كان يعلم ما يقولان، ثم ارتقى مستوى المناظرة إلى أمور لم يفقهها لا الإمام ولا غيره. عندها ألقى مهدي النفوسي قلنسوته وجعلها بين ركبتيه، وكان ذلك علامة بينه وبين أصحابه على انتصاره، فصاح أصحابه بالتكبير فرحة بانهزام المعتزلي وانتصار صاحبهم. ولما نظر المعتزلي إلى غريمه وما فعل، وكانا قد اتفقا في السر بطلب من المعتزلي على أن يستر الغالب على المغلوب، قال غدرتني يا مهدي[37].

يتضح من السطور السابقة حول دور التيار الواصلي المعتزلي الفكري أوائل الدولة الرستمية أن الرواية الإباضية التي انفردت بتناوله قد غلب عليها الانحياز لصالح المذهب الإباضي والتحامل على الواصلية الذين كانوا في نظرها من المخالفين، وكذلك المبالغة في تصوير هزائمهم في الساحتين الفكرية والحربية. وما دمنا نفتقد رواية الخصم وأصحاب الرأي المخالف من الواصلية ليس بإمكاننا الوقوف على حقيقة ما جرى، ولكن رغم ذلك فإن هذه الرواية الأحادية قد

أماطت اللثام عن الجذور الأولى للثقافة الإسلامية الوسيطية وأصولها الفكرية في المغرب الأوسط.

استأنف المعتزلة نشاطهم الكلامي في أواخر الدولة الرستمية على عهد إمامها الخامس أبي اليقظان محمد بن أفلح (261-281 هـ)، وهذا ما يثبته ابن الصغير المالكي، وهو مصدر معاصر لأواخر الدولة الرستمية وممن عاش في كنفها مخالفا لمذهبها، فقد أشار إلى اللقاء الذي جمع المعتزلة مع الإباضية بنهر مينة قرب العاصمة تيهرت لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة[38]. وجاءت إشارة ابن الصغير إلى هذا اللقاء في ثنايا حديثه عن مجلس الإمام أبي اليقظان في المسجد الجامع بتيهرت وعن أبرز العلماء الذين كانوا يتصدرون هذا المجلس مثل عيسى بن فرناس، ومحمود بن بكر، وأبي عبيدة الأعرج، وعبد الله بن اللمطي.

وعند ذكره لعبد الله بن اللمطي قال ابن الصغير نقلا عن أحمد بن بشير، وهو من مصادره الشفوية الأساسية، إن هذا الرجل كان ممن حضر المناظرة التي جمعت المعتزلة والإباضية، وكان كثير من الحضور، خصوصا من قبيلة هوارة، يتسمى بعبد الله، ولما نادى المعتزلي المناظر اسم عبد الله مرتين، كان في كل مرة يجيبه رجل من القوم فيقول لست أريدك، وفي الثالثة قال ابن اللمطي علمت أنه يريدني ولكنني كرهت أن أجيبه خوفا من سؤاله. ولما سأله المعتزلي قائلا: هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه إلى مكان لست فيه، قال لا، ثم قال هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه إلى مكان لست فيه، قال إن شئت، فقال المعتزلي خرجت منها يا ابن اللمطي.[39]

إن رواية ابن الصغير حول هذه المناظرة رغم أن صاحبها كان مخالفا لمذهب الرستميين إلا أن مصدرها يبقى إباضيا وهو أحمد بن بشير، لذلك جاءت مشابهة للمناظرة السابقة على عهد الإمام عبد الوهاب، فهي تشير إلى تخوف الطرف الإباضي وإحجامه دوما عن مواجهة الخصم المعتزلي ومع ذلك فهو إما منتصر أو في مستوى الرد، كما أهملت تماما ذكر أسماء المناظرين من التيار الواصلي المعتزلي واحتفظت لنا بأسماء مخالفيهم من الإباضية، وأما ما تحمله هذه الرواية من جديد فهو الكشف عن جانب من طبيعة الأسئلة مثار الجدل الكلامي العقدي يومئذ، وهو ما كان سائدا في المشرق.

واستمرت جيوب الاعتزال قائمة ببلاد المغرب إبان القرن الرابع الهجري، مصداق ذلك ما ذكره ابن حوقل حين يقول: "فأما أهل قسطيلة وقفصة ونفطة والحامة وسماطة وأهل جبل نفوسة فشراة، تجاورهم من البربر زناتة ومزاتة قبيلتان عظيمتان الغالب عليهم الاعتزال من أصحاب واصل بن عطاء"[40]. ويضيف أيضا: "ومن بأداني سجلماسة والمغرب، بين السوس وأغمات وفاس، في كثير منهم الشراية والتدين القوي، وفي بعضهم الاعتزال"[41].

ولم يجد أبو الطيب محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي بردة البغدادي، الذي كان من أعلم الناس بالمذهب الشافعي وأفهمهم وأحسنهم قياما به، حين طاردته السلطة الأموية في الأندلس بتهمة الاعتزال سنة 373هـ، سوى مدينة تيهرت يلتجأ إليها ويستقر بها عند بنت له هناك حتى وفاته بها[42].

وعلى العموم فقد قدر للاعتزال أن يجد طريقه من المشرق إلى بلاد المغرب خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، على غرار بقية المذاهب الإسلامية الأخرى. كما استطاع المعتزلة القيام بدور سياسي واضح، ونشاط فكري فعال، ولكنهم لم يتمكنوا من الصمود في وجه التطورات والظروف الصعبة التي أصبحت تحيط بهم في بلاد المغرب، فانسحبوا من الميدان تاركين المجال لغيرهم من المذاهب وعلى رأسها المذهب المالكي الذي عرف شيوخه بمحاربة الاعتزال وأهله. وحسبهم أنهم تركوا بصماتهم الفكرية الواضحة على العقيدة التومرتية[43]، التي أفضت إلى قيام الدولة الموحدية.

الهوامش

1- فؤاد سيد، مقدمة كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تونس: الدار التونسية للنشر، 1986.ص: 25.

2- ترجمته عند: البغدادي أبو منصور عبد القاهر، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1982. ص: 96 – 100. ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق احسان عباس. بيروت: دار القلم،1971. ج6، ص:7-11. العماد الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت: دار المسيرة،1979. ج1، ص: 182-183.

3- القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تونس، 1986، ص: 234.

4- البلخي عبد الله بن أحمد، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تونس، 1986، ص: 64.

5- المصدر نفسه، ص: 66.

6- محمود إسماعيل، مغربيات، المحمدية: مطبعة فضالة،1977.

7- الخشني محمد بن الحارث، كتاب طبقات علماء إفريقية، بيروت: دار الكتاب اللبناني. ص: 219-222.

8- المصدر نفسه، ص: 219.

9- المصدر نفسه، ص: 220.

10- المصدر نفسه، ص: 221.

11- أبو العرب محمد بن تميم، كتاب طبقات علماء إفريقية، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ص: 84.

12- البكري أبو عبيد، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن واندري فيري، تونس: الدار العربية للكتاب، 1992.ص: 735.

13- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992.مج 6، ص: 144.

14- ابن خرداذبة عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، بغداد: مكتبة المثنى. د.ت ص: 88.

15- اليعقوبي أحمد بن واضح، كتاب البلدان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988.ص: 112.

16- أبو زكريا يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982. ص: 102. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، قسنطينة: مطبعة البعث، 1974.ج1، ص: 57.

17- البكري، المسالك، ص: 799. ابن أبي زرع علي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، الرباط: دار المنصور، 1973، ص: 19.

18- لم يزد ياقوت الحموي في معجم البلدان في حق هذه المدينة عن قوله: " والبيضاء أيضا كورة بالمغرب ". ج1، ص: 529.

19- البلخي، فضل الاعتزال، ص ص: 109-110.

20- المصدر نفسه، ص: 119.

21- القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال، ص: 227.

22- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1948.ج1، ص:25.

23- البلخي، فضل الاعتزال، ص: 109.

24- أبو زكرياء، السير، ص:101-113. الدرجيني، الطبقات، ج1، ص:57-65-الشماخي أحمد بن سعيد، كتاب السير، تحقيق محمد حسن، تونس: كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 1995. ص:61-66. ولكن ابن الصغير يذكر حربا أخرى دارت بين الإمام عبد الوهاب وهوارة، ص 52 وما بعدها.

25- أبو زكرياء، السير، ص: 102. الدرجيني، الطبقات، ص: 57.

26- أبو زكرياء، السير، ص: 110.

27- الشماخي، السير، ص: 65.

28- هم مهدي الويغوي المناظر، وأيوب بن العباس المبارز، ومحمد بن يأنيس المفسر، ومحمد أبو محمد، وقيل أبو الحسن الأبدلاني. الدرجيني، الطبقات، ج1، ص: 57.

29- ابن خلدون، العبر، مج 6، ص: 144.

30- أبو زكرياء، السير، ص: 102. الدرجيني، الطبقات، ج1، ص: 57.

31- محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت: دار العودة، 1976.ص: 148. مغربيات، ص: 135.

32- ابن أبي زرع، القرطاس، ص: 19.

33- ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، بيروت: دار الغرب الإسلامي. ص: 51.

34- أبو زكرياء، السير، ص: 116. الدرجيني، الطبقات، ج1، ص: 66. الشماخي، السير، ص: 67.

35- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص:157. ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص:95. ابن خلدون، العبر، مج 4، ص:235، وهو تاريخ يثبته الباحث نفسه في كتابه الأغالبة ط 1978، ص:105، بل إنه اتهم في الهامش رقم 33 من الصفحة نفسها ابن خلدون بالخطأ في ذكر سنة 176هـ بدل 196هـ (مج 6، ص: 121) ولكن الخطأ

في الواقع هو من تحريف الناسخ في ط بولاق التي اعتمدها الباحث، ولكن الطبعات الأخرى تذكر سنة 196هـ وحتى في مج 6 نفسه من طبعة بولاق وردت سنة 196هـ في ص: 141.

36- أبو زكرياء، السير، ص: 106.

37- المصدر نفسه، ص: 108.

38 ابن الصغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين، ص: 93-95.

39- المصدر نفسه، ص: 94.

40- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، دون تاريخ. ص: 93-94.

41- المصدر نفسه، ص: 99.

42- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد، تاريخ علماء الأندلس، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997. ص: 384-385.

43- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1983. ص: 362.

محاولة حفظ وصيانة برج موسى بمدينة بجاية

د.ة عائشة حنفي
معهد الآثار - جامعة الجزائر2

تعتبر بجاية[1] إحدى حواضر الجزائر المميزة لما لها من تاريخ عريق تعود جذوره إلى أقدم الفترات الزمنية التي عرفت خلالها هذه المدينة مختلف الحضارات، وتعتبر الفترة الحمادية من الفترات التاريخية الذهبية، التي عرفت خلالها المدينة تطورا ملحوظا في كل المجالات خاصة الجانب المعماري، حيث توجد بها أمثلة مميزة لمختلف الفترات التاريخية، فلا تزال أثار هذه المدينة،صامدة ليومنا هذا رغم فقدان البعض منها، ونحن نسعى بكل جهدنا لأن نحافظ عليها ونعطيها مكانتها التاريخية،لأنها جزءا هاما من مورثنا الثقافي والحضاري لا يمكن تعويضه. وتعتبر بقايا أسوار المدينة، وباب البحر، وبرج موسى، وغيرها من أبرز هذه المعالم.

تقتصر دراستنا هنا على أحد الأبراج وهو برج موسى الذي لا يزال يحافظ على شكله المعماري ويحتل موقعا هاما في المدينة، وهو عمارة دفاعية بالدرجة الأولى، بناه الأسبان ليحتموا من هجمات الأهالي من الداخل، وأساطيل المسلمين البحرية[2]، لعب دورا دفاعيا هاما سابقا، وسياحيا حاليا، وما يحز في نفوسنا اليوم، هو مظاهر التلف التي بدأت تظهر عليه اليوم رغم صموده لفترة طويلة كونه لم يتلق أي عناية خاصة في مجال الحفظ والترميم.

كذلك حالة الإهمال التي يعاني منها هذا المعلم بصفة مستمرة،مما سيؤدي لاندثاره ما جعلنا نتخوف من زواله،كما نشير إلى التدخلات العشوائية على البرج، كاستعمال طرق غير علمية زادت من تشويهه وتدميره.إن أهمية البرج،تستوجب علينا البحث في مجال صيانة وترميم الآثار وذلك لتثمين المعالم الأثرية والنصب التاريخية، فهو وسيلة للمحافظة على التراث الحضاري.

وسعيا منا للحفاظ على هذا المعلم، نحاول من خلال هذا البحث المتواضع، إيجاد حل لصيانة وتثمين هذا المعلم المهم في قراءة تاريخ هذه المنطقة.

I - نبذة تاريخية على بجاية:

بجاية اسم خالد في تاريخ المغرب العربي بشكل عام والجزائر بشكل خاص، إذ تحدثت عنها العديد من المراجع باختلاف مؤلفيها من مواضيع تاريخية إلى مواضيع أثرية وغيرها، حيث كانت في القديم، تجاريا فينيقيا هاما وفي الفترة الرومانية، كانت من بين المستعمرات التي التي أسسها الإمبراطور الروماني أغسطس، لقبت آنذاك باسم"صلداي(saldaea) " ولم يعرف تاريخ اندثارها وبعدها احتلت من طرف الوندال حيث اتخذت حينها اسم "جورايا" وهي كلمة تعني "الجبل"، كما تعرضت لأكثر من قرن لحكم البيزنطيين إلى غاية ظهور الفتوحات الإسلامية، التي فتحت الشمال الإفريقي كله.

يعبر المدينة نهر كبير يسمى"الواد الكبير " هو متنزهها وعليه بساتينها وقصورها، ويأتيها من جهة المغرب ومن نحو جبال جرجرة وهو نهر عظيم على بعد ميل منها، وكلما بعدنا عن البحر، كان ماؤه قليلا ويجوزه من شاء في كل موضع منه،و أما عند فم البحر الأبيض فتمر به المراكب وعلى شاطئ هذا النهر تقام البساتين والمتنزهات.[3]

تحد ث الإدريسي عن بجاية فقال: "ومدينة بجاية على البحر لكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى"أميسون" وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى"[4] كما تميزت بازدهارها في مجال التجارة فقال:".. .و السفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة..." [5]ولم يبخل من الحديث عن صناعتها فقال:".. . وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي..." [6]، أما ما يخص الزراعة فقال: "و بها بواد ومزارع، والحنط والشعير موجودان بكثرة والتين وسائر الفواكه بها ما يكفي من البلاد وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت "[7]

أما عن صاحب كتاب الاستبصار فقد ذكر بجاية قائلا:".. بجاية هي مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب في سورها وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة... وبجاية مقلعة من جبل وقد دخل في البحر يسمى أميسون وعليها سور عظيم والبحر يضرب فيه ولها داران لإنشاء السفن"[8]

كما أن بجاية كانت العاصمة الثانية للحماديين والتي كانت مرحلة التحضر أو الانفتاح والهدوء والاتساع وأنها تعد الشوط الأخير الذي انتهى بسقوط الدولة،

ذلك الشوط الذي امتد سبعة وثمانين عاما.[9] يرجع التفكير في بناء بجاية لدى الناصر ابن علناس [10]إلى عدة أسباب اختلف حولها المؤرخون لكن الطابع العام هو أنها أسباب ترجع إلى ظروف طارئة وليست أسباب خاضعة لتخطيط مسبق.[11]

كانت حدود الحماديين في بجاية، هي أكبر حدود وصلت إليها الدولة لا سيما من الناحية الشرقية، إذ قدر لها أن يصل نفوذها إلى القيروان وتونس، كما أنها أوقفت المرابطين عند تلمسان، واضطروا إلى التراجع عن وهران وتنس بعد أن وقفوا على مشارف مدينة الجزائر وتم عقد سلام أدبي بين المرابطين والحماديين،لا سيما بعد اضمحلال المرابطين (500هـ/ 1106م) بموت يوسف بن تشفين زعيم ألمرابطي، وانتهى ذلك كله بظهور الموحدين الذين قضوا على كل القوى التي تحكم المغرب.[12]

أصبحت بجاية في سنة 546هـ/ 1152م تحت الحكم الموحدي على يد عبد المؤمن خليفة ابن تومرت، وكانت طيلة هذا الحكم حتى 1230م تمد البلدان المغربية بأطرها العليل، في مختلف الميادين العلمية، الدينية والأدبية، وبلغت ازدهارا مرموقا وتقدم تجاري وعمراني ومن أهم المباني الموحدية نجد القصبة التي بنيت في 1154م – 1160م، ولم يلبث الحكم الموحدي حتى زعزعت أركانه، واستولى الحفصيون على المدينة سنة 1230م، وجعلوا منها مدينة لولاية مستقلة بعد ما تحرروا من سلطان تونس، ودامت بجاية تمثل مركزا هاما في الميدان الاقتصادي، وأقام الحفصيون علاقات تجارية مع الكثير من الدول الأوروبية.[13]

وفي سنة 1510م، استولي علي المدينة الجنرال الإسباني (بدرو دي نافارو pedro de farou)، وأصبحت بجاية تحت السيطرة الإسبانية الذين ألحقوا بها الدمار والخراب، وحولت مباني حمادية بديعة إلى قلاع وحصون، فحولت القصبة الموحدية إلي حصن، وحل البرج الإمبراطوري (برج موسي) محل قصر الكوكب البديع، ولم يلبث الحكم الإسباني سوى 45 عام في المدينة، حتى حصروا برا وبحرا وبعدما قاوموا بدون أمل، اضطر القائد الإسباني دون برالتا doun bralta يوم 27 سبتمبر 1555م، علي الاستسلام لصالح باي باشا الجزائر فاسترجع المدينة.[14]

II-نبذة تاريخية عن البرج:

لقد أفادتنا الحملات الفرنسية، بذكر المعالم التي وجدوها قائمة ومن بين هذه المعالم، تلك التي تعود إلى الفترة الأسبانية ونخص بالذكر، الاستحكامات العسكرية التي كانت معروفة في مدينة بجاية.

إن الاستحكامات العسكرية، هي مجموعة من المنشآت ومواقع اصطناعية، تقام لتقوية موقع ما وحمايته من الهجمات المعادية، والاستفادة من قوة الوحدة المتمركزة في الموقع المحصن إلى أقصى حد ممكن ومنع العدو من الاستفادة من إمكانية الإحراز على أي تفوق.[15]

تختلف الاستحكامات العسكرية تبعا لاختلاف الوظائف المنوطة لها لكل نوع، منها للحراسة، المراقبة، الاستطلاع والإشتشعار عن بعد. إن دراسة المعالم العسكرية، تعني دراسة تقنية لأساليب الحرب، وتطور السلاح، الذي يقابله تطور المنشات العسكرية بمختلف أنواعها، من تحصيلها المعماري وعناصرها، ومواد البناء المستعملة فيها[16]، يعتبر(برج موسى) عمارة دفاعية بالدرجة الأولى، استوجب الحفاظ عليها (صورة 01).

صورة01: برج موسى

أولا: الوصف:

مبنى دفاعي من الأجر والحجر محاط بأسوار كبيرة السمك حوالي 2 م، ويذكر بعض المصادر أن برج موسى قد شيد على أنقاض قصر النجمة الموروث عن الفترة

الحمادية (481 هـ- 498هـ / 1088 م-1105م)، الذي تقدر مساحته 1442 م^2، ويفوق ارتفاعه 14.49 م[17]

1- الموقع:

يقع برج موسى على هضبة مرتفعة في وسط الجهة العليا للمدينة (بجاية)، يحده من الشمال شارع المجاهد، وشارع بلحوسين جنوبا، شارع تواتي مراد شرقا، ومحاط بمختلف الممتلكات الخاصة غربا.[18] (صورة 02).

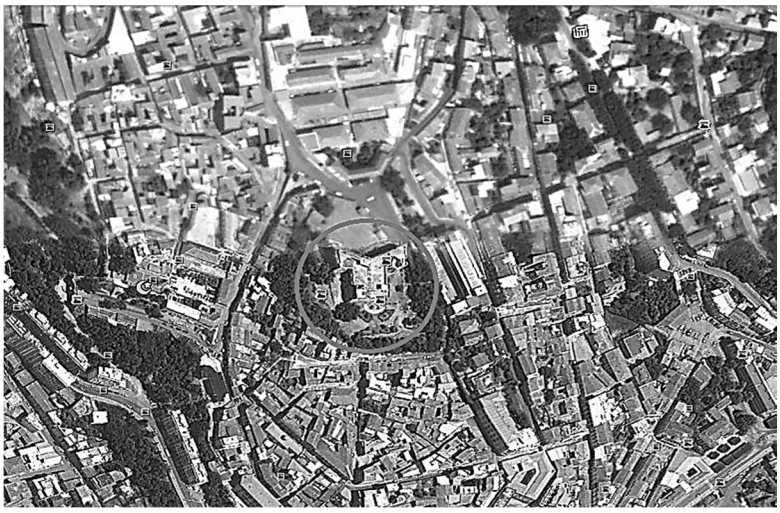

صورة02: الموقع الجغرافي للبرج

أما عن التضاريس المحيطة بالبرج، فهو يقع في منطقة شبه جبلية حيث ينحدر تحت جبل قورايا المعروف بطابعه الصخري, كما يحاذيه البحر من الجهة الجنوبية الأمر الذي يسمح بانبعاث بعض الرطوبة والجو المنعش يصنف حصن موسى ضمن العمارة العسكرية الدفاعية بالدرجة الأولى، بناه الأسبان ليحتموا من هجمات السكان من الداخل، وأساطيل المسلمين البحرية.

2-الاسم:

كان يسمي في الفترة الإسبانية (قصر الإمبراطور)، وبعد مجيء العثمانيون أطلقوا عليه اسم برج موسى وذالك إشادتا بالمحاربين السبعة الذين آخذو المبادرة على

اقتحام الحصن وقتلوا في سبيل ذالك، وكان أحدهم يحمل اسم موسى.استولى عليه الفرنسيين في عام 1212هـ/ 1830م، وأطلقوا عليه اسم برج برال تكريما للجنرال بارال، الذي مات متأثرا بجروحه بالقرب من البرج ودفن فيه قبل أن يتم ترحيل جثمانه إلى فرنسا،أما في وقتنا الحالي، فقد عاد البرج ليعرف باسمه الذي أطلقه عليه العثمانيون (برج موسى).[19]

3- **الشكل**:

هو عبارة عن متعدد الأضلاع ينقسم إلى قسمين: القسم المربع في الجهة الجنوبية وقسم في الجهة الشمالية يمثل تقاطع مثلثين، أما التحصين المربع من الجهة الجنوبية طبيعية، ومن الناحية الشمالية فهو عبارة عن مثلثين متقابلين متقاطعين حسب التخطيط الذي وضعه اللواء فوبو الإسباني لحصر العدو والقضاء عليه.[20]

يعتبر من أحسن الحصون التي مازالت محافظة علي شكلها المعماري، والتي مازالت قائمة لحد الآن ولقد أضيفت له بنايات في سطحه العلوي تعود للفترة الاستعمارية، ولو لا هذه الإضافات التي تمثلت في فتح بالطابق الأرضي وبناء الطابق الجنوبي، لظهر البرج علي نمطه الأصلي لسنت 1555 م. [21]

يتكون البرج من ثلاثة مستويات تتمثل في:

الخندق: يوجد على الشريط التحتي للمبنى نفق حيث يحيط بكامل محيط البرج مقاساته 1م عرض، 150سم ارتفاع، مبني بالحجارة مختلفة الأحجام تتهلله فتحات للتهوية، كان مردوما بالكامل حتى سنة 2008م أين قامت هيئة للأشغال الاستعجالية، لبرج موسى انطلقت في إطار دراسة ترميمية للمبنى تضم عملية التقشير، وتنظيف النفق وعملية التدعيم[22] وهذا الأخير فيه مخرج إلى وسط البرج، وحسب سكان المنطقة، فإن له ممر مستمر تحت الأرض يؤدي إلى غاية برج عبد القادر شرقا، والقصبة جنوبا، ثم يعود إلى البرج حيث كان الجيش الإسباني، يستعمله كنقطة ترصد للعدو، ثم إذا مر قارب في البحر، يفاجئ بقوات عسكرية متسللة داخل النفق، ثم تقصف السفن في النقطة الثانية، أي برج عبج القادر حاليا، ثم يعود إلى القصبة، ثم إلى البرج مشكلا مثلث كما يمثله الشكل1.

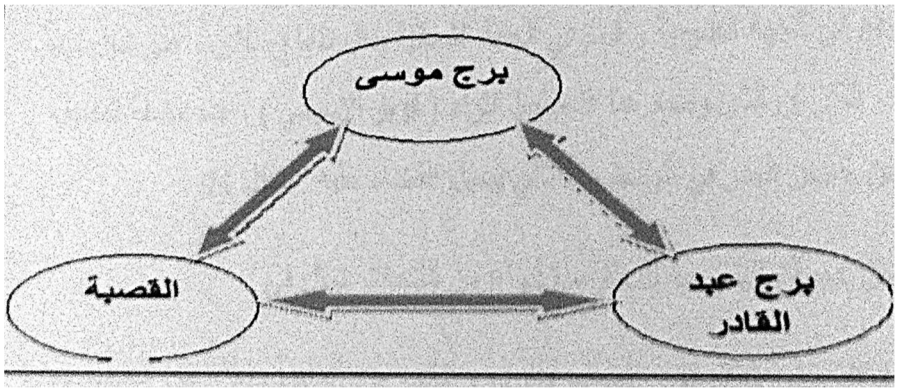

شكل01: اتجاه النفق

ينقسم إلى ثلاثة مستويات وهي كالتالي:

المستوى الأول: يتكون من مدخل رئيسي في الجهة الجنوبية الشرقية، يعلو هذا الباب عقد نصف دائري يرتكز على دعامتين،يؤدي المدخل إلى سقيفة مستطيلة، تليها ردهة مقاساتها:

14,77 x 6 ,10، يحدها من الجهة الغربية، جناح خاص للاستقبال وفي نفس الاتجاه، توجد قاعة كبيرة تشمل على ثلاثة أروقة بارتفاع وعرض ستة أمتار، والطابق ككل، يحتوي على عشرة فتحات للإضاءة والهوية، ثلاثة بالجدار الشرقي، وثلاثة بالجدار الغربي، وأربعة بالجدار الجنوبي، وأبراج تؤدي إلى المستوى الثاني (شكل 02)

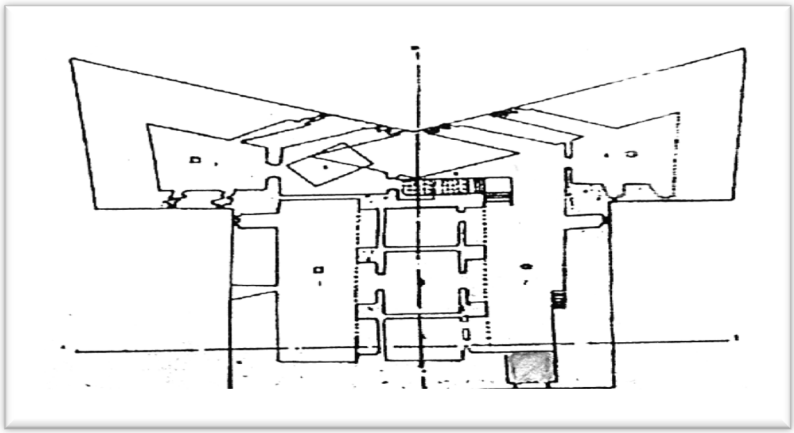

مخطط 01: مخطط الجهة الداخلية للمعلم

المستوى الثاني: يوجد في المستوى الثاني لبرج موسى، جناح خاص بالإدارة في الجهة الجنوبية، يعود إلى الفترة الفرنسية، يتكون من خمسة غرف في الجهة المقابلة(الشمالية)، نجد برجين متقابلين: الأول في الناحية الشمالية الشرقية، وهو عبارة عن مضلع، مدخل البرج يقدر ب0,70 م، أما الثاني فيقع في الجهة الشمالية الغربية، وهو عبارة عن مضلع أيضا ومدخله يقدر هو أيضا ب 0,70 م، وساحة كبيرة تتوسط كلا الجهتين الشمالية والجنوبية. (الشكل 03) (الصورة 03)

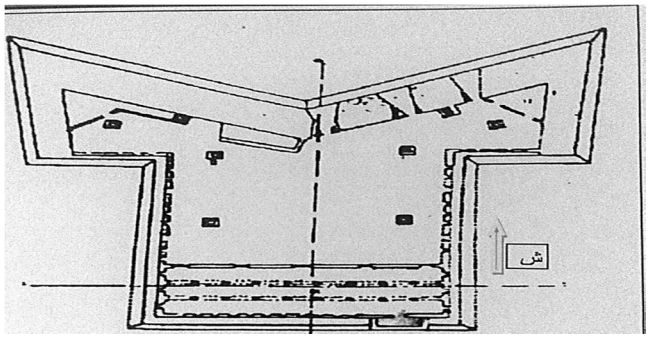

الشكل 03: مخطط سطح المعلم

صورة 03: **القسم العلوي–الزيادات الفرنسية**

أما فيما يخص الهيكل العام للبرج، فشكله عبارة عن متعدد الأضلاع ينقسم إلى قسمين: قسم مربع في الجهة الجنوبية وقسم في الجهة الشمالية يمثل تقاطع مثلثين، على شكل قبعة الكاهن، ويقال أن الذي وضع هذا التخطيط هو اللواء

(فوبو الإسباني)، هذه الخطة الدفاعية تمكنه من حصر العدو في الوسط وبالتالي يسهل القضاء عليه(الشكل 04).(الصورة 04)

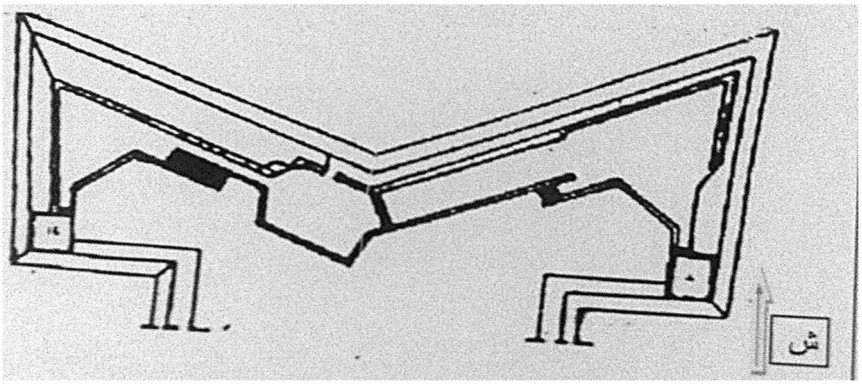

الشكل04: الجزء الشمالي للمعلم(قبعة الكاهن) عن: علي خلاصي

الصورة 04: البرج من الجهة الغربية

كما تتخلل الجدران الخارجية، عدة أنواع من الفتحات تتمثل في:

- نوافذ على شكل قوس نصف دائري، تتألف من أقواس مشكلة من الطوب طوليا وبشكل مستعرض

- نوافذ منخفضة تحمل قوسا يعلوا دعامتين، شكلت من الطوب طوليا بالتناوب وبشكل مستعرض.
- فتحات مستطيلة من حجارة مسطحة ودعامات من الطوب.

كما زود هذا البرج بتحصين من الجهة الجنوبية يتمثل في حائط مائل حتى يسهل رؤية العدو، وكما يسهل أيضا رمي القذيفة في اللإتجاه الصحيح، ويسمح تجنب القضائب المضادة، وبعد ارتفاع معين للحائط نجد بروزا من الخرج حتى يتمكن من إزالة درجة الميل، مما ينتج تخفيف الثقل واستقامة الحائط، يفترض أن تكون هذه التقنية موحدية.

يتبين لنا من هذا البرج، أنه يجمع بين مختلف التأثيرات، لأنها بنيت علي أنقاض قصر، ثم أجريت عليه تهيئة وألحقت به إضافات حيث فتحت له نوافذ، يمكن أن نميز بوضوح بين هذه التأثيرات المختلفة اعتمادا علي المقارنة بينها وبين التحصينات المحلية من جهة، وبين التحصينات الإسبانية من جهة أخرى.

ثالثا:مواد وتقنيات البناء:

من خلال دراستنا الميدانية لمعلم برج موسى، استنتجنا أنه بناء مقتبس من المباني الحمادية، مع بعض التغيرات الطفيفة التي تميز البناء الإسباني،حيث استعملت الحجارة والأجر في بنائه مع ملاطات مختلفة بطرق وتقنيات متنوعة ويتميز بمتانة جدرانه السميكة، مع إدخال مميزات العمارة الدفاعية، مثل أبراج المراقبة وفتحات للمدفعية وكذا مخرج يتمثل في الخندق للضرورة.

1- مواد البناء:

أ- الحجارة: كانت الحجارة مورد اهاما منذ نشأة الإنسان ، ولا تزال إلى يومنا هذا، حيث أستعملها في حياته اليومية، في البداية كالأدوات للصيد والحماية، ومن ثمة طورها بعد اكتشافه للبناء وأصبح يستعملها بدون ملاط، ثم أصبحت تعدل وتصقل بأحجام تناسب البناء كما اعتمدت عليها الحضارة المصرية في بناء الأهرامات التي لا تزال قائمة لحد اليوم، كما تفنن البنائون الروم في بنائها بتقنيات متنوعة، وأحجام مختلفة ومميزة، واستعملت الحجارة بكثرة لكونها مادة أولية متوفرة في الطبيعة ولكونها مقاومة للمختلف عوامل التلف.

كما تحدث عنها ابن خلدون في مقدمته قائلا:"ويؤسس جدرانها بالحجارة ويدعم بينها بالكلس ويعلى عليها بالصبغة والجص"[23].

فيما يخص برج موسى، فقد استعملت الحجارة بأنواع وأحجام مختلفة، فقد تفنن البناء في ترتيبها بشكل محكم، حيث استعملت الحجارة الكلسية ذات أصل رسوبي التي اعتمدت بكثرة في المباني الأثرية لكونها تمتاز بالمقاومة الميكانيكية, والقساوة الانفاذية[24]

وفي هذا البرج استعملت الحجارة خاصة في قواعد ألأسوار بحجم كبير وكذا زوايا البرج لتحديد قطع الأجر لتوفر الحماية من الصدمات الخارجية، أما عن مصدر هذه الأخيرة، فيعتقد أنها جابت من الجبل المجاور(جبل قورايا)، وكما يرجح الكثير أنها مسترجعة من معالم حمادية مندثرة.

ب-الملاط:

هو خليط من المواد الماسكة ومجموعة من مواد مختلفة زائد الماء، وغالبا ما تكون المادة الماسكة من الطين أو الجير أو الجبس، والمواد المضافة تكمن في الرمل أو إعادة طحن الأجر أو الفخار، وتضاف مواد مقاومة مثل الحديد، كما عرفه إبن المنظور كما في كتابه لسان العربي "...يعني الذي يملط بالطين، يقال ملطت تمليطا وملط الحائط وملطه أي طلاه، والملاط هو الطين الذي يجعل بين سافي البناء... [25]

و للملاط، دور هام في ربط وتماسك مواد البناء فيما بينها، كما يمثل النقاط الأكثر ضعفا في البناء، لذا يجب أن يكون مكدسا وكثيفا وذا سمك منتظم حتى يكون الضعف الناتج عن الثقل موزعا بالتساوي.

الأجور :

بدأ الإنسان استعمال الأجور منذ القدم، أي بعد اكتشافه للأفران، أو لطريقة حرق مختلف مواد الطين باستعمال القوالب، ليعطى لها شكل معين.

الأجر عبارة عن طينة مفخرة يتم عجنها ثم تجفيفها، وبعد ذلك يتم حرقها لتصبح صلبة ومتماسكة، ومن مكوناتها سلكات الألمين المائي Alumina Silicate

hidrole ممزوجة بالكلس والرمل الناعم، إضافة إلى الأكاسد المعدنية، كأكسيد الحديد Oxyde de fer الذي يعطي اللون الأجوري بعد الحرق.[26]

فيما يخص البرج فنجد أن 80% مكون من مادة الأجر المسطح، خاصة ذو الأحجام الصغيرة، مقاساته 20 سم x 10 سم والسمك 5 سم، مستطيل رباعي الزوايا وأستخدم الأجر في الأسوار بطريقة

مسطحة، وفي العقود بطريقة شعاعية. ويعتبر مادة بناء وتزيين في أن واحد، إلى جانب الأجر، أستعمل الدبش بالتناوب معه في الأسوار، والدبش مادة حجرية متفاوتة الأحجام، تتعرض للتكسير إلى مختلف الأشكال صغيرة أو متوسطة، وقد تكون منحوتة بانتظام أو تأخذ الأشكال الهندسية المألوفة (المربع والمستطيل)، وتكون غير منتظمة أي ذات أشكال عشوائية، ويستعمل الدبش كمادة لحشو السور.[27].(صورة 05)

صورة 05: استعمال الدبش

2- تقنيات البناء:

نظرا لكبر هذا المعلم، وكذا الدور المعماري الذي بني من اجله، حيث يعتبر حصن دفاعي وبرج مراقبة، تنوعت واختلفت تقنيات البناء فيه حيث تفنن الباء في بناءه خاصة الأسوار المائلة والمثلثين المتناظرين، والعقود في الأبواب، وبالنظر للظروف التي قاومها المعلم، من حروب، وزلازل، والتغييرات الفرنسية، فقد تمكنا من تميز هذه التقنيات ونتطرق إليها بالتفصيل:

أ- تقنيات الحجارة الكبيرة: opus quadratum

هي حجارة مشكلة من صخور منحوتة علي شكل متوازي السطوح، مستطيلة بشكل أفقي وبدون ملاط، وتظهر لنا في الباب وفي أساسات المبني، والمرجح أن هذه الحجارة مسترجعة من المعلم المندثر (قصر الكوكب).[28] (صورة 06)

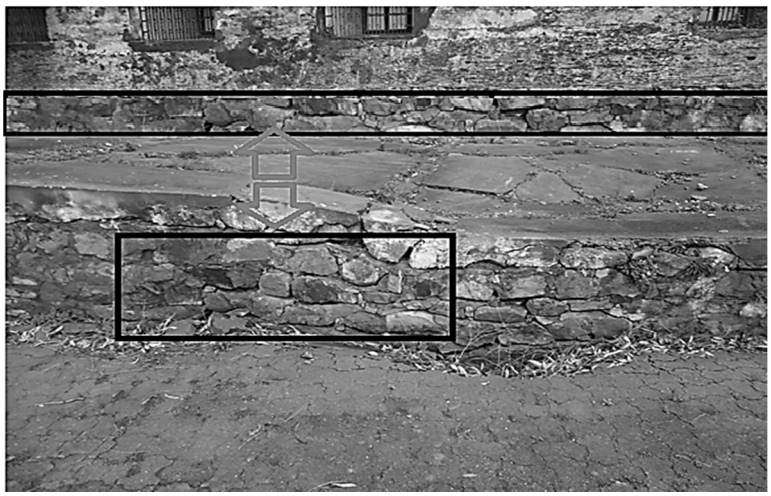

صورة06: تقنية الحجارة الكبيرة

ب- تقنية قائمة علي صفوف من الأجر: Opus Testacum

استعملت هذه التقنية خاصة في العمارة الدفاعية، وكذا المساحات الكبيرة، وتعتمد هذه الأخيرة علي وضع صفوف من الأجر المسطح مع الملاط، حيث توضع بطريقة متداخلة ومتشابكة، الأمر الذي يعطينا شكل مسافات منتظمة ومتساوية، وهذه التقنية استعملت بكثرة في هذا المعلم، حوالي 70%.[29] (صورة 07)

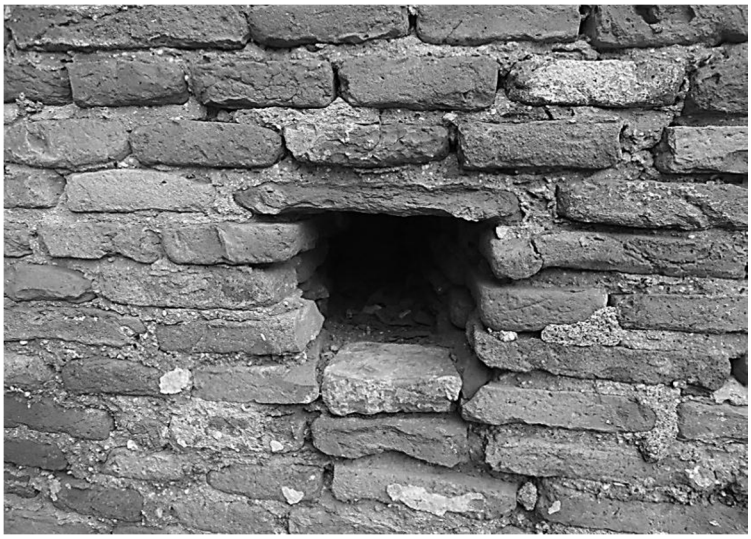

صورة07: تقنية قائمة على صفوف من الأجر

ج- تقنية قطع على شكل سنبلة: Opus Spicatum

هي تقنية رومانية،تقوم على وضع الأجر بوضعية عمودية مائلة، مجهزة بالتناوب حيث تكون الشقوق متتالية بشكل هيكل عضمي للسمكة آو السنبلة.[30] وضعت في البرج خاصة في القاعدة التي بنيت فوقها الأبراج الدفاعية بشكل مائل إلي الأسفل.(صورة 08)

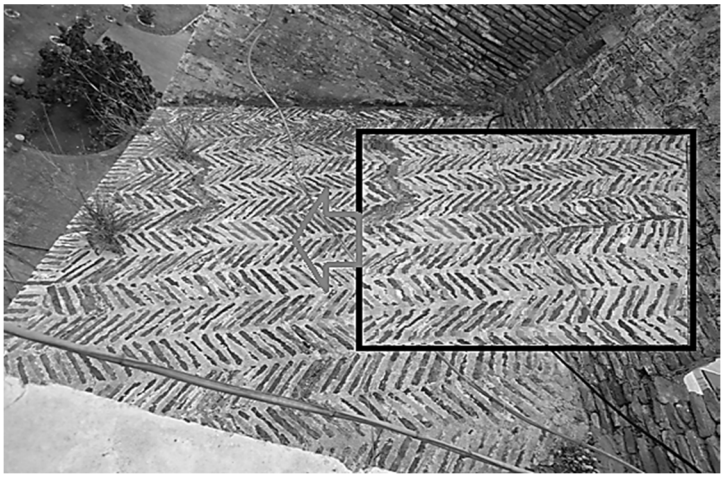

صورة08: تقنية قطع على شكل سنبلة

د- تقنية دعامة الزوايا:

هي تقنية رومانية، للبناء تعتمد على حصر الحجارة الصغيرة بحجارة كبيرة رباعية الزوايا، وتستعمل في الزوايا للتقوية وتكون بمثابة دعامة. أما في البرج، فاستعملت في الجزء المعدل في الفترة الفرنسية.[31] (صورة09)

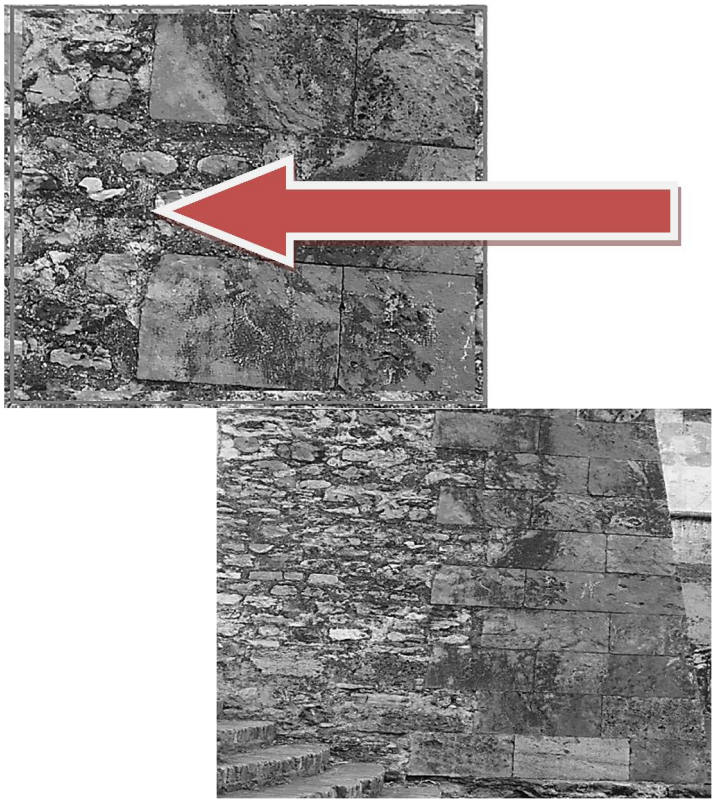

صورة 09: تقنية داعمة الزوايا

رابعا: تشخيص المعلم:

التشخيص هو عمل توثيقي يقوم به المرمم قبل التدخل على المادة الأثرية التي يدرسه، وذلك قصد تجنب تلفها، أو الإسراع منه، وتحديد مختلف المواد والتقنيات والأدوات التي يستعملها وذلك لضمان نجاح عملية الترميم والمادة الأثرية، فمن خلال دراستنا للمعلم لا حظنا عوامل تدهور مختلفة وحسب معلمنا قسمناها إلى ما يلي:

1-مظاهر التلف:

الجهة الخارجية:نلاحظ في الجهة الجنوبية الشرقية، أن الأرضية المحاطة بالبرج، غير مستقرة، الأمر الذي نتج عن ظهور بعض التموجات، وتشير الدراسات التي أجريت على الأرضية من طرف (LNHC)[32] حيث استنتجوا أنه يوجد ركام في معظم المساحة في أعماق تصل إلى ستة أمتار في بعض الأماكن. ضف إلى ذلك، انجراف التربة التي تسبب في انفصال الحجارة عن الأسس. (صورة 10)

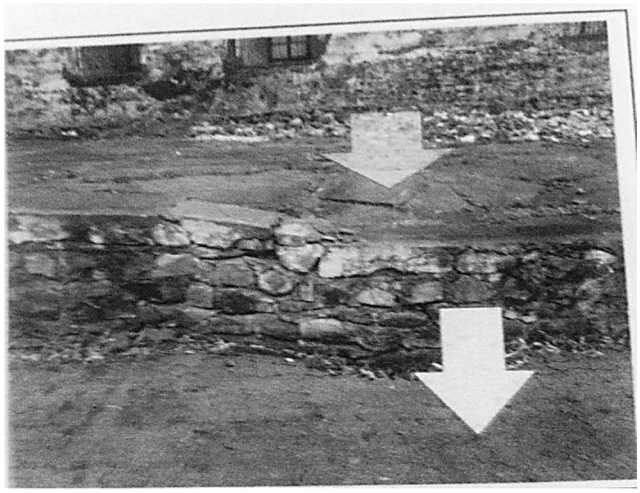

صورة 10: عدم استقرار الأرضية

-ظهور بعض التشققات خاصة في الجهة الجنوبية الشرقية وكذا الجهة الشمالية أين يلتقي المثلثين، وتوغلت هذه الشقوق إلى الداخل. (صورة11)

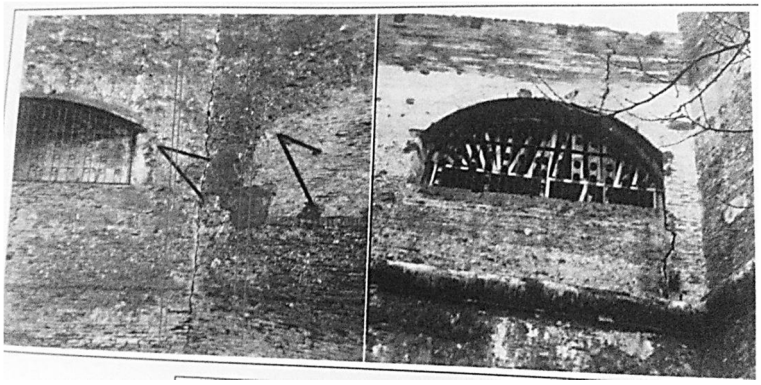

صورة11: الشق الشمالي والشق الشرقي.

-انفصال أنابيب صرف المياه من الجهة الشرقية للمعلم، الأمر الذي أدى إلى ظهور عوامل تلف عديدة منها:

- تقشير التلبيسات خاصة من الجهة الشرقية، واندثار بعض المكعبات وكذا تلوث السور.

- نمو بعض الأشجار على حوافي السور، وكذا بعض الحشائش الضارة(صورة12)

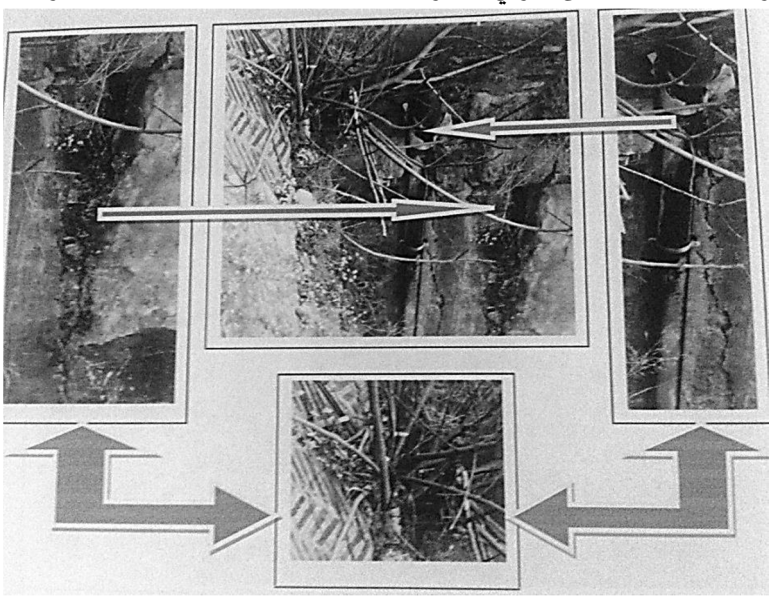

صورة12: انفصال أنابيب الصرف، نمو الأشجار وكذا تقشير التلبيسات.

- تنوع التوصيلات الكهربائية بطرقة عشوائية حيث تربط أحيانا بطرف أسوار المعلم، الأمر الذي عمل على تشويه المنظر الخارجي لهذا الأخير.(صورة13)

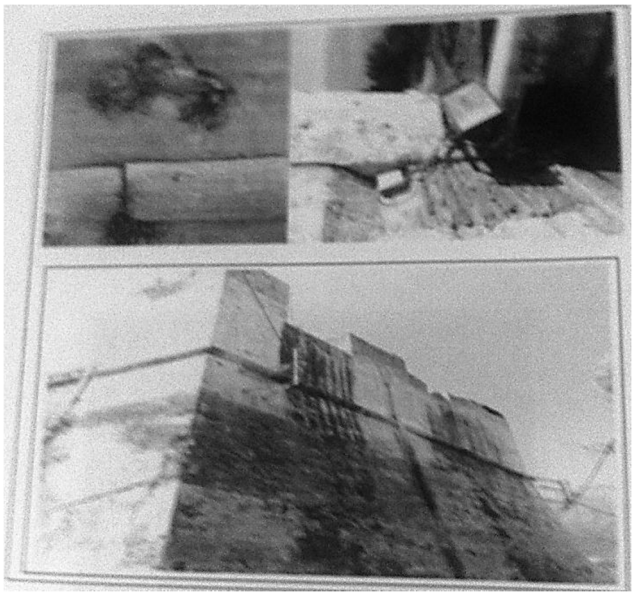

صورة13: التوصيلات الكهربائية

الجهة الداخلية: لاحظنا عند دخولنا إلى القاعة الرئسية للمعلم، أنها لا تخلو من بعض مظاهر التلف خاصة في الجهة الشمالية، ونظرا لكون هذا المعلم خصص لعرض بعض التحف،لم نتمكن من تشخيص كل مظاهر التلف الموجودة داخله لكن ما لوحظ نذكره فيما يلي:

- سقوط بعض المكعبات من الأسوار من جراء عملية الترميم التي لم تكتمل (2008).
- تدهور التلبيسات المضافة حديثا خاصة في جهة المصعد.
- دخول مياه الأمطار إلى الداخل مع تصاعد بعض الأملاح بفعل الخاصية الشعرية.(صورة14)

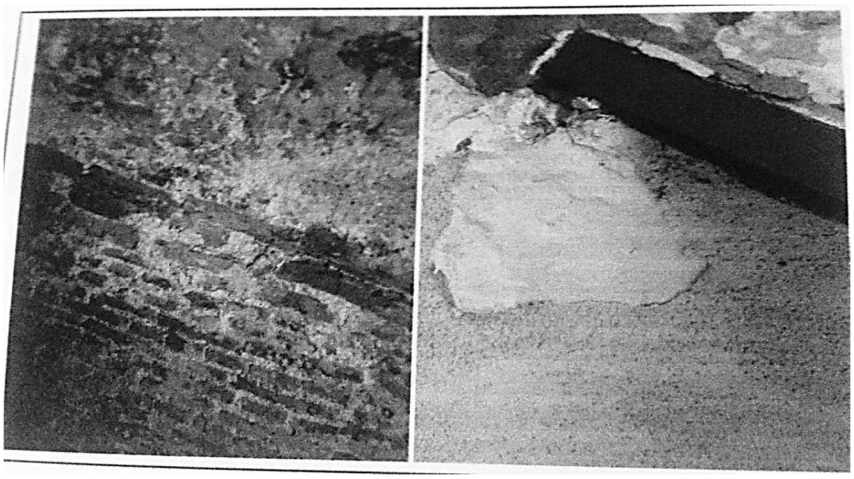

صورة14: تصاعد الأملاح، تلاشي بعض المكعبات، دخول مياه الأمطار.

جهة السطح: استطعنا أن نميز بعض النقاط الحساسة في السطح، التي شوهت المنظر نذكر منها ما يلي:

- وجود طبقة من ملاط فوق الأسوار، إلا أن هذه الأخيرة، لم تستعمل بطريقة مدروسة تتوافق مع المادة الأصلية.
- وجود طبقة من الزفت في السطح.
- وجود بعض التشققات في السطح، وفي الأسوار المكونة للمثلثين وكذا استعمال الإسمنت في التلبيسات الحديثة.
- استعمال قضبان حديدية في الأسوار الشرقية مشدودة بالإسمنت.
- انهيار شبه كلي للسور الداعم في الجهة العلوية لسطح الحجرات المضافة في الفترة الفرنسية، وكذا استعمال سلالم من الاسمنت المسلح مشدود إلى الأسوار بطريقة غير منظمة.
- غياب قنوات صرف مياه الأمطار، الأمر الذي ساعد على تجمع المياه فوق السطح.(لوحة01)

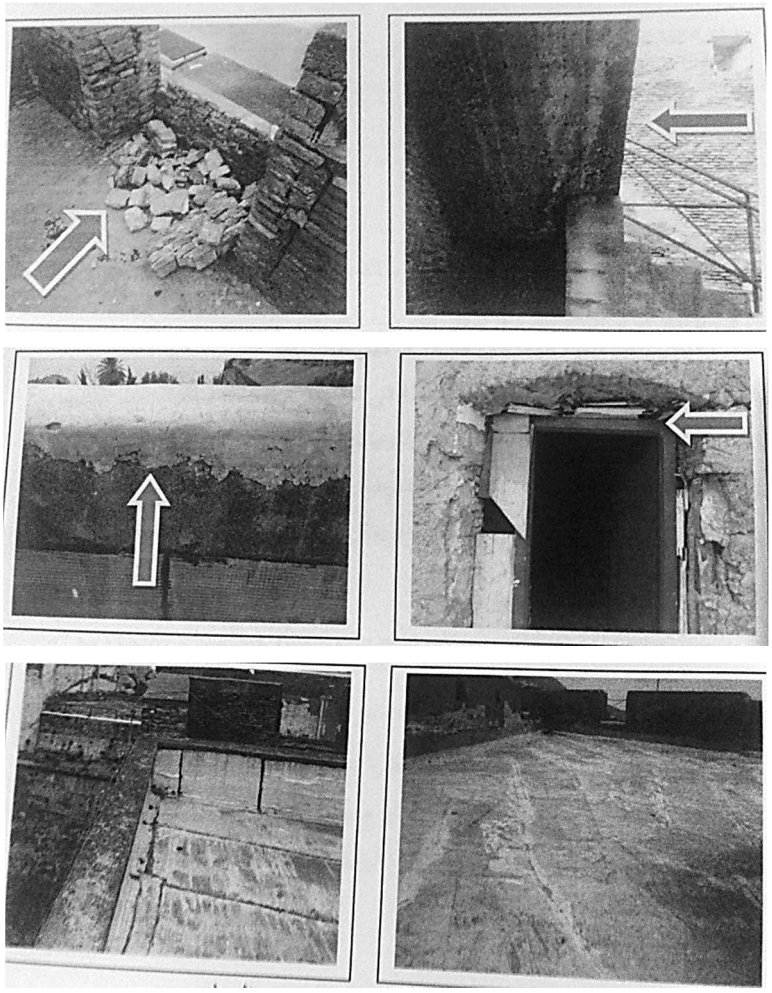

لوحة01: مختلف مظاهر التلف في السطح

2- عوامل التلف:

مهما كانت دراسات أعمال الصيانة والترميم دقيقة إلا أ نها لا تلبي الضمان المطلوب، ومن الضروري على المرمم أو الباحث أن يكون على دراية تامة بكل ما يخص هذا الحقل من المعلومات، والوقوف على أهم العوامل التي يمكن أن تأثر على المبنى وتشخيص الأضرار لمعرفة نوع التدخل الذي سنقوم به، ويتطلب هذا الأمر بطبيعة الحال الوقوف على الخصائص الكيميائية والطبيعية لمواد البناء وعلى الكيفية التي تتفاعل بها هذه المواد، والبحث عن أسبابالتلف التي تحيط

بالمعلم الذي هو موضوع دراستنا وسنقوم هنا بتعداد أهم عوامل التلف التي كان لها تأثير على المعلم، حيث يمكننا حصرها فيما يلي:

أ- العوامل الطبيعية:

تعتبر الطبيعة المهدد الأساسي لزوال المعالم الأثرية باعتبار هذه الأخيرة عرضة لقساوة الظروف الطبيعية المختلفة:

1 -الأمطار والسيول:

إن المياه مهما كان مصدرها، تؤثر على المباني الأثرية، إذ يمكنها التسرب إلى أعماق المواد المستعملة في البناء كالحجارة والملاط والأجر، وذلك عن طريق المسامات والخاصية الشعرية،[33] حيث يؤدي هذا التسرب إلى ذوبان الأملاح داخل المواد المكونة للمبنى فتصعد إلى السطح وتشكل طبقات بيضاء وترتبط ببعضها البعض حيث تساهم في تفتت الأحجار أو الملاط الرابط وبذلك تتساقط على شكل قشور وفتات.[34]

كما أن الأمطار المحملة بالأحماض تؤدي إلى تساقط الملاط خاصة إذا كان هشا وهذا باتحاده مع الماء فيشكل حمض الكربون الذي يؤدي إلى تفتت الملاط تدريجيا، ويتأثر الأجر أيضا بهذه الحموضة بصفة بطيئة، لكن بمرور الوقت وتكرار العملية يظهر الأثر أكثر،و كذلك تؤثر على الحجارة الكلسية بتفتيتها.[35] وبما أن بجاية تتميز بنسبة أمطار متساقطة في شهر أكتوبر إلى غاية أفريل حوالي 114يوم بمعدل 900 ملم في السنة، فتعرض المعلم لهذه النسبة سنويا يسهل ويسرع من عملية التلف في تفتيت الملاط ويساهم في هشاشة الأساسات.

2 -الزلازل والصواعق:

لا يمكن للإنسان التنبؤ بحدوث الزلازل كيف ومتى، إلا قبل وقت قصير من حدوثها وذلك لدرء أخطارها، كالخلخلة، والتشقق وأحيانا الانهيار وهذا حسب شدة الزلزال ومدته،أما الصواعق فتأثيرها يكون حسب شدتها،فنظرا لوجود أعمدة حديدية مثبتة على المعلم،ووجوده في وسط غابي والتي قد تمتص الصواعق وتجلبها إليه، فيمكن أن نركب مانعات لدرء أخطارها وذلك بدراسة توزيع تركيب مانعات الصواعق وإجراء فحص دوري لها.

3 -الحرائق:

تلحق الحرائق أضرار بالغة بالمباني الأثرية على اختلاف طبيعة مواد البناء فعلى سبيل المثال :النار تحدث تغيير كيميائي في مواد البناء، وخاصة المواد التي تحتوي على الجير فإنه بفعل الحرارة العالية(الاحتراق)يتحول الجير إلى جير حي وهو قليل الصلابة وسريع التفتت وسهل النزع بالماء، وبذلك يصبح المبنى ضعيفا سهلا للانهيار.

بالإضافة إلى أن السناج(و هو بقايا احتراق الخشب)يؤدي إلى إنتاج كميات كبيرة من الغازات الحمضية مثل :غاز ثاني أكسيد الكربون CO2 أو اكسيد الكبريت $SO2$[36]

كذلك تؤدي الحرائق إلى إنتاج حرارة كبيرة فإنه يتم تأثير الحرارة بطريقة غير مباشرة على المباني الأثرية، بالإضافة إلى تشويه المظهر الخارجي للمبنى في مكان الاحتراق.

4 -الرياح:

تتميز المنطقة بمعدل رياح متوسط يتراوح بين2 م/ثا و5م/ثا، ففي فصل الشتاء والخريف تهب الرياح من الجهة الغربية، والشمالية الغربية، ومن الشرق والشمال الشرقي في الصيف على شكل تيارات بحرية.

تعد الرياح إحدى الأسباب التي تؤدي بالمبنى إلى التلف والتعرية، وذلك باصطدام الحبيبات الصغيرة مع المواد المشكلة للمعلم [37]، كما أن الرياح تحمل حبوب الطلع الملقحة التي تصبح نباتات ذات جذور كبيرة بفعل الحرارة والرطوبة فتؤثر بإحداث شقوق.(صورة15)

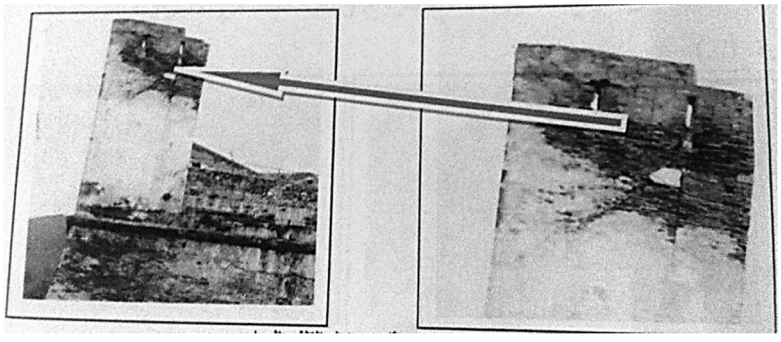

صورة 15:عامل تلف الرياح

5 -الرطوبة:

تؤدي الرطوبة في المباني الأثرية إلى إذابة الأملاح داخل الجدران، فتظهر على سطح الحجر أو تدفعها للطبقة الخارجية، ونقصها عن المعدل اللازم يسبب:

- جفاف مواد البناء وانفصالها وسقوطها وقد وجد أن أنسب درجة رطوبة هي ما بين 55 و65 %.

تتميز منطقة (بجاية) بمعدل رطوبة مرتفع جدا، إذ يتراوح معدل الرطوبة القصوى بين 89,2% في شهر جويلية و 93,9 % في شهر أفريل، ومعدل الرطوبة الدنيا بين 48,3 % في شهر أكتوبر و 55,2 % في شهر ماي، فهذا التفاوت في نسبة الرطوبة يحفز التفاعلات الكميائية لمواد البناء. (صورة 16)

صورة 16:تأثير عامل الرطوبة

6 -الحرارة: إن التغيرات الكبيرة في درجات الحرارة بين الليل والنهار، تأثر تأثيرا سلبيا على الحجارة، ولأن هذا الأخير موصل رديء للحرارة، فالقوى تتضاعف في مناطق الظل وبين السطح والطبقات الداخلية وهذا يسبب حدوث شظية والتفتت إلى حد معين. وعملية انخفاض وارتفاع درجة الحرارة المولدة عن تعاقب الليل والنهار يحدث إجهادات مد وتقلص على التوالي، وتعاقبها على مر الزمن يؤدي إلى تفكك الصخور فكون برج موسى معلما معرضا إلى العوامل الخارجية فلم يسلم من هذا العامل.

ب- العوامل البيولوجية:

تعتبر الكائنات الحية بمختلف أنواعها عاملا مساعدا على إتلاف المعالم الأثرية ويزداد ضررها كلما صغر حجمها، حيث تتمكن من التنقل في المسامات فتغزو المعلم،و فيما نذكر بعض هذه الكائنات البيولوجية التي تلحق الأضرار بالمعالم الأثرية.

1- النباتات:

تحتضن أساسات المباني الأثرية بذور النباتات التي تحملها الرياح والطيور، حيث تستقر عادة في السقوف والفواصل المتواجدة في المباني، إذ تتآكل هذه الأخيرة بفعل كربونات الكالسيوم الناتجة عن الأحماض، فتؤثر خاصة على الحجارة الكلسية، وتصدر غازات تؤثر سلبا على مواد البناء، كما تعمل على الهدم الميكانيكي للجدران وهشاشتها وذلك عن طريق تفرع جذورها وامتدادها وكبر حجمها مشكلة بذلك شروخ وتصدعات كبيرة وتشققات وانتفاخات في الأسوار والأساسات. (صورة 17)

صورة17: عامل تلف النباتات

2- الحيوانات: ومن أهم عوامل التلف الحيوانية نذكر:

أ-الطيور :تؤثر سلبا على مواد البناء وذلك بفضلاتها حيث تحتوي على جراثيم وأمراض خطيرة ذات تفاعل حامضي، كذلك أعشاشها وجثثها تشكل ضررا كبيرا، وتعتبر الوطاويط الأكثر تشويها للمباني(صورة18)

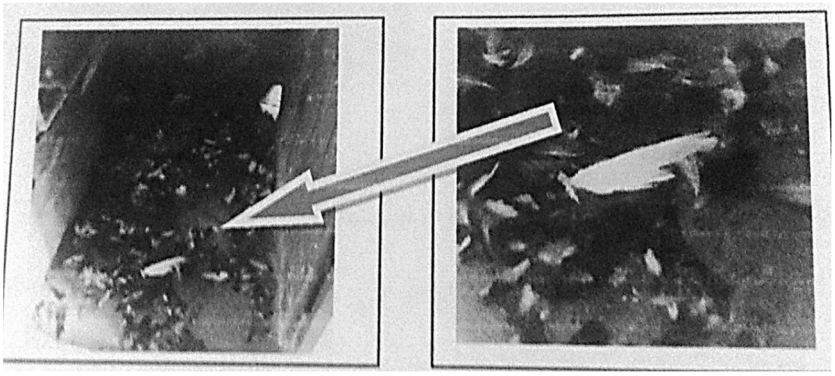

صورة18: تأثير الطيور

ج- العامل البشري:

يمكن تقبل العوامل السابقة إلى حد ما، كونها خارجة عن الإرادة، لكن العامل البشري في أغلب الأحيان يكون متعمدا حيث يقوم الإنسان بكامل إرادته في معظم الأحيان بتخريب هذه المعالم، مثل الحروب التي تعتبر من أخطر الأضرار التي يلحقها الإنسان بالمعالم الأثرية إذ أن العدو يقوم بهدم وتخريب جميع مظاهر العمران [38]. كما انعدام الوعي وغياب المحافظة على التراث والأصالة، حيث يتم رمي النفايات التي تؤدي إلى جلب الحيوانات والحشرات والكتابة على الجد ران، بالإضافة إلى تهديم بعض المعالم بسبب التوسع العمراني ومرور الشاحنات والسيارات بالقرب من المباني الأثرية تؤثر كيميائيا بوقودها، أو ميكانيكيا باهتزازاتها الآلية.

1-الحروب: تعتبر الحروب من أخطر ما يلحقه الإنسان بالمعالم الأثرية، وتزداد خطورة الحرب كلما تقدمت وسائل الحرب، أما فيما يخص برج موسى فقد تعرض إلى التهديم في الغزوات الفرنسية حيث تهدم جزء منه.

2-عامل التلوث: يعتبر عاملا نشيطا التدهور الكيميائي والبيولوجي، عن طريق خلق وسط حامضي، وفتح المجال للانتشار الكائنات الصغيرة، ويتضخم هذا التأثير بشدة إذا كان الوسط شديد الرطوبة. [39] والإنسان يعد الأكثر تسببا لعامل التلوث، وذلك عن طريق رميه الأوساخ بشتى أنواعها وكذا منتجات المصانع خاصة الكميائية، وكذا انبعاث غازات سامة في الهواء وكون موقع برج موسى يقع في

منطقة حضرية، لم يسلم من الزوار بفعل نقص التوعية أو من محيطه. (صورة19)

صورة19: التلوث عن طريق الأوساخ

3-عامل سوء الترميم:يؤثر بشكل خطير خاصة إذا كانت المواد المستعملة لا تتوافق والمواد الأصلية، وكذا عن طريق الترميم إذا لم تقام من طرف مختص ونذكر بعض عيوب سوء الترميم التي لحقت بالمعلم:

-استعمال الإسمنت في التلبيسات، علما أن استعماله يؤدي إلى عزل تهوية الملاط الداخلي للجدران وعزل الرطوبة يشكل ضغط داخلي بين جزيئاته وبالتالي حدوث تشققات وشروخ تؤدي إلى سقوطه.(صورة 20)

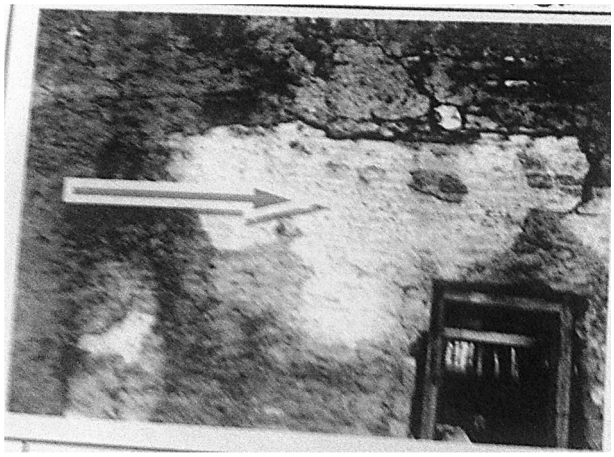

صورة20: تقشر التلبيسات

-استعمال سندات من الخشب بشكل عشوائي أو بالأحرى غير مدروسة وتركت دون اتمام العمل.(صورة21)

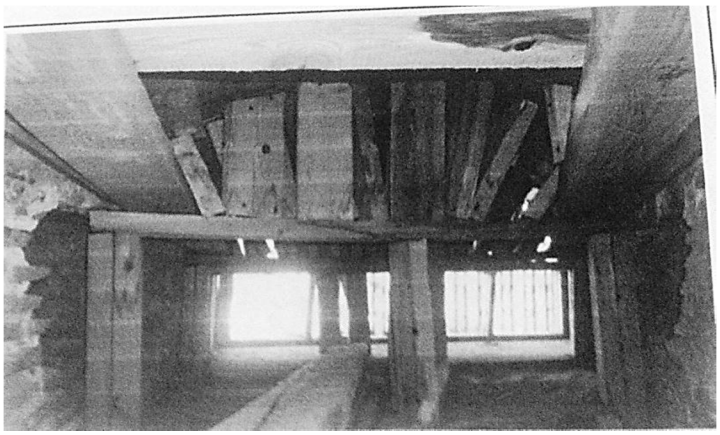

صورة21: السندات الخشبية

أولا-الحماية ضد العوامل الطبيعية:

1 -الحماية من مياه الأمطار:

نعرف أن الأمطار الغزيرة والمتواصلة تزيل مونة المباني الأثرية وتضعف بنيتها وتفتت ملاط الحوائط وتجد فرصة للتسرب داخل المباني، فتحدث تفاعلات فيزيوكيميائية، حيث تذيب ما فيها من أملاح وتحملها إلى الأسطح المكشوفة وتتبلور بها مما يؤدي إلى تفتتها وتساقطها على شكل قشور، فيمكن تجنب ذلك بالطرق التالية:

- سد الشقوق والثقوب المتواجدة على الحجارة والجدران، باستعمال مواد عازلة مثل الراتينجات البلاستيكية والماستيكات مع السيليكونات بواسطة عملية الحقن.[40]

- إنشاء شبكة من المجاري المائية تعمل على تصريف المياه وحملها بعيدا عن الجدار والأساسات.

- استعمال طريقة الميكرورملية: وهذا بواسطة أداة تدعى جهاز الضغط الميكرورملي، يعمل على ضخ حزمة رملية دقيقة جدا بضغط خاص، تسمح بإعادة النتيجة المرغوبة، حيث يمكن القشرات المترسبة الصعبة التي هي عبارة عن أملاح غير قابلة للانحلال في الماء.

- استعمال الرتينجات اصطناعية أو تيرموبلاستيكية. [41]

-التكسية وملء الفراغات وذلك باستعمال مونة مكونة من مزيج للطينة زائد ماء، وبعد أسبوع من التخمر نتحصل على عجينة ويضاف إليها كمية من الماء ثم تقلب جيدا وبعدها تمزج بالرمل بنفس الكمية من الإسمنت البورتلاندي، وهكذا تكون المونة معدة للاستعمال. [42]

ب -الحماية ضد الحرائق:

وذلك بإبعاد مسببات الحرائق كالنباتات الكثيفة، والمواد السريعة الاشتعال حيث أنها تيبس في فصل الصيف فتصبح سهلة الاحتراق، ولذلك يجب تأمين نظام إنذار الحريق، وينصح وضع لافتات تمنع التدخين خاصة في الأماكن التي تحتوي على مواد سريعة الاشتعال،و للإطفاء السريع ينصح، وضع مطفئات أوتوماتيكية خاصة الغازية منها(مثل :رابع كلوريد الكربون).

ج -الحماية ضد الرياح:

من الصعب إبعاد هذا العامل نهائيا، كونه عامل لا يمكن التحكم فيه لذا، فالحل الوحيد هو عدم نزع الأشجار المحيطة بالمعلم باعتبارها عازل للرياح والتيارات البحرية.

ثانيا - الحماية ضد العوامل البيولوجية:

1 -الحماية ضد النباتات:

إن القضاء على هذا العامل لا يكون نهائيا حيث تعود النباتات للنمو من جديد، وللتحكم في هذا العامل يجب إزالة النباتات الطفيلية قبل أن تصبح جذورها عميقة، وتوفير يد عاملة دائمة تعمل بشكل منتظم بدون استخدام وسائل ميكانيكية ويمكن استعمال مبيدات للقضاء الكيميائي التي تنقسم إلى نوعين:

أ- النوع الأول: تعمل ما قبل النمو وذلك بالرش لمنع نمو البذور وتدمير الجذور المتبقية بعد إزالة النباتات السطحية ومن بين هذه المبيدات السينازين (la sinazine)، والديورون (le Diuron) [43]

ب-النوع الثاني :تعمل ما بعد النمو وذلك برشها على أوراق النباتات لتمتصها ولهذا يستحسن استعمال مادة الجليفوسات، وهي تدخل بسرعة داخل النباتات عبر أوراقها وتميتها بالكامل.[44]

2-الحماية من أخطار العامل الحيواني:

أ -**الطيور** :هناك عدة طرق بسيطة لصيانة المعلم من أخطار الطيور التي تتردد عليه ونذكر من بين هذه الطرق التي تخص برج موسى:

-سد الفجوات والشقوق والشروخ التي يمكن أن تتخذها العصافير أعشاشا لها.

ثالثا-الحماية من العامل البشري:

1-الصيانة من عوامل الهدم والتخريب: نعني بها الأضرار الناتجة عن اعتداء الأفراد على المباني بسبب جهلهم لأهمية هذه الممتلكات، أو عن تنفيذ مشاريع عمرانية مختلفة وعلينا أن نصون المباني الأثرية والتاريخية من الأخطار المصاحبة لهذه الأمور، بالعمل على توعية المواطن من جهة وإحكام المراقبة من جهة ثانية وكذلك تفقد المعلم بشكل مستمر وتطبيق العقوبات المنصوص عليها في قوانين حماية الآثار بصرامة وجدية.[45]

2-منع السيارات من المرور عبر المعلم (برج موسى) وذلك لتفادي الأخطار التي تسببها (غازات، حوادث،اهتزاز).

إن الشيء البارز الذي لحضناه من خلال دراستنا،هو أن المعماري، قد تفنن في بناء منشآته إذ استعمل مختلف التقنيات والمواد، ويتميز البناء في بجاية، كغيره من البنائين المسلمين بعدم ميوله إلى استعمال مواد ضخمة، ومنحوتة،حيث كان يتخذ من منشآته عبرة وهي أن الفناء مصير كل ما على الأرض. وبالفعل فإن هذا الفناء كان ليصيب برج موسى، لولا مقاومته لمختلف عوامل التلف خاصة الطبيعية منها، وهذا راجع لمورفولوجية ومناخ المنطقة، كما برز العامل البشري الذي سببه نقص الوعي والمعرفة الجيدة لقيمة الموروث الثقافي.

وعلى ضوء ما سبق، استطعنا الخروج بنتيجة مفادها' أن عملية الصيانة للمعالم الأثرية لا تنتهي بعمليات المعالجة، بل أنها دائمة ومتكررة، ولا يمكن الاستغناء

عنها، وذلك لضمان سلامة مستمرة ودائمة لمعلمنا، وبهذا نكون قد ساهمنا في تمديد عمره وحمايته من التدهور

و ديمومة هذا التراث.

- الهوامش والمراجع:

[1] - تقع بجاية في المنطقة الشمالية الشرقية من وسط البلاد، يحدها كل من ولاية جيجل شرقا، ولاية تيزي وزو والبويرة غربا، ولاية سطيف وبرج بوعريريج جنوبا، وهي مفتوحة على البحر الأبيض المتوسط بمسافة طولها 54كلم. تعتبر مدينة بجاية موقعا بحريا حصينا، ومرفأ طبيعيا، ترتسم حدودها الشمالية المطلة على البحر الأبيض المتوسط في شكل تقوس شبه إهليلجي،يتصل في جهته الغربية بسهل الرمال الناعمة، كما تمتد في أسفل المدينة حيث يوجد وادي الساحل ثم يبدأ في التقوس شرقا عند رأس العوانة (كفالو)،و ينتهي غربا عند الذراع الذي ينحدر من جبل أميمون. أنظر: عزوق عبد الكريم، **المعالم الاثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها**، الجزائر،2008، ص 2

[2] علي خلاصي، القلاع والحصون في الجزائر، المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، مطبعة الديوان،2008،ص137.

[3] السيدة(عالمة) "نظرة على تاريخ بجاية"، مجلة الأصالة،العدد 19، ص84

[4] الإدريسي،المغرب العربي في كتاب نزهة المشتاق،الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر،1983،ص115.

[5] نفسه، ص 169

[6] نفسه.

[7] نفسه.

[8] صاحب كتاب الاستبصار نقلا عن العربي إسماعيل، المدن المغربية،الجزائر، 1980، ص 321

[9] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص7

[10] خامس ملوك بني حماد وأعظمهم ملكا وأبعدهم صيتا، وبلغ نفوذه إلى ورقلة (جنوب الجزائر)، وهو الذي بنى بجاية.

[11] نفسه

[12] عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص106

[13] مصلحة الأرشيف الوطني قسم المعالم التارخية، بجاية وضوحيها

[14] نفسه.

[15] -عزوق عبد الكريم المرجع السابق، ص. 148

[16] - علي خلاصي، المرجع السابق، ص 138..

[17] Naima Abderahime, Etude de restauration de Bordj Moussa,phase2, p1

[18]Ministère de l’information et de la culture ,Sned, altamira, Madrid, Espagne, 1975, p2.

[19] علي خلاصي، المرجع السابق، ص139

[20]LE DUC (V) ;DICTIONNAIRE RAISONNEE DE L'ARCHITECTURE FRANÇAISE DU X^{E} AU XV SCIECLE , TOME1 ,PARIS,1858.P.P. 450.452.

[21] - عزوق عبد الكريم، المرجع السابق، ص 136

[22] Abderrahim Mahindad, Op.cit., p 07.

[23]عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج 3، ط 2، ملتزمة الطبع والنشر لجنة البيان العربي 1387 هـ /1967 م، ص 1068

[24] -Abederrahim Mahindad (Naima) ,op.cit. , p12.

[25]-إبن المنظور، لسان العرب، مج 7، بيروت، 1995، ص 406

[26] محمد شريف حمزة، صيانة وترميم الفسيفساء التبليط في الجزائر، شهادة جامعية لنيل شهادة الماجستير في الاثار القديمة، 2003 م / 2004 م

[27]عيساوي بوعكاز , طرق حفظ وصيانة مواد بناء الموقع الأثري جميلة "كويكول" حالة الحجارة الكلسية, مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الصيانة والترميم, 2008 / 2009 م، ص 45

[28] Héilén Dessales. Ecole normale supérieure. petit catalogue des techniques de la constriction p 3- 5.

[29] - M. BARDUCOU, la Conservation en archéologie , éd Masson,PARIS 1990 , p145.

[30] Jean-Pierre Adam,La construction romaine, sixième édition j picard,2011,p156.

[31] Ibid, p 158.

[32] المخبر الوطني لدراسة الأرضيات

[33] عبد القادر الريحاوي، **المباني التاريخية حمايتها وطرق صيانتها وترميمها**، دمشق سوريا، دت،ص8

[34] عبد المعز شاهين، **ترميم وصيانة المباني الأثرية والتاريخية**، المجلس الأعلى للآثار المصرية،1994،ص206

[35]Giorgio Torraca, **Matériaux de construction poreux**, Rome 1986, p39

[36]عزت زكي حامد قادووس، **علم الحفائر وفن المتاحف**، الإسكندرية2002 ، ص246

[37] Kévin Beck, **Etude des propriétés hydriques et des mécanismes d'altération de pierres calcaires à fortes porosités**,2006

[38] بوعويرة نبيل، **طرق حماية المعالم التاريخية من خلال دراسة أثرية لقصر البحر بقلعة بني حماد**،الجزائر، 2008،ص50

[39] عبد المعز شاهين، المرجع السابق، ص 181.

[40]عبد المعز شاهين، **ترميم المقتنيات الفنية**، بيروت 2007، ص204

[41]Giorgio torraca, op.cit, p 86

[42] Froidevaux(y,m**) technique de l'architecture ancienne ,construction et conservation de pierre** 1 mardaga,2éme édition ,Belgique 1987,p 161

[43] Adam (j,p) boussourta, **resstauration architecturale et preservation du sites – archeologique in (la conservation en archeologie)** masson , paris 1990 , p 351.

[44] ماري باردیکو، المرجع السابق، ص508

رسالة الشيخ سليمان بن القاسم النفوسي إلى الإمام ناصر بن مرشد اليعربي والرد عليها (صور من العلاقات العمانية الجزائرية)

د. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي
جا معة السلطان قابوس/ سلطنة عمان

مقدمة

إن الهدف من هذا الموضوع هو إلقاء الضوء على رسالتين توثق العلاقات العمانية الجزائرية في العصر الحديث، أما الرسالة الأولى فهي من الشيخ سليمان بن القاسم المغربي النفوسي، والثانية جاءت ردا عليها وهي صادرة بأمر من الإمام ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي (1034هـ/1624م/1059هـ/1649م)، ونرمي من ذلك إلى إبراز التواصل بين علماء المذهب سياسيا وثقافيا، كما نهدف إلى الوقوف على أوضاع الجزائر وعمان خلال الثلث الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. وتتضمن الرسالة الأولى موضوعات تشكو ما أصاب ديار بني مصعب بوادي ميزاب بالجزائر من المحن والفرقة والشقاق، واختلاف أهل العلم والرضا بالواقع المرير خلال الثلث الأول من القرن الحادي عشر الهجري، وتسلط الانكشارية على الشعب فضلا عن الاضطرابات التي سادت المجتمع الجزائري حينئذ.

وأما الرسالة الثانية التي جاءت ردا عليها فقد كتبها العلامة خميس بن سعيد الشقصي الرستاقي بأمر من الإمام ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي الذي بلغته أخبار وادي ميزاب وجبل نفوسه وما آلت إليه الخلافات والاضطرابات بهذه الجهات، والحزن الذي انتاب أهل عمان من أوضاع الوادي والجبل، وذكرهم بأن الفرقة عذاب وأن الاجتماع رحمة، ويقترحون عليهم انتخاب إمام لهم، ويطيعونه على السمع والمكره، وأن طاعته ونصرته واجبة عليهم ما دام ناشر العدالة.

وهناك رسالة جوابية ثانية على رسالة الشيخ سليمان كتبها الشيخ سعيد بن أحمد بن محمد بن عبدالله النزوي بأمر من الإمام ناصر بن مرشد، تناول فيها أصول المذهب الإباضي، والعلاقة التي تربط أتباع هذا المذهب، كما دعاهم لزيارة

عمان لمن يرغب في الجهاد أو لزيارة الإمام، كما ذكرت الرسالة طائفة من العلماء العمانيين على عهد الإمام ناصر بن مرشد، ولم نتمكن من ادراجها في هذا البحث التزاما بعدد الصفحات المسموح بها في المجلة.

مضمون رسالة الشيخ سليمان بن القاسم النفوسي إلى مشايخ من أهل المشرق (عمان)[1]

"بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وخليله، أما بعد،

فأهدي سلاما قد تحلى بحلل المجد في أعلى المراتب، ويرفل في برد الفخر من أسنا المواهب، تخامره المودة الصافية، يهتدي به الضليل، ويشتفي به العليل، لجمع ممن يرد عليهم من الإخوان رسول الخلد، ممن يلونهم من الأخدان من ظاعن وقاطن، ممن تمسك بالحبل المتين، وسنة الأمين، سالكا للمحجة الواضحة النيرة، عادلا عن السبل الموبقة المضلة دائبا بما دار به القرآن والسنة والإجماع، مما يشتمل على أنواع الإفراد والتنزيه، قطعا نابذا لفنون الإلحاد والتمويه، صدعا ممن أغنى شماع أنوارهم، وسطوع مناقبهم عن تعداد أفعالهم وذكر أخبارهم، خاليا وحاليا من أهل النحلة الإباضية، والدعوة الراسبية، كائنا ما كانوا ومحلا ما حلوا، ويعين من مست الحاجة إلى تعيينه، ودعت الحاجة إلى تخصيصه من الأهلة المقمرة، والأجنة المثمرة، أهل الروضة العمانية، الذين هم ذو الهمة السماكية، سلاما سرمديا، متصلا أبديا، يروح ويغتدي، عليهم ما لاح ابن الذكاء نور على القلل، وما انهمر شآبيب السواري على التلل، عم الله بعاجل العذاب وآجلة قائلهم وكائدهم، وأرغم أنف شازرهم وحاسدهم".

يمر سلامنا بأسافلها، مرتقيا لأعاليها، مر العهاد الوسمية، والبواكر العينية، من الجو (البريمي) وضنك وبهلة (بهلاء) ونزوى والرستاق وسمائل وإزكي وغيرها من البلاد والقرى، أظلهم الله بغمائم العافية، وأسبل عليهم من منحائه السلامة، وعليك بالشيخين البارعين والفطنين الناميين: الشيخ محمد بن عمر النزوي[2]، والشيخ مسعود بن هاشم البهلوي[3]، ومن لاذ وأنزر بهما، إذ هما قطب الرحا، وغاية القصوى، للصلادة والصلابة في دين الله، وإقامة حدوده، آمرين

بالمعروف، ناهيين عن المنكر، على عدل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، دوام الأضحيان، ودوران الملوان، لا تنثني عن ذلك أعطافهما، ولا يولون له أدبارهما.

هذا وأقول مستلطفا مستعطفا: إن الذي أوجبه إليكم، لا زلتم عن صحائح العقائد والعزائم، ما رأينا من عتو الزمان وكبوه، وما أومأ إليه قسط حاليه مما يدل عن مشائم آتية، إذ المعهود منه التنكيس والتعكيس، فشأنه عهد خلوب ووعد عرقوب، إن أحسن ندم من حينه، وإن أساء أصر على إساءته، لا يدوم على حال، ولا يخلو من محال، هذا حسا لا حدسا وهو الذي أودع الأشجان في الأكباد، وأسهر الأجفان عن الرقاد، وكادت الأرواح أن تبين عن أجسادها، والمرضعات عن أولادها.

هذا وقد تخيم بجوره على الديار المصعبية والمحال المزابية، وأفردهم من بني الجنس قهرا واستيلاد باستسفال الأعالي، وقلبها على غير وجهها الذي خلقت، وأساسها الذي عليه بنيت وأسست، وأعقب المضض والحرض، وما أخصني فيه بالعرض نفسا لدهر، فدرى الأحباب بالكسد والأصحاب بالكمد، فالصنع منه لجون، والخالص من أجون، عياذا بالله من سطواته، واعتصاما به من هنات عجائم نقماته.

هذا وقد رثت حبالهم، وانهدت جبالهم، وقصت قوادمهم، واجتثت شفاههم، لما دارت عليه دوائر الغلابية، ومشائم صدائمة الغواشية، ولله الأمر والقضا، وبه لياذا من سؤاله الرضا، بانزواء العلم عنهم وانطوائه، بتودع حملته وانقباضها، واستيلاء الجهلة وإقبالها، فالتبك الأمر وأحتلك، فصاروا في العلاجم والطلائم يتخبطون، وفي مهامه الغي والردى يتحيرون، قبحه الله من عصر ما أسمجه، ومن دهر ما أخبثه، فمخادنته مخالبة، ومسايرته معاطبة، فهو أبدا مبني على الاعوجاج، وماء بحره أجاج، وعبوره ثجون، وصروفه شجون.

وحاصله: أنه لم يزل بنا أهل ديار بني مصعب ماكرا ناكرا عابسا بائسا، ماضي الصوارم في أجسادنا، وأسعر نار الاكتئاب في أكبادنا، حتى استهتك سترنا، واستشفى شرنا، واستنقد الأسد، واستدمث الصلد، واستمكن المناوي سؤله من المطلوب، واستظفر منه نبيل كل مرغوب، هذا وقد ترك الذود منتشرة نافرة،

ومشمئزة نايرة، في ليلة ماطرة ريحية، في غوضة مسبعة مؤذية، وقد حيل بينها وبين راعيها ببوائق العوائق وامتداد العلائق.

هذا وأدهى ما كان، وأشجى ما يكون ما هو متوقع ومترقبوه مما هو مسموع غير منكور في سالف الدهور، على عهد الرسول صلى الله علية وسلم من قول مسطح[4]، آفتهم قلة المطر وبيت الشعر، عياذا بالملك الخلاق، وقد فشي ذلك فينا حتى أضرح الجرح واستحب المزح واشغل الخلب الحلو، وأعقب الغث الصفو هل وقد أمهلتم؟ بل أهملتم ما عليه السلف الصالح فينا من المعاهدة بالمكاتبة والمناصحة والمخاطبة والمشافهة وتركتمونا سدى هائمين في أودية التضيع والتفريط دائبا دائما في تحصيل الخردقة وما تقام به الأصحاب عن معاهد ذوي الألباب.

فبينما نحن في حين الوحشة، إذ أتاح الله لنا بقدوم الحاج الشاب المكرم النزيه المعظم الحاج عمران علينا، فانفسخ بقدومه ما قد ضاق، وابتهج لبزوغه ما قد صوح، فانجلى به ما بالعين من العشا والقذى، وما بالجسد من الداء والأذى، فلما ألم بنا والحال لا حال والأيام لا أيام، أيام هوش ودهش وهواش واشتباك والتباك، فاستهنا واستراددنا بالحافرة استعطافا واستعجالا لما يفيض علينا من سحائب فضلكم وغمائم نولكم، واستشفاء لما بنا من العياء، وما حل بنا من اللوى، فتجهز مسعدا مستعدا عازما على المطلوبة منه، راغبا في المرغوب فيه، مع ما أودع فينا من الوحشة منه بعد الاستئناس بمطالعته، والاستكان بمجاورته، ومحاورته، فابتعد والدموع منا سائلة على الخدود، والأشجان متراكمه على الكبود، بالحنين المذيب للجلامد، والبكاء المصدع للصلائد، فالله الله سادتنا نوروا بصائرنا ضياء بواصرنا، ارحموا بكاءنا كما رحمنا بكاءه بتسريحه مع ما أودع فينا بطيب صفي الود، نافق ناصح، عالم بأسرار الطبائع، مفحص عن دخيل الدواء، يحوذ شكل داء، فإنا مترقبوه من تلقائكم، ترقب الرضيع من مرضعته، ومتيقن الشفاء من علته، أغيثونا إخواننا بالعجلة فإنا على شفا، باختلاف القلوب، والآراء واشتباك الأمور والتباسها، واستيلاء الأهواء واقتفائها.

هذا، وقد خيف الانفلات إن لم تعاجلوا استرداد النافرة، والمشمئزة الهائمة، هذا، ولا أقوى إن شاء الله أن أقدم على إساءة الظن بأهل الغبيرة

والآباء، والسنة والعزيمة، إلا ما استحسن الحال من التهديد والتشيع وقلة الوثوق بالأمارة بالسوء مع ما يدعو إليه الزمان من الأود والتعكيس والتنكيس، وما يسعر في الأجواف من المضض والحرض، وما يزلزل من الوجف والرجف، واستطماع الذين في قلوبهم مرض، من أهل الإلحاد والزيغ. سادتنا، هذا لا زالت ما يشوش عليكم، وإلا فقد خيف الخيف. العجلة ثم العجلة، وقال الجليل جل جلاله {قوا أنفسكم وأهليكم نارا}[5]، وإذا قناتنا تشعبث من دوحتكم، وعيوننا من سواحل بحوركم نبعت، وفضلكم على الغير كفضل الشمس على السها، كيف لا، وقد قال صلى الله عليه وسلم "الصخرة لأهل عمان" تواترا غير منكور؟ ومما ذلك إلا لتحقق المذهب والعقيدة وإضلاعه على صحة الأمر حاصلة بعد إضمار كل مسرة، واعتقاد كل مبرة، تحقيق النظر في المضمون المطلوب، والإعراض عما وراءه من الكتابة والألفاظ، بل ربما يعرب ويفصح ويستنهج السبل المشوبة بالإبر، والمهايع المسدودة بالزبر، بالإهمال والإغفال وترك المعاهدة إخواننا سنة من مضى، ولازلتم على الرضا.

تحليل رسالة الشيخ سليمان:

صدرت هذه الرسالة من الشيخ القاضي سليمان بن قاسم المغربي النفوسي، وهو من وادي ميزاب لكونه يصف حالة الوادي وما آل إليه من أحوال واضطرابات كبيرة، ونحن نعرف أن كلمة النفوسي تعود إلى جبل نفوسه بغرب ليبيا، وأن الصلات قائمة بين الجبل ووادي ميزاب عبر التاريخ والانتقال وارد بين أتباع المذهب لأسباب متعددة. ولم يجد الباحث ترجمة لهذا القاضي، ولكن على ما يبدو أن له اطلاعاومعرفة بعلماء عمان، ولعل هنالك رسائل سابقة على هذه الرسالة لم نحظ بها، ولكن أقرب رسالة وجهها علماء المغرب لأهل عمان الرسالة العلمية التي أرسلها الشيخ أبو مهدي عيسى بن إسماعيل المليكي (ت: 971هـ/1564م) وتتكون من 33 صفحة من الحجم المتوسط، ومتوسط الأسطر 21 سطرا، ومضمونها إجابة من الشيخ عيسى على أسئلة في الأصول والفروع جاءته من أهل عمان.

استفتح الشيخ سليمان رسالته بالحمد لله وبالصلاة على رسول الله، ثم بدأ بإهداء سلامه، في عبارات مسجوعة، إلى أهل عمان وعلى وجه الخصوص إلى الشيخين محمد بن عمر النزوي، ومسعود بن هاشم البهلوي بعد أن مر سلامه إلى

البريمي وضنك وبهلا ونزوى والرستاق وسمائل وإزكي وغيرها من مدن عمان وقراها. أما الشيخ محمد بن عمر فهو محمد بن عمر بن أحمد بن مداد النزوي[6]، عاش في أواخر القرن العاشر الهجري والنصف الأول من القرن الحادي عشر، وهو من تلاميذ الشيخ عمر بن سعيد البهلوي (ت:1009هـ/1600م) صاحب كتاب "منهاج العدل"[7]، وكان من قضاة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي الذي مات في حياته في الغالب سنة 1050هـ، ورثاه صاحب كتاب "سيرة الإمام العادل ناصر بن مرشد"[8].

أما الشيخ مسعود بن هاشم بن غيلان بن غسان البهلوي فهو من فقهاء عمان ومن علماء النصف الأول من القرن الحادي عشر. ويبدو أنه أكبر سنا من الشيخ محمد فقد نصب للقضاء في 15 من جمادى الآخرة 1009هـ/29 ديسمبر1600م في دولة السلطان سليمان بن مظفر بن سلطان بن محسن النبهاني (983/1576م – 1019هـ/1610م)، وتولى القضاء للإمام ناصر بن مرشد في بهلاء، وتوفي الشيخ مسعود في أغسطس 1636م[9].

ثم انتقل الشيخ إلى وصف حالة وادي ميزاب والمصائب التي حلت به في عبارات جزلة يكتنفها الغموض وغير واضحة المعالم، "ما رأينا من عتو الزمان وكبوه، وما أومأ إليه قسط حاليه مما يدل عن مشائم آتية، إذ المعهود منه التنكيس والتعكيس" هل أصاب الوادي جفاف مثلا وأدى إلى المجاعة، أم قهر السلطة لأهله، أم وباء عم الوادي حينئذ، أم انتشار البدع نتيجة الجهل، أم ماذا؟ لأن الخطب كبير والمحنة التي أصابتهم عظيمة، حيث يقول: "هذا، وقد تخيم بجوره على الديار المصعبية والمحال المزابية، وأفردهم من بني الجنس قهرا واستيلاد باستسفال الأعالي، وقلبها على غير وجهها الذي خلقت، وأساسها الذي عليه بنيت وأسست، وأعقب المضض والحرض".

ويعود إلى الغموض فيقول: "وحاصله: أنه لم يزل بنا أهل ديار بني مصعب ماكرا ناكرا عابسا بائسا، ماضي الصوارم في أجسادنا، وأسعر نار الاكتئاب في أكبادنا، حتى استهتك سترنا، واستشفى شرنا، واستنقد الأسد، واستدمث الصلد، واستمكن المناوي سؤله من المطلوب، واستظفر منه نبيل كل مرغوب". ثم أوضحت الرسالة عما يعاني منه أهل الوادي "فانا على شفا، باختلاف القلوب، والآراء واشتباك الأمور والتباسها، واستيلاء الأهواء واقتفائها". وكانت فترة

السنوات الأولى من ثلاثينيات القرن الحادي عشر قد اتصفت بفترة مظلمة ولكن لا تعرف أسبابها ولماذا مظلمة فهل سببه عبث الإنكشارية في الجزائر وعلاقتهم بالوالي أم الأمراض الفتاكة التي غدت بهم. والسؤال من هم أهل "القلوب المريضة من أهل الإلحاد والزيغ" والذين سببوا هذا الغلق والاضطراب في وادي ميزاب؟، وتذكر الرسالة أن واديهم يمر في حالة من الاضطراب "هوش ودهش وهواش واشتباك والتباك".

في ختام الرسالة يطلبون النجدة والمعونة "أغيثونا إخواننا بالعجلة فانا على شفا، باختلاف القلوب، والآراء واشتباك الأمور والتباسها، واستيلاء الأهواء واقتفائها"، ويقول: "استعطفا واستعجالا لما يفيض علينا من سحائب فضلكم وغمائم نولكم، واستشفاء لما بنا من العياء وما حل بنا من اللوى"، وكررت الرسالة نفس الطلب "هذا، وقد خيف الانفلات إن لم تعاجلوا استرداد النافرة، والمشمئزة الهائمة"، وفي النهاية يحثهم " العجلة ثم العجلة، وقال الجليل جل جلاله {قوا أنفسكم وأهليكم نارا}".

وختمت الرسالة بذكر فضل العمانيين، ومكانتهم مستشهدة بأحاديث نبوية، ولم تحمل الرسالة التاريخ الذي كتبت فيه، ونعتقد أن الرسالة كتبت قبيل ظهور إمامة الإمام ناصر بن مرشد أو قد انتخب ولم يصل خبر إمامته وادي ميزاب، لأنه لم يرد ذكره في الرسالة، كما أننا لا نعرف كيف وصلت فهل مسعدا الذي أشير إليه في الرسالة هو الذي حملها إلى عمان أم إلى مكة المكرمة والتقى هناك بالحجاج العمانيين وسلمهم الرسالة ثم نقلت بواسطتهم إلى إمام عمان كما هي العادة المتبعة عند التواصل.

ومن الأسماء الواردة في الرسالة الحاج عمران، ومن خلال وصفه يبدو أن له مكانة دينية وعلمية كبيرة فيما بينهم "فبينما نحن في حين الوحشة، إذ أتاح الله لنا بقدوم الحاج الشاب المكرم النزيه المعظم الحاج عمران علينا، فانفسخ بقدومه ما قد ضاق، وابتهج لبزوغه ما قد صوح، فانجلى به ما بالعين من العشا والقذى، وما بالجسد من الداء والأذى"، وكأن قدوم الحاج عمران إليهم أزاح الهم عنهم، وخفف من مصيبتهم، ووحد كلمتهم وآراءهم ولكنه خرج فعادوا إلى سيرتهم الأولى يتجرعون محنتهم.

والاسم الثاني هو مسعد، ونعتقد أنه هو الذي حمل الرسالة إلى عمان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تقول الرسالة "فتجهز مسعدا مستعدا عازما على المطلوب منه، راغبا في المرغوب فيه، مع ما أودع فينا من الوحشة منه بعد الاستئناس بمطالعته، والاستكان بمجاورته، ومحاورته، فابتعد والدموع منا سائله على الخدود، والأشجان متراكمه على الكبود، بالحنين المذيب للجلامد، والبكاء المصدع للصلائد".

وأما عن خلاصة رسالة الشيخ سليمان النفوسي فيتضح من نصها أنه كان يعاني من الاضطرابات والفتن وانتشار الأمية والجهل وكثرة البدع والابتداع واختلاف الآراء "فانا على شفا، باختلاف القلوب، والآراء واشتباك الأمور والتباسها، واستيلاء الأهواء واقتفائها" فضلا عن الفقر المعتم نتيجة الصراعات التي كانت بين الدول الأوروبية والجزائر، وكذلك دور الإنكشارية واختلافها مع الولاة، ولهذا كانت عبارات الرسالة مركبة، وكلماتها صعبة الفهم، ولهذا احتار علماء عمان من المغزى الذي كان الشيخ يقصده، فردوا عليه برسالتين، ونحن لو تتبعنا التاريخ سنجد أن هناك رسالة أخرى بعث بها الشيخ عمر بن يوسف بن عبدون المصعبي اليسجني من وادي ميزاب إلى إمام عمان عزان بن قيس البوسعيدي في القرن 13هـ/19م, والتي تعالج موضوع البدع والابتداع وتفشي الجهل[10]، وحالة الوادي لا تختلف عما هو عليه في القرن 11هـ/17م.

والشيخ سليمان لجأ إلى عمان على بعد المسافة يطلب المساعدة والعون، والتي لم يوضح نوع هذه المساعدة بقوله:" هذا، وقد خيف الانفلات إن لم تعاجلوا استرداد النافرة، والمشمئزة الهائمة"، ويحثهم على ذلك وإلا "ما استحسن الحال من التهديد والتشيع وقلة الوثوق بالأمارة بالسوء مع ما يدعو إليه الزمان من الأود والتعكيس والتنكيس، وما يسعر في الأجواف من المضض والحرض، وما يزلزل من الوجف والرجف، واستطماع الذين في قلوبهم مرض، من أهل الإلحاد والزيغ". كما يلح الشيخ في رسالته فيقول: "سادتنا، هذا لا زالت ما يشوش عليكم، وإلا فقد خيف الخيف. العجلة ثم العجلة".

وهذا الإلحاح يوضح أن أهل ميزاب يتعرضون لخطب كبير ومن موجات هوجاء، صعب عليهم الوقوف لصده، ويطلبون علماء عمان وأهل الغبيراء النجدة

والمساندة. ونكرر القول بأن الرسالة لم تفصح عن أمر معين أو أمور يعاني منها أهل وادي ميزاب، فلغتها تتصف بالغموض، فهي رسالة مغلقة لا نستطيع بحال أن نحدد مضامينها.

- الرسالة الجوابية من أهل عمان إلى المشايخ من أهل المغرب[11]

"من إمام المسلمين، وسراج المتقين ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله موجد الأشياء بعد الإعدام، ومخرج الثمرات من الأكمام، ومصور الأمم كما شاء في ظلمات الأرحام، العالم بخفيات خواطر الأوهام، والمتفضل على خلقه بالألطاف والإنعام، مبدأ الخلق ومعيدها، وخالق البرية ومبيدها، الذي جلت عظمته، وعظمت منته، ودقت حكمته، وعزت كلمته، وعلت قدرته، وعمت بركته، ووسعت كل شيء رحمته، سبحانه من ملك كريم، بر رحيم، شكور حليم، واسع عليم، أحمده حمد من أقر بوحدانيته، وشهد بأزليته، وأخلص له العمل بسريرته، وعلانيته، وأشكره شكر من رضي بقضيته، وصبر على بليته، واستسلم لأحكامه، واعترف بفضله وأنعامه.

وأشهد أن لا اله الله وحده لا شريك له، الواحد القهار، الملك الجبار، العزيز الغفار، أظهر مبتدعات مصنوعاته، وابتدع مخترعات مكنوناته، دليلا للعقلاء ليتفكروا ويشاهدوا معجزاته ويعتبروا، وأشهد أن محمد عبده ورسوله خاتم أنبيائه وإمام أوليائه، وصفوته من أصفيائه، عبده النبي ورسوله العربي، أرسله {بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}[12]، صلى الله عليه وعلى أله أجمعين، صلاة موقوفة على التأبيد موجبه له النصر والتأييد، مدخره له عند ربنا العزيز الحميد، ما أختلف الثقلان وتعاقب الملوان[13]، أما بعد،

فهذا كتاب فيه تحية وافرة وألوكة ظاهرة، ونصيحة زاهرة، من إمام المسلمين ونظام المؤمنين، وبقية من تمسك بالدين، سراج الزاهدين، وعلم المجاهدين، وقدوة المجتهدين، ولي الله المأمون، وعبده الميمون، الهمام الأبي والأروع الزكي، الرضي ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن أبي العرب اليعربي المسلم الوهبي، ومن معه من المسلمين، لازالت بمس فضله من بروح السعود، ولا برح ظل عدله على الخلق غير مفقود، بحرمة الآيات والذكر الحكيم، والنبي المصطفى الكريم. إلى المشايخ السادة الفضلاء القادة، دعاة الناس

إلى طريق السعادة، أهل العلم والزهادة، القائمين بدين الله القويم، والمستقيمين على الصراط المستقيم، المستمسكين بنحلة أهل التحقيق، المخلصين بالإيمان والتصديق، الدائنين لله بما جاء في كتابه، الآخذين عن رسول الله بما أفتى به، مصابيح الدجى، ومعالم الهدى، ذي الحسب الأحسب، والنسب الأنسب، والجد الأغلب، سادة العجم والعرب.

إخواننا رجال بني مصعب، سلمهم الله سلامة باقية، وكلأهم حراسة وافية، وأسبل عليهم جميل ستره، وأعتمدهم بعظيم عفوه، وغفره، وأمدهم بالنصر والتأييد، وقواهم بالتوفيق والتسديد بحرمة الرسول المصطفى - صلى الله عليه وعلى آله - أهل الفضائل الأوفى، وسلم عليه وعليهم كثيرا. فإنا نحمد الله تعالى في حالة يحمد عليها، ونستعينه إلى القيام لأداء شكرها، ونسأله المزيد من فضله العظيم، ونيل ثوابه الجسيم، ونوصيكم وأنفسنا بتقوى الله، ولزوم طاعته، والمسارعة لمرضاته، فانه العالم بما تخفيه السرائر، وتجنه الضمائر.
وبعد،

فقد بلغتنا عنكم أخبار أبكت عيوننا، وضاعفت أحزاننا وهمومنا، حيث أخبرنا بافتراقكم واختلافكم، وشق عصاكم بعد ائتلافكم، وكنا قبل ذلك نرجو منكم الوصول والإعانة على هذا الأمر الجليل، فضاقت من أجل ذلك صدورنا، وتكدرت خواطرنا رحمة لكم، وخوفا على دينكم أن يختلسه الشيطان منكم، ويلقي بينكم العداوة والبغضاء، فانتبهوا رحمكم الله، وابتصروا واعتبروا، واعلموا على ما أنزل الله في كتابه، حيث يقول: { يا أيها الذين أمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون}[14]، وقال {وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين}[15].

فقوموا بما أمركم الله به، وانزجروا عما نهاكم عنه، فانه {يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون}[16]، وهو العالم بجميع أعمالكم، والمطلع على عقائد ضمائركم، فاتقوا الله، ثم اتقوا الله، فقد وضح السبيل، وقام الدليل، وأكمل الله الإسلام، وبين معالم الحلال والحرام، واحذروا من عدو الله، ثم احذروا أن يكدر عليكم أمر دينكم، ويبدلكم الشك بعد يقينكم، ويسلب الرحمة من قلوبكم، ويلقي الغل في صدوركم، فانه أكثر معاناة، وأكيس مقاساة، لأهل هذه الدعوة الزهراء والنحلة الغراء، وأما سائر الملل الضالة فقد آمن عليهم وكفى مؤنتهم، فاحترزوا منه كل الاحتراز، وارغبوا إلى الله في السلامة منه، واسألوا العصمة عنه، حمانا الله وإياكم من مكائده، ونجانا من إشراك مصائده.

واعلموا سادتنا أن الفرقة عذاب، وأن الاجتماع رحمة، وقد أدب الله المؤمنين وحثهم على إصلاح ذات بينهم، فقال: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون}[17]. فإن كنتم قد تآلفتم واجتمعتم وأصلحتم ذات بينكم فبرحمة من الله، ذلك الذي يسرنا منكم، وان كنتم مقيمين على اختلافكم، والحرب بينكم واقفة، ذلك نزعة من الشيطان لعنه الله، فبادروا إلى الله بالتوبة، ف {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[18]. فكفوا عن الحرب، وسلموا أموركم إلى الله تعالى وأولي الأمر منكم، وهم أهل العلم على الاستقامة في الدين من الفقهاء الصالحين، وتآلفوا واجتمعوا و{اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}[19].

فان كان لكم إمام عادل مرضي، قد لزمتكم له بيعة صحيحة، وعقدة صريحة أو صح التراضي بإمامته، والاجتماع على عدالته، فواجب عليكم طاعته ونصرته، وحرام عليكم خذلانه ومعصيته من الرعية، ما استقام على الصواب، وتمسك بالسنة والكتاب، وإجماع المحقين من الأصحاب، فان خالف عليه أحد من الرعية، ومال عن الحق إلى الحمية، وأخذته العزة بالإثم والعصبية، فألينوا له المقال، ولا تبدءوه بالتعنيف والجدال، لعله يتذكر أو يخشى، وخوفوه الله تعالى لعله تنفعه الذكرى، وانصحوا له فسوف يرضى، فان أبى إلا نفورا واستكبارا، وجنح إلى الظلم والبغي مختارا، فأغلظوا قولكم عليه، وأعيدوا نصحكم إليه، فان

أنزجر وأبصر واعتبر، وإلا فعرفوه دعوة المسلمين، وأقيموا عليه حجة المؤمنين، ونابذوه الحرب، واحسروا له عن ساعد، وشمروا له عن ساق، إن وجدتم إلى ذلك سبيلا حتى يفيء إلى أمر الله، وإن لم يكن لكم إمام، فتكاتبوا وتراسلوا بالكف عن الحرب، ونادوا بالأمان في جميع أحيائكم وقرائكم [20]، واسلموا أموركم إلى فقهائكم وصلحائكم وأهل الفضل منكم، وأعطوهم على ذلك عهودكم ومواثيقكم، إنكم تبع لهم وطوع لأمرهم، ولا تخونوهم، ولا تغروهم، ولا تخدعوهم، ولا تمكروا بهم، وليجتمع العلماء والصلحاء والفقهاء والفضلاء من كل حي وقرية من قراكم، واختاروا رجلا منكم صالحا مرضيا، ثقة عدلا وليا، جلدا قوي عالما أمينا مأمونا منصفا حليما لا حسودا ولا حقودا ولا مخلفا للوعد ولا ناقضا للعهد محتملا للائمة، لا بخيلا ولا عجولا، لا يميل إلى قريب، ولا يتجانف عن بعيد، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وقدموه إمام لكم، وخليفة عليكم، وبايعوه على السمع والطاعة في السراء والضراء، والشدة والرخاء، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الجهاد كل فرقة باغية، وطائفة امتنعت عن الحق طاغية، وعلى إنفاذ الحق في القوي والضعيف والدنيء والشريف، وأخذ الحق من الظالم الغشوم للضعيف المظلوم، وقبض الصدقات من حلها، ووضعها في أهلها.

فإذا اجتمعتم على رجل منكم كما وصفنا، ولم يكن في الحاضرين من يفضله ويفوقه في العلم والحلم والورع والدين، فلا عذر له عنكم، وإجماعكم عليه إجماع، فاحكموا عليه بالإمامة، وان لم يتهيأ الاجتماع من كل حي وقرية، فليس ذلك باللازم شرعا بل استحبابا ويكتفي بمن حضر من المسلمين إلا أن يحضر البيعة أهل العلم والفضلاء في الدين من أهل الحل والعقد، ولو كانوا أربعين رجلا، وقيل: بالأقل تجوز البيعة، وكلما كان أكثر كان أفضل.

وإن كان قتالكم عن تأويل وديانة واختلاف كلمة، وكل أحد منكم يدعي الإمامة ويتسمى بها ويقول: إن الحق في يده دون الآخرين، فمن الرأي عندنا أن تكفوا عن الحرب وتغضوا أبصاركم على الإحن التي مضت، وتطئوا على الدماء التي سلفت، وتكتبوا شرح صفة حربكم، وسبب اختلاف كلمتكم، وكيفية اختلافكم، من أهل نفوسة وجربة، أو إمام عمان وإخوانكم منها، وانظروا رأيهم وقولهم وفتواهم في أمركم، واعملوا على رأيهم المصيب، وفتوى كل عالم أريب، فانا نرجو لكم سلامة دينكم، وتسديد أموركم، وتوفير أموالكم ونفوسكم.

وان كان قتالكم على الدنيا وطلب الرئاسة وحب الثناء وفخر السياسة، فذلك من أبخس البضائع، وأسوأ الصنائع، وأنجس الحظوظ، وأشأم الأعمال، وأخس الآمال، وأضر شيء بدين المرء ودنياه، وأعظم حسرة في حضرته وعقباه، وقد هلك بذلك كثير من الناس من الأولين والآخرين، إلا من عصمه الله، وتفضل عليه بمنه وحوله وقوته، نسأل الله لنا ولكم النجاة من الفتن، ومسامحة النفوس إلى إجابة دعوة الشيطان، والولوج في الظلم والعدوان، ونعوذ به ونعتصم به ونتوكل عليه، ونفوض جميع أمورنا إليه، نستهديه لإرشادنا وتوفيقنا وتسديدنا، إنه الكريم المفضال الكبير المتعال. فينبغي لكم الرجوع على ما أنتم عليه والفرار إلى الله بالكف عما زين الشيطان لكم، وسولت لكم نفوسكم إليه، والمبادرة إلى الله بالتوبة النصوح، وزجر النفس الجموح، واغتنام بقية الحياة القليلة بحبس الاعتداد للنقلة الطويلة، والندم على ما فات ومضى، وزال وانقضى، وإخلاص العمل لله تعالى بما بقى، فان الله واسع وعليم، وارغبوا إلى الله عز وجل في هدايتكم {ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون}[21].

وقد صار من أمر عمان مما هو أعظم مما ابتليتم به من الفتن النازلة، والإحن والحروب والمظالم المتكاتفة والفساد والمناكير الظاهرة، وعصي الله فيها بالمجاهرة حتى كاد لا يطمع أحد من المسلمين بتغيير منكر ولا رد مظلمة، وخفي الإسلام وأهله، وظهر الفساد كله، واستبيحت المحارم، وارتكبت المآتم، واستضعف المسلمون، وصاروا كالقابض على الجمر، لا يستطيعون إخفاء بدعة، ولا إظهار شرعة، وكاد [22] أن تنطمس آثار الدين وتستأصله الشياطين، فلما أراد الله إظهار المسلمين ونصرة المؤمنين، أظهر الله هذا النور الساطع، والحسام القاطع، ذا الفضائل المشهورة، والمآثر المشكورة، والسيرة الظاهرة المبرورة، إمامنا أعز الله نصره، ورفع ذكره، وأعلى قدره وأدام دولته ونصر صولته، وأيد سيادته، وحدد سعادته، وحمى به الدين، ونصر به الضعفاء والمساكين، آمين رب العالمين.

فاجتمع رجال ممن يسر الله أن يجتمعوا من المسلمين، وبايعوه على السمع والطاعة، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر الحق في القوي والضعيف والدنيء والشريف، فصدقوا له، فوفقوا وانتصروا من بعد ما ظلموا وهم قليل في كثير، ورمتهم العرب عن قوس واحد، وأرادوا {أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون}[23]والفاسقون والمنافقون،

ففتحت لهم القلاع والحصون، ودانت لهم القبائل وانقادت لهم الملوك طائعين وكارهين، وسكنت الحركات، وردت المظالم وانتصر[24] المظلوم، وظهرت الدعوة, وقامت الحجة، وحييت السنن، وعظمت المنن، فالحمد الله على ذلك كثيرا.

فالله الله، ثم الله الله، يا قوام الإسلام, ويا صدور الأنام، ويا أمناء الله في بلاده، وخلفاءه على عباده، لا تتركوا أيامكم تمضي ضياعا، وتجافوا عن الراحة في الدنيا وأقلعوا عنها إقلاعا، اشتروا الحياة الباقية بالحياة الفانية، فعما قليل أنتم ميتون، وملاقون ما كنتم تعملون، والى إحدى المنزلتين أنتم صائرون {فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون}[25].

فهذه نصيحتنا إليكم، وذخيرتنا لديكم، ونصحنا لكم، ولستم أحق بالنصح منا [26]، ولكن هذه سنة الدين، ومراسلة المؤمنين. قال النبي صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة، الدين النصيحة"[27]، ومن خالف خولف به، ولا يصيب المؤمن من محن الدنيا ومصائبها إلا لذنب أسلفه، فذلك كفارة له، أو رحمة من الله تفضل بها عليه ليدخرها له ليوم فقره إليها، وقد قال الله تعالى: {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير}[28] وأرشدنا الله وإياكم لأقوم المسالك، ونجانا وإياكم من جميع المهالك، ومن علينا وعليكم بسلامة ديننا وإخلاص نيتنا، وجعلنا وإياكم من عباده المؤمنين الآمنين المطمئنين الذين {لا خوف عليهم ولا هم يحزنون}[29].

كتبنا لكم كتابنا هذا، ونحن في سلامة شاملة، ونعمة من الله كاملة، وكلمة المسلمين واحده، وحجتهم عالية، ودعوتهم ظاهرة، ويدهم قاهرة، والحمد الله رب العالمين، وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم تسليما، ولا حوله ولا قوة إلا بالله العليم العظيم، والسلام عليكم وعلى كافة إخوانكم ممن شملته شفقتكم ومحبتكم، ورحمة الله وبركاته.

تحليل رسالة أهل عمان

لقد بدأت الرسالة باسم كاتبها الشيخ خميس بن سعيد بن علي الشقصي الرستاقي مدبر إمامة ناصر بن مرشد، الذي عرفه الشيخ البطاشي بأنه "هو الذي أشار على إخوانه من العلماء والأكابر بالبيعة للإمام ناصر بن مرشد، لما

عرف من فضله وزهده وورعه، وكان ربيبا له فبايعه بالإمامة، وصار الشيخ خميس أحد أركان دولته وقاضيه، وقائد جيوشه لحرب البرتغال في مسقط"[30]، وقال الشيخ سالم بن حمد الحارثي محقق كتابه "منهج الطالبين" "إلى أن ألقى الزمام في عمان في أول القرن الحادي عشر على عاتق العلم العلامة صاحب السيف والقلم ذي الهمة والهمم، البحر الزاخر، الذي يقال في حقه" كم ترك الأول للآخر" خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي الرستاقي"[31].

كتبت هذه الرسالة بأمر من الإمام ناصر بن مرشد اليعربي إمام عمان ومن معه من العمانيين تقول الرسالة: "فهذا كتاب فيه تحية وافرة وألوكة ظاهرة، ونصيحة زاهرة، من إمام المسلمين ونظام المؤمنين، وبقية من تمسك بالدين، وسراج الزاهدين، وعلم المجاهدين، وقدوة المجتهدين، ولي الله المأمون، وعبده الميمون، الهمام الأبي والأروع الزكي، الرضي ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن أبي العرب اليعربي المسلم الوهبي، ومن معه من المسلمين".

وجهت الرسالة إلى مشايخ من أهل المغرب وعلى الأخص إلى رجال بني مصعب دون ذكر اسم معين ولا عالم بذاته، ونعتقد أن الخطاب من الضرورة أن يوجه إلى عموم أهل وادي ميزاب لأن الخطب كبير، وأن الإمام ناصر بن مرشد وأهل عمان انزعجوا من الأخبار المتواترة إليهم من الجزائر حيث "بلغتنا عنكم أخبار أبكت عيوننا، وضاعفت أحزاننا وهمومنا وذلك باختلاف كلمتهم وافتراق أمرهم" حيث أخبرونا بافتراقكم واختلافكم، وشق عصاكم بعد ائتلافكم"، وذكرهم بأن العمانيين سبق أن قدموا اقتراحا لزيارتهم عونا للعمانيين في جهادهم للبرتغاليين، ولكن حينما وردتهم أخبار الوادي "ضاقت من أجل ذلك صدورنا، وتكدرت خواطرنا رحمة لكم، وخوفا على دينكم، أن يختلسه الشيطان منكم، ويلقي بينكم العداوة والبغضاء، فانتبهوا رحمكم الله، واعلموا على ما أنزل الله في كتابه"، وحذرهم بأن الفرقة عذاب وأن الاجتماع رحمة، وحثهم على إصلاح ذات بينهم. ثم تناول تقديم النصيحة لهم على النحو الآتي:

الكف عن الحرب فيما بينهم، "وسلموا أمركم إلى ولاة الأمور وهم أهل العلم المستقيمين في الدين من الفقهاء الصالحين"، ثم وضح لهم الأمر بأن وضع لهم خيارين: الخيار الأول: إذا كان لديهم إمام عادل فألزمهم بالبيعة له، وطاعته

ونصرته واجبة عليكم، وتحريم خذلانه ومعصيته، ما دام متمسك بالكتاب والسنة والإجماع، وإن خالف ذلك فانصحوه باللين، وحذرهم أن يبدوه بالعنف، فإن قبل منهم ورجع إلى الصواب فهو المطلوب وإن علا واستعلى فنابذوه بالحرب حتى يفئ إلى أمر الله. والخيار الثاني: إذا لم يكن لكم إمام فتكاتبوا وتراسلوا بالكف عن الحرب، ونادوا بالأمان في جميع أحيائكم وقراكم، سلموا أمركم إلى فقهائكم الصالحين وأهل الفضل منكم، وأعطوهم العهد والمواثيق، إنكم تبع لهم وطوع أمرهم. ثم على الفقهاء والعلماء والفضلاء منكم أن يختاروا إماما لكم تجتمع فيه شروط الإمام، فإن فعلتم ذلك وقدمتموه إماما لكم "وبايعوه على السمع والطاعة في السراء والضراء، والشدة والرخاء، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الجهاد كل فرقة باغية، وطائفة امتنعت عن الحق طاغية، وعلى إنفاذ الحق في القوي والضعيف والدنيء والشريف، وأخذ الحق من الظالم الغشوم للضعيف المظلوم، وقبض الصدقات من حلها، ووضعها في أهلها". ثم وضح لهم بأنهم إذا لم يتيسر لهم الاجتماع من كل حي وقرية، فليس ذلك بواجب شرعا بل استحبابا ويكتفي بمن حضر من المسلمين من العلماء والفضلاء في الدين من أهل الحل والعقد، ولو كان أربعين رجلا ويجوز تنصيب الإمام بأقل من هذا العدد.

أما إذا كان الصراع القائم بين أهل وادي ميزاب بسبب تأويل وديانة واختلاف الكلمة، وكل واحد يدعي بالإمامة ويتسمى بها، فقدمت الرسالة النصح في ذلك بأنهم يكفون عن "الحرب وتغضوا أبصاركم على الإحن التي مضت، وتطئوا على الدماء التي سلفت". ثم اقترحت الرسالة عليهم بأن يكتبوا صفة حربهم واختلاف كلمتهم، ويرسلوها لعلماء الإباضية في جبل نفوسة بليبيا أو في جزيرة جربة بتونس أو إلى إمام عمان، "وانظروا رأيهم وقولهم وفتواهم في أمركم، واعملوا على رأيهم المصيب، وفتوى كل عالم أريب، فانا نرجو لكم سلامة دينكم وتسديد أموركم وتوفير أموالكم ونفوسكم".

وإذا كان القتال الدائر فيما بينهم على الدنيا وطلب الرئاسة، وحب الثناء وفخر السياسة، فإن عاقبتها الخسران وبضاعتها كاسدة، وهي "أضر شيء بدين المرء ودنياه، وأعظم حسرة في حضرته وعقباه، وقد هلك بذلك كثير من الناس من الأولين والآخرين، إلا من عصمه الله"، ولهذا بادرت الرسالة بتقديم النصح لهم "فينبغي لكم الرجوع على ما أنتم عليه والفرار إلى الله بالكف عما زين

الشيطان لكم، وسولت لكم نفوسكم إليه، والمبادرة إلى الله بالتوبة النصوح، وزجر النفس الجموح، واغتنام بقية الحياة القليلة بحبس الاعتداد للنقلة الطويلة، والندم على ما فات ومضى وزال وانقضى, وإخلاص العمل لله تعالى".

وضربت الرسالة أمثلة لحالهم بالظروف التي اجتاحت عمان قبل قيام دولة اليعاربة، إذ تقول الرسالة واصفة أحوال عمان "وقد صار من أمر عمان مما هو أعظم مما ابتليتم به من الفتن النازلة، والإحن والحروب والمظالم المتكاتفة، والفساد والمناكير الظاهرة، وعصي الله فيها بالمجاهرة حتى كاد لا يطمع أحد من المسلمين بتغيير منكر ولا رد مظلمة، وخفي الإسلام وأهله، وظهر الفساد كله، واستبيحت المحارم، وارتكبت المآتم، واستضعف المسلمون، وصاروا كالقابض على الجمر، لا يستطيعون إخفاء بدعة، ولا إظهار شرعة، وكاد أن تنطمس آثار الدين وتستأصله الشياطين". ثم اجتمع علماء عمان وصلحاها وانتخبوا الإمام ناصر بن مرشد الذي بوجوده "فتحت لهم القلاع والحصون، ودانت لهم القبائل وانقادت لهم الملوك طائعين وكارهين، وسكنت الحركات، وردت المظالم وانتصر المظلوم، وظهرت الدعوة, وقامت الحجة، وحييت السنن، وعظمت المنن، فالحمد الله على ذلك كثيرا".

وفي نهاية النصيحة ذكرت الرسالة أن هذه النصيحة سنة الدين، وأن "لا يصيب المؤمن من محن الدنيا ومصائبها إلا لذنب أسلفه، فذلك كفارة له، أو رحمة من الله تفضل بها عليه ليدخرها له ليوم فقره إليها"، ثم ختمت هذه النصائح بالدعاء فقالت الرسالة: "أرشدنا الله وإياكم لأقوم المسالك، ونجانا وإياكم من جميع المهالك، ومن علينا وعليكم بسلامة ديننا وإخلاص نيتنا، وجعلنا وإياكم من عباده المؤمنين الآمنين المطمئنين".

ختمت الرسالة بذكر أحوال أهل عمان "كتبنا لكم كتابنا هذا، ونحن في سلامة شاملة، ونعمة من الله كاملة، وكلمة المسلمين واحده، وحجتهم عالية، ودعوتهم ظاهرة، ويدهم قاهرة، والحمد الله رب العالمين". ولعلنا نلتمس من هذه العبارة تذكير أهل الوادي بنعمة الأمن والآمان التي عليها أهل عمان بفضل وجود إمام عادل وأمين.

وأما عن خلاصة مضمون هذه الرسالة، فإن سبب كتابة الإمام ناصر بن مرشد إمام عمان لأهل وادي ميزاب هو ما أفزعهم من اختلاف كلمتهم والتناحر فيما بينهم، لأسباب جهلوها فهل هذا الاختلاف مرده إلى عدم وجود إمام وحاكم عادل واختلفوا عليه، أم اختلافهم بسبب الرئاسة وحب السياسة أم اختلافهم بسبب التأويل في الدين. وقد كتب الرسالة الشيخ خميس بن سعيد الشقصي وعرضها على الإمام، ثم أمر الإمام بإرسالها لعموم أهل وادي ميزاب ولم يشأ أن يخص فئة معينة خوفا من الفرقة واختلاف الكلمة. وقدم الإمام اقتراحا بأن يطيعوا إمامهم إذا كان لديهم إمام عادل، وإذا لم يكن لهم إمام فعليهم في هذه الحالة أن يتراسلوا أهل القرى ويسلموا أمرهم إلى العلماء والفقهاء والفضلاء، ويسكتون عما مضى، ويقوم هؤلاء باختيار إمام لهم وأجاز لهم بأن بيعة الإمام تجوز شرعا بأقل من الأربعين. أما إذا كان القتال الدائر فيما بينهم بسبب التأويل والدين، فعليهم في هذه الحالة أن يكفوا عن الحرب ويحصروا اختلافهم وأسبابها ويرسلوا بها إلى علماء الإباضية في جبل نفوسة أو جزيرة جربة أو عمان ليحسم الخلاف شرعا وعليهم التقيد فيما بعد به.

وأما إذا كان الخلاف والقتال بسبب الرئاسة وحب السياسة، فإن هذه من البضائع الخاسرة، وعليهم التوبة والرجوع إلى الحق، وذكرهم بأن هذا هو الخسران المبين، وحفزهم إلى تركها لأنها مهلكة. وذكرت الرسالة أن ظروف وادي ميزاب كانت مشابهة بظروف أهل عمان في إخلاف الكلمة والاحتلال الأجنبي لبلادهم وعدم وجود إمام يقودهم، ولكن بعد المراسلات بين أهل الصلاح من العلماء وأهل الرأي، نجحوا في مسعاهم وتحققت أمانيهم، واجتمعوا على تنصيب إمام لهم، وبذلك انتشرت نعمة الأمن السياسي والاجتماعي والاقتصادي على ربوع عمان.

وختمت الرسالة بشيئين: الأول أن هذه النصيحة التي قدمها الإمام لهم هي واجبه شرعا ومن سنن الدين، ولعل هذه المحنة التي يمرون بها كفارة لهم عن ذنوب اقترفوها بجهالة، وثانيهما أن أهل عمان ينعمون في ظل إمامهم بنعمة الأمن والرخاء. وهو إيحاء إلى أهل وادي ميزاب بأن الفتن هلاك للحرث والنسل، وأن الأمن نعمة من نعم الله على عباده، فاختاروا لأنفسكم النعمة "فالله الله، ثم الله الله، يا قوام الإسلام، ويا صدور الأنام، ويا أمناء الله في بلاده، وخلفاءه على عباده،

لا تتركوا أيامكم تمضي ضياعا، وتجافوا عن الراحة في الدنيا وأقلعوا عنها إقلاعا، اشتروا الحياة الباقية بالحياة الفانية، فعما قليل أنتم ميتون، وملاقون ما كنتم تعملون، وإلى إحدى المنزلتين أنتم صائرون", فبذلك يحفزهم بترك عقدة الخوف والتحلي بالصبر؛ لأن الحياة فانية والإنسان لا محالة سيلقى مصير قدره المحتوم

الخاتمة:

إن هذا العرض الذي قدمناه من خلال تحليل الرسالتين: الأولى كتبها الشيخ سليمان بن أبي القاسم النفوسي يستغيث بأهل عمان لإنقاذهم مما هم فيه من أحوال عمت وادي ميزاب، والرسالة الثانية من الإمام ناصر بن مرشد ردا على رسالة الشيخ سليمان إلى عموم أهل وادي ميزاب، وكتبها العالم خميس بن سعيد الشقصي بعد أن تفاقم الخطر، ووصلت الأخبار الغير مريحة عن الوادي، فاقترح الإمام ناصر عليهم عدة حلول منها اختيار لهم إمام وطاعته، ونبذ الفرقة والاختصام والإقبال على الصلاح, وخرجت هذه الدراسة التحليلية بعدة نتائج نجملها فيما يأتي:

إن التواصل بين إباضية المغرب وإباضية عمان مستمر بأوجه متعددة منها المراسلات أو الزيارات أو الكتب المؤلفة التي تعبر هذه المسافات الطويلة وأن أكثر الاتصالات بينهم تتم في مواسم الحج، وأن هذا التواصل بقى إلى يومنا هذا تراثا حضاريا يؤكد الهوية الحضارية للمجتمع العماني والجزائري.

جاءت الرسالتان لتقوية العلاقة بين عمان ووادي ميزاب وذلك بما حملته من معاني الخير والشعور بالانتماء المذهبي ووشائج المحبة والغيرة، وما هذه النصائح التي جاءت في رسالة الإمام ناصر إلا تعبيرا عن هذه الوشائج، ثم المحافظة على وجود المذهب الإباضي وكيانه بالجزائر.

كشفت الرسالتان عمق التواصل بين الجزائريين والعمانيين الذي بلا شك يمثل بعدا حضاريا قائما على أصول معرفية، وربط التواصل عبر الحقب التاريخية، يقوي من العلاقات المستقبلية، والتي رأيناه في العصور التالية ومنها في وقتنا الحاضر.

امتازت الرسالتان بلغة قوية فصيحة تنم على كفاءة كاتبها ممن يملكون ناصية اللغة وصنعة الكلام، ومقدرة بلاغية، كما أبرزت هذه الرسائل أصول

المذهب الإباضي بأسلوب منظم واضح، مستوعبا لمفردات الأصول دون إخلال ولا إطناب في المعنى المقصود على الرغم من كثرة استعمال السجع والمرادفات.

أبرزت الرسالتان أحوال وادي ميزاب وما اعتراه من محن وفتن، وكيف عالج أهل عمان ذلك بأن ثبتوهم على الإيمان، وأنهم في الولاية، كما قدموا لهم النصائح ليتجاوزوا المحنة التي أصابتهم من فساد الحياة الاجتماعية والسياسية، واضطراب الموقف الذي يعانون منه.

وكشفتا معلومات قيمة منها مكانة الإمام ناصر بن مرشد ووصفه وصفا كاملا لسلوكه وطبيعته تجاه شعبه، فضلا عن ذكر قائمة لعلماء عمانيين الذين مع هذا الإمام، بالإضافة إلى مفردات وعناصر أصول الإباضية.

أثارت رسالة الشيخ سليمان غيرة العمانيين على معتنقي مذهب الإباضية في المغرب فتناولوا أسس الإسلام ورجاله من الصحابة والتابعين، ونظام الولاية والبراءة التي تناولها علماء عمان من قبل، أمثال الشيخ أبي سعيد الكدمي في كتابيه "المعتبر"، و"الاستقامة"[32] وغيره، وذلك ليوطنوا إخوانهم في وادي ميزاب، وليثبتوا عزائمهم على الصبر والجهاد، وأنهم في الولاية إن أقاموا الحق ونشروا عدالة الإسلام، واصل الولاية الموافقة في الحق، والبراءة على العكس وبين المنزلتين الوقوف وهي واجبة فيمن لم يعلم عنه شيء عن حاله ولم يظهر منه موجب الولاة ولا موجب البراءة[33].

الهوامش

[1] الخراسيني، عبد الله بن محمد بن عامر. فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم. تحقيق محمد بن صالح ناصر ومهنى بن عمر التواجيني، ج1، ط1، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب: 1995م، ص. 198 – 202.

[2] هو الشيخ محمد بن عمر بن أحمد بن مداد الناعبي من علماء القرن الحادي عشر الهجري، قيل مات قبل عام 1059هـ/1649م، في زمن الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (1034هـ/1624م – 1059هـ/1649)، من أهل عقر نزوى، كان من المساندين للإمام ناصر ومن قضاته انظر سيرته في: البطاشي سيف بن حمود. إتحاف الأعيان، ترتيب الدكتور سعيد بن محمد الهاشمي، ج3، ط1، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب: 2001م، ص.470.

[3] هو الشيخ القاضي مسعود بن هاشم بن غيلان بن غسان بن غيلان الهلوي، من فقهاء النصف الأول من القرن الحادي عشر، تولى القضاء للنباهنة، وكان ذلك عام 1009هـ/1600م، وتولى القضاء للإمام ناصر بن مرشد في بهلاء، مات في 28 ربيع الأول 1046هـ/ 30 أغسطس 1636م، انظر البطاشي، المرجع السابق، ص. 495.

[4] هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب وهو ممن خاض في الأفك، انظر: ابن دريد، الاشتقاق، ص. 86.

[5] سورة التحريم، الآية رقم 6.

[6] البطاشي سيف بن حمود. إتحاف الأعيان. ترتيب الدكتور سعيد بن محمد الهاشمي، ج3، ط1، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب: 2001, ص. 470.

[7] البطاشي، إتحاف الأعيان. ج2، ط1، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب: 1994م، ص: 255 وما بعدها.

[8] ابن قيصر عبدالله بن خلفان. سيرة الإمام ناصر بن مرشد.ط1، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط:1977م، ص82.

[9] البطاشي المرجع السابق، ج3، ص: 495. السعدي، المرجع السابق ج2، ص: 190.

[10] بو حجام محمد ناصر. التواصل الثقافي بين عمان والجزائر، ط1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب: 2003م, ص. 70.

[11] نص الرسالة أوردها الشيخ عبدالله بن محمد الخراسيني، انظر: الخراسيني، فواكه العلوم، ج1، ص.ص.: 213 – 219.

[12] سورة التوبة، الآية رقم 33، وسورة الصف، الآية رقم 9.

[13] هما الليل والنهار.

[14] سورة آل عمران، الآيات رقم 100 – 102.

[15] سورة الأنفال، الآية رقم 46.

[16] سورة الشورى، الآية رقم 25.

[17] سورة الحجرات، الآيات رقم 9 – 10.

[18] سورة الرعد، الآية رقم 11.

[19] سورة التوبة، الآية رقم 119.

[20] في الأصل أحبائكم وقريائكم أي من الأحياء والقرى.

[21] سورة يوسف، الآية رقم 87.

[22] في الأصل وكان.

[23] سورة التوبة، الآية رقم 32.

[24] في الأصل انتظر المظلوم.

[25] سورة المؤمنون، الآيات رقم 102 – 103.

[26] في الأصل فليس أحق بالنصح منها.

[27] لفظ الحديث في مختصر مسلم، قال رسول الله: "الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" الحديث رقم 32، دار مكتبة الهلال، بيروت: 1991م، ص: 25.

[28] سورة الشورى، الآية رقم 30.

[29] سورة يونس، الآية رقم 62.

[30] البطاشي، إتحاف الأعيان، ج3، ص. 150.

[31] الشقصي خميس بن سعيد. منهج الطالبين وبلاغ الراغبين. وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: 1979م، ج1، ص:5

[32] يبدو أن موضوع الولاية والبراءة تناولها عدد من المؤلفين العمانيين بكثرة، منها الشيخ أبو بكر أحمد بن عبدالله الكندي (ت:557هـ) في كتابه "التخصيص في الولاية والبراءة، ومنها الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي في كتابه كرسي الأصول في الولاية والبراءة، أما علماء الإباضية في المغرب: الشيخ عمر بن جميع في كتابه مقدمة التوحيد وشروحها، والشيخ الجيطالي في كتابه قواعد الإسلام، والشيخ الثميني في كتابه معالم الدين، وغيرهم.

[33] جهلان عدون. الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش. ط2، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب: 1991م، ص:56-57.

المصادر والمراجع:

1- الأزكوي سرحان بن سعيد. كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تحقيق: حسن محمد النابوذة، ج2، ط1، دار البارودي، بيروت: 2006م.

2- إيفانوف نيقولا. الفتح العثماني للأقطار العربية: 1516 – 1574م. ترجمة يوسف عطا الله، دار الفارابي:1988م.

3- البطاشي سيف بن حمود. إتحاف الأعيان. ترتيب الدكتور سعيد بن محمد الهاشمي, ج2 و3، ط1، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب: 2001م.

4- بوتشيش إبراهيم القادري. التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب. جامعة السلطان قابوس، مسقط: 2000م.

5- بو حجام محمد ناصر. التواصل الثقافي بين عمان والجزائر. ط1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب: 2003م.

6- التر عزيز سامح. الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية. ترجمة محمود علي عامر. ط1، دار النهضة العربية، بيروت: 1989م.

7- التميمي, عبد الجليل. أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م. المجلة التاريخية المغربية، العدد 6، تونس: 1976م.

8- الجزائري محمد بن صالح ناصر. معجم أعلام الإباضية. دار الغرب الإسلامي, بيروت: 2006م.

9- الجعبيري فرحات. البعد الحضاري للعقيدة الإباضية. مسقط: 1989م.

10-الجنحاني الحبيب. تاهرت عاصمة الدولة الرستمية. المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، السنة 12، تونس: 1975م.

11-جهلان عدون. الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش. ط2، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب: 1991م.

12-ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي. جمهرة أنساب العرب. ط1، دار الكتب العلمية، بيروت:1983.

13-الخراسيني عبد الله بن محمد بن عامر. فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم. تحقيق محمد بن صالح ناصر ومهنى بن عمر التواجيني، ج1، ط1، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب: 1995م.

14-خليفات عوض محمد. نشأة الحركة الإباضية. ط1، عمان: 1978م.

15-السعدي فهد بن علي. معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية. ج2، ط1، دار الجيل الواعد، مسقط: 2007م.

16-السالمي عبد الله بن حميد. تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان. مكتبة نور الدين السالمي، السيب: 2000م.

17-الشقصي خميس بن سعيد. منهج الطالبين وبلاغ الراغبين. ج1، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: 1979م.

18-الشناوي عبد العزيز. الدولة العثمانية: دولة إسلامية مفترى عليها. ج3، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة: 1986م.

19-ابن صغير. أخبار الأئمة الرستميين تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزاير: 1986م.

20-الصلابي محمد علي. الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط.ط1، دار البيارق، بيروت: 1999م
21-طقوش محمد سهيل. العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة. دار بيروت المحروسة، بيروت:. 1995
22-عبد الحليم رجب محمد. الأباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة. ط1، مكتبة الضامري، السيب: 1990م.
23-عوض عبد العزيز. دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث. ج1، ط1. دار الجيل، بيروت: 1991م.
24-ابن قيصر عبدالله بن خلفان. سيرة الإمام ناصر بن مرشد.ط1، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط:1977م.
25-القشيري أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري. مختصر صحيح مسلم. شرح ومراجعة سعيد محمد اللحام دار مكتبة الهلال، بيروت: 1991م.
26-كوران أرجمند. السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر. ترجمة عبد الجليل التميمي، تونس: 1993م.
27-مؤنس حسين. تاريخ المغرب وحضارته. ج3، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت: 1992م.
28-الهاشمي عبد المنعم. الخلافة العثمانية. ط1، دار ابن حزم، بيروت: 2004م.

إشكالية استمرارية وتزمين تاريخ المقاومة الجزائرية من سنة 1830م الى 1962م من خلال الكتابات التاريخية.

أ.ة وردة هشماوي
جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان

مقدمة:

اتسمت مواجهة الجزائريين للاستعمار الفرنسي 1830-1962م باستمرارها وتنوع أساليبها وتأقلمها مع الظروف والعوامل المحيطة الداخلية والخارجية، فشهدت اختلافا من منطقة لأخرى ومن فترة زمنية لأخرى، ورغم سياسة الاستعمار المتنوعة إلا أنها لم تحد من عزيمة الجزائريين في محاربته من أجل القضاء عليه، فمنذ بداية الاحتلال اندلعت المقاومة الوطنية الجزائرية. وهناك آراء تحدد بدايتها ببداية الحصار الفرنسي على سواحل الجزائر 1827م[1]، فمع وصول القوات الفرنسية إلى سواحل الجزائر تصدت لها القوات الجزائرية لكنها فشلت لقلة الخبرة اللازمة، وقد كانت تحت قيادة إبراهيم آغا.

ورغم الخلل بين القوتين فقد حارب الجزائريون واصطدموا مع الفرنسيين في معركة سطاوالي في 19 جوان1830م ثم معركة سيدي خالف في 24 جوان 1830م، وبعد هذا سيطر الفرنسيون على الجزائر بعد اتفاقية 05 جويلية 1830م التي كانت بين الداي حسين والجنيرال دوبورمون. وبداية من هذا اليوم عرف تاريخ الجزائر كثيرا من الثورات من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب[2].

وفي خلال الفترة التاريخية التي تعرضت فيها الجزائر للاحتلال الفرنسي من سنة 1830م، اعتمد الجزائريون للدفاع عن أنفسهم وسيلة السلاح لفترة طويلة قاسية عانى فيها السكان من تجريدهم من أملاكهم وتشريدهم إلى مناطق نائية فاستشهد الكثير من أبناء البلاد[3]. ومع مطلع القرن العشرين شهدت الجزائر بداية نهضة ثقافية ودينية كانت تعبر عن رفض الجزائريين وتعلقهم بالهوية الإسلامية وتشبثهم بالأرض، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى بانعكاساتها الواسعة فأكسبتها وعيا وخبرة

وهيأت الظروف لبروز قيادات جديدة وأكسبت هذه التطورات النضال الجزائري شكل آخر[4]، فقد تغير أسلوب الكفاح من المسلح إلى العمل السياسي نتيجة التطورات الداخلية والخارجية التي أفضت إلى ظهور الحركة الوطنية ويقصد بالحركة الوطنية مجموعة من المنظمات السياسية والإصلاحية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى وانعكاساتها خاصة بنود الرئيس الأمريكي ولسون Wilson [5] حول حقوق الإنسان وتقرير المصير حيث علقت شعوب المستعمرات آمالها عليه.

إن هذا المسار التاريخي بمختلف تطوراته يشكل نقطة اختلاف بين المؤرخين حول بداية الحركة الوطنية الجزائرية، وإن كتابة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية من الأمور الشديدة التعقيد لارتباط جزء كبير منها من الحاضر السياسي لهذه الفترة الزمنية. كما تعددت الكتابات عن تاريخ الجزائر، فمنها كتابات شكلت الوجهة الفرنسية، ويظهر ذلك في كتابات ايف كوريار-شارل روبيرجوليان, بن جامين سطورا. وهناك الوجهة الجزائرية منها ما تحمل تأثيرا فرنسيا مثل كتابات محمد حربي الذي كتب عن التجربة التاريخية من مواقع عديدة,من موقع الفاعل التاريخي ومن موقع المناضل القريب من اليسار الفرنسي ومنها ما وصفت نفسها بالوطنية أمثال أبي القاسم سعد الله ومنها ما دافع عن جذور الوجود وتميز الشخصية الجزائرية أمثال مبارك الميلي ومحفوظ قداش.

لقد تعددت آراء المؤرخين الجزائريين والفرنسيين حول نشأتها، فمنهم من أرجع نشأتها إلى بداية المقاومة منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830م وهذا حسب رأي الطبقة المثقفة وعلى رأسهم حمدان خوجة،وهناك رأي آخر أرجع نشأتها إلى حركة الأمير خالد 1919م-1929م،بداية من التجنيد الإجباري ورأي آخر يرجح البداية مع نجم شمال إفريقيا 1926 م.

وحسب الاطار الزماني والمكاني للمقاومة الجزائرية، فقد شكلت ظاهرة وحالة خاصة انفردت بها الجزائر عن باقي الدول التي عرفت الاستعمار بداية من ثورة الأمير عبد القادر إلى ثورة الأوراس، وقد سجلت تواصلا تاريخيا فيما بينها. ومما سبق ذكره نطرح الإشكال التالي، ما هي الأسباب الفعلية في امتداد هذه الثورات الشعبية؟، وما هو سر هذا التواصل المكاني والزماني لها؟، لماذا شكلت خطرا للاستعمار؟، وهل كان لها تأثير في مرحلة النضال السياسي مع مطلع القرن العشرين؟

من المؤكد أن الاستعمار الفرنسي في الجزائر ركز على فكرة "الجزائر الفرنسية" وهذا منذ 1830م وله سياسة اتبعها لبلوغ هدفه. هذا ما يدفعنا للتساؤل: متى أدرك الجزائريون وطنيتهم للبدء بحركة وطنية جزائرية تجسد مطالبهم خاصة الاستقلالية منها؟ وهل هناك قاعدة تاريخية فيها تاريخ وتزمين بداية الحركة الوطنية الجزائرية؟ وهل نأخذ بآراء المؤرخين الفرنسيين أم المؤرخين الجزائرين في الفصل في هذه المسألة التاريخية؟

ولمعرفة إجابات عن هذه التساؤلات لابد لنا أن نعرف بأمهات هذه المقاومات من خلال نماذج عنها والتعرف أكثر عن قياداتها كل حسب إطاره المكاني والزماني من أجل شرح هذا الامتداد.

1- تعريف موجز لأمهات الثورات الشعبية الجزائرية (1830- 1916)م:

بداية من 05 جويلية 1830 م، احتلت الجزائر ومنذ ذلك اليوم عرف تاريخ الجزائر من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب كثيرا من الثورات المتعددة والمختلفة في أشكالها ولإحصائها وبسط تفاصيلها يلزمنا كتب كثيرة من أجل ذلك فقد نكتفي في هذه الدراسة بالحديث عن بعض الثورات بأحداثها بشكل موجز.

ففي 23 جويلية 1830م اصطدم الجيش الفرنسي في احتلال البليدة بمقاومة محمد بن زعموم ولم تسقط البليدة إلا في 05 فيفري 1839م وفي نوفمبر 1830م واجه الفرنسيين مقاومة أبناء المدية الذي استدعى القوات الفرنسية بـ 5000 جندي لاحتلال المدية في 07 ديسمبر 1939 م وبعد التوغل الفرنسي لمتيجة الذي قابله مقاومة أبناء حجوط، أما قسنطينة عرفت الكفاح منذ 1832م بقيادة الحاج أحمد باي[6]، رغم سقوط المدينة في 1837 م واصل الجهاد إلى 1949م.

أما الغرب الجزائري في 21 نوفمبر 1832م فأعلن الأمير عبد القادر[7] بعد البيعة الجهاد ضد الاحتلال ودامت مقاومته 15 سنة ولم تنتهي إلا في 23 ديسمبر 1847م، ومن 1844م إلى 1847م انتظمت المقاومة المعروفة باسم بومعزة بجبال الظهرة وحوض الشلف وجبال الونشريس ومعارك عين مران ومعركة ثنية الحد,كما عرفت مليانة المدينة الاستراتيجية سنة 1844م مقاومة حيث ألقي القبض على قائدها محمد بن علال[8] بمازونة ليعدم ويجر برأسه في الطرق وبقيادة الشريف بوطالة قاوم بنو زقزق (منطقة جبلي بعين الدفلى) الاحتلال

وذلك سنة 1846م, ثار الزعاطشة بالزيبان في منطقة بسكرة بقيادة الشيخ بوزيان[9] من 1848-1849م ومن أهم المعارك معركة متواك في 09 جويلية 1949م ومعركة سيدي مرازي 12 نوفمبر 1949م، قاومت منطقة القبائل تحت قيادة لالة فاطمة نسومر[10] من 1851-1860م، لم يترك للاحتلال راحةفقد اصطدم مرة أخرى بثورة المقراني، الشيخ الحداد، والرحمانية في 15 مارس 1871م[11] كما عرفت قبيلة أولاد سيدي الشيخ بمنطقة بشار والأطلس الصحراوي فكان تواصل لثورة 1864م طوال أكثر من 20 سنة.

أما منطقة الأوراس فقد عرفت ثورة ضد الاحتلال في 1858 م ثم بعد سنوات في 08 جوان و09 جوان 1879م خاضت معركة واد الطوب,وفي 1859م عرفت منطقة تلمسان والغزوات المقاومة بالغرب الجزائري وفي 14 جويلية إلى 21 أوت 1871 م شهدت منطقة شرشال ومليانة معركة أولاد البلاع بجبال شناوة في 25 جويلية 1871م,أما في 26 مارس 1876م كانت بداية ثورة العمري بمنطقة بسكرة أماعن ثورة الجنوب الوهراني تحت قيادة الشيخ بوعمامة كانت من 10ماي 1881م إلى 1902م وفي 26 أفريل 1901م مباشرة بعد صلاة الجمعة كانت ثورة ريغة التي قادها يعقوب محمد وسلطاني ملياني والثعالبي الحاج بن عيشة وقد تم ارتكاب مجازر في حق السكان ومن 1902-1903م انتظمت المقاومة بالحضنة وبلزمة. وقد كان فرض التجنيد الإجباري على الجزائريين بداية من 1911م سببا في المظاهرات الثورات حيث تظاهر الجزائريون بندرومة في 23 ماي 1912م ضد التجنيد الإجباري كما في 05 أكتوبر 1914م قامت ثورة شعبية ببني شقران لنفس السبب معارضة مبادئ النظام العسكري، وخاضت منطقة جانيت والسفارة العديد من المعارك من طرف الطريقة السنوسية في 1915م وبالأوراس هاجم المقاومين برج ماكماهون ومزارع منطقة أدوغ لاكال وسوق أهراس في 10 نوفمبر 1916م وقاوم التوارق التوغل الفرنسي بقيادة الشيخ عمود وقد سجلت له عدة معارك ضد الاحتلال الفرنسي[12].

2- السياسة الفرنسية وصمود المقاومة:

إن استعراض فضاء المقاومات في الجزائر حسب مكان اندلاعها وزمانها يوضح الروح الوطنية الثائرة للجزائريين ضد الفرنسيين المرفوضين في البلاد المسلمة

لأنهم غرباء والمقاومات في الجزائر خلال القرن 19 كانت شعبية وعامة[13]ورغم التقتيل والإرهاب والإبادة التي تركت آلام عميقة في ذاكرته لم تزده إلا إرادة وتصميم على مقاومة الاستعمار وروح المقاومة[14] رغم السياسة التي اتخذتها السلطات الاستعمارية لتحكم البلاد في قبضتها حيث أصدرت في 22 جويلية 1834م مرسوما نص على إلحاق الجزائر بالتراب الفرنسي بإدارة حاكم عام تابع لوزير الحربية بباريس[15].

واتبعت فرنسا سياسة الاحتلال الجزائر حتى سنة 1848 م حيث بدأت هذه السياسة تفتح المجال للاحتلال الشامل تحت قيادة بيجو[16] ولم يقتصر الاستعمار على المناطق الساحلية والسهلية فقط بل تعداها إلى المناطق المرتفعة منها منطقة القبائل الكبرى، ففي الفترة الممتدة مابين 1845 م-1944م توغل الجيش الفرنسي إلى داخل البلاد[17] ومن الملاحظ أن فرنسا كانت في 1830 رغم انهزام نابليون دولة قوية في الجانب العسكري لكن سلاح الجزائريين لم يكن يساويه ومن جراء هذا التفاوت في الجهاد العسكري ولاستغلال أرض الجزائر شيد الاستعمار جهازا محكما[18]وللتحكم في الإدارة حيث أن الاستعمار يجهل لغة المجتمع الجزائري أحدث الدوق، دروفيقو الحاكم العام للجزائر سنة 1833 م فرعا في مكتبه سماه المكتب العربي فيما أصبح مصلحة الشؤون الحربية كانت مصلحة العسكرية إدارية وجهاز لجمع المعلومات الخاصة بمختلف العمليات[19] ففرنسا جندت كل الوسائل من أجل السيطرة على أرض الجزائر وشعبها لكن رغم كل هذه السياسة المتبعة من جانبها لم يمنع من استمرار المقاومة الجزائرية وانفراد كل واحدة بصفات ومميزات حسب الظروف التي وجدت فيها.

3- تحليل موجز لبعض قيادات المقاومة الجزائرية:

كان النظام في أرض الجزائر قد ضعف إثر سقوط العاصمة فاستقلت كل ناحية بنفسها وأخذت تنظم الدفاع، أما في ناحية قسنطينة فقد التف السكان حول الحاج أحمد باي وحصنوا المدينة تحصينا[20]وعلى الرغم من عدم توازن القوة العسكرية بين الطرفين فقد واصل مسيرة المقاومة معتمدا على السكان لأن عزيمتهم وإيمانهم القوي بطرد الاستعمار الأجنبي فقد كانت 1836م بداية حرب صعبة بين الطرفين[21]، وبعد ثورات أحمد باي أصبح المستعمر يتخوف من اندلاع

ثورة بقيادته وقبائل الشمال والجنوب القسنطيني فشعرت بقوة الرجل وصلابته في الدفاع عن وطنه ودينه فحاصرته القوات الفرنسية في كل الجهات[23] أما ناحية الغرب فقد اجتمع رؤساء القبائل حول الأمير عبد القادر[24] الذي كانت مطامحه كلها متجهة إلى جعل شعبه أمة وتمثلت سياسته في أن يرفع نفسه عن طريق علاقته بفرنسا وبالمقابل أي تقارب بين أمته والفرنسيين حتى لا تقوى الحركة التجارية المشتركة وبذلك يكون مستعدا بصورة دائمة لقطع علاقته بفرنسا وأفضل ما كان يناسب مشاريعه هو تناوب الحرب والسلم حيث أن الحرب هي أحسن وسيلة يكسب بها مؤيدين جدد والسلم من أجل تنظيم الشؤون الداخلية ويحافظ على آلياته الحربية ويزيد من عددها عن طريق العلاقات التجارية مع فرنسا وهذا حسب ما أورده "فاد ينيزن" في كتابه، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر كما وصف المؤلف الأمير عبد القادر على أنه الرجل الذي استطاع أن يجمع ويوحد كلمتهم وحاول من أن يجعل من شعبه أمة[25] أما منطقة القبائل فلم تترك لالة فاطمة نسومر الجهاد بعد بوبغلة فقد استمرت في أنحاء جرجرة[26] وبذلك كان للمرأة الجزائرية دورا في مجابهة الاستعمار الفرنسي وكذلك نجد ثورة بومعزة والمقراني، وقد جاء في مذكرات أحمد باي أن أبناء الحداد لبوا النداء للمقاومة ضد فرنسا في حملتهم على قسنطينة وقد قامت ثورة المقراني في 1871م التي تجاوب معها الحداد الذي وجه النداء للشعب الجزائري فلبى النداء الرحمانيون الذين اعتمدوا على الطبقة الشعبية[26] ولم يكن خروج الأمير عبد القادر من الجزائر انتهاء المقاومة، فجذوة الحماسة التي أشعلتها بقية مشتعلة في نفوس الناس وظلت المقاومة مستمرة في مختلف مناطق البلاد إذ أن فرنسا لم تستطع السيطرة على كل الجزائر إلا بعد ثورة المقراني 1871م ولم تحتل الصحراء إلا في أوائل القرن العشرين ثم واجهت ثورة ضد تجنيد الجزائريين عام 1916 م للاشتراك مع فرنسا في الحرب العالمية الأولى.

وبقيام الحرب توقف الجهاد الثوري المسلح[27] الذي كان يقود رجال ركزوا أعمالهم لخدمة البلاد أمثال الأمير عبد القادر الذي كان يرمز بأعماله إلى تركيز الحداثة الإسلامية المسايرة للعصر.[28]

فالتاريخ مستمر ونظرية التاريخ حسب نصر الدين سعيدوني هي من إرادة الشعوب فليس هناك توقف للتاريخ وخروج الأمة من التاريخ ليس بموتهم أي

رجالها بل بذوابانهم[29]، ومن هذا نرى أن أرضية المعركة هيأها رجال كان لهم بعد في التنظير للأمور من مختلف الزوايا من نقاط ضعف العدو ونقاط قوته مركزين على القوة الداخلية التي تنبعث من روحهم الإسلامي.

4- الحركة الوطنية الجزائرية: أصولها ونشأتها من خلال الكتابات التاريخية

فحينما نبحث في السياسة فلا مجال لنا إلا أن تستعمل كلمة الأيديولوجية L'Idéologie وكان أول من استعمل كلمة أيديولوجية هو د. ستون دي تراسي (1754-1836) م عرفها على أنها "العلم الذي يرمي لدراسة الأفكار على أنها وقائع الوعي" والتعريف الجديد للأيديولوجية السياسية حسب الدكتور حسن صعب: "أنها نظام منسق من الأفكار والمعتقدات يفسر موقف الإنسان من المجتمع ويؤدي إلى اعتماد نسق من السلوك يجسم هذه الأفكار والمعتقدات ويتفق معها"[30] لهذا لا بد للتعرض إلى مواقف شخصيات جزائرية خلال المحطات التاريخية المذكورة سلفا من الاحتلال الفرنسي.

أولا: آراء المؤرخين حول بداية الحركة الوطنية مع بداية الاحتلال:

ا-من خلال موقف جزائري من احتلال بلاده:

هو سي[31] حمدان بن عثمان خواجة[32]الجزائري مولدا والكرغلي منشأ أصلا وقد كان نسبه وجاهة عظيمة وقدر رفيع لدى حكام الأترا ك العثمانيين في الجزائر وقد عمل أجداده في الوظائف السامية نظرا لثقافتهم وإخلاصهم للدولة العثمانية، ولد حمدان حوالي سنة 1775م بالجزائر في عهد محمد عثمان باشا، تلقى ثقافة عربية إسلامية[33].

-الوضع السياسي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي 1830 م:

كانت السياسة أنذاك يديرها العثمانيون الذين دخلوا الجزائر 1515م واستمروا بها حتى 1830م ومر حكمهم بأربعة عصور، عصر البيلر بايات (باي بايات) 1534م-1585م، عصر البشاوات 1585م-1659م، عصر الأغوات 1659م-1671م، عصر الدايات1671م-1830م ومن خلال هذا التقسيم يظهر لنا أن أن العثمانيين أقاموا بالجزائر مدة طويلة جدا وحكموا البلاد سياستهم وحمدان خوجة ولد في أواخر عصر الدايات 1671م-1830م وأنه توفي بعد مغادرة العثمانيين الجزائريين نهائيا بحوالي عشر سنوات وقد شهد هذا العصر اضطراب

كبير حيث كانت هناك ثورات داخلية التي يرجع سببها إلى سوء معاملة الحكام للرعية وإغفالهم عن الشؤون الضرورية وانشغالهم بتحقيق مصالحهم الخاصة وحب الانفراد بالرئاسة وانتهى مصيرهم بالقتل حيث قتل منه ستة دايات وتوفوا أربعة منهم كان حمدان يعمل في منصب مستشار أول لإتقانه اللغة الأجنبية وهذا في عهد العثمانيين[34].

من الملاحظ لتاريخ الفترة العثمانية بالجزائر أن سياسة الحكم كانت بيد العثمانيين لكن رغم هذا فقد شغل الجزائريين وظائف إدارية هامة خاصة ذو الثقافة الإسلامية والأشخاص المجيدين لغة ولهجة العثمانيين أمثال حمدان خوجة الذي كان قريب من السلطة ومن هذا نتساءل ما موقف الرجل من احتلال بلاده هل كان موقفه معارض أم مسالمى وراضي بهذا الاحتلال هل نشاطه كان نشاطا سياسيا؟ ولماذا يعتبر بعض المؤرخين أن بداية الحركة الوطنية الجزائرية كانت مع بداية الاحتلال خاصة مع حمدان خوجة؟ وللإجابة على ذلك تتعرض لآراء المؤرخين حول بداية الحركة الوطنية مع بداية الاحتلال.

-موقف حضر الجزائر من الاحتلال:

حسب ما ذكره أبو القاسم سعد الله في كتابه محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال أن المؤرخون الفرنسيون يتهمون حضر الجزائر أنهم كانوا يحلمون بالعودة إلى الحكم الإسلامي إلى الجزائر خلال السنوات الأولى للاحتلال ويذكر هؤلاء المؤرخين أن أعيان الحضر كانوا يعتقدون أن اتصالات شبه رسمية قد تمت لتحقيق عودة الحكم الإسلامي وبعد فترة قصيرة أدرك هؤلاء الحضر أن فرنسا جاءت لتبقى وكشفت لهم عن نواياه فقد طردت وشردت وأمام هذه الوقائع التي اقترفتها فرنسا من ذبح قبائل بريئة.. . التجأ حضر الجزائر إلى عدة طرق للتعبير عن عدم رضاهم ولك يبقى أمامهم سوى الشكوى والتدمر وكتابة العرائض والرسائل ومخاطبة الرأي العام باسم الإنسانية والكشف عن مساوئ الحكم الفرنسي، فمنهم من استسلم للظروف ومنهم من رضي بحياة المنفى ومنهم من تعاون مع السلطات الفرنسية راضيا أو مكرها[35] وكل هذه المعاناة كانت نتيجة للسياسة الفرنسية في الجزائر من وصولها في شتى المجالات أما عن الوضع السياسي في الجزائر في بداية الاحتلال له ميزات خاصة به.

ب- السياسة الاستعمارية في المجال السياسي 1830 م-1840 م:

لقد تميزت السياسة الاستعمارية في الميدان السياسي بميزة الظاهرة الاستيطانية بالجزائر إذ تعددت بين مدنية وعسكرية واتسمت بقوانين بصدور قوانين كثيرة وعملت هذه السلطة على تطبيق القوانين الإدارية بتأسيس محاكم قضائية مدنية وعسكرية وإسلامية[36].

عندما احتل الجنرال دوبورمون مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830م في التالي بإدراك إنشاء لجنة حكومية لتسيير شؤون الجزائريين وفي 16 أكتوبر 1830م قرر كلوزيل[37] إنشاء لجنة حكومية جديدة وتكون متخصصة في مجال العدالة الداخلية والمالية لكن هذا التغيير لم يحقق أي نتيجة لكون فرنسا كانت تعيش أوضاع فوضوية.

ونتيجة للتصرفات الارتجالية للقادة العسكريين في الجزائر أصدرت الحكومة الفرنسية مرسوم ملكي يفصل المسائل العسكرية عن المسائل المدنية عن طريق تنظيم إداري جديد من طرف مسؤولين منهم المسؤول

1-المسؤول الإداري والمالي والمدني:L'intendant civil

2-القائد العام Le commandant en chef

3-رئيس وحدات الاحتلال في إفريقيا

-مجلس الإدارة: Le conseil d'administration

ج-موقف حمدان خوجة من الاحتلال حسب الآراء التاريخية:

عند الاحتلال كان حمدان خوجة حاضرا في مدينة الجزائر وعلى حسب ما قيل أن كانت له اليد في الدعوة إلى اجتماع الحضر الذين طلبوا على إثره من الباشا الاستسلام، كما كلفه كلوزيل على رأس لجنة تقدير تعويضات الأملاك الصادرة وأسند له دراسة مطالب اليهود من فرنسا لدفع تعويضات عن القروض التي كانوا قد دفعوها إلى الكراغلة.

وقد اختلفت آراء الفرنسيين حول خوجة فبشون Pichon المتصرف المدني اعتبره رجلا قديرا أما كلوزيل فقد عزله واتهمه بالتآمر نظر لتعسف القادة العسكريين لهم بالتدخل في شؤون الإدارة الفرنسية والحملة التي قام بها بعض الجزائريين المنفيين خصوصا حمدان خوجة[38]ضد تصرفات الإدارة الفرنسية في الجزائر كل هذه الأسباب دفعت بالحكومة الفرنسية إلى إنشاء لجنة عرفت باللجنة الإفريقية

يوم 07 جويلية 1833م وصلت اللجنة إلى الجزائر بتاريخ 02 سبتمبر من نفس السنة وكان رئيسها الجنرال بوني Bonnet وكاتبها بيسكاتوري Piscatory [39] عادت اللجنة إل فرنسا يوم 09 نوفمبر وقدمت تقريرها إلى الحكومة الفرنسية واقترحت أن تحتفظ بالجزائر فأطلقت عليها اسم الممتلكات الفرنسية في إفريقيا وفي 12 ديسمبر 1833 م تشكلت لجنة ثانية من 19 شخصا برئاسة ديكازيس Decazes والتي نصح أعضاءها الحكومة الفرنسية ببسط السيادة الفرنسية على القطر الجزائري والسيطرة على الثروات[40] وحتى تحكم السلطات الفرنسية قبضتها على البلاد أصدرت يوم 22 جويلية 1834م مرسوم نص على على إلحاق الجزائر بالتراب الفرنسي يديرها حاكم عام تابع لوزير الحربية في باريس ويساعده مجلس استشاري[41] واتبعت فرنسا سياسة الاحتلال الجزئي حتى سنة 1840م حيث بدأت هذه السياسة بفتح المجال للاحتلال الشامل وكان الحاكم الذي عهد إلى هذه السياسة هو الجنرال بيجو[42] وقد ساءت حالة حالة الجزائريين من هذه المعاملات القاسية وقد صور حمدان خوجة وضع الجزائريين ومعاناتهم في كتابه المرآة الذي كتبه بباريس 1833م كما نجد كتابات عن حمدان خوجة توضح وتصف لنا تأثره لحالة أهل الجزائر تحت قبضت الاستعمار وذلك ما كتبه لوسات فلنزي في كتابه المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1790م-1830م بنص عنوانه "رأي مؤلف جزائري حول احتلال بلاده" «... أخيرا أتساءل لماذا تزعزعت بلادي من جميع أسسها الحيوية؟... وعندما أوجه نظري إلى بلاد الجزائر أشاهد أهلها المساكين وهم يرزحون تحت نير الاستبداد والإبادة...»[43].

وكان حمدان خوجة أول من تعرف على القومية بالمفهوم الحديث بطريقة رومانسية ورأى عدة دول أوروبية تتحور وتتمنى أن تكون الجزائر في عداد هذه الدول[44] ونخلص إلى أنه نهاية خوجة انتهت بها حركة اللجنة المغربية التي كانت تضم العناصر التاجرة والمثقفة والتي حاولت أن تلعب دورا خطرا بالوقوف بين عهد عثماني وفرنسي وحسب المؤرخ أن روما نتكية خوجة واعتدال بوضربة وعدم وجود قاعدة شعبية قد ساهمت في تصفية هذه الحركة[45] وقد كان أول جزائري رفع احتجاجه الصارخ فكان على رأس وفد من الجزائريين (الأهالي) عام 1832م طالب حكومة فرنسا بالاطلاع على مطامعها وآثارها[46] بل نستطيع حسب رأي مصطفى الأشرف أن نعتبر حمدان خوجة الأب الروحي إن صح التعبير للحركة

القومية الحضرية المعاصرة في صورتها المعتدلة فقد حاز هو وبوضربة على عطف بعض الوزراء الفرنسيين من ذلك العصر مما جعل المؤرخين القائلين باستعمال القوة والمؤيدين للحل العسكري يحذرون منه ويعتبرونه من المشوشين وأصحاب الدسائس.[47]

ثاني: آراء المؤرخون حول بداية الحركة الوطنية مع بداية نشاط الأمير خالد:

الأمير خالد هو حفيد الأمير عبد القادر محي الدين الهاشمي ولد بدينة دمشق العاصمة السورية في 20 فيفري 1875م فقد تلقى تعليمه الابتدائي بها[48] وقضى شبابه بها وفي سنة 1892 م رحل مع والده إلى الجزائر وقد أرسل على نفقة الحكومة الفرنسية إلى ثانوية "لوس لوغران" بباريس ثم التحق بكلية "سان سير" الحربية 1893م[49] كما شارك في الحرب العالمية الأولى في صفوف الجبهة الأوربية وقد وصل إلى رتبة نقيب[50] ثم عاد إلى الجزائر عام 1895م قبل إتمام دراسته وأشارت الدواوين السرية الفرنسية أنه كان سيء النويا اتجاه فرنسا مما أدى به إلى الإقامة الجبرية في بوسعادة وبعد ذلك التحق بمدرسة "سان سير" مرة ثانية فأتم دراسته ولم يتجنس بالجنسية الفرنسية أبدا وأدى الخدمة العسكرية في المغرب الأقصى في 1907 م وارتقى إلى رتبة قبطان عام 1908م[51] من خلال هذا السياق التاريخي لحياة الأمير خالد إلى غاية سنة 1908م نلاحظ أن هذه الشخصية في هذه الفترة عاشت حياة ميسورة واكتسبت ثقافة إسلامية وفرنسية كما أن الأمير خالد كان دائم الترحال بين سوريا وفرنسا والجزائر ففترة بقاءه بالجزائر كانت غير مستقرة كما نلمح أن هناك معاملة خاصة للسلطات الفرنسية للأمير خالد لإدراكها أن سيطرتها عليه هي بمثابة السيطرة على عبد القادر وكل هذه المميزات والمقومات في شخصية الأمير خالد عبد القادر تدفعنا إلى التساؤل هل استغل الأمير خالد ظروف حياته ومركزه السياسي وثقافته المزدوجة بين الإسلامية الفرنسية في تحديد فكره اتجاه الاحتلال الفرنسي والكيفية التي سيسلكها للمواجهة حسب ما تقتضيه المرحلة الجديدة بمتغيراتها الداخلية والخارجية؟

ولماذا اعتبر المؤرخون بداية الحركة الوطنية الجزائرية كانت مع بداية نشاط الأمير خالد؟ فيما تمثل نشاطه السياسي وما هي تأثيراته السياسية؟ وللإجابة على هذه

التساؤلات لابد للتطرق إلى اراء المؤرخون حول بداية الحركة الوطنية مع بداية حركة الأمير خالد.

لقد تعددت الآراء حول هذا الموضوع ونجد الكثير منهم ممن كتب عن ذلك,ذكر عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون من خلال كتابه الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر أن بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة 1918 م شاع مبدأ (تحقيق) حق الشعوب في تقرير مصيرها[52]وعلى هذا الأساس تشكل وفد من الجزائريين المتأثرين من الحرب توجهوا إلى فرنسا بقيادة الأمير خالد لتقديم مطالب إلى الرئيس الأمريكي ولسون الذي جاء بفكرة تقرير المصير لكن هذا الأخير رفض هذه المطالب وأمام هذا الرفض والموقف المتناقض خاب أملهم وقد حاولت فرنسا أن تغير الوضع الذي يعيشه الجزائريين (الأهالي) بإصدار إصلاحات جاء بها جورج كليمانصو رئيس الوزراء الفرنسي في 04 فبراير 1919م[53].

أما يحي بوعزيز في كتابه سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830م-1954م يبدأ بذكر فترة الكفاح المسلح التي قضاها الجزائريين ضد الاستعمار الفرنسي من 1830م فترة طويلة وقاسية قدم من خلالها السكان تضحيات كبيرة حيث استشهد أبناءه وعانى الآخرون التشرد من أراضيهم ويشير لنا المؤرخ أن مع بداية القرن العشرين أن الشعب الجزائري (الأهالي) فكر في تغيير أساليب الكفاح والعزم على إيقاف أشكال العنف وتجريب الطرق السلمية في إطار ثلاث تيارات حيث ذكر خان التيار الأول ظهر مع الأمير خالد حيث قال: «التيار الأول بدأ بمطالبة تحقيق المساولة بين الجزائريين وظهرت مع الأمير خالد ورفاءه في نهاية الحرب العالمية الأولى ثم تطور هذا التيار إلى المطالبة بالتجنس والإدماج للجزائريين (الأهالي) مع فرنسا وهي تجربة ابن جلول وفرحات عباس»[54]

أما عبد الرحمن بن محمد الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام الجزء الرابع يبرز أن نجم الأمير خالد تألق في عالم السياسة وبرزت شخصيته في الميدان كأبرز شخصية وطنية[55] قومية[56] وقد كانت الجزائر في تلك الفترة تعيش أشد الأزمات فالحقوق معدومة والمظالم والضرائب المرهقة والأحكام الجائرة والقوانين الزجرية[57].

وهذه الآراء والكتابات التي ترجح بداية الحركة الوطنية لبداية الأمير خالد تقودنا إلى معرفة نشاط ومواقف الأمير خالد السياسية وأهم تأثيراته السياسية في تلك الفترة.

- نشاط الأمير خالد السياسي بين 1919 م-1925م:

لقد شكل شخصية الجزائريين (الأهالي) الإسلامية على الصعيد السياسي خلال الانتخابات البلدية التي جرت عام 1919م أراد الشباب الجزائريون الانتفاع من قانون 04 فبراير 1919م فقد اتخذ الأمير خالد موقفا مختلفا ومخالفا فالمسلم الجزائري في نظره لا يقبل صفة مواطن أو جنسية أخرى إلا في نطاق شخصيته الخاصة والمحافظة على دينه وشريعته الإسلامية، ومن سنة 1919م-1923م سيطرت شخصية الأمير خالد على الحياة السياسية في الجزائر إلى نهاية 1925 م ويمكن اعتبار النشاط السياسي للقومية الجزائرية[58] حيث دخلوا في صراع متباين ضد الأوربيين[59].

- آراء ومواقف الأمير خالد السياسية:

من الكتابات التاريخية عن الأمير خالد تذكر في سنة 1916 م أنه سرح من الجيش الفرنسي بدعوة أنه كان مريض لكن المؤرخين الفرنسيين رأوا في تسريحه أنه كان تسريحا سياسيا وخلال الحرب العالمية الأولى طالب الأمير بمبدأ تقرير المصير وقد حمسته مبادئ ولسون حيث قدم في نهاية الحرب عند انعقاد مؤتمر الصلح 1919م العريضة التي تضمنت مطلب تطبيق المصير على الشعب الجزائري فكانت نهاية الحرب خاتمة عهد جديد على الحركة الوطنية التي انتهت بمقتل 250 ألف جزائري.

لقد خاض الأمير خالد تجربة سياسية في أعقاب الحرب إذ ترشح في الانتخابات ودافع عن آراءه التي كانت تتمحور حول المطالبة بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين مع محافظة الجزائريين على هويتهم الإسلامية كما أنشأ جريدة الإقدام وأسس جمعية الإيحاء وقد شكل خطر على فرنسا التي نفقه عام 1923م إلى فرنسا بتهمة التآمر على السلطة الفرنسية ورغم هذا كانت له تجربة يسارية بفرنسا وبعد 1925م. اتجه إلى دمشق وبقيت أفكاره مصدر تأثير للذين جاءوا بعده لاستمرار الحركة الوطنية الجزائرية.

- تأثيرات الأمير خالد السياسية:

أدى فكره إلى نمو تيار جديد سمي بالتيار الليبرالي تبنته جماعة البرلمانيين المتأثرين بأفكار الأمير خالد وهم من أصحاب المهن الحرة على رأسهم محمد صالح وفرحات عباس حيث كانت لهجتهم لينة اتجاه فرنسا فأصبح هذا التيار الليبرالي هو تيار معتدل يرى النواب أن الحل أن تبقى الجزائر مدمجة غير منفصلة عن فرنسا فكان هذا التيار السائد بعد نفي الأمير خالد.

ثالثا:اراء المؤرخون حول بداية الحركة الوطنية مع بداية نشاط النجم:

1-الوضع السياسي في الجزائر قبل تأسيس النجم:

ظلت الجزائر مدة طويلة أكثر البلدان الإسلامية إعراضا عن الأفكار الجديدة ففي سنة 1904م لم يثر مرور الشيخ محمد عبده انتباها وقد ذكر شارل أندري جوليان أن قسنطينة هي المنطقة التي تفتحت ببعض الأفكار إلى تأثيرات الشرق[60].

ومن التأثيرات كذلك التي أثرت في الجزائريين حيث يجدر بنا التنويه إليها بعض الشخصيات التي وقفت ضد التجنيد الإجباري منهم عمر راسم الذي كان يكتب المناشير بخطه ثم عبد الحليم بن سماية ذكر أن تجنيد المسلمين مقابل منحهم الحقوق السياسية والحرية هي ضربة قاضية على القومية الدينية أن يقع اندماجهم بالأمة الفرنسية[61]وأثناء الحرب العالمية الأولى فتحت أبواب الهجرة بتجنيد الجزائريين بالقوة ليحاربوا بجانب فرنسا وتهجير اليد العاملة لتخلف المجندين الفرنسيين وتزود الإنتاج الحربي وهذا الاختلاط بين العمال والجنود شكل لهم إحساس بكرامة الإنسان بالعيش وتتبعوا أحوال العالم وتقلباته ورأوا قيمة العامل ونظروا إلى أحداث بلادهم من بعيد وتتبعوا حركة وطنية في أرض الوطن لأن السياسة الاستعمارية لا تسمح بأي نشاط لا يكون في صالحها وفي غمرة هذه الأحداث التي تعاقبت على الجزائر تباحث العمال الجزائريون الذين بالمهجر وأحسوا أنهم القوة الوحيدة التي يمكنها أن تقوم بعمل جبار خاصة بعد موقف الكارت لدي قوش من مطالب الأمير خالد وكان آنذاك حرب الريف بالمغرب الأقصى على أشدها واسم الأمير عبد الكريم الخطابي على كل الألسنة فتقرر إنشاء حركة وطنية للكفاح السياسي على غرار الحركات الثورية العمالية تشمل تونس والمغرب والجزائر لأن وحدة آلام المستعمر واحدة[62].

2-أهم ما كتبه المؤرخون حول بداية الحركة الوطنية مع بداية نجم شمال إفريقيا:

يذكر شارل أندري جوليان أنه كان لمجموعة الدراسات المكتوبة بين سنتي 1921م و1930 م والتي جمعها فرحات عباس في مجلد فهي وثيقة هامة لدراسة نشأة الوطنية[63]أما الوثيقة المكتوبة التي وجدت بتونس فقد حددت تاريخ التأسيس بما لا يدع مجالا للتأويلات والتفسيرات البعيدة عن الواقع وحددت المطالب الأولى التي نستشف منها تأثيرات الأمير خالد والشيوعيين[64]رغم هذه الدراسات العلمية التي قام بها الأساتاذة: قداش وأجرون وبوقسه وغيرهم حول هذه النقطة، فإن الأمر لم يحسم بعد وما زالت الأقوال متضاربة فهناك من ينسبه إلى مصالي الحاج.

من ينسبه إلى الحزب الشيوعي الفرنسي وهناك من ينسبه إلى الأمير خالد وبالضبط إلى جماعته وهناك من ينسبه إلى مصالي الحاج. وحسب رأي زهير إحدادن فإن الجهات الثلاثة على صواب وذلك أن الجهات الثلاث سعت وبذلت جهود وتظافرت هذه الجهود وتوجت بهذا التنظيم السياسي بهياكله وقيادته ونشاطه السياسي ظاهرة سياسية لا ينكرها أحد فهو غير شرعي في نظر السلطات الفرنسية لم تستطيع حله لأنه غير موجود رسميا.

يرى أجرون «الإعلان عن تأسيس النجم في اجتماع عام يجعل هذا النظام غير سري» ويرى بوقسة «في نظر اللجنة المركزية للحزب اليوعي الفرنسي يجب على النجم أن يكون له وجود شرعي في فرنسا وغير شرعي في الجزائر»

أما محفوظ قداش في كتابه تاريخ الحركة الوطنية أن تأسيس النجم يخضع لثلاث مستويات يعني بروز النجم 1-الغطاء الروحي يعني الأمير خالد 2-الغطاء العلمي يعني مصالي الحاج[65].

ولقد كانت الهجرة الجزائرية هي أول من أسس حركة وطنية تحت اسم نجم الشمال الإفريقي وجاء في النص الأول للنجم أنها قررت منذ تأسيسها توحيد العمل مع كامل منظمات الطبقة الشغيلة الفلاحية وأسس لجنة مركزية ولجنة تنفيذية ومن خلال مطالبهم المتلخصة في 11 نقطة[66]وقد كان هدف جمعية النجم الدفاع عن المصالح الاجتماعية والمادية الثقافية لعمال المغرب العربي في

فرنسا ثم تطورت بعد ذلك إلى حزب سياسي يناضل استقلال أقطار المغرب العربي وتعتبر جمعية النجم أول حركة وطنية ذات قاعدة شعبية[67].

- خاتمة:

أن سر صمود المقاومة الوطنية الجزائرية يتمثل في أسسها المتينة وذلك في رجالات هذه المرحلة التاريخية التي حددها المؤرخون من 1830-1916 أو إلى 1920 حسب البعض الآخر إلى عدة مميزات منها:

- الطابع الأخلاقي الذي تميز به القادة الذي تم اختيارهم على قدر الاحترام الشعبي وكفاءتهم القتالية وعلمهم ونزاهتهم.
- التعبئة الشعبية وتظافر الجهود المخلصة عملا بوصايا الرسول –صلى الله عليه وسلم- الذي جعل جهاد النفس من الجهاد الأكبر ووقوف أبناء الأمة كالبنيان المرصوص.
- دقة التنظيم والتخطيط جعلت حركة الاحتلال بطيئة.
- اصلاحات بعض القادة أمثال الأمير عبد القادر ثبتت قواعد الدولة الجزائرية الحديثة.
- الاشتراك في هدف واحد هو مقاومة الاستعمار باعتباره غريب عنهم.
- إيقاظ الحس الوطني من خلال شخصيات شكلت المثل الأعلى للقبائل والطبقات الشعبية وقد ساندت قادتها ووثقت فيهم.
- فتحت هذه الثورات مع مطلع القرن العشرين مجالا للنضال السياسي.
- العبرة التي نأخذها من تضحيات شباب الأمس الذي كان يرمي بنفسه في سبيل تطهير بلاده من الأعداء فعلى شباب اليو والغد أن يقدم التفاني والإبداع والإخلاص في سبيل عزة الجزائر.

من خلال ما سبق وما عرضناه لآراء المؤرخين حول بداية الحركة الوطنية الجزائري فمنهم أرجع نشأتها إلى بداية الاحتلال والآخر إلى بداية حركة الأمير خالد والآخر مع نجم شمال إفريقيا وهذا يدل على تباين في الحكم على البداية الصحيحة للحركة الوطنية الجزائرية.

1- الاختلاف في مطالب هذه الحركات جعلها تتفاوت في نسبة ترجيح البداية لواحدة منها.

2- الأوضاع السياسية والاجتماعية الداخلية وكذلك الخارجية تغيرت خلال العقد الأول من القرن العشرين.

3- بالرغم من قصر مدة نشاط حمدان خوجة أثناء بداية الاحتلال فهذا لا يسمح لنا بالحكم عليه فإن العرائض المقدمة إلى المسؤولين الفرنسيين وما كتبه في كتابه المرآة دلت على وجود وعي وطني.

4- بعد الحرب العالمية الأولى كانت كخطوة أولى نحو الاندماج عن طريق التجسس.

5- من خلال المطالب التي قدمها الأمير خالد ووفده إلى مؤتمر فرساي سنة 1919 تأكد أن الهدف هو الاستقلال الاندماج والظروف الصعبة أوجبت الاكتفاء بالمطالبة بالمساواة في ظل الاندماج واستمر التيار الاندماج على يد بن جلول وفرحات عباس والأخضري.

6- اهم ما جاء عن نجم شمال إفريقيا جهره لكلمة الاستقلال.

رغم الاختلافات في الآراء إلا أن هذه التطورات أدت إلى التوعية والدفاع عن حقوق الجزائريين ومصالحهم كل فترة زمنية لها ظروفها الخاصة ونعتبر حركة الأمير خالد هي الأرضية الأولى لبداية الحركة الوطنية لمواصلة نجم شمال إفريقيا نشاطه السياسي فقد كانت البذرة الأولى وهذا لا يعني أن منذ الاحتلال لم تكن حركة بل العكس كان لموقف أعيان الجزائر أثر لبداية الحركة والوطنية وكل الآراء لها وجهة نظره في ذلك وبالتالي ليس هناك قاعدة تاريخية ثابتة لتزمين بداية الحركة الوطنية.

الهوامش:

[1] جيلالي بلوفة عبد القادر، الحركة الاستقلالية خلال الحرب العالمية الثانية 1939 -1945 في عمالة وهران، ط1، دار الأملعية، الجزائر، 2011، ص09.

[2] -ولد الحسن محمد الشريف، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال 1830 -1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2010، ص05.

[3] بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 73.

[4] لويسي رابح، بلاح بشير وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، الجزء الأول، (د.ط)، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص 216.

[5] الغالبية من المؤرخين يضيق إليه لقب الرجل المثالي في نؤتمر الصلح 1919 بمبادئه الأربع عشر.

[6]الحاج أحمد باي هو أحمد بن الشريف محمد ولد سنة 1784 من أب تركي وأم جزائرية، أنظر: موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1945، ص39.

[7] الأمير عبد القادر عشق طبيعة بلاده وأحب مظاهرها وعرف كيف يتخذ من مواقعها الاستراتيجية أرضا للقتال، أنظر حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808-1847، ج1، دار رائد للكتاب، الجزائر، 2005، ص10.

[8] محمد بن علال: لقد كان لنسبه ونشأته أثر كبير في تمكنه من مسك زمام الأمور في المقاطعة التي نصبه عليها الأمير عبد القادر، أنظر: موسوعة أعلام الجزائر 1830 – 1954، المرجع السابق، ص394.

[9]الشيخ بوزيان اسمه عبد الرحمن بن زيان من الأوراس، أنظر: نفس المرجع، ص86.

[10] فاطمة نسومر هي فاطمة بنت سيدي محمد بن عيسى من أسرة تنتمي إلى إحدى الطرق الصوفية في منطقة القبائل، أنظر: نفس المرجع، ص271.

[11] ولد الحسن محمد الشريف، مرجع سابق، ص06.

[12]نفس المرجع، ص ص: 6- 7 بتصرف.

[13] منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص43.

[14] نفس المرجع، ص290.

[15] بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص8.

[16] بشير بلاح وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة، 2010، ص48.

[17] موسوعة أعلام الجزائر، 1830-1954، المرجع السابق، ص273.

[18] عباس فرحات، ليل الاستعمار، تر: أبو بكر رحال، منشورات ANEP، الجزائر2005، ص21.

[19] فركوس صالح، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق 1844- 1871، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة2006، ص ص، 12 -13.

[20] المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، منشورات ANEP، الجزائر 2010، ص67.

21]بو عزة بوضرساية، الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري رجل دولة ومقاومة 1830 – 1848، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص130.

[22] موسوعة أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص44.

[23]المدني توفيق، المرجع السابق، ص67.

[24] ف. دينيزن، الأمير عبد القادروالعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر2009، ص11.

[25] موسوعة أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص275.

[26]نفس المرجع، ص109-110.

[27]قدورة زاهية، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، ص705.

[28] قنانش محمد، آفاق مغاربية، المسيرة الوطنية وأحداث 08 ماي 1945، منشورات دحلب، ص37.

[29] مداخلة نصر الدين سعيدوني في الملتقى الدولي عبد القادر رجل عابر للزمن يوم 25فيفري2012، تلمسان على الساعة 15:45.

[30] قنانش محمد، آفاق مغاربية، المسيرة الوطنية وأحداث 08 ماي 1945، منشورات دحلب، ص 34.

[31] سي: لفظ معناها السيد وهو لفظ إقليمي.

[32] خواجة: كلمة فارسية وهي لقب شريف يطلق على أعيان المدن.

[33] الكرغلي: هو كل من ولد بالجزائر من أب تركي وأم جزائرية.

[34] ترجمة بن عبد الكريم: حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، الطبعة الأولى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ص ص (83-89).

[35] نفس المرجع، ص-ص: 9-11.

[36] سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص -ص: 65-67.

[37] عمراوي أحميدة، السياسة الإدارية الفرنسية في الشرق الجزائري من خلال مشروع لويس بلانكي، مجلة المصادر، مجلة سداسية يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 06 مارس 2002، الجزائر، ص 81.

[38] بيجو ولد سنة 1772 تطوع في الجيش الفرنسي وعين جنرال 1802.

[39] بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص: 120.

[40] سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص-ص: 79-81.

[41] نفس المرجع، ص: 98.

[42] بوحوش عمار، المرجع السابق، ص: 122.

[43] بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص: 08.

[44] بلاح بشير، المرجع السابق، ص-ص: 48-49.

[45] بيجو، ولد سنة 1874 بمدينة ليمونخ الفرنسية تولى الحكم بالجزائر من سنة 1840 إلى سنة 1847.

[46] لوسيات فلنزي، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر 1796-1830، ترجمة حمادي الساحلي، تونس 1994، ص-ص: 145-146.

[47] قنانش محمد، آفاق مغاربية المسيرة الوطنية وأحداث 08 ماي 1945، نفس المرجع السابق، ص: 37.

[48] سعد الله أبو القاسم، محاضرات...، نفس المرجع السابق، ص: 83.

[49] المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص: 158.

[50] الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص: 207.

[51] بلاح بشير، المرجع السابق، ص: 94.

[52] قداش محفوظ، الأمير خالد، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، ص: 27.

[53] ابن العقون عبد الرحمن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة، الفترة اظلولى 1920-1936، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 75.

[54] قداش محفوظ، نفس المرجع السابق، ص 27.

[55] بن العقون، المرجع السابق، ص 62.

[56] بوعزيز يحي، المرجع السابق، ص: 86.

[57] المرجع السابق، ص: 73.

[58] الوطنية هي شعور الفرد بارتباطه بالوطن رابطة حقيقية حضارية.

[59] القومية: هي الشعور الذي تجعله الرغبة في العيش المشترك.

[60] الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، الجزء الربع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص: 471.

[61] بوحوش عمار، نفس المرجع السابق، ص: 219.

[62] أندري جوليان شارل، إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 132.

[63] قناش محمد، أفاق مغاربية، نفس المرجع السابق، ص-ص: 24-25.

[64] أندري جوليان شارل، نفس المرجع السابق، ص: 132.

[65] قناش محمد، آفاق مغاربية، نفس المرجع السابق، ص: 23.

[66] احدادن زهير، شخصيات ومواقف تاريخية، منشورات ANEP، الجزائر، 2002، ص: 114.

[67] قنانش محمد، قداش محفوظ، المرجع السابق، ص-ص: 40-41.

النشاط الجمعوي ودوره في تدعيم الحركة الوطنية بمدينة مستغانم: جمعية الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي أنموذجا

جيلالي حورية /مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (Crasc) وهران
أ.د ابراهيم مهديد، جامعة وهران 1. أحمد بن بلة

إن الجمعية أو المنظمة اصطلاح يدل على كل جماعة اجتماعية تأسست طوعيا من اجل تحقيق أهداف رسمتها لنفسها سواء في مجال الطفولة أو الشباب وما يرتبط بهما من انشطة تربوية، تثقيفية أو ترفيهية أو في مجال الحماية والمساعدة الاجتماعية[1]، وقد ذكر محمد القورصو بأن النادي كمصطلح قد ظهر على يد الشبان الجزائريين بينما تميزت الجمعية بطابعها الاجتماعي التربوي على يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[2]. واقتصرت المشاركة الجمعوية إبان المرحلة الاستعمارية على المجال الاجتماعي والثقافي والخيري في بادئ الأمر لتبرز فيما بعد أشكال جديدة للجمعيات المختلطة التي ضمت الأوربيين والجزائريين لتتحول تدريجيا الى مشاركة جزائرية ذات طابع التزامي نضالي وسياسي على اثر انفصال الجمعيات الجزائرية عن الأوربية لتدعيم وتقوية النضال الوطني[3]، وكانت فرنسا في عهد الإمبراطورية الثانية (1852-1870) قد سمحت لفئة من الجزائريين المسلمين وخاصة الأعيان ومساعدي الإدارة بالانضمام إلى بعض الجمعيات ذات الأغلبية الأوربية وخاصة الجمعيات التعاضدية، ففي وهران مثلا (والحال نفسه في مستغانم) نلاحظ أن هؤلاء الأعيان كانوا أعضاء بالمجالس المختلفة (البلدية، العامة والمفوضيات المالية) وكذا أعضاء بالتجمعات المهنية كما هو الحال بالنسبة لغرفة التجارة والزراعة ومؤسسات أخرى، وكانت الجمعيات التعاضدية التي ظهرت على اثر مرسوم 28 مارس 1852 هي التي استقبلت أكبر عدد من الأعيان في محاولة لجعلهم ينشرون هذه الأفكار بين الجزائريين[4].

هذا وقد ظهرت النوادي والجمعيات عندما بدأ الشعب الجزائري يستعيد أنفاسه واعتبرت نشاط جديد له صلة بالنشاط السياسي، وعرفت عمالة وهران

ظهور عدة نوادي وجمعيات قبل 1919 أبرزها النادي الوهراني سنة 1911 الذي كان ابن رحال الندرومي عضوا فيه، وجمعية التضامن الخيري الأهلية (1900 -1913)، نادي المسلمين بسيدي بلعباس (1910) وكانت هذه الجمعيات والنوادي تضم النخبة المثقفة بالدرجة الأولى من المعلمين، الصيادلة، الأطباء، الأساتذة والمترجمين وغيرهم، وعرفت مستغانم كباقي المدن بالغرب الجزائري ظهور عدة نواد وجمعيات مثل الجمعية الرشيدية سنة 1909 [5]، الى جانب تأسيس الجمعية الفرانكو جزائرية والمعروفة باسم اتحاد الهلال "Le Cercle Du Croissant"سنة 1913، الى جانب جمعية الفلاح للكشافة، جمعية الإخوان المسلمين بالمكتب الفرنسي وجمعية الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي[6].

ونشير هنا أن الجمهورية الفرنسية الثالثة (1870-1940) قد فتحت عهدا جديدا بمنعها حصول الجزائريين على الحريات السياسية والشخصية خاصة بعد صدور قانون الأهالي سنة 1881السالف الذكر ليتم بذلك اقصاء الجزائريين من التمتع بالحريات العامة التي يتمتع بها الفرنسيون، وعلى اثر صدور قانون 1 أبريل 1898 ظهر عدد من المؤسسات التعاضدية الأهلية، كما سمح شارل جونار عند وصوله إلى الحكم بالجزائر (أكتوبر 1900 – جوان 1901) للجزائريين بفتح عدد من النوادي في ظل نشاط الشبان الجزائريين في القطر الجزائري، وخلال فترة حكمه الثانية (ماي 1903 – فبراير 1911) فتح الأبواب على مصراعيها أمام تأسيس الجمعيات الإسلامية التي كان قانون 1 أبريل 1898 قد سمح بها واعتبرت هذه المرحلة بمثابة "ربيع الجمعيات" بالنسبة للجزائريين[7]، مع العلم أن قانون 1901 الخاص بالترخيص بتأسيس الجمعيات لم يخص سوى أولئك الذين يتمتعون بحقوق المواطنة الفرنسية[8]، وحسب الدراسة التي قام بها احمد بوكابوس حول الجمعيات بعمالة الجزائر فيما بين (1900-1962) فان عدد التنظيمات التي كانت خاصة بالفرنسيين قد بلغ 3481 بنسبة 88.39 %، التنظيمات الخاصة باليهود عددها 40 بنسبة % 1.02، تنظيمات المعمرين من غير الفرنسيين عددها 81 بنسبة 2.06 % لتصل بذلك نسبة التنظيمات الخاصة بالفرنسيين والمعمرين الى 91.47 % ليبقى للجزائريين ما نسبته 8.53 % فقط وأغلبها جمعيات رياضية وفنية مع الإشارة إلى أن هذه التنظيمات لم تؤسس لرد الفقر والجهل وترقية المستوى الاقتصادي والاجتماعي والفكري للفئات المحرومة،

بل كانت موجهة الى شرائح اجتماعية خاصة عمل المعمر على استعمالها لخدمة مصالحه[9].

و تبعا لقانون 1901 السالف الذكر فقد ظهرت ثلاثة أنواع من الجمعيات فيما يتعلق بالتكوين وهي:

- ❖ جمعيات مختلطة تضم أوربيين وجزائريين وهي جمعيات ظهرت في اطار الحركة النقابية والعمالية، أو نشطتها التيارات الليبرالية.
- ❖ جمعيات ضمت الأوربيين المعمرين فقط
- ❖ جمعيات أسسها الجزائريون أي المستعمرون الوطنيون، وهي جمعيات رياضية مع حملها اسم "اسلامية"، جمعيات دينية، جمعيات خيرية (ابتداء من 1930) وجمعيات أخرى متنوعة (ثقافية، اجتماعية وتربوية) والتي سيكون لها دور سياسي ومشاركات في الحركة الوطنية [10].

اعتبرت هذه النوادي بذور للنهضة الوطنية واختلفت اهدافها باختلاف انشطتها في المدن التي وجدت بها والأوساط الاجتماعية التي أسستها[11] لتظهر مساهمتها في المقاومة والنضال الوطني[12]. فهذه النوادي الموجودة بالمدن الكبرى قد استبدلت الحصائر المعهود تواجدها بالمسجد والزاوية بالكراسي، قد يتوفر بها مقهى، مكتبة أو قاعة للمحاضرات والدروس، تناقش فيها مختلف المواضيع الثقافية، الاجتماعية والسياسية[13]. لذلك اختلفت الأدوار التي لعبتها هذه النوادي من اماكن للتثقيف الى نواد سياسية حقيقية تناقش فيها مشاكل السياسة وقضايا الساعة المحلية والعالمية. وفي الدراسة التي أقيمت حول النوادي بعمالة الجزائر والتي يمكن اسقاطها على عمالة وهران، حول نوعية وطبيعة التنظيمات من 1900 الى 1962 والتي ذكرناها سابقا ظهر أنه كان هناك تنظيمات تحمل طابع اداري سياسي بنسبة 6.82 % وتخص التجمعات الأوربية التي تعمل على تنظيم نفسها على شاكلة المجتمع الأوربي وتندرج تحتها المؤسسات التبشيرية التي كانت تمارس نشاطها بموافقة الإدارة وتوجيهها.

أما بقية التنظيمات (اجتماعية 40.06 %، ثقافية 19.83 %، رياضية 25.46 %، دينية وفلسفية بنسبة 3.57 %) فكانت أنشطتها موجهة الى الجاليات الوافدة من أجل توفير شروط العمل، السكن، الصحة، الدراسة، الترفيه وربط العلاقة بينها

واظهار الهدف الذي جاءت من أجله وتوحيد جهودها للمحافظة على الامتيازات التي وفرتها لها القوانين التمييزية بين الجزائريين والأوربيين [14]. كما خضعت بعض هذه النوادي للحركة الإصلاحية عند ظهورها في القطاع الوهراني، بينما اتسمت أخرى بانتساب أعضائها عقائديا الى نجم شمال افريقيا وبعده حزب الشعب الجزائري، وغالبا ما اقتسم كل من الإصلاحيين والنجميين أنشطة بعض النوادي الهامة في المدن بينما خضعت بعضها لكل من العلماء والشيوعيين خاصة بعد انتصار الجبهة الشعبية [15] بفرنسا سنة 1936. [16]

واستهدفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بين (1932 -1934) اشعار الجزائريين بأحوالهم الاجتماعية، الثقافية والدينية عن طريق القاء المحاضرات واثارة المناقشات الثقافية والدينية بالأندية، المساجد والزوايا واقناع الجميع بضرورة فتح المدارس لتعليم أبنائهم اللغة العربية[17]، ورغم الرقابة المفروضة على كل تحركات الجمعية ابتداء من 1934 [18] بسبب ادراك السلطات الاستعمارية لأهمية الدور الذي تلعبه الجمعية في النوادي المختلفة خاصة وأن هذه الأخيرة كانت تؤيد حركة العلماء وفسحت لهم المجال لنشر دعوتهم، وما كان يقلق فرنسا حول هذه النوادي هو عدم تحكمها في التعليم المقدم من طرف هذه الجمعيات وقد توصلت تقارير الشرطة ومراكز المعلومات الفرنسية الى ان دروس اللغة العربية التي تقدمها بعض هذه الجمعيات ماهي الا أنشطة سياسية غير مباشرة اذ عادة ما تبدأ بأناشيد وطنية ثورية منها "الجزائر جزائرية" وهو أمر يعمل على غرس فكرة الوطنية ويساعد على نشر الوعي السياسي ورأت فيها أسلوبا جديدا لمقاومة سياستها المختلفة، فسياسة التجهيل قوبلت برغبة الجزائريين في فتح مدارس جديدة وتقديم دروس صيفية لفائدة التلاميذ، وسياسة التنصير حوربت بظهور عدة جمعيات ونواد ذات ميول دينية اضافة الى ظهور جمعيات خيرية تحاول تقديم المساعدة المادية لفائدة الأسر المعوزة [19] و لعل أهم جمعية تم تأسيسها في مستغانم هي الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي.

نضيف هنا ان هذه النوادي الثقافية التي ظهرت بالغرب الجزائري كانت ذات أهداف مختلفة باختلاف أنشطتها في المدن التي وجدت بها والأوساط الاجتماعية والثقافية التي أسستها لذلك شكلت أماكن لنشر الثقافة وعقد الاجتماعات [20]، مع التركيز على أن التنظيمات الخاصة بالفرنسيين والأوربيين كانت تزداد وتتدعم

في حالة النمو والرخاء الاجتماعي والاقتصادي وتنكمش وتتناقص أثناء الحروب، أما بقية الجزائريين وهو ما يهمنا، فكان لليقظة الوطنية دور في ازدياد عددها خاصة الجمعيات الإسلامية وهذا ابتداء من سنة 1930 التي تصادف الذكرى المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر [21].

جمعية الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي (ا أ ا م):

تعتبر جمعية الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي من أهم الجمعيات التي لعبت دورا ثقافيا وسياسيا معتبرا، تأسست سنة 1925 بمستغانم [22]، وأعيد تأسيسها نهائيا سنة 1931 بإشراف عائلة ابن حلوش مصطفى والمنور عبد القادر [23] وهي عائلة اتبعت الحركة الإصلاحية مبكرا في القطاع الوهراني، ويبدو أن النخبة الأولى المؤسسة لهذا النادي كانت ذات ميول اصلاحية ولكن مع الثلاثينات ومع شخصية ابن حلوش بلقاسم وتأثير أنصار الحركة الاستقلالية أصبح تابع للنجم [24]، ويرى الكاتب عمر كارلييه أن تشكيلة نخبة النادي فريدة ومتناقضة، فقد كان ناشطوها في البداية شبان تأثروا بأفكار الحركة العمالية المحلية (عمال الموانئ) وكانت تضم جميع التيارات، لكن ابتداء من (1931-1932) أصبحت تشكل نواة نجم شمال افريقيا الذي يعتبر الحزب الأكثر تواصلا واستمرارا بالجزائر، وأصبح عطاؤها أكبر فيما بين (1934-1936) دون أن يحوله أعضاؤها الى فرع من فروع هذا الحزب، لذلك فعند حل النجم في 26 جانفي 1937 لم يتعرض أعضاء هذا النادي للسجن [25]، كما ضم هذا الاتحاد شعبا من جمعية العماء المسلمين الجزائريين ونظم تدريسا منضبطا بحي تيجديت المعروف بالحي العربي بمستغانم وأعد مكتبة هامة للصغار والكبار وضم حوالي 120 عضوا من مختلف الطبقات الاجتماعية [26].

- نشاط الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي:

أما نشاط هذا النادي فقد كان متنوعا، من القاء المحاضرات كما هو الحال بالنسبة للمحاضرة التي ألقاها " سفير البودالي "بعنوان " فيكتور هيقو والشرق " بالمسرح البلدي بمستغانم على الساعة السادسة والنصف مساء، وحضرها حوالي 150 شخص منهم 15 أوربي وذلك في جوان 1936 [27]، وفي 13 أكتوبر 1936 مر مصالي الحاج[28] الذي كان مدير جريدة الأمة التي تنتشر بباريس وعضو اللجنة

الإدارية لنجم شمال إفريقيا المجيد بمستغانم، وعند وصوله تم استقباله من طرف مسيري اللجنة المحلية للاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي وهم ولد عيسى بلقاسم (تاجر)، بن عليوة مصطفى (تاجر)، كورغلو محمد (كهربائي)، بن برنو غالي (حلاق)، ابن عنتر قدور (ممرض)، تادلويت جيلالي (ممرض بالمستشفى المدني)، جيلوات بلحول (خياط) وغيرهم وتوجه في نفس اليوم إلى الاجتماع الشعبي المنظم من طرف أعضاء الاتحاد أين كان من المفروض ان يتقدم بكلمة ولكن (كما ذكر في الوثيقة) كل من بوتارم (معل) وبن يزة قد أقنعاه بعدم التدخل لتفادي حدوث اضطرابات نتيجة ذلك. وفي الغد أي بتاريخ 14 أكتوبر عقد عدة لقاءات جمعته بأعضاء هذا النادي ومع السيد ابن كريتلي محمد المستشار البلدي، طاهر أحمد (أستاذ اللغة العربية)، ابن حلوش بلقاسم من العلماء وغيرهم. وفي 15 أكتوبر ألقى محاضرة خاصة شرح فيها وعرض برنامج النجم وامتدح فيها زعيم هذا الحزب حكومة الجبهة الشعبية [29] التي كان الجزائريون يعقدون عليها عدة آمال.

و بتاريخ 4 ماي 1937 زار المدعو "عبد الباقي بن اسماعيل"[30] وهو عضو بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين مدينة مستغانم وأقام بها عشرة أيام، ألقى فيها محاضرة بمقر نادي الاتحاد وقام بزيارة للشيخ ابن حلوش بلقاسم ليتوجه بعدها الى وهران أين استقبله[31] الشيخ الطيب المهاجي[32].

اهتم هذا النادي أيضا في اطار نشاطاته الثقافية بالفن كما هو الحال بالنسبة للمسرح، فقد نظم حفل موسيقي بمقره بحي تيجديت يوم 1 مارس 1939، حضره حوالي خمسة عشر شخصا من الجزائريين منهم: دواجي حمو (عامل بالميناء)، بوساحة حاج محمد (عامل بالميناء)، ددوش عبد القادر (بائع خضر) وكلهم كانوا من سكان هذا الحي، تم خلال هذا الحفل ترديد أناشيد دينية من طرف السيد بن سعيد حاج بلقاسم المدعو "ولد سعيد" مرفوق بشخص يعزف على آلة الدربوكة[33].

وقد كتب مصطفى بن حلوش مقالا بجريدة البصائر سنة 1938 وصف فيه نشاط جمعية الاتحاد الأدبي المستغانمي حيث تحدث عن وجود حركة تعليمية وصفها بالمباركة بمدينة مستغانم تقوم بها هذه الجمعية بعد عناء وجهد

كبيرين بذلتهما لمواجهة العراقيل المتنوعة. وتحدث عن زيارته لمقرها يوم الجمعة 18 فبراير 1938 في الدار التي استأجرتها مؤخرا واتخذتها مدرسة للتربية والتعليم وتحدث عن استقباله من طرف بعض أعضائها المباشرين للتعليم بها واطلاعه على أقسام المدرسة وعدد التلاميذ وبرنامج التعليم، وذكر أن الأقسام كانت مستكملة للشروط وأن عدد التلاميذ كان يقارب المائة مع اشارته الى النقص الذي كانت تعانيه برامج التعليم الذي كان مقتصرا حسبما ذكر على القراءة والكتابة لأن الذين يقومون بعملية التعليم متطوعين فقط وهو ليس من اختصاصهم بل دفعتهم الغيرة والحماس للغتهم وأبناء ملتهم، كما ذكر سعي أعضاء الجمعية لإعداد الوسائل لإحضار المعلمين الأكفاء، ودعا في آخر المقال سكان مستغانم والأغنياء منهم خاصة وحثهم على دعم هذا المشروع والحرص على بقائه مؤكدا أنه لا حياة لأمة الا بلغتها ولا عزة لشعب الا بدينه وتاريخه ودعا أيضا إلى المحافظة على المشاريع التي تخدم الدين، اللغة والتاريخ ببذل الأموال لتعليم الأبناء والبنات [34]،و على اثر هذا المقال كتب أحمد غلاب أحد تلاميذ الجامع الأخضر مقالا عبر فيه عن سروره وارتياحه لمظاهر الحياة العلمية الحديثة لمستغانم ودعا الشباب الى النهوض بها وأبدى عزمه على مشاركتهم في ذلك [35].

وهكذا فقد تنوعت نشاطات النادي من ترفيهية، تربوية وسياسية، حيث كان يقوم بنفس الدور والنشاط الوطني الذي يقوم به أي فرع من فروع النجم، فحسب تقارير محلية كان هذا الاتحاد يتلقى منشورات مختلفة طبعت من طرف الحزب المصالي أو مستوحاة من فكر هذا الحزب، فالشعور الوطني داخله كان يتبلور أكثر فأكثر مع ظهور خلايا أحباب الأمة والمتعاطفين مع النجم، الأمر الذي يبين بداية نشاط النجم بهذه المدينة [36]. كما كان للتعليم الذي انتهجه هذا النادي أثر في المتابعة الإدارية له حيث كانت قد فرضت شرط الحصول على رخصة للتعليم الحر، لذلك فتبعا للمراسيم 23 أوت 1898، 23 أكتوبر 1934، 21 فبراير 1936 والمرسوم 18 أكتوبر 1892 وخاصة البند الخمسين، قرر الحاكم العام لوهران G.Le Beau الغلق الفوري للمدرسة الخاصة التي أسسها الاتحاد الأدبي والتي كانت تقع بحي طوريس، رقم 55 مستغانم[37]. وتواصلت المضايقات الإدارية لنشاطات هذا النادي، ففي تقرير وجهه عزوز بوراس السكرتير المترجم للإدارة (وكان أحد العيون الفرنسية على الجزائريين) حول

"النشيد الوطني الجزائر" وترجمته وبيعه، حيث وصلته معلومات مفادها أن هذا النشيد وصل الى مستغانم عن طريق المدعو "زيان محي الدين" من طرف كاتبه "مفدي زكريا "الذي نشره في كل مكان مثل مستغانم وغليزان، وأخبره أحد أعضاء الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي وجمعية العلماء المسلمين وهو "ابن جلوات بشير " أن" مفدي زكريا" أعطاه النشيد وطلب منه توزيعه، وادعى جلوات أنه لا يجيد اللغة العربية وبأنه لم يكن يعرف ما يوجد بالمنشور، ولكن السلطات تمكنت من تكذيبه والحصول على اعترافه، علما أنه تم بيع هذا المنشور بقيمة 1 فرنك، وبالمقابل لما علم أعضاء الاتحاد الأدبي المستغانمي بإلقاء القبض على أحد أفراد ناديهم وبداية التحقيق معه، قاموا بالتخلص من كل الوثائق الخاصة بحزب الشعب والنشيد مع وصول معلومات للإدارة الفرنسية بوجود بيان لمصالي الحاج كان ممنوع تداوله بمستغانم[38].

وباقتراب الحرب العالمية الثانية زادت المراقبة الاستعمارية لنشاطات النادي، خاصة وأنه أصبح يمثل نجم شمال افريقيا ويعمل على نشر أفكاره. ورغم أن التقارير التي كانت قد وجهت لرئيس عمالة وهران لم تذكر أي اشارات لنشاط النجم بدائرة مستغانم الا أنهم عثروا على بعض المطبوعات التي كانت تحمل أفكار النجم ونشرت بمستغانم بفضل جهود أعضاء هذا الاتحاد، كما أن هذا الأخير كان يستقبل كل مرة جزائريين ينتمون الى حزب النجم. ومن جهة أخرى فقد استقبل هذا الاتحاد جريدة الأمة وعمل على نشرها الى جانب بيع رموز وربطات عنق تحمل شارة النجم، وأكد رئيس دائرة مستغانم على أن هذا الاتحاد أصبح ممثل للنجم وتجمعات أحباب الأمة وحزب الشعب الجزائري بمستغانم[39].و في تقرير آخر للإدارة الفرنسية بعنوان "الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي لنشر اللغة العربية "ذكر أن أعضاء هذا النادي قد بلغ حوالي 120، وأنه أبدى منذ بداية 1937 ميولا واتجاهات وطنية وبأن رئيسها كان "بن عومر بن عودة" (40) (كاتب عمومي) ولها نائبين هما "بن جلواط بشير" (خياط) (41) و"حاج علال دحمان "(صانع أحذية)الى جانب "ابن برنو علي "الذي كان نائب بلدي[42]، وأكد التقرير على أن الأكثر نشاطا من بين هؤلاء كان كل من "عيسى بلقاسم "،"بن جلوة محمد عمر" (طالب حر) و"بن عليوة مصطفى" الابن(بائع دجاج)[43].

مع الإشارة إلى أن اتجاه الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي بدا واضحا عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد القاء القبض على مصالي الحاج ورفاقه حيث قام أعضاء هذا الاتحاد بتوزيع مجموعة من المناشير يوم 2 سبتمبر 1937 على الساعة الثالثة مساء وكانت تخص فدرالية حزب الشعب للقطاع الوهراني ومما جاء فيها: "أيها المسلمون الجزائريون، مرة أخرى يضرب التعسف الاستعماري الجزائريين مصالي، زكريا، حسين سي ابراهيم.. . تم القاء القبض عليهم.. . هذه الاعتقالات تتم في ظل حكومة الجبهة الشعبية موجهة ضد مطالب وآمال الشعب... ان انتشار حزب الشعب الجزائري متزايد وخاصة بعد مجيئ مصالي الحاج.. . أيها المسلمون ان الجزائر أمام منحى خطير من تاريخها..."[44]. وكان يوم 1 سبتمبر 1937 قد خصص لجمع التبرعات التي توجه لدفع ثمن تنقل محاميين بمكتب باريس كانا قد كلفا بالدفاع عن مصالي الحاج المحتجز، ومن بين المكلفين بدفع هذه التبرعات أعضاء من الاتحاد الأدبي المعروفين بتوجهاتهم الوطنية وهم: ابن عنتر قدور، ابن برنو معمر، ولد عيسى بلقاسم، ابن عليوة مصطفى[45]. ويبدو أن القاء القبض على مصالي قد أجج شباب هذا الاتحاد حيث ذكر في تقرير آخر بنفس الأسبوع أنه وصل يوم 5 سبتمبر 1937 كل من معروف بومدين ولد حسين (ساكن بتلمسان)، قنانش محمد ولد عبد الرحمن (تاجر بتلمسان)، غالي أحمد ولد مداني (محضر قضائي بالقنصلية العامة لإيطاليا بالجزائر)، وكلهم من أصحاب الدعاية لصالح حزب الشعب الجزائري، وصلوا الى مستغانم لعقد اجتماع للتنديد بإلقاء القبض على مصالي الحاج، ولدى وصولهم ونزولهم من القطار طلبت منهم مصالح الشرطة التقدم الى محافظة الشرطة المركزية، أين اطلعوا على قرار منعهم من الاجتماع الذي كان سيحضره أعضاء من الاتحاد، ولم يبد هؤلاء أي معارضة لقرار الشرطة الفرنسية والتزموا بتطبيق الأوامر، وفضلوا تمضية المساء بالبحر ويبدو أن ذلك لم يكن سوى استراتيجية لتخفيف المراقبة والتمويه باللامبالاة فبالليل دعاهم كل من ابن عليوة مصطفى وابن برنو معمر وابن عنتر قدور، ولد عيسى بلقاسم وبخلوف عبد القادر للعشاء عند ابن برنو بلقاسم ولد الحاج. وفي الصباح ودائما رفقة أعضاء هذا الاتحاد ركبوا الحافلة وتوجه معروف بومدين، قنانش محمد ولد غالي نحو وهران بعدما منعا من عقد اجتماعات بغليزان[46]. وفي يوم 2 نوفمبر 1937 على الساعة التاسعة ليلا، قام

كل من ابن برنو حاج معمر، ولد عيسى بلقاسم، شويرف عبد القادر (عامل يومي)، بن خلوف عبد القادر (عامل بشركة الغاز) وكلهم أعضاء بالاتحاد الأدبي المستغانمي وحزب الشعب الجزائري، بالتنقل ليلا بالحي الأهلي تيجديت لدعوة التجار المسلمين به لغلق محلاتهم كتعبير عن موقفهم حول سجن مصالي ومحاكمته، غير أنه وحسب محافظ الشرطة لم تلق هذه الدعوة استجابة من طرف الأهالي وبقيت المحلات مفتوحة[47] والمرجح أن عدم الاستجابة تعود الى الضغوطات الاستعمارية على سكان الحي اذي كان معروفا بالتوجهات الوطنية لسكانه وشبابه خاصة.

وواصلت جمعية الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي نشاطاتها الإصلاحية والدعائية ومحاولة زيادة عدد أعضائها الذين كان الكثير منهم أعضاء بفوج الكشافة الإسلامية "الفلاح" أمثال بن قدادرة علي، فارس بن ذهيبة وابن برنو علي الذي كان مراقبا بسبب معاداته لفرنسا إلى جانب ابن حلوش عبد القادر حيث أعطيت الأوامر لمراقبتهم سرا[48]. وظلت قضية اعتقال مصالي الحاج تسيل الكثير من الحبر وتثير العديد من النقاشات، ففي مراسلة وجهها حاكم دائرة مستغانم الى رئيس عمالة وهران، ذكر فيها أن أعضاء الاتحاد الأدبي المستغانمي لا يتجاوزون الستة (6) وأنهم عقدوا عدة لقاءات منذ تحديد تاريخ محاكمة مصالي الحاج وبقية أعضاء حزب الشعب الجزائري، وذكر في التقرير أن الحكم على مصالي بالسجن لسنتين قد أثر عليهم حيث اعتبروا الحكم قاس، وفي 7 نوفمبر 1937 وصلت معلومات عن بيع بطاقات بريدية سرا بمستغانم بها صورة لمصالي الحاج فوق تصريح لشكيب أرسلان[49] يذكر فيه أنه لو كان كل الشباب المسلم على شاكلة قادة حزب الشعب لكان الإسلام حرا منذ زمن، وتم وقف بيع هذه البطاقات بعد مصادرة سبع نسخ من طرف ضابط الشرطة بمستغانم، ونفس الشيء بالنسبة للبلديات المختلطة: كلانشان، جبل الناضور، عمي موسى، زمورة، كاسان وتيارت[50].

وتواصلت المداهمات لمقر الاتحاد الأدبي ومنازل أعضائه بسبب إدراك السلطات الاستعمارية لتوجهه الوطني وانتمائه الى حزب الشعب الجزائري، حيث قامت سنة 1938 بمداهمة منازل أعضائه وعلى رأسهم ابن عليوة مصطفى، ولد

عيسى بلقاسم، ابن برنو الحاج معمر، ابن عنتر قدور، ابن خلوف عبد القادر وشويرف عبد القادر[51]. وفي هذا الصدد أطلعتنا جريدة البصائر على مقال بعنوان "حول التعليم ومضايقته"باسم أحد المتطوعين الذي كتبه باسم مستعار "ح" حيث لام الكاتب سكان مستغانم على عدم التعرض والتنديد بالضغوط التي تفرض على اللغة العربية وتعليمها ومما جاء في هذا المقال" يا أهل البلدة لم نر إلى الآن من مد يده منكم للكتابة بالعربية معلنا ولو ببعض المظالم الواقعة من الحكومة المحلية، أو تفضل بالخطابة العربية ببني بلدته أو كون جمعية اصلاحية بحتة أو مدرسة عربية عصرية أو أنشأ بها نوادي إسلامية جمع فيها شتات بني بلدته" واستثنى كاتب المقال جمعية الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي التي تكونت حسبما ذكر منذ عشر من السنين ونيف والتي كان يرأسها في أول شأنها الدكتور ابن التهامي وانسحب منها منذ مدة لأسباب (حسب كاتب المقال) يعلمها هو، وواصل أن الجمعية أصبحت على وشك الاضمحلال لعدم وجود من يقوم بمهمة التعليم فيها ولقلة مشتركيها وعدم ضبط نظامها وقلة مالها، لأنها لقيت من الحكومة أنواعا من البلايا والمحن واتهمت حسب الكاتب دائما بأنها شعبية وطنية وفرع من فروع حزب الشعب الجزائري، علما أنها جلبت منذ حلول شهر رمضان المعظم مدرسا جديدا هو الشيخ محمد العتيل التونسي، وذكرت الجريدة أنها نشرت المقال كما جاء لما فيه من عموميات صحيحة، ودعا أهل مستغانم إلى اجابته بالعمل أو ببيان عن عملهم، وبالفعل فقد ورد الرد بالعدد 148 بعنوان "حركة مستغانم" حيث جاء باسم السيد بخلوف عبد القادر، ومما جاء فيه أن بلدة مستغانم شاركت البلدان في الاحتجاج ونشرت احتجاجها بصحيفة La Défense خلافا لما ذكره كاتب المقال "ح"، وواصل في مقاله أن جمعية الاتحاد الأدبي المستغانمي كانت تعلم حوالي مائة وثلاثين تلميذا حتى صدور قانون 8 مارس الذي منع التعليم والاحتجاج [52]، مع الإشارة هنا الى أن كاتب المقال الأول قد يكون مصطفى بن حلوش لأنه سبق وأن كتب مقالا باسم مستعار "H ".

وهكذا فقد لعبت هذه الجمعية دورا بارزا في اطار الحركة الوطنية بمستغانم بفضل عدد من الوطنيين الذين حملوا على عاتقهم نشر الأفكار التحررية وتكوين شباب واعي لواقع وطنه ولمتطلبات المرحلة اللاحقة من النصال الوطني الجزائري.

الهوامش:

1 - بوكابوس احمد، "مقاربة سوسيوتاريخية لوضعية التنظيمات الاجتماعية الثقافية "، نموذج الجمعيات التي تنشط في ميدان الشباب، الحركة الجمعوية في الجزائر، الواقع والآفاق، تنسيق الزبير عروس، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، البرنامج الوطني للبحث، السكان والمجتمع، دفاتر المركز، رقم 13-2005، ص 60

2 – El Korso Mohamed, Les Affinités Politiques des Islahistes à partir d'une approche monographique , Le cas de l'Oranie, 1931-1940 ,Recueil de conférences , l'Etoile Nord-Africaine et le mouvement national Algérien , Actes du colloque du 27 février au 1er mars 1987 ,Centre Culturel Algérien ,Paris , 1988, p. 272

3 - عمر دراس، " المشاركة الجمعوية وعلاقة الشباب بالسياسة في الجزائر "، الحركة الجمعوية بالمغرب، تنسيق عمر دراس، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، العدد 5، 2002، ص 15

4 - Sadek Ben Kada « Revendication des libertés publiques dans le nationalisme Algérien, le cas de la liberté d'association (1919-1954) », Le Mouvement Associatif au Maghreb, Centre de Recherche en Anthropologie Sociale et Culturelle (CRASC), Coordonnés par Omar Derras, ED CRASC, N5, 2002,p 108

5 - مهديد ابراهيم، الحركة الوطنية الجزائرية في القطاع الوهراني ما بين 1919-1939، النهضة والصراع السياسي، دار القدس العربي للنشر 2015، ص 129

6 - البصائر، السنة 4، العدد 148، الجمعة 22 ذي القعدة 1357هـ / 13 جانفي 1939، مستغانم، " ح "، ص 8

7 - Sadek Ben Kada, op cit, p 109-110.

8 - Ibid., p 111

9 - أحمد بوكابوس، المرجع السابق، ص 71

10 - Arab savoirs, L'Algérie 50 ans après, Etat des savoirs en sciences sociales et humaines, 1954-2004, sous la direction de Nouria Benghabrit –Remaoun , Mustapha Haddab , ED CRASC , 2008, p 283 Izarouken, « Le Mouvement Associatif en Algérie, Etat des lieux, Etat des

11 - ابراهيم مهديد، نفسه، ص 58

12- دراس عمر، المرجع السابق ، ص 170

13- بوهند خالد، النخب الجزائرية (1892-1942)، نسبها، نشأتها وحركتها، الجزء الأول، اشراف أد. محمد مجاوي، جامعة سيدي بلعباس،2010-2011ص 214

14 - أحمد بوكابوس، المرجع السابق، ص 70

15 - الجبهة الشعبية: ظهرت بفرنسا، ضمت الاشتراكيين والشيوعيين والراديكاليين والحزب الرأسمالي الرئيسي، و صلت الى الحكم بقيادة ليون بلوم بعد الانتخابات البرلمانية سنة 1936

16 - ابراهيم مهديد، ، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 5

17 - القورصو محمد، تأسيس ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة وهران (1931-1935)، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ،، إشراف الدكتور منور الصم، جوان 1977، ص 78

18 - D.A.W.O, Rapport N 18200, 07 novembre 1934

19 - بختاوي خديجة، التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في عمالة وهران (1870 – 1939)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف الدكتور عبد المجيد بن نعمية، (2012- 2013)

20 - ابراهيم مهديد، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 118

21 - أحمد بوكابوس، المرجع السابق، ص 72

22 - محمد القورصو، تأسيس ونشاط ج ع م ج، ص 73

23 - A.N.O.M, 9H46, Rapport N 68, 07/02/1938

24 - محمد القورصو، المرجع السابق، ص 74

25 - Omar Carlier ,Fanny Colonna ,Abdelkader Djeghloul , Mohamed El Korso , Lettrés, Intellectuels et militants en Algerie,1850-1950 , OPU, Alger , 1988 , p 78

26 - A.N.O.M, 9H36, Rapport N6230, février 1936, Rapport N 13680, 20/08/1937

27 - D.A.W.O, Carton N 4475, Surveillance des indigènes, Cercle Littéraire Islamique de Mostaganem, Rapport N 2724, 12/06/1935

28 - مصالي الحاج: ولد بتلمسان في 16 ماي 1898 وتوفي بالعاصمة الفرنسية باريس يوم 3 جوان 1974، كان من أوائل المطالبين بالاستقلال عن فرنسا وذلك منذ العشرينيات من القرن الماضي، مؤسس نجم الشمال الأفريقي ثم حزب الشعب الجزائري ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية واخيرا حزب الحركة الوطنية. وهو المعروف بأبي الوطنية الجزائرية.

29 - A.N.O.M, 5I88, Commissaire Central de Most, Passage de Messali Hadj a Most, 23/10/1936

30 – عبد الباقي بن اسماعيل: أصله من قسنطينة، كان عمره 35 سنة

31 - A.N.O.M, 5I88, Surveillance politique des indigènes, N 3443, Most, 04/05/1937

32 - الشيخ الطيب المهاجي: أحد أكبر علماء مدينة وهران وهو والد الشيخ زدور إبراهيم القاسم المهاجي المعروف بالشهيد بلا قبر

33 - A.N.O.M, 5I88, Commissaire Central de police d'état de Most, Soirée musicale du Club de l'union littéraire islamique musulmane (CULIM), rapport N 5189 A , 02/03/1939

34 - البصائر، السنة الثالثة، العدد 103، الجمعة 11مارس1938 الموافق ل 8 محرم 1357 هـ، " مستغانم "، مصطفى بن حلوش، ص 3

35 - البصائر، السنة الثالثة، العدد 110، الجمعة 22 أبريل 1938 الموافق ل 21 صفر 1357 هـ، " حركة مستغانم " مصطفى غلاب، ص 2

36 - ابراهيم مهديد، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 195

37 - D.A.W.O, Carton N 4475, Surveillance politique des indigènes, 08/01/1937

38 - A.N.O.M, 5I88, Surveillance politique des indigènes, 08/01/1937

39 - D.A.W.O, Carton N 4475, ibid , Most , ENA, CULIM,N 4646 , 14/06/1937

40 - بن عومر بن عودة ولد حمو، كان عمره في 1937حوالي 40 سنة كاتب عمومي من حي الليمون بمستغانم، من مواليد مزغران، أبوه حمو وأمه بنت زموري، من عائلة أهلية، أصوله تركية، حصل على شهادة الابتدائية بالمدارس الفرنسية، له مستوى جيد في اللغة العربية، لم يؤد الخدمة العسكرية لأسباب صحية، كان يعمل محاسب عند السيد " ابن اسماعيل أحمد " و" ابن كريتلي مصطفى "، تحول بعدها الى بقال ثم الى كاتب عمومي، تميز بأفكاره الوطنية وكان أحد قراء جريدة الأمة ورئيس سابق ل ا. أ. ا. م (الاتحاد الأدبي الإسلامي المستغانمي)، أنظر أرشيف ولاية وهران، العلبة 4475، المراقبة السياسية للأهالي، ا. أ. ا. م، 1937/08/28

41 - ابن جلواط بشير خياط من مستغانم، درس اللغة العربية، كان عضو ب ا أ ا م ومناصر لحزب الشعب الجزائري، أنظر أرشيف ولاية وهران، العلبة 4475، المراقبة السياسية للأهالي، ا. أ. ا. م، 1937/08/28

42 - ابن برنوعلي ولد حميدة من مستغانم، كان أستاذا، له مستوى جيد في اللغة العربية، عمل بجريدة عين الصفراء، تميز بأفكاره الوطنية وكان رئيس سابق ل ا أ ا م ومن قراء جريدة الأمة

43 - D.A.W.O, Carton N 4475, Activité politique en Oranie, « Le Cercle de l'Union Littéraire Musulmane pour la propagation de la langue arabe, 20/08/1937

44 - A.N.O.M, 5I88, Affaires indigenes, Most, N8265, 02/09/1937

45 - A.N.O.M, 5I88, Vile de Most Commissariat Centrale, 01/09/1937

46 - A.N.O.M, 5I88, Police Générale, Ville de Most, Surveillance politique des indigènes, N 8409, 06/09/1937

47 - D.A.W.O, Carton N 4475, Surveillance politique des indigènes, Most, CULIM, 02/11/1937

48 - A.N.O.M, 5I88, Affaires indigenes, Most, N 11321, 04/12/1937

49 - شكيب أرسلان : ولد بتاريخ 25 ديسمبر 1869 وتوفي يوم 9 ديسمبر 1946، كاتب واديب ومفكر لبناني، اشتهر بلقب أمير البيان بسبب كونه أديبا وشاعرا بالضافة الى كونه سياسيا، له عدة مؤلفات مثل " تاريخ غزوات العرب "، " لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم " و" عروة الاتحاد "، يعتبر من كبار المفكرين ودعاة الوحدة الإسلامية والوحدة والثقافة

50 - D.A.W.O, Carton N 4475, PPA a Most, l'Etat d'esprit des indigènes, N 10381, 10/11/1937

51 - Ibid., 8 mars 1938

52 - البصائر، السنة 4، العدد 148، الجمعة 22 ذي الحجة 1357 هـ / 13 جانفي 1939 " حركة مستغانم "، " ح "، ص 8

المحور الثاني

تصنيف المعرفة عند التهانوي من خلال كتابه "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"

أ.ة/ صدوقي نسيمة
جامعة وهران1 أحمد بن بلة

1- التعريف بالتهانوي:

1-1- نبذة عن حياته:

لقد تباينت المصادر والمراجع في تفصيل اسمه حيث ورد باسم محمد أعلى بن شيخ على بن قاضي محمد حامد بن مولانا أتقى علماء محمد صابر الفاروقي السني الحنفي التهانوي نسبة إلى تهانة موطنه في الهند[1]، وجاء في معجم المطبوعات العربية والمعربة أنه محمد علي بن الشيخ علي بن القاضي محمد حامد ابن محمد الفاروقي التهانوي الهندي الحنفي[2]، كما ذكر على أنه محمد بن علي[3] والفاروقي نسبة إلى الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإليه كانت تنسب دولة الفاروقيين في خنديش[4] بالهند، والسني نسبة إلى أهل السنة والحنفي نسبة إلى مذهب أبي حنيفة، وإلى منطقة تهانة ينسب عدد من العلماء منهم: الشيخ عبد الرحيم التهانوي (1223ه)، الشيخ محمد بن حمد الله التهانوي (1296ه) وغيرهم[5]، ولم تمدنا المصادر والمراجع التي ذكرت التهانوي صاحب الكشاف في شيء ولو يسير عنه وعن آثاره وكذلك الأمر بالنسبة لوفاته، إذ غيبته، والمرجح أنه ولد في أواخر القرن الحادي عشر ميلادي بناءا على حد قوله –مدة تأليف الكتاب- "حصل الفراغ من تسويدها سنة ألف ومائة وثمانية وخمسين جعلته موسوما وملقبا بكشاف اصطلاحات الفنون"[6].

1-2- ثقافته ومؤلفاته:

كما هو وارد على لسانه فقد نشأ في بيت علم، وتتلمذ على يد والده "في العلوم الحكمية الفلسفية من الحكمة الطبيعية والإلهية والرياضية كعلم الحساب والهندسة ونحوها"[7] ولا ريب أن تكون الأسرة والابن لاقتا تقدير المجتمع بنسبها إلى الفاروق عمر رضي الله عنه، وإن المتتبع للحركة العلمية التي سادت الهند آنذاك يجد أن هذه الحركة عميقة الجذور متأصلة منذ أيام الغزنويين قبل عدة قرون،

حيث انتشرت المعاهد العلمية وتأسست المدارس، ومن أشهرها لتي أنشأها السلطان محمود في "غزنة"[8]، جعل يؤمها الطلاب من جميع أنحاء آسيا وإيران ناهيك عن اهتمام السلاطين المتتابع بالمكتبات وما كان له من دور في استقطاب العلماء أيضا.

ويبدو أن للتهانوي وعلى حسب ما تورد لنا المصادر التي ترجمت له بأن له مؤلفين اثنثن ولا نعلم إذا كان له سواها أم اكتفى بهذا فقط وهي:

1- "سبق الغايات في نسق الآيات" وهو كتاب في تفسير القرآن الكريم

2- "كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"[9] وهو الكتاب[10] الذي بين أيدينا، وهو من أشهر كتبه.

1-3- عصره:

بعد قراءة جديدة للأحداث التارخية بالهند ننتبه إلى أن التهانوي قد أدرك طرفا من عصر إمبراطورية المغول وخاصة عصر الملك أوزنجزيب (عالم جير) (1658م-1737م) بدليل أن التهانوي كتب كما ذكر سنة (1158هـ/1745م)، ويعتبر عصر أوزنجزيب من أزهى عصور "إمبراطورية المغول"[11] في الهند، بلغت فيه الإمبراطورية أقصى اتساعها وبلغ حكمه أكثر من خمسين عاما، قام ببعض الإصلاحات منها فرض الجزية بتطبيق الشرع فيها فأعفى منها النساء والأطفال وغير القادرين على العمل ومحدودي الدخل، وخفف عنه عبء الضرائب وكان متمسكا بتعاليم الإسلام وتطبيق مبادئه وأركانه، فقام بإلغاء الاحتفال "بالنيروز"[12] والمهرجان على اعتبار أن المناسبتان مأخوذتان من الفرس الوثنيين، ورمم المساجد واتخذ لها الوعاظ والمشايخ والأئمة والمؤدنين وخصص لهم رواتب، ومنع الدخول في لإسلام على المذهب الشيعي[13]، فقد كان يشجع العلم والعلماء حتى ازدهرت الحياة الثقافية، وفي عهده وجه اهتماما خاصا إلى علوم الإسلام من فقه وتفسير وحديث، كما شغفت بدراسة الآداب الفارسية والشعر الفارسي، وأشرف بنفسه على إصدار الفتاوى الهندية أو العالمجرية نسبة إليه"[15] "وهي على مذهب الحنفية"[14].

وبعد وفاته تدهورت إمبراطورية المغول ووليها أباطرة ضغاف لم يتمكنوا من دحر أعداء الدولة في الداخل والخارج "وظلت الثقافة الإسلامية سائدة في المجتمع الإسلامي في الهند في دولها الإسلامية حتى وفدت الثقافة الأوربية مع الاستعمار الأوربي، فأقبل الهنود على التزود بثقافتها"[16]، وكان ذلك سببا من أسباب تقدم الحياة الثقافية في الهند، فالقرن الثاني عشر عصر "التحول والتلاقي الأفكار والواقع أن الثقافات تقاربت تقاربا كبيرا وخاصة الثقافتين الإسلامية والمسيحية وإن امتزاجهما وتداخلهما قد كون العمود الفقري لأوربا الحديثة"[17].

2- التعريف بالكتاب "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" ومدى أهميته

2-1- التعريف بالكتاب:

للتعريف عن كتاب "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" نحيل أنظار القارئ نحو وصفة بيبليوغرافية عنه كمايلي:

محمد علي الفاروقي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم، تحيقي علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية جورج زيناتي، بيروت، مكتبة لبنان، 1996، 2ج.

- كلمة "كشاف" من عنوان الكتاب وردت بالمراجع على أنها "قائمة ألفائية بالموضوعات والأسماء[18] التي يتناولها كتاب أو عدة كتب، تقريبا لكلمة (index) الأجنبية، وقد تأتت من كلمة لاتينية (indicare) والتي تعني لفت النظر أو الإشارة"[19].

- الطبعة التي أشتغل عليها واضحة الخط والنوع، كبيرة الحجم ومجلدة (لون غلافها أصفرتقريبا).

- الكتاب من جزئين –ترقيمها متواصل:

* **الجزء الأول**:

وهو من اثنين وخمسين وألف صفحة (1052 صفحة)، ويضم مقدمة الكتاب –المؤلف- في بيان العلوم المدونة وما يتعلق بها -وهو ما يهمنا، وسيتأتي الحديث عنها- وهي من تسع وستين صفحة (69 صفحة) ناهيك عن مقدمة المحقق والتي

أسماها "بالتقديم" وهو يتصدر الكتاب إذ جمع به تمهيد نظري يتناول إشكالية المصطلح بين اللفظ والمعنى، المبنى والفكر، ودراسته عن عملية التحقيق والتعريف بالمؤلف ضمن ثلاث وأربعين صفحة (43 صفحة أو XLIII) ترقيمها روماني، لتليها قوائم المصطلحات مرتبة ألفائيا من حرف الألف (أ) إلى حرف الشين (ش) والملاحظ أنه تم وضع الألفاظ المقابلة لمصطلحات الكشاف باللغة الإنجليزية والفرنسية وهي مهمة قام بها الدكتور جورج زيناتي، ثم تتبع بالشرح وقد يكون مستفيضا كلما استطاع إلى ذلك سبيلا والمصطلحات أغلبها عربية مع إدراج بابين من الألفاظ الفارسية وهما:

الباب1:حرب الپ الفارسي (پ) وذكره به سبعة (07) مصطلحات وإيضاحا للفكر نذكر من قوله: پير (Old man- Vieil homme) هو الشيخ والمسن.

وقوله: پيام – message, obligation, duty-message, devoir, Obligation ومعناه رسالة، وعند الصوفية هي الأوامر والنواهي[20].

بالرغم من أن التهانوي ذكر حرف الباء ولما احتواه من ثلاث وثلاثين ومائة مصطلحا (133).

أما عن **الباب 2**: حرف الچ الفارسي (چ) به أربعة مصلطحات، نذكر على سبيل المثال: چلبپا: (cross- croix). هو في الأصل من اللغة السريانية ومعناه صليب، وهو العالم الطبيعي[21].

وهذا بالرغم من إيراد باب حرف الجيم (ج) وهو من ستة عشر ومائة مصطلحا (116).

ملاحظة: صفحات خاصة بالألفاظ تتكون من عمودين ترقيمهما واحد باستثناء المقدمة –صفحة عادية-.

ويصل عدد الألفاظ الوارة بهذا الجزء إلى أربعين وسبعمائة وألف لفظا (1740).

*** الجزء الثاني:**

ترقيم صفحاته من ثلاث وخمسين وألف صفحة إلى اثنين وثلاثين ومائة وألفان صفحة (ص.ص 1053-2132) وكل صفحة تتكون من عمودين ترقيمهما

مشترك من حرف الصاد (ص) إلى حرف الياء (ي) على الترتيب، وكما أسلفنا الذكر فإن الألفاظ تصحبها الترجمة باللغتين الإنجليزية والفرنسية دائما لتسجل عشرة وخمسمائة وألف لفظا (1510).

والملفت للانتباه أيضا أنه أعقب في ثنايا حديثه باب حرف ك الفارسية (گ) لتجمع أربعة ألفاظ[22].

نقتبس من قولك: ـِ كومي (heat, heat of love, chaleur, chaleur de l'amour) بمعنى الحرارة، وعند الصوفية هي حرارة المحبة[23].

علما أنه ذكر حرف الكاف (ك) العربي من سبع وستين مصطلحا[24].

وخلاصة الحديث أن هذه الطبعة الصادرة تحت عنوان "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" تورد الألفاظ العربية منها والعجمية بترتيب هجائي، وقد تضع الألفاظ العجمية بزمر خاصة بها كلها أتاحت الفرصة لذلك –كما ذكرنا سابقا- علما أن التهانوي يقول بمقدمة الكتاب نفسه "بأنه رتب كتابه على فنين فن في الألفاظ العربية وفن في الألفاظ العجمية"[25].

وقد بلغ عددها في كلا الجزئين نحو خمسين ومائتين وثلاث آلاف لفظا (3250) تفاوتت في توزيعها بحسب نظمه لها، فكان نصيب حرف الميم من أكثرها بـ648 لفظا يليها حرف الألف بـ442 لفظ وحرف التاء بـ290 ثم العين بـ158 لفظ، فالسين بـ143 فالباء بـ133 لفظ فالحاء بـ132 لفظ وهكذا، وإن الألفاظ العربية تفوق الألفاظ العجمية عددا.

وأخيرا نقف أمام خاتمة الكتاب التي تشغل أقل من صفحة، وفيها يتمنى التهانوي أن يكون كتابه عونا لمن أراد اللغات العربية والعجمية في جميع العلوم وحتى يستخرج منه بسهولة، ثم يقول: "وليكن هذا آخر ما أردنا"[26].

2-2- الباعث على وضع الكتاب

نستشف ذلك من خلال ما جاء على لسان التهانوي بمقدمة كتابه بالنقاط التالية:

يقول: "إن أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدونة والفنون المروجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح، فإن لكل علم اصطلاحا خاصا به، إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلا، وإلى الفهم دليلا".

ويقول: "لم أجد كتابا حاويا لاصطلاحات جميع العلوم المتداولة بين الناس وغيرها، وقد كان يـ ختلج في صدري أوان التحصيل أن أؤلف كتابا وافيا لاصطلاحات جميع العلوم، كافيا للمتعلم من الرجوع إلى الأساتذة العالمين بها كي لا يبقى حينئذ للمتعلم بعد تحصيل العلوم العربية حاجة إليهم إلا من حيث السند عنهم تبركا وتطوعا"[27].

أين تتجسد رغبته في التوفير على طالب العلم الجهد والوقت اللذين يضيعهما في البحث على المعان المتشعبة الدلالات بين طيات الكتب اللغوية والعلمية.

أثر التوسع في العلوم وكثرة الألفاظ المشتركة بينهما مما لا يتأتى استيعابه في كتب اللغة والمعاجم التي اقتصرت على المعانى اللغوية كان عاملا في إفراد هذا النوع من البحث[28].

لعله الرغبة في تحقيق فكرة لبعض المهتمين السابقين عليه على حد قول الشريف الجرجاني: "بأن المشتغلين بالعلوم العربية تشغلهم قضية المصطلح، ويرون أن مزيدا من الجهود ينبغي أن تبذل في سبيل تذليل هذه المصطلحات، والبحث العلمي بحاجة لهذا"[29].

كما أشرنا سابقا بأن التهانوي أدرك طرفا من عصر السلطان عالم جير—عصر إمبراطورية المغول- الذي شجع العلم والعلماء حتى ازدهرت الحياة الثقافية في عهده وكان هناك اهتمام بعلوم الاسلام من فقه وتفسير وحديث، وازدهر الأدب — كما أوصى بالاهتمام بها- فكان ذلك عاملا قويا في نبوغ علماء تقوم بحصر هذه العلوم وتحديد اصطلاحاتها على السواء فالدافع ثقافي اجتماعي.

3- قواعد التصنيف ومفاهيمه في تقسيم العلوم عند التهانوي:

التزم التهانوي بإبراز عدد من العلاقات التصنيفية التي ظهرت في عرض العلوم في خطته التصنيفية وهي:

* **علاقة اشتمال وتبعية**: وهذا ما اتضح في أن العلوم الجزئية تتفرع من العلم العام الذي تندرج بحثه، مثل العلوم الجزئية المتفرعة من العلوم العربية، كذلك التدرج في تقسيم علم الحكمة إلى حكمة نظرية وأخرى عملية، ثم التدرج في تقسيم كل منها إلى عدة علوم أصلية، ثم تقسيم كل علم أصلي إلى عدد من العلوم الفرعية.

* **علاقة تساو**: وهذا ما نجده في وقوف عدد من العلوم على صف واحد توجد بينهم بعض الاختلافات، ولكن هناك أوجه تشابه بينهم، وهي في الوقت نفسه تندرج تحت علم ثابث مثل علم الصرف وعلم الاشتقاق، فالعلمان يبحثان في اللفظ المفرد، ولكن الصرف من حيث بنيته، والاشتقاق من حيث انتساب الألفاظ إلى بعضها بالأصلية والفرعية يندرجان في الوقت نفسه تحت العلوم العربية.

* **علاقة ترابط**: وهي من أسس التصنيف التي نادى بها "بليس" والتي أسماها علاقة ترابط، وتعني جمع المجموعة المتجانسة معا، وقد حاول التهانوي تطبيق هذه العلاقة فتجمعت علوم اللغة والخط والأدب تحت العلوم العربية، كما تجاوزت العلوم الدينية، وفي علوم الحكمة عمل على ترابط الموضوعات المتشابهة عند عرض العلوم الجزئية، فتجاوزت العلوم التي تخص الإنسان مثل علم الطب والفراسة وعلم تعبير الرؤيا.

وبرز في تصنيف التهانوي ما يعرف في التصنيف الحديث بالفئة المفضلة، أي تقديم الموضوععات التي تهتم بها الأمة، والتي تعكس فكر الأمة وثقافتها. وهذا ما وضح عنده في تقديم العلوم العربية والعلوم الشرعية على علوم الحكمة أو العلوم العقلية باعتبار أن هذه العلوم من فكر الأمة العربية الإسلامية وثقافتها.

3- منهج الكتاب في تصنيف العلوم:

يسير التهانوي في عرض علومه متدرجا من العلم العام إلى العلم الجزئي مستخدما بذلك المنهج الاستنباطي الذي ينتقل من الكل إلى الجزء، وقد اتضح هذا المنهج في التقسيم السابع للعلوم (العلوم الجزئية وغير الجزئية، وهو التقسيم الذي سار عليه، أي أن العلم العام أقدم للعقل من العلم الخاص، حيث أن إدراك الأعم يسبق إداك الأخص.

وقد جسدت مقدمة الكتاب نظرية التهانوي في التأليف وبعده المنهجي في تصنيف العلوم، استهلها بقواعد في تبيان العلوم المدونة وما يتعلق بها، إذ يقول: "ولما كان للعلوم المدونة وما يتعلق بها، إذ يقول: "ولما كان للعلوم المدونة نوع تقدم على غيرها من حيث أنا إذا قلنا هذا اللفظ في اصطلاح النحو موضوع لكذا وجب لنا أن نعلم النحو أولا"[30]. من أجل الوصول لبيان تصوره للعمل الكلي يورد أسس التقسيم المختلفة للعلوم فيسردها على ستة.

الأول منها في التقسيم المعتاد أو القديم (المعرفي الفلسفي) إلى علوم إما نظرية أي غير متعلقة بكيفية عمل وإما عملية أي متعلقة بها، ويقول: "المنطق والحكمة العلمية والطب العلمي وعلم الخياطة كلها داخلة في العملي لأنها بأسرها متعلقة بكيفية عمل، أما ذهني كالمنطق أو خارجي كالطب مثلا (...) والعملي هنا أعم من العملي المذكور في تقسيم الحكمة لأنه يتناول ما يتعلق بكيفية عمل ذهني كالمنطق ولا يتناوله العملي المذكور في تقسيم الحكمة لأنه هو الباحث عن أحوال ما لاختيارنا مدخل في وجوده مطلقا أو خارجي"[31].

والثاني إما أن لا تكون في أنفسنا آلة لتحصيل شيء آخر بل كانت مقصودة بذواتها، أو تكون آلة له غير مقصودة في أنفسها، فالثانية تسمى آلية والأولى تسمى غير آلية[32].

ثم يضيف قائلا: "ما يكون في حد ذاته آلة لتحصيل غيره لابد أن يكون متعلقا بكيفية تحصيله فهو متعلق بكيفية عمل، وما يتعلق بكيفية عمل لابد أن يكون في نفسه آلة لتحصيل غيره، فقد رجع معنى الآلي إلى معنى عملي، وكذا مالا يكون آلة له كذلك لم يكن متعلقا بكيفية عمل وما لم يتعلق بكيفية عمل لم يكن في نفسه آلة لغيره، فقد رجع معنى النظري وغير الآلي إلى معنى واحد"[33].

أما عن الثالث فتقسيم إلى عربية وغير عربية، ثم الأساس الرابع إلى شرعية وغير شرعية فالخامس إلى حقيقية وغير حقيقية حتى السادس تقسيم إلى علوم عقلية ونقلية، فالعقلية مالا يحتاج منه إلى النقل والنقلية بخلاف ذلك. وأخيرا السابع منه بتقسيم إلى علوم جزئية وغير جزئية –ويبدو أن هذا التقسيم هو تقسيمه الخاص- وهي "العلوم التي موضوعاتها أخص من موضوع علم آخر تسمى علوما جزئية كعلم الطب، فإن موضوعه وهو الإنسان أخص من موضوع العلم

الطبيعي، والتي موضوعاتها أعم تسمى بالعلم الأقدم لأن الأعم أقدم للعقل من الأخص"[34]، وهنا تتضح فكرة العلم الكلي عند التهانوي والعلوم الأخرى سوى أجزاء منه، وانطلاقا من هذه الفكرة ينتقل التهانوي مباشرة إلى معالجة مسألة أجزاء العلوم وتمايزها، أين يطرح فكرة البحث في عوارض العلوم الذاتية وأحوالها أي التي توجد في غيرها –في موضوعاتها- بشكل فلسفي بقوله: "موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، وتوضيحه أن كمال الإنسان بمعرفته أعيان الموجودات في تصوراتها والتصديق بأحوالها على ماهي عليه بقدر الطاقة البشرية، ومن هنا أخذوا المفهومات الكلية الصادق عليها وبحثوا عن أحوالها من حيث انطباقها عليها، ليفيد علمها بوجه كلي علما باقيا أبد الدهر. ولما كانت أحوالها متكثرة وضبطها منتشرة مختلفة متعسرا اعتبروا الأحوال الذاتية لمفهوم مفهوم وجعلوها علما منفردا بالتدوين وسموا ذلك المفهوم موضوعا لذلك العلم لأن موضوعات مسائله راجعة إليه، فصارت كل طائفة من الأحوال المتشاركة في موضوع علما منفردا ممتازا في نفسه عن طائفة أخرى متشاركة في موضوع آخر، فجاءت علومهم متمايزة في أنفسها بموضواتها"[35].

ثم يضيف حقيقة أخرى لوحدة العلوم بقوله: "ولا يخفى عليك أنه يلزم دخول العلم الجزئي في العلم الكلي كعلم الكرة المتحركة في علم الكرة وعلم الكرة في العلم الطبيعي، لأنه يبحث فيها عن العوارض الذاتية لنوع الكرة أو الجسم الطبيعي، أو لعرضه الذاتي، أو لنوع عرضه الذاتي"[36].

وبعد تفصيله في تمايز العلوم –العلم الكلي وأجزاء العلوم- ومن ثم عن وحدتها برفقه بحديث خصه في بيان مرتبة العلم فيما بين العلوم ويتضح هذا ما أسماه "بالرؤوس الثمانية" أي بمعنى الأسس التي يجب التعرض في صدرها بكتاب ما على إثر الشروع في شرحه والعلوم المدونة.

وما يلبث أن ينتهي التهانوي من إيضاحاته حتى يشرع في بيان تقسيمه للعلوم، إذ يقسمها إلى ثلاث مجموعات رئيسية: العلوم العربية والعلوم الشرعية والعلوم الحقيقية، فتتصدر حديثه مجموعة العلوم العربية فيقول: "اعلم أن علم العربية المسمى بعلم الأدب علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظا أو كتابة،

وينقسم على ما صرحوا به إلى اثنى عشر قسما منها الأصول هي العمدة في ذلك الاحتراز ومنها الفروع"[37].

أما الأصول فالبحث فيها "إما عن المفردات من حيث جواهرها وموادها فعلم اللغة، أو من حيث صورها، وهيئاتها فعلم الصرف، أو من حيث انتساب بعضها إلى بعض بالأصلية والفرعية فعلم الاشتقاق، وإما عن المركبات على الإطلاق، فإنما باعتبار هيائتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية فعلم النحو، وإما باعتبار إفادتها لمعان زائدة على أصل المعنى فعلم المعاني، أو باعتبار كيفية تلك الفائدة في مراتب الوضوح فعلم البيان، وإما عن المركبات الموزونة، فإما من حيث وزنها فعلم العروض، أو من حيث أواخر أبياتها فعلم القافية"[38].

هذا من جهة الأصول، أما جهة الفروع فيذكر التهانوي بأن البحث فيها "إما أن يتعلق بنقوش الكتابة فعلم الخط، أو يختص بالمنظوم فعلم عروض الشعراء، أو بالمنثور فعلم إنشاء النثر من الرسائل، أو من الخطب أو لا يختص بشيء منها فعلم المحاضرات ومنه التواريخ وعلم البديع"[39].

وقبل أن يأخذ التهانوي في تفصيل علومه علما علما، يحيل انتباهنا إلى حقيقة مهمة ويؤكد عليها في نطاق العلوم العربية بقوله: "اعلم أن هذه العلوم العربية لم تؤخذ عن العرب قاطبة بل عن الفصحاء البلغاء منهم، وهم الذين لم يخالطوا غيرهم "كهذيل"[40] و"كنانة"[41] (...) ومن يضاهيهم من عرب الحجاز وأوساط "نجد"[42]، فأما الذين صاحبوا العجم في الأطراف فلم تعتبر لغاتهم وأحوالهم في أصول هذه العلوم وهؤلاء "كحمير"[43] و"همذان"[44] (...) لمقاربتهم الحبشة و"طيء"[45] لمخالطتهم الروم بالشام و"عبد القيس"[46] لمجاورتهم أهل الجزيرة وفارس ثم أتى ذووا العقول السليمة والأذهان المستقيمة ورتبوا أصولها وهدبوا فصولها حتى تقررت على غاية لا يمكن المزيد عليها"[47]، وهكذا يكون التهانوي قد أخص العلوم العربية في تصنيفها بالمفكرين العرب والمسلمين وإلى البيئة العربية الإسلامية وليس استنادا إلى تصنيفات يونانية سابقة عليهم، وهي علوم عربية خالصة نشأة وتنظيرا.

وبعده مباشرة يبدأ بعلم الصرف والذي يسمى علم التصريف أيضا وهو علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء"[48]، ثم ينتقل إلى

علم النحو قائلا: "ويسمى علم الإعراب أيضا وهو علم يعرف به كيفية التركيب صحة، وسقما وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه، من حيث هو أو لا وقوعها فيه"[49]، وبعده إلى علم المعاني "وهو علم تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ لمقتضى الحال"[50]، ثم إلى علم البيان فيقول: "هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[51]، وعليه إلى علم البديع الذي "هو علم تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال وبعد رعاية وضوح الدلالة"[52]، ويليه علم العروض فيذكر أنه "علم تعرف به كيفية الأشعار من حيث الميزان والتقطيع والقيد الأخير احترازا عن علم القافية وموضوعه اللفظ المركب من حيث أن له وزنا"[53]، ثم نجد بالمرتبة الأخيرة علم القافية بقوله: "هو علم يعرف به كيفية الأشعار من حيث التقفية، والقيد الأخير احترازا عن علم العروض وموضوعه اللفظ المركب من حيث أنه له قافية"[54]، أن التهانوي يتناول كل هذه العلوم بإيجاز بقوله: "كان ذكرها موجبا للإيجاز والاختصار والتسهيل على النظار"[55] –وهذا الكلام منطبقا على جميع العلوم التي أفاد بها التهانوي- إلا أنه لا يفصل في علمي اللغة والاشتقاق.

وعلى نفس الخطة يشرع في سرد العلوم الشرعية[56] قائلا: "وتسمى بالعلوم الدينية وهي العلوم المدونة التي تذكر فيها الأحكام الشرعية العملية أو الاعتقادية وما يتعلق بها معتدا به ويجئ تحقق في الشرع"[57] ، بادئا بعلم الكلام وعنه يقول التهانوي: "يسمى بأصول الدين أيضا ويستشهد بالإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت.150هـ) والذي سماه بالفقه الأكبر –لكونه حنفي المذهب- وكما يسمى بعلم النظر والاستدلال أيضا، إضافة إلى علم التوحيد والصفات"[58]، والفائدة والغاية منه الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان وإرشاد المسترشدين بإيضاح الحجة لهم وإلزام المعاندين بإقامة الحجةعليهم وحفظ قواعد الدين عن أن يزلزلها شبهة المبطلين وأن تبتني عليه العلوم الشرعية أي يبتني عليه ما عداه من العلوم الشرعية فإنه أساسها وإليه يؤول أخذها واقتباسها، فإنه لم يثبت وجود صانع عالم قادر مكلف مرسل للرسل منزل للكتب لم يتصور علم تفسير ولا علم فقه وأصوله فكلها متوقفة على علم الكلام، مقتبسة منه، فالأخذ فيها بدونه كيان على غير أساس، وغاية هذه الأمور كلها الفوز بسعادة الدارين، ويسميه التهانوي برئيس العلوم الشرعية فمنه يستمد غيره من العلوم الشرعية وهو لا

يستمد من غيره، وقد وضعه العلماء المسلمين لإثبات العقائد الدينية المتعلقة بالصانع وصفاته وأفعاله، وما يتفرع عليها من مباحث النبوة والمعاد، وعلى هذا الأساس سمي بأصول الدين أي أصل العلوم الشرعية ودلائله يقينية يحكم بها صريح العقل، وقد تأيدت بالنقل[59].

ويتابع التهانوي حديثه إلى علم التفسير الذي "هو علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها، ومتشابهها وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها أو مطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها وغيرها، كما يضيف بأنه علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك"[60] –للتهانوي في ذلك إيضاح- ليتبعه أيضا بعلم القراءة" وهو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، وموضوعه القرآن من حيث كيف يقرأ"[61].

ويلحقه بعلم الإسناد ذاكرا بأنه "يسمى بأصول الحديث أيضا وهو علم بأصول تعرف بها أحوال حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم- من حيث صحة النقل وضعفه والتحمل والأداء، وهو علم يبحث فيه عن صحة الحديث وضعفه ليعمل به أو يترك من حيث صفات الرجال وصيغ الأداء"[62]، ثم يدخل في علم الحديث ويقول: "يسمى بعلم الرواية والأخبار والآثار علم الأحاديث وهو علم يعرف به أقوال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وأفعاله"[63]، وغايته الفوز بسعادة الدارين، ثم يشير إلى مراتب أهل فيقول: أولها الطالب وهو المبتدئ الراغب فيه، ثم المحدث وهو الأستاذ الكامل وكذا الشيخ والإمام بمعناه، ثم الحافظ وهو الذي أحاط علمه بمائة ألف حديث متنا وإسنادا وأحوال رواته جرحا وتعديلا وتاريخا ثم الحجة وهو الذي أحاط علمه بثلثمائة ألف حديث[64] وبعدها يأتي كلامه عن علم أصول الفقه فيقول: " يسمى هو وعلم الفقه بعلم الدراية –وموضوعه الأدلة الشرعية والأحكام، إذ يبحث فيه عن العوارض الذاتية للأدلة الشرعية، وهي إثباتها للحكم، وعن العوارض الذاتية للأحكام وهي ثبوتها تلك الأدلة"[65] –والملاحظ بأن التهانوي يغوص في معاني هذا العلم لغويا وفلسفيا وبإفاضة- ثم يتبعه بعلم الفقه قائلا: "يسمى هو وعلم أصول الفقه بعلم الدراية أيضا، وهو معرفة النفس

مالها وما عليها والمراد بالمعرفة إدراك الجزئيات عن دليل، ومالها وما عليها يمكن أن يراد به ما تنتفع به النفس وما تتضرر به في الآخرة، ويتناول الاعتقاديات كوجوب الإيان ونحوه، والوجدانيات أي الأخلاق الباطنة والملكات النفسانية والعمليات كالصوم والصلاة والبيع وهي الفقه المصطلح"[66]، وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية وعبارة عن التصديق بالقضايا الشرعية المتعلقة بكيفية العمل تصديا حاصلا من الأدلة التفصيلية التي نصبت في الشرع على تلك القضايا، وهي الأدلة الأربعة: الكتاب، السنة والإجماع والقياس[67]، وموضوعه عمل مكلف، هذا وبالإضافة إلى علم الفرائض بقوله: "هو علم يبحث فيه عن كيفية قسمة تركة الميت بين الورثة، وموضوعه قسمة التركة بين المستحقين"[68]، وأخير يختم باب العلوم الشرعية بعلم السلوك وهو في نظره: معرفة النفس مالها وما عليها من الوجدانيات ويسمى بعلم الأخلاق وبعلم التصوف أيضا، وأشرف العلوم علم الحقائق، والمنازل والأحوال، وعلم المعاملة والإخلاص في الطاعات والتوجه إلى الله تعالى، وعلم الحقائق ثمرة العلوم كلها وغايتها، فإذا انتهى السالك إلى علم الحقائق وقع في بحر لا ساحل له وهو أي علم الحقائق علم القلوب وعلم المعارف وعلم الأسرار، ويقال له علم الإشارة[69].

وأخيرا يعرض آخر مجموعة من العلوم يطلق عليها بالعلوم الحقيقية وهي "العلوم التي لا تتغير بتغير الملل والأديان، كعلم المنطق وبعض أنواع الحكمة"[70]، فيبدأ بعلم المنطق[71] ويقول: "يسمى علم الميزان، إذ به توزن الحجج والبراهين، وهو وسيلة إلى العلوم، فهو خادم لها، ويستشهد بقول الفارابي على المنطق بأنه رئيس العلوم لنفاذ حكمه فيها، فيكون رئيسا حاكما عليها"[72].

ثم يضيف بأنه علم بقوانين تفيد معرفة طرق الانتقال من المعلومات إلى المجهولات وشرائطها، بحيث لا يعرض الغلط في الفكر، وكما يؤكد على أن المنطق من العلوم الآلية لأن المقصود منه تحصيل المجهول من المعلوم ولذا قيل الغرض من تدوينه العلوم الحكمية فهو في نفسه غير مقصود، ولذا قيل المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الدهن عن الخطأ في الفكر[73].

ويتحدث عنه التهانوي بإفاضة –ثم يتناول علم الحكمة "وهو علم باحث عن أحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية"[74]،

ويقول أيضا: "الغرض من الفلسفة الوقوف على حقائق الأشياء كلها ما يمكن للإنسان أن يقف عليه ويعمل بمقتضاه ليفوز بسعادة الدارين"[75]، فالهدف هنا تحقيق السعادة وهذا مسلك الفلسفة الإسلامية، وإن هذا التعريف يقربها من الفهم الإسلامي بحيث لا تتعارض معه.

ثم يعرج نحو التقسيم التقليدي –بطريقها النظري والعملي- فيذكر: أولا الحكمة النظرية وهي العلم بأحوال الأعيان والموجودات التي وجودها لا بقدرتنا ولا باختيارنا، وغايتها الابتدائية ما حصل بالنظر وهو الإدراكات التصويرية والتصديقية المتعلقة بالأمور التي لا مدخل لقدرتنا واختيارنا فيه[76]. –وقبل أن يعرض لأقسامها وعلومها يقول: " اعلم أن أقسام الحكمة النظرية أصولا وفروعا مع أقسام المنطق من رسالة تقسيم الحكمة- رسالة في أقسام العلوم العقلية- للشيخ الرئيس ابن سينا وهي أربعة وأربعون"[77] وبعد أن يعددها علما يتناول بالتفصيل الحدث عنها.

ناهيك على أن التهانوي يعدد بين العلوم أيضا أصول المنطق تسعة فيذكر: "الأول باب الكليات الخمس، الثاني باب التعريفات والثالث باب التصديقات والرابع باب القياس والخامس البرهان والسادس الخطابة، السابع الجدل والثامن المغالطة والتاسع الشعر"[78] وإن الحكمة النظرية ثلاثة أقسام أولها العالم الإلهي وهو "علم بأحوال مالا يفتقر في الوجودين أي الخارجي والذهني إلى المادة كالإله فيسمى الإلهي، إذ مسائلها منسوبة إلى الإله، وبالعلم الأعلى إذ لا يبحث فيه إلا عن الرب الأعلى، وأيضا لتتنزهه عن المادة وعوارضها التي هي مبدأ للنقصان، سمي بالفلسفة الأولى تسميه للشيء باسم سببه، إذ هذا العلم سبب للفلسفة وتوصيفها بالأولى لحصولها على العلة الأولى وهي الإله، وبالعلم الكلي للعمل بالأمور العامة التي هي الكليات الشاملة لجميع الموجودات أو أكثرها، وبما بعد الطبيعة وقد يطلق عليه على سبيل الندرة ما قبل الطبيعة أيضا، وذلك لأن لمعلوماته قبلية وتقدمها على معلومات الحكمة الطبيعية باعتبار الذات والعلية والشرف، وبعدية وتأخرا باعتبار الوضع لكون المحسوسات أقرب إلينا فسمي بهما"[79]، وأصوله خمسة، يفردها متتابعة: أولها الأمور العامة وثانيها إثبات الواجب وما يليق به والثالث الجواهر الروحانية والرابع بيان ارتباط الأمور الأرضية بالقوى السماوية والخامس بيان نظام الممكنات، وأما عن فروع العلم الإلهي فهي قسمان

الأول البحث عن كيفية الوحي وصيرورة المعقول محسوسا، ومنه تعريف الإلهيات، ومن الروح الأمين، والثاني العلم بالمعاد الروحاني[80].

وأما عن ثاني قسم من أقسام الحكمة النظرية فهو العلم الرياضي "وهو علم بأحوال ما يفتقر في الوجود الخارجي دون التعقل إلى المادة كالتربيع والتثليث والتدوير والكروية والمخروطية والعدد وخواصه، فإنها أمور تفتقر إلى المادة في وجودها لا في حدودها ولذا سمي بالرياضي ولرياضة النفوس بهذا العلم أولا، إذ الحكماء كانوا يفتتحون به في التعليم، وبالتعليمي لتعليمهم به أولا، ولأنه يبحث فيه عن الجسم التعليمي"[81] وموضوعه الكم إما متصل أو منفصل، إما أن يكون له نسبة تأليفية أولا، فالأول هو الموسيقى والثاني هو الحساب، وهكذا أصول العلم الرياضي أربعة، الأول العدد والثاني علم الهندسة والثالث علم الهيئة والرابع والأخير علم الموسيقى، وأما عن فروعه فهي ستة الأول منها علم الجمع والتفريق والثاني علم الجبر والمقابلة والثالثة علم المساحة والرابع علم جر الأثقال والخامس علم الزيجات والتقاويم والسادس علم الأغنوة وهو اتخاذ الآلات الغريبة[82].

ثم يعود التهانوي إلى الأصول منها ويأخذ في تفصيلها –إلا علم الموسيقى- مستهلا بعلم العدد فيقول: "يسمى بعلم الحساب أيضا وهو نوعان أوله نظري وهو علم يبحث فيه عن ثبوت الأعراض الذاتية لعدد وسلبها عنه وهو المسمى بالأرتماطيقي وموضوعه العدد مطلقا"، وأما عن الثاني فهو عملي أي علم تعرف به طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية، والمراد بالمجهولات العددية مجهولات له نسبة إلى العدد بالنسبة الجزئي إلى الكلي، أي مجهولات هي من أفراد العدد..." [83]، ثم يذكر أن الحساب العملي نوعان أحدهما هوائي تستخرج منه المجهولات العددية بلا استعمال الجوارح كالقواعد، وثانيهما غير هوائي وهو المسمى بالنحت والتراب يحتاج استعمال الجوارح كالشبكة وضرب المحاذاة[84].

أما عن علم الهندسة فيقول عنه: "علم يبحث عن أحوال المقادير من حيث التقرير أي لا من حيث كون المقدار موجودا أو معدوما، عرضا أو جوهرا، وموضوعه المقدار الذي هو الكم المتصل من حيث التقدير والهندسة معرب أندازه"[85] ويشير إلى أن العلوم المتفرعة عنه عشرة أولها علم عقود الأبنية وهو

"علم تتعرف منه أحوال وأوضاع الأبنية وكيفية شق الأنهار وتنقية القنى وسد البثوق وغيرها، ومنفعته عظيمة في عمارة المدن والقلاع والمنازل وفي الفلاحة"[86]، وثانيها علم المناظر "وهو علم تتعرف منه أحوال المبصرات في كميتها وكفيتها باعتراب قربها وبعدها عن المناظر واختلاف أشكالها وأوضاعها وما يتوسط بين المناظر والمبصرات وعلل ذلك، ومنفعته معرفة ما يغلط في البصر عن أحوال المبصرات دائما ويستعان به على مساحة الأجرام البعيدة والمايا المحرقة"[87]، وأما عن ثالثها فعلم المرايا المحرقة، الذي هو علم تتعرف منه أحوال الخطوط الشعاعية المنعكسة ومواقعها وزواياها ومراجعها وكيفية عمل المرايا المحرقة بانعكاس الشمس عنها، ومنفعته بليغة في محاصرات المدن والقلاع"[88]، ورابع علوم الهندسة هو علم مراكز الأثقاف أو هو "علم تتعرف منه كيفية استخراج مركز ثقل الجسم المحمول، ومنفعته كيفية معادلة الأجسام العظيمة بما هو دونها لتوسط المسافة"[89]، وخامسها من العلوم علم المساحة وهو علم تتعرف منه مقادير الخطوط والسطوح والأجسام وما يقدرها من الخط والمربع ومنفعته جليلة في أمر الخراجي وقيمة الأرضين، وتقدير المساكن وغيرها، إضافة إلى علم أنباط المياه موردا أنه علم تتعرف منه كيفية استخراج المياه الكامنة في الأرض وإظهارها ومنفعته إحياء الأرض الميتة وإفلاحها"[90]، ويواصل التهانوي في سرد العلوم بتقديم تعاريفها مرفقة بمنافعها، فيذكر علم جر الأثقال مبينا أنه علم تتبين منه كيفية إيجاد الآلات الثقيلة ومنفعته نقل الثقل العظي بالقوة اليسيرة"[91]، ويتبعه بعلم البنكامات قائلا: "بأنه علم تتبين منه كيفية إيجاد الآلات المقدرة للزمان ومنفعته معرفة أوقات العبادات واستخراج الطوالع من الكواكب وأجزاء فلك البروج"[92]، ثم يضيف علم الآلات الحربية ذاكرا "أنه علم تتبين منه كيفية إيجاد الآلات الحربية كالمجانيق وغيرها ومنفعته شيجة الغناء في دفع وحماية المدن"[93].

وأخيرا يختم التهانوي علوم الهندسة بالعلم العاشر ألا وهو علم الآلات الروحانية فيقول عنه "علم تتبين منه كيفية إيجاد الآلات المرتبة على ضرورة عدم الخلاء ونحوها من آلات الشراب وغيرها، ومنفعته ارتياض النفس بغرائب هذه الآلات"[94].

ليتبعه مباشرة بالأصل الثالث من أصول العلم الرياضي وهو علم الهيئة قائلا: "إنه علم يبحث فيه عن أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية من حيث الكمية

والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها، فالكمية إما منفصلة كأعداد الأفلاك وبعض الكواكب دون إعداد العناصر فإنها مأخوذة من الطبيعيات، وإما متصلة كمقادير الأجرام والأبعاد واليوم وأجزائه وما يترتب منها، وأما الكيفية فكالشكل إذ تتبين فيه استدارة هذه الأجسام وكلون الكواكب وضوئها، وأما الوضع فكقرب الكواكب وبعدها عن دائرة معينة وغيرها، وأما الحركة فالمبحوث عنه في هذا الفن منها هو قدرها وجهتها، وأما البحث في أصل الحركة وإثباتها للأفلاك فمن الطبيعيات، والمراد باللازمة الدائمة على زعمهم وهي حركات الأفلاك والكواكب، وأحرز بها عن حركات العناصر كالرياح والأمواج وغيرها فإن البحث فيها من الطبيعيات"[95]، ويضيف التهانوي أن العلوم المتفرعة عنها خمسة، أولها علم الزيجات والتقاويم "وهو علم تتعرف منه مقادير حركات الكواكب السيارة منتزعا من الأصول الكلية ومنفعته معرفة موضع كل واحد من الكواكب السبعة بالنسبة إلى فلكه وإلى فلك البروج وانتقالاتها ورجوعها واستقامتها وتشريقها وتغريبها، وظهورها واختفائها في كل زمان ومكان وغيرها"[96].

وثالثها علم كيفية الأرصاد وهو "علم تتعرف منه كيفية تحصيل مقادير الحركات الفلكية والتوصل إليها بالآلات الرصدية ومنفعته علم الهيئة وحصول عمله بالفعل"[97]، وأما عن رابع العلوم علم تسطيح الكرة، فيقول عنه: "علم تتعرف منه كيفية إيجاد الآلات الشعاعية ومنفعته الارتياض بعلم هذه الآلات وعملها وكيفية انتزاعها من أمور ذهنية مطابقة للأوضاع الخارجية والتوصل بها إلى استخراج المطالب الفلكية"[98]، وأخيرا علم الآلات الظلية وهو علم تتعرف منه مقادير ظلال المقاييس وأحوالها والخطوط التي سمتها أطرافها ومنفعته معرفة ساعات النهار بهذه الآلات، وهذه الآلات كالبسائط والقائمات والمائلات من الروخامات ونحوها"[99].

ولا يفوتنا أن نرجع لأقسام الحكمة النظرية للننوه بالقسم الثالث منها ألا وهو العلم الطبيعي والذي يعرفه التهانوي كما يلي: "هو علم بأحوال ما يفتقر إلى المادة في الوجودين ويسمى بالعلم الأدنى لدنائته وخساسته من حيث الاحتياج إلى المادة في الوجودين، وبالعلم الأسفل وهو ظاهر وبالطبيعي لأنه يبحث فيه عن الجسم من حيث اشتماله على الطبيعة"[100]، وموضوعه الجسم الطبيعي من حيث أن

يستعد للحركة والسكون[101]، ثم يذكر بأن أصوله ثمانية: "الأول منها العلم بأحوال الأمور العامة للأسجام والثاني علم السماء والعالم وهو علم يبحث فيه عن أحوال الأجسام التي هي أركان العالم وهي السموات وما فيها وموضوعه الجسم المحسوس من حيث معرض للتغير في الأحوال والثبات فيها، ويبحث فيه عما يعرض له من حيث هو كذلك"[102]، وأما الثالث فالعلم بكون الأركان وفسادها، والرابع عن العلم بالمركبات غير التامة ككائنات الجو، والخامس في العلم بأحوال المعادي والسادس في العلم بالنفس النباتية والسابع العلم بالنفس الحيوانية والثامن والأخير عن العلم بالنفس الناطقة[103].

وبعد ذلك يشير إلى أن العلوم التي تتفرع عليه وتنشأ منه فهي عشرة: أولها علم الطب وثانيها علم البيطرة والبيزرة والحال فيه بالنسبة للحيوانات كالحال في الطب بالنسبة للإنسان وعني بالخيل دون غيرها من الأنعام لمنفعتها للإنسان في الطلب ومحاربة الأعداء وجمال صورها، وكما عني بالجوارح أيضا لمنفعتها وأدبها في الصيد وإمساكه[104]، وأما عن ثالث العلوم الطبيعية فيذكر علم الفراسة "وهو علم تتعرف من أخلاق الإنسان من هيئة ومزاجه وتوابعه وحاصله الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن"[105]، إضافة إلى علم تعبير الرؤيا ويقول عنه: "علم يتعرف منه الاستدلال من المتخيلات الحلمية على ما شاهدته النفس حالة النوم من عالم الغيب"[106]، ويتبعه التهانوي بعلم أحكام النجوم ليقول: "هو علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية"[107]، وبعده يأتي علم السحر وهو "علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة بأشياء خفية ومنفعته أن يعلم ليحدر لا ليعمل ولا نزع في تحريم عمله"[108]، ويليه أيضا علم الطلسمات ويعرفه على أنه "علم يتعرف منه كيفية تمازج القوى العالية الفعالة بالقوى السافلة المنفعلة ليحدث عنها فعل غريب في عالم الكون والفساد"[109]، ثم ينتقل التهانوي إلى علم ثامن هو علم السيميا فيقول: "أنه قد يطلق على غير الحقيقي من السحر وهو الأشهر، وحاصله إحداث مثالات خيالية لا وجود لها في الحس، وقد يطلق على إيجاد تلك المقالات بصورها في الحسن وتكون صورا في جوهر الهواء وسبب سرعة زوالها تغير جوهر الهواء، ولفظة سيميا عبراني معرب أصله سيم يه ومعناه اسم الله"[110]، ويعقبه بالعلم التاسع وهو علم الكيمياء وعنه يقول: "هو علم يراد به سلب الجواهر المعدنية خواصها وإفادتها

خواصا لم تكن لها..."، وأخيرا العلم العاشر وهو علم الفلاحة ذاكرا أنه علم تتعرف منه كيفية تدبير النبات من بدء كونه إلى تمام نشوءه[111]، وقبل أن يختم حديثه يضيف علم النجوم ويقول: "هو علم بأصول تعرف بها أحوال الشمس والقمر وغيرهما من بعض النجوم، وموضوعه النجوم من حيث يمكن أن تعرف بها أحوال العالم ومسائله كقولهم كلما كانت الشمس على هذا الوضع المخصوص هي تدل على حدوث أمر كذا في هذا العالم[112]، ونراه يعلم بأن "مبادئ الأقسام الثلاثة (الإلهي والطبيعي والرياضي) مستفادة من أرباب الشريعة، متصرفة على تحصيلها بالكمال بالقوة العقلية على سبيل الحجة"[113].

وهذا ما جاء في حديث التهانوي عن الحكمة النظرية، أما عن القسم الثاني ألا وهو الحكمة العملة، فهي بالمثل كان لها نصيبها من الدراسة والتي هي "العلم بأحوال أعيان الموجودات إما الأفعال أو الأعمال ووجودها بقدرتنا واختيارنا"[114]، وهي ثلاثة أقسام إم علم بمصطلح شخص بإفراده ويسمى تهذيب الأخلاق وعلم الأخلاق والحكمة الخلقية، وفائدتها تهذيب الأخلاق، أي تنقيح الطبائع بأن تعلم الفضائل وكيفية اقتنائها لتزكي بها النفس، وأن تعلم الرذائل وكيفية توقيعها لتطهر عنها النفس وإما علم بمصالح ماعة متشاركة في المنزل كالولد والوالد والمالك والمملوك ونحو ذلك ويسمى تدبير المنزل أوعلم تدبير المنزل والحكمة المنزلية وفائدتها أن تعلم المشاركة في المدينة ويسمى السياسة المدنية ويسمى أيضا بعلم السياسة والحكمة السياسية والحكمة المدنية وسياسة الملك وفائدتها أن تعلم كيفية المشاركة التي بين الناس ليتعاونوا على مصالح الأبدان ومصالح بقاء نوع الإنسان[115]، ثم يشير التهانوي إلى أن بعض هذه الأمور معلومة من صاحب الشرع على ما يدل عليه تقسيم الحكمة المدنية إلى ما يتعلق بالملك والسلطة إذ ليس العلم بهما من عند صاحب الشرع.

و أخيرا نخلص للقول بأنه:

- تتوضح لنا القسم الثلاثية للعلوم عند التهانوي من علوم عربية وعلوم شرعية وعلوم حقيقية.
- يبدأ التهانوي بالعلوم العربية (الخالصة نشأة وتنظيرا) وتأتي على رأس العلوم في تصنيفه، كابن النديم والفارابي وابن الأكفاني وأبو العباس بن علي القلقشندي، وهذا مبدأ مخالف لتصنيف أرسطو الذي يبدأ بالمنطق، وإن البدء بعلم اللغة

والعلوم المرافقة في التصنيف الإسلامي يبدو طبيعيا لأنها مداخل ضرورية للعلوم الإسلامية (الدينية).

- نوه التهانوي بعلم الكلام باعتباره رئيسا للعلوم الشرعية ومنه تستمد وهو لا يستمد من غيره، في حين يضع نظيره علم المنطق فيترأس بدوره العلوم الفلسفية الأرسطية (النظرية والعملية) وهو آلة لها.

- فلسفة التهانوي مثلت نسيجا يعكس الوحدة العلمية بين الميادين المختلفة وهي ميزة في الفكر الإنساني تجسدت منذ الكندي والفارابي، وكما يتضح تأثير الفارابي على التهانوي بآرائه لا بعمق تفكيره (في العلوم العربية مثلا وأقسام الحكمة النظرية والعملية).

- نجد التهانوي يتابع التقليد المتبع في سبيل تعداد العلوم الفلسفية لدى الفلاسفة المشائين من المسلمين واليونان وإن اختلفت المراتب، فيضع المنطق في قسم أعلى عن العلوم الفلسفية الأخرى وبذلك هو آله لها –كما أشرنا سابقا- علما أنه يذكر تسعة أقسام للمنطق ستة منها تتفق مع ما شرحه الفارابي، أما الثلاثة الباقية منها فوردت بمسميات م ختلفة عنه كالكليات الخمس والتعريفات ثم التصديقات.

- يلاحظ تأثير الفكر الفلسفي الأرسطي بمبادئه الإلهية والرياضية والطبيعية مع علوم عصره والسابقة عليه، ويكاد يتفق مع حاجي خليفة في نقلها عن أرسطو وإن كان هناك تغير في بعض المسميات مثل: علم الهندسة (من العلم الرياضي) والذي يسميه حاجي خليفة بعلم الجومطريا وعلما أن العلم الإلهي عند كليهما تقابله الميتافيزيقا عند أرسطو.

وبهذا يتبنى التهانوي الأقسام الرئيسية للفلسفة الأرسطية (النظرية والعملية) ويضعها تحت اسم العلوم الحقيقية التي لا تتغير بتغير الملل والأديان ولتحتل المرتبة الثالثة بعد العلوم العربية والإسلامية، ويفلت من ذلك قسم الفلسفة الإنتاجية.

- إن العلوم العربية والإسلامية ومعظم علوم الفلسفة الأرسطية السابقة الذكر تشكل خطة تصنيف التهانوي للعلوم، ولهذا يبدو جليا أن مجاله في التصنيف يختلف بدرجة كبيرة عن مجال خطة تصنيف أرسطو، وكما نلمح تصورا أفلاطونيا في مرتبة الرياضيات الوسط بين العلوم الفلسفية.

- والملاحظ أن أغلب العلوم التي ذكرها التهانوي بالكشاف –العلوم العربية والإسلامية تواجدت عند حاجي خليفة "بكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" وتقترب إن لم نقل تتفق في تعاريفها، باستثناء خاصية القوائم البيبليوغرافية عند حاجي خليفة، ناهيك عن الإسهاب في الشرح –علما أن التهانوي يتوخى الإيجاز-

وفي فصل أطلق عليه "فصل في تبيان العلوم المحمودة والمذمومة"[116]، فإن التهانوي يقيم العلوم من وجهة نظر إسلامية ويشير إلى أنها تكون إما محمودة أو مذمومة و"المحمودة بعضها من فرض العين وبعضها من فرض الكفاية"[117]، ففي فرض العين يستشهد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضةعلى كل ،مسلمٍ ومسلمةٍ"[118]، فنظرا لقيمة العلم يتم الحث على طلبه واعتباره فريضة، واختلف العلماء في أي علم طلبه فرض عين، فيأخذ التهانوي بعلم ما كلف الله تعالى عباده من الأحكام الاعتقادية والعملية، وأنه يقوم بتحديد قيمة العلم بالنسبة للدين مثل الغزالي.

فالمحمود عنده هو العلوم الشرعية في فروض الكفايات، من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة وآثار الصحابة، والتعلم بعلم اللغة التي هي آلة لتحصيل العلم الشرعيات وكذا العلم بالناسخ والمنسوخ والعام والخاص، مما في علم الفقه وعلم القراءة، ومخارج الحروف، والعلم بالأخبار وتفاصيلها والآثار وأسام رجالها ورواتها ومعرفة المسند والمرسل والقوي والضعيف منها، وكذا معرفة الأحكام لقطع الخصومات وسياسة الولاة وكلها علوم تتعلق بالآخرة لأنها سبب استقامة الدنيا كما يقول، ويضيف أيضا علم الفتوى، وهذا فضلا عن العلوم العقلية المحمودة منها من فروض الكفايات فيذكر التهانوي علم الطب وعلم الحساب والحرف والصناعات –كما ورد ذكرها عند الغزالي-.

وأما عن المذموم عنده، فيقول: "هي التاتارخانية، أما عن السحر والنيرنجات والطلسمات وعلم النجوم ونحوها فهي علوم محمودة، وأما علم الفلسفة والهندسة فبعيد عن علم الآخرة"[119]، أما المنطق فمسألة توقف عندها الفلاسفة والمصنفون، فقيمته ترتبط بالشرع، إذ يقول عنه التهانوي: "هو من آلات العلم الشرعي من فقه وحديث وتفسير، وهو علم مفيد لا محذور فيه، إنما المحذور فيها

ما كان يخلط به شيء من الفلسفيات المنابذة للشرائع، ولأنه كالعلوم العربية في أنه من مواد أصول الفقه، ولأن الحكم الشرعي لابد من تصوره والتصديق بأحواله إثباتا ونفيا، والمنطق هو المرصد لبيان أحكام التصور والتصديق، فوجب كونه علما شرعيا، إذ هو ما صدر عن الشرع، أو توقف عليه العلم الصادر عن الشرع توقف وجود كعلم الكلام، أو توقف كمال كعلم العربية والمنطق"[120].

ونستمر في استنطاق نصوص الكشاف حتى يجرنا الحديث إلى التنويه بالمواد التي وردت بعد المقدمة والتي تجلت بدورها ضمن الألفاظ المصطلحة العربية وهي الأعظم حجما، وقد تحوي بعض الألفاظ غير المصطلحة أيضا، إضافة إلى الألفاظ الأعجمية، وهي ضئيلة العدد بالمقارنة مع الأولى وكلها بترتيب هجائي.

وكما هو واضح من أن التهانوي لا يتعرض للحديث عن الاصطلاحات بدون التعرض أولا للعلوم نفسها، وهنا تتبين أهمية المقدمة التي خصها في بيان العلوم المدونة وما يتعلق بها، إذ يبدو أنه يؤكد على فكرة أجزاء العلوم وتمايزها والعلم الموحد لها (والبحث في عوارضها وأحوال موضوعاتها) [121].

وكتاب "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" موسوعة بحد ذاته ومادة علمية قيمة أصيلة لا يستغنى عنها دارس المعرفة التراثية، وفي ميادين العلوم المختلفة ومختلف الصياغات اللفظية.

وإن تصنيف التهانوي للعلوم تصنيف قيمي أي مبني على أساس القيمة مثل كل من الخوارزمي وحاجي خليفة، ولكونه يستخدم بدوره ألفاظ أخلاقية تنتمي إلى لغة القيم كقوله العلوم "المحمودة" و"المذمومة"، وقوله: "مرتبة العلم" و"الشرف" –بعنصر الرؤوس الثمانية- وهذا مزا نطلق عليه باصطلاح الفلسفة بالأساس الأكسيولوجي.

والكتاب إذن موسوعة عامة في العلوم البشرية وفلسفة التصنيف، إذ يستند التهانوي إلى مصطلح ويتخذه أساسا لكتابه وكان من أثر التوسع في العلوم وكثرة الألفاظ المشتركة بينها مؤلفات كثيرة تتناول المصطلحات التي تتصل بعلم خاص أو مجموعة من العلوم، ومن هذه المؤلفات كتاب "مفاتيح العلوم" للخوارزمي و"التعريفات" للجرجاني و"جامع العلوم الملقب بدستور العلماء" لأحمد النكري، ولكن كتاب التهانوي يفوق جميع هذه الكتب في عدد مواده وشموله ومنهجه، فقد

بحث موضوعات العلوم متدرجا من الدلالات اللغوية إلى غيرها من الدلالات الاصطلاحية العلمية العقلية منها والنقلية، وتوسع في الحديث عن مسائل كل علم وما يتعلق به.

5- مميزات التصنيف وعيوبه:

تميز التهانوي في عرض علومه بالمنطقية التي سار عليها منذ بدء عرضه للعلوم إلى آخرها، ولم يحدث الاضطراب إلا قليلا، فقد التزم بمبدأ شرف العلم الذي بدا واضحا في ترتيبه المنطقي للعلوم الشرعية كما التزم بمبدأ العلم السابق وسيلة للعلم اللاحق.

- تميز بالأمانة العلمية في الإشارة إلى الكتب التي أخذ منها، وتحديد ما أخذه.
- المحافظة على ترابط الموضوعات المتشابهة مثل علوم اللغة والأدب، وتمييزه وتحديده لعلوم البلاغة.

ومن المآخذ التي تؤخذ على تصنيف التهانوي:

- الاضطراب الواضح في بعض أجزاء تصنيفه الذي تمثل في ذكر علم الطب مرتين كفرع للعلم الطبيعي، ثم أعاد ذكره مرة أخرى بعد الانتهاء من عرض فروع العلم الرياضي.
- كما ذكر علم النجوم كفرع للعلم الطبيعي ضمن أحكام النجوم ثم أعاد ذكره بعد عرض فروع العلم الطبيعي والرياضي.
- ذكر الأصول بعد الانتهاء من عرض الفروع مثل ذكر علم السماء والعالم بعد الانتهاء من فروع العلم الطبيعي والعلم الرياضي.
- عدم الالتزام بطريقة واحدة في عرض العلم، فعند عرضه لكل علم كان يذكر نقاطا معينة مثل: تعريف العلم، وموضوعه، ومبادئه، ومسائله، ولكنه لم يلتزم بتلك النقاط في بعض العلوم، مثل علم البيان، فيذكر فقط: موضوع العلم وتعاريفه دون ذكر مبادئه ومسائله، كما يذكر في علم البديع الموضوع والتعريف فقط.

الهوامش والتعليقات:

1- تقديم الكشاف، ص.1

[2]- يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة،مصر: مطبعة سركيس، ص645.

[3] - خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم. ط.5. بيروت: دار العلم للملايين، 1980،ص295- إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون،بغداد:مكتبة المثنى،1955، مج2، ص353.-فوزي خليل الخطيب، تصنيف المعارف والعلوم عبر العصور، الأردن: مؤسسة حماد للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، 2002، ص255.

[4] - تقديم الكشاف، ص 1

[5]- تقديم الكشاف، ص 11

[6] - مقدمة الكشاف، ص2.

[7] - مقدمة الكشاف، ص1.

[8] - غزلة: دولة استقلت سنة 962م، أسسها الب كين ثم خلفه أحد المماليك وهو سبكتكين الذي خلفه بعد وفاته سنة 997م ابنه محمود، وقد منحه خليفة بغداد لقب يمين الدولة وأمين الملة، كما حصل أيضا نحو سنة 1001م على لقب الغازي وهو من أوائل الألقاب في الإسلام، وهي مدينة شديدة البرد وكبيرة وخصبة. (راجع: الدوميلي (Aldo Mieli) العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالي، تر. عبد الحليم النجار، القاهرة: دار العلم، 1962، ص190- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، 1991، ص180).

[9] - خير الدين الزركلي، الأعلام، [ب.م]، [ب.ن]، 1980، مج6، ص295.-يوسف اليأن سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، ص645.

[10] - الطبعة التي أقوم بدراستها تضيف للعنوان مصطلح "موسوعة" فربما إقرارا بموسوعية المصدر لا غير.

[11] - حكمت هذه الإمبراطورية أكثر من ثلاثة قرون [1526م-1858م] وأول ملوكها بأبر، وآخرهم بهادرشاه الثاني، الذي أعقب حكمه الاحتلال البريطاني للهند، وبهذا العصر شهدت الهند أوج عظمتها وأوق فترات تاريخها.

[12]- النيروز: اتخذ النيروز من الفرس جما الملك، كان الدين قبله قد تغير وظهر الجور، فلما ملك جدد الدين وأظهر العدل فسمي اليوم الذي ملك فيه نوروز أي يوم جديد عربته العرب فقلبوا الواو ياء وقالوا نيروز. (أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا القاهرة:المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة، ب.ت.،ج1، ص432).

[13]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، بلاد الهند في العصر الإسلامي: منذ فجر الإسلام وحتى التقسيم، القاهرة، دار الفكر العربي، 2002، ص218.

[14] - المرجع نفسه، ص443.

[15] - مقدمة الكشاف، ط. القاهرة، ص.و.

[16] - عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، العنوان السابق، ص446.

[17] - جلال مظهر، مآثر العرب على الحضارة الأوربية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1960، ص24.

[18] - محمد أمين البنهاوي، معجم المصطلحات المكتبية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1985، ص150.

[19] - سعود بن عبد الله الحزيمي، المراجع العربية، السعودية: معهد الادارة العامة، 1990،ص287.

[20] - محمد علي الفاروقي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح.علي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان، 1996، ج1، ص359.

[21] - المصدر نفسه، ص607.

[22] - المصدر السابق، ج2، ص1398.

[23] - التهانوي، العنوان السابق، ج2، ص.ن.

[24] - المصدر نفسه، ص.ص 1357-1397.

[25] - الفن الأول: في ألفاظ المصطلحة العربية، قد يكثر فيه بعض الألفاظ غير المصطلحة أيضا، وهو مشتمل على أبواب والأبواب مشتملة على فصول، والمراد بالباب أول الحروف الأصلية، وبالفصل آخرها، والألفاظ المركبة تطلب من أحد أبواب مفرداتها، مثل: باب الألف هو مشتمل على فصول، وفي فصل الباء منه يذكر لفظتي: الأدب والأوبة (من الإياب).

أما الفن الثاني فخصه للألفاظ العجمية، وهو مشتمل على أبواب والأبواب على فصول بترتيب حروف الهجاء كالفن الأول ولكن الفصل ليس آخر حرف من الكلمة وإنما ثاني حرف منها.

ولكن ما يهمنا أصلا بكتاب التهانوي "كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" القسم الخاص بالمقدمة في بيان العلوم وما يتعلق بها –ووجهة نظر التهانوي في تصنيفه لها- وهو قسم متفق عليه في مختلف الطبعات.

[26] - المصدر السابق، ج2، ص1818.

[27] - مقدمة الكشاف، ص1.

[28] - مقدمة الكشاف، ط.القاهرة، 1963، ص.ر.

[29] - علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ضبطه وفهرسه محمد بن عب الحليم القاضي، القاهرة، دار الكتاب المصري، 1990، ص7.

[30] - مقدمة الكشاف، ص2.

[31] - المصدر نفسه، ص5.

[32] - المصدر نفسه، ص6.

[33] - المصدر نفسه، ص6.

[34] - المصدر نفسه، ص6.

[35] - المصدر نفسه، ص7.

[36] - المصدر نفسه، ص8.

[37] - المصدر نفسه، ص17. تشغل العلوم العربية من مقدمة الكشاف حوالي 12 صفحة.

[38] - المصدر نفسه، ص17.

[39] - المصدر نفسه، ص 17.

[40] - هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن عذنان، جد جاهلي، بنوه قبيلة كبيرة، وكان أكثر سكان وادي ونخلة المجاورة لمكة منهم، ولهم منازل بين مكة والمدينة ومنهم في جبال السراة، وكانوا أهل عدد وعدة ومنعة واشتهر منهم كثيرون في الجاهلية والإسلام وفيهم شعراء ومشاهين (خير الدين الزركلي، الأعلام، مج8، ص80. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن اضح)، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، ب.ت، مج1، ص229- عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب: القديمة والحديثة، ط2، بيروت، دار العلم للملايين، 1968، ج3، ص1213.

[41] - كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة، من كلب، من قضاعة، جد جاهلي، يرتقي نسبة للقبائل العربية القحطانية، وبنوه قبيلة ضخمة يقال لها كنانة عذرة، وسكنوا أعالي الحجاز بالقرب من تبوك وجوارها، وانحدرت منها قبائل كثيرة منها: بنو عدي، بنو جناب، وغيرها (عمر رضا كحالة، العنوان نفسه، ج3، ص996. خير الدين الزركلي، العنوان نفسه، مج5، ص234.).

[42] - نجد: وهو إقليم يمتد بين اليمن جنوبا وبادية السماوة شمالا والعروض وأطراف العراق ويسمى نجدا لارتفاع أرضه (حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، 1964، ج1، ص4.

[43] - حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، جد جاهلي قديم كان ملك اليمن، وإليه ينسب الحميريون (ملوك اليمن) وهو من سلالة العرب العاربة، أي العرب الخلص أو الأصليون، ولد له بناء كثيرون انحدرت منهم

قبائل كثيرة منها: السكاسك، الشعبيون، بنو الريان، قضاعة (خير الدين الزركلي، الأعلام، مج2، ص284. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج1، ص8. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج1، ص195.

[44] - همذان بن مالك بن زيد بن أوسلة، من بني كهلان، من قحطان، جد جاهلي قديم، كان بنوه يسكنون في شرقي اليمن، ونزل كثير منهم بعد الإسلام في بلاد الحجاز وغيرها، وقد تشيع قسم كبير منهم وإنحاز للإمام علي بن أبي طالب وانحدرت منهم بطون كثيرة (خير الدين الزركلي، العنوان نفسه، مج8، ص94. عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ج3، ص1225).

[45] - طيء بن أدد بن بني يشجب، من كهلان، يرتقي نسبه لقبائل العرب القحطانية، جد جاهلي، كانت منازل بنيه في اليمن، ثم انتقلوا إلى الشمال وسكنوا بين جبلي أجأ وسلمى من بلاد نجد، إلى الشمال الشرقي من المدينة المنورة، وقد انحدرت من طيء قبائل كثيرة منها: نبهان، جديلة، ثعلبة، وغيرها، ونبع فيها شعراء كثيرون ومشاهير. (حسن إبراهيم حسن، العنوان نفسه، ج1، ص.ص 8-9. عمر رضا كحالة، العنوان نفسه، ج2، ص689. خير الدين الزركلي، العنوان نفسه، مج3، ص 234).

[46] - عبد القيس بن أفضى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن عدنان، جد جاهلي، النسبة إليه عبيدي وقيسي، والي عبد القس وكانت ديار بنيه بتهامة ثم خرجوا إلى البحرين واستقروا بها وهم بطون كثيرة. (عمر رضا كحالة، العنوان نفسه، ج1، ص826. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج1، ص224).

[47] - مقدمة الكشاف، ص.ص 18-19.

[48] - المصدر نفسه، ص20.

[49] - المصدر نفسه، ص23.

[50] - المصدر نفسه، ص24.

[51] - المصدر نفسه، ص26.

[52] - المصدر نفسه، ص27.

[53] - المصدر نفسه، ص28.

[54] - المصدر نفسه، ص28.

[55] - المصدر نفسه، ص2.

[56] - تشغل العلوم الشرعية حوالي 16 صفحة من مقدمة الكشاف.

[57] - المصدر نفسه، ص28.

[58] - المصدر نفسه، ص29.

[59] - المصدر نفسه، ص31.

[60] - المصدر نفسه، ص31.

[61] - المصدر نفسه، ص35.

[62] - المصدر نفسه، ص36.

[63] - المصدر نفسه، ص36.

[64] - المصدر نفسه، ص37.

[65] - المصدر نفسه، ص40.

[66] - المصدر نفسه، ص40.

[67] - المصدر نفسه، ص41.

[68] - المصدر نفسه، ص42.

[69] - المصدر نفسه، ص42.

[70] - المصدر نفسه، ص43. تتكأ العلوم الحقيقية على حصة كبيرة من الكشاف بحوالي 23 صفحة.

[71] - يسميه التهانوي بعلم الميزان كما يسميه كل من طاش كبرى زادة وحاجي خليفة في "كشف الظنون".

ويسمى بعلم أنفيكسيكي كما ذكرته مدارس بالهند تقوم على حفظ تفاصيل المناهج الفلسفية مثل مدرسة كارتيلا وهو وزير أول إمبراطوري موري وعنده إرثا أو الثروة هي الهدف الرئيسي للحياة وما تبقى يقوم على الناحية الاقتصادية، إضافة إلى مدرسة "مانو" ومدرسة "براهسباتي". (أنظر: سرفبالي راوكرشنا، الفكر الفلسفي الهندي، تر. ندره اليازجي [ب.م]: دار اليقضة العربية [ب.ت]، ص 281، ص275).

[72] - المصدر السابق، ص44.

[73] - مقدمة الكشاف، ص.ص 44-45.

[74] - المصدر نفسه، ص47.

[75] - المصدر نفسه، ص50.

[76] - المصدر نفسه، ص50.

[77] - المصدر نفسه، ص52.

[78] - المصدر نفسه، ص53.

[79] - المصدر نفسه، ص.ص 52-53.

[80] - المصدر نفسه، ص52.

[81] - المصدر نفسه، ص 52.

[82] - المصدر نفسه، ص.ص 53-54.

[83] - المصدر نفسه، ص.ص 57-58.

[84] - المصدر نفسه، ص58.

[85] - المصدر نفسه، ص.ص 58-59.

يشير التهانوي إلى أن كلمة "اندازه" فارسية بمعنى الهندسة، حورت عربيا إلى هنسدة

[86] - المصدر نفسه، ص 59.

[87] - المصدر نفسه، ص59.

[88] - المصدر نفسه، ص60.

[89] - المصدر نفسه، ص60.

[90] - المصدر نفسه، ص60.

[91] - المصدر نفسه، ص60

[92] - المصدر نفسه، ص60

[93] - المصدر نفسه، ص60

[94] - المصدر نفسه، ص60

[95] - المصدر نفسه، ص61.

[96] - المصدر نفسه، ص63

[97] - المصدر نفسه، ص64.

[98] - المصدر نفسه، ص64.

[99] - المصدر نفسه، ص64.

[100] - المصدر نفسه، ص52.

[101] - المصدر نفسه، ص55.

[102] - المصدر نفسه، ص64.

[103] - المصدر نفسه، ص53.

[104] - نفسه، ص56.

[105] - نفسه، ص56.

[106] - نفسه، ص56

[107] - نفسه، ص56.

[108] - المصدر نفسه، ص57.

[109] - المصدر نفسه، ص57.

[110] - المصدر نفسه، ص57.

[111] - المصدر نفسه، ص57.

[112] - المصدر نفسه، ص65.

[113] - المصدر نفسه، ص52.

[114] - المصدر نفسه، ص52.

[115] - المصدر نفسه، ص.ص 50-51.

[116] - المصدر نفسه، ص.ص 65-69.

[117] - المصدر نفسه، ص65.

[118] - أخرجه ابن ماجة في سننه، ج81/1، عن أنس (نقلا عن مقدمة الكشاف، ص65).

[119] - مقدمة الكشاف، المصدر السابق، ص67.

[120] - المصدر نفسه، ص.ص 68-69.

[121] - راجع أكثر: المصدر نفسه، ص.ص 7-13. -مقدمة كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص.ص 6-10.

قتل الكتب والمكتبات جريمة ضد الإنسانية جمعاء

د. قوميد فتيحة
جامعة وهران احمد بن بلة 1
د. جبران خليل ناصر
جامعة وهران احمد بن بلة 1

- مقدمة:

يقول المولى عز وجل: **"هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا"**(سورة الإنسان آية78). كان هذا قبل أن يظهر إنسان وادي الرافدين فصدحت قيثارته بلحن الوجود. ومن ثم غير وجه الأرض بابتداعه الكتابة التي صارت أساس الحضارة الإنسانية، فنقش ميراثها على ألواح الفخار فحفظت سجلاتهم ووثائقهم في المعابد والقصور. وكانت إيذانا بتشكل اولى المكتبات الفعلية، والتي اطلق عليها (بيت اللوحات) لتحتضن الإنتاج الفكري الذي ترعرع في مناخ سياسي مستقر واقتصاد قوي مزدهر، وبيئة علمية وثقافية متفوقة بمقاييس عصرها. فكانت بدورها منفذا رئيسيا لأمم أخرى تقتدي بها وتبني عليها، عبر الممرات الطبيعية بين قارات العالم القديم: بين حضارات مابين النهرين ووادي النيل وبلاد فارس والإغريق.

غير أن اليد التي ابدعت وقدمت كل هذا الميراث الحضاري لم تسلم من نزعات نفوس شريرة، عمدت في كثير من الأوقات – حين سنحت لها فرصة التوسع والاستعمار- أن تستلب الكثير من آثارها التاريخية وجعلت من نفسها وصيا على التاريخ الحضاري لتلك الأمم المغلوبة. فاستأثرت بتلك الآثار حين نقلتها إلى بلدانها، وسجنتها في متاحفها: فمسلة حمورابي وفيها تشريعاته القانونية صارت في متحف اللوفر بباريس. ومكتبة آشور بانيبال في المتحف البريطاني بلندن ولوحات مكتبات أور المسمارية في المتحف البريطاني، وفي متحف جامعة فيلادلفيا (ولاية بنسلفانيا) في الولايات المتحدة الأمريكية، والأمثلة كثيرة.

ليأتي الدور على الكتاب والتاريخ التراجيدي وعلاقته بالإنسان، بدءا من سرقة الألواح السومرية وتهشيمها، حتى النهب المروع لمكتبات العراق بعد احتلاله في

سنة 2003. فأميط اللثام عن قتلة الفكر وانحطاط سلوكهم. وانكشفت الدوافع الخفية وراء تدمير الكتب والمكتبات ومراكز الثقافة. إذ يعتقد أعداء الحضارة إن حرق كتب الآخرين وتدمير ثقافتهم المختلفة شعيرة للتطهير، وتكريس محو الآخر. وبهذا التدمير يظهر لنا هؤلاء الغزاة نزعات كامنة في أعماق شخصيتهم، ترى أن القوة الخالدة للكتب تكمن في كونها مستودعا للمعرفة البشرية وذاكرتها. وهكذا يصبح تدمير كتب الآخرين ممن نختلف معهم أو حتى الذين لا نفهمهم، تعبيرا عن إلغاء ذاكرتهم، ومحاولة محو سيرتهم من التاريخ.

1- لمحة تاريخية موجزة عن تدمير الكتب والمكتبات:

إذا عدنا إلى ما ورد في كتب التاريخ عن تدمير المكتبات فهو فعل تواصل على مر العصور. ظهر مدمرو المكتبات(*) بالتزامن مع ظهور الكتب نفسها، وظلوا يتوالدون مع تكاثر الكتب: بقدر ما تزداد كميتها، يزداد السعي إلى تدميرها. وسواء اعتبرت المكتبة رمزا للنظام أو على العكس: رمز النظام، فهي دائما تتوسط الأزمات والمواجهات؛ لكنها في غالب الأحيان، لا تعيش بعدها.

قبل التطرق الى تاريخ تدمير الكتب لا بد من ذكر الاسباب التي تؤدي بالمجتمعات او بالأفراد إلى تدمير الكتب والمكتبات فقد اوجزها مؤلف كتاب حرق الكتب في التراث العربي السلامي الى ستة اسباب: فقد تكون شرعية، أو علمية أو سياسية، اجتماعية أو قبلية، نفسية أو تعصبية. كذلك تعددت طرق اتلاف الكتب فقد يتم تدميرها اما بالحرق، او بالدفن، بالغسل بالماء او الاغراق وتارة اخرى كان تتلف الكتب اما بالتقطيع أو التخريق.[1]

تاريخ تدمير المكتبات قديم قدم وجود الكتب والمكتبات حيث اشارت الدراسات التاريخية الى ان من اقدم ما دمر من مكتبات يعود الى سنة 625 قبل الميلاد، حيث تم تدمير مكتبة الملك آشور بنيبال جراء عوامل الزمن. اكتشف البريطانيون بقايا هذه المكتبة سنة 1860؛ وقد لاحظ المكتشفون وجود رقما طينية، وأرسلوا جزءا منها الى المتحف البريطاني في لندن حيث دهش القيمون على المتحف عندما رأوا أن هذه الرقائم نصوصا بالغة الأهمية، من بينها: ملحمة جلجامش، وقصة الخليقة، وأسطورة أدابا، الإنسان الأول. وتبين لهم أن آشور بنيبال هو الذي كان يجمع بنفسه هذه الرقم وينظمها، ويعيد كتابتها.[2]

إن تدمير المكتبات بدأ في مصر، في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، مع أخِناتون. فعندما تسلم العرش دمر في طيبة النصوص السابقة القديمة. وكان دافعه إلى ذلك سياسيا، من أجل أن ينشر فكرة الوحدانية، أو فكرة الإله الواحد. وهكذا دمر النصوص التي تشكل مرجعا للمنظومات الفكرية غير الوحدانية. [3]

التاريخ حافل بالصور والنماذج عن حرق الكتب والمكتبات فمثلا حرق مكتبة الإسكندرية على أيدي العرب المسلمين، او على ايدي غيرهم؛ من الامور التي شغلت بال العديد من الباحثين فقد تناول أ.د. جاء بالله هذا الموضوع بالقول: "ولا ريب أن الأمم لا تركن إلى رفض الآخر ثقافة وفكرا إلا في لحظات الوهن في تاريخها. ولنا مثلا في فهارس ابن النديم والطوسي والإشبيلي فضلا عن طبقات ابن أبي أصيبعة ما يشير في جلاء إلى أن العربي عرف– يوم كان عالما- كيف يأخذ عن الدنيا في غير وجل وكيف يجزل لها العطاء في غير من... أما يوم عظمت في عينه الصغائر فإنه ابتدع عقيدة الانطواء على الذات وفضيلة الاكتفاء بالمتاح. ثم أوجد في تاريخه ما يبرر به قعود همته مثل أسطورة حرق مكتبة الإسكندرية*. "أما توينبي فهو لم يتوقف عندها طويلا واعتبرها مجرد "أسطورة" على معنى الخبر الزائف في عرف المؤرخين" [4] هذا فيما يتعلق بتدمير مكتبة الإسكندرية.

قد شهدت مكتبة سابور التي أسست في عام 381 هـ في مدينة بغداد مصيرا مأساويا لا يقل فظاعة عما جرى لمكتبة الاسكندرية. وقيل: إن (مكتبة سابور) تنسب إلى مؤسسها أبو نصير سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي. وقد ذكرها المؤرخون تحت أسماء مختلفة. فذكرها ابن الأثير تحت اسم (خزانة الكتب) وذكرها أبو العلاء المعري، وياقوت الحموي تحت اسم (دار العلم) [5]. وقد استمرت المكتبة تقدم خدماتها للجميع طوال سبعين سنة، ثم أحرقت عند مجيء الملك طغرل بك[*] في سنة 450هـ.

أما مكتبة بغداد أو بيت الحكمة التي أسسها الخليفة العباسي هارون الرشيد ، ثم ازدهرت المكتبة في عهد المأمون خليفة المسلمين من سنة 198 هـ إلى سنة 218 هـ. ولم تكن تؤدي هذه المكتبة فقط دورها كمكتبة عادية، بل كانت تنشط فيها حركة الترجمة والنسخ. كان يقصدها طلبة العلم من كل مكان، لكن بعد غزو هولاكو لبغداد عام 656هـ [6] تم تدميرها؛ مما جعل المؤرخ العريق ابن الأثير

صاحب كتاب "الكامل في التاريخ" يقول: "لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فكنت أقدم رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فياليت أمي لم تلدني، وياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا". [7]

لم يكن مصير دار العلم بالقاهرة أفضل من مصير بيت الحكمة في بغداد، حيث كانت تعد أضخم مكتبة عرفها التاريخ الإسلامي. وقد أسس المكتبة الخليفة العزيز بالله الفاطمي في قصره، ثم بنى ابنه الحاكم بأمر الله مبنى خاصا للمكتبة في عام 395 هـ بجوار القصر. لقد تعرضت مكتبة القصر الفاطمي ومكتبة دار العلم لأزمات كثيرة أضاعت الكثير من ذخائرها؛ فأولها كانت الأزمة الاقتصادية والسياسية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله عندما استولى الجند الأتراك على زمام الأمور في مصر عام 461هـ، وانتهبوا 18000 مجلد من العلوم القديمة؛ بالإضافة إلى 2400 مخطوطة للقرآن بزخرفات ذهبية وفضية، وأقتسم الوزير أبي الفرج محمد أبن جعفر والوزير السابق الخطير بن الموفق كتعويض مقابل خدماتهما وأموال موظفيهما[*]، من أبشع ما قام به هؤلاء هو جعلهم لجلود الكتب الجليلة النادرة أحذية لخدمهم وجواريهم وحرقوا الأوراق؛ بحجة أنها تضمنت عقائد دينية إسماعيلية؛ مما يناقض معتقداتهم، وشكل الرماد تلالا عظيمة في منطقة الأبيار، التي لا تزال حتى اليوم تدعى بتلال الكتب، كما رمي كثير منها في النهر، أو اتلف سوى قليل حمل إلى سائر الأمصار [8].

وبذلك يبدو ان الغاية من حرق الكتب والمكتبات هو اخفاء الكثير من الحقائق التاريخية وهو ما اشار اليه جورجي زيدان بالقول: "ان احراق الكتب كان شائعا في تلك العصور تشفيا من عدو أو نكاية فيه ، فكان أهل كل شيعة أو ملة يحرقون كتب غيرها".[9]

كما أن(Lucien X. Polastron) يشير إلى أن تدمير الكتب في الصين بدأ في السنة 213 ، وكان عملا سياسيا محضا قام به الإمبراطور(كن)، باسم "توحيد" الصين، بناء على نصيحة مستشاره (لي سي) الذي قال له: "العودة إلى الماضي ضعف"، فأجابه: "إذا، علينا أن نمحو الماضي." اما في أوربا ففي فهو يتحدث عن عهد "محاكم التفتيش" في إسبانيا، وكيف كانت تحرق الكتب العربية والعبرية.

وكيف أن إسبانيا، بعد أن طردت العرب واليهود، صدرت "التعصب" إلى "العالم الجديد"، وكيف أن هذا العالم دمر كليا كتب الآزتيك والمايا. ويفتخر لاس كازاس[*] بهذا التدمير قائلا "إنني فخور بتدمير كتبهم كلها." ويقول ايضا (Lucien X. Polastron)أن ملايين الكتب تعفنت إبان الثورة الفرنسية. وكان الثوار يستخدمون ورقها خرطوشا للمدافع. وفي عهد "الكومونة"[*] , أحرقت المكتبات الكبرى كلها، وبينها مكتبة اللوفر، باستثناء المكتبة الوطنية.

لم يتوقف مسلسل تدمير الكتب والمؤسسات الوثائقية؛ ففي عام 1814 تم حرق مكتبة الكونجرس الأمريكية بصورة متعمدة من طرف البريطانيين [10]. ويتحدث المؤلف كذلك عن العصر الحديث – عن هتلر، وستالين،– وعن الجرائم الضخمة التي ارتكبت في هذا المجال. إن تدمير الكتب في الحرب العالمية الثانية، كان له آثار وخيمة على الكتب، كما تم حرق عشرين الف نسخة في برلين في ساحة الاوبرا في 10 ماي 1933 من قبل مجموعة من الطلبة الالمان[11].

كما أن احراق مكتبة جامعة الجزائر من قبل المنظمة السرية للجيش الفرنسي (OAS) في 07 جوان 1962 أياما قلائل قبل الإعلان عن الاستقلال. هي جريمة ارتكبت ضد العلم والثقافة ومستقبل الشباب الجزائري. أتى احراق المكتبة على ما يقارب 400.000 كتاب ومخطوط من مجموع 600.000 عنوان إلى جانب تخريب المكتبة ومخابر العلوم ومدرجين. وتم تحويل حوالي 200.000 كتاب بعد عملية الإنقاذ إلى ثانوية عقبة بن نافع بالعاصمة والتي أعيدت بعد عامين إلى مكتبة الجامعة. وهناك عشرات الحوادث المماثلة التي يصعب حصرها في هذا المقال[12].

2- مظاهر ونماذج عن تدمير الثقافة العراقية:

كانت لحرب الخليج أضرارا بالغة على التراث العراقي. حيث ندد البروفيسور جيبسون، الذي ترأس عمليات التنقيب في العراق منذ عام 1964، بأول تفجير في "حرب الخليج" كان على عجائب الهندسة المعمارية بالعالم، مثل زقورة أور (2100) قبل الميلاد، كما أصيبت المعالم التاريخية بهذا الموقع الاثري بأربعة مئة من القذائف ، كما ان الجيش العراقي الذي قد قام بتثبيت طائرات بالقرب من مسقط رأس إبراهيم ظنا منه بان هذا الموقع لن يتعرض للهجوم)، قوس مدائن

الطوب الضخم، الأقدم في العالم، لكن قد تم قصفه في هذه الفترة وقصر آشوربانيبال في نينوى وكنيسة من القرن العاشر في الموصل. كما تم تحويل القرى القديمة الى معسكرات من قبل جنود الولايات المتحدة الامريكية. وعلاوة على ذلك، الحصار الذي شهده العراق كان مسؤولا عن أضرار جسيمة لقطع اثرية فريدة من التراث، حيث أن ظروف التخزين السيئة بسبب عدم وجود المواد الكيميائية اللازمة لصيانة المجموعات الاثرية (ممنوع الاستيراد) ادت الى تسرب المياه الجوفية ، وتسرب الحرارة (بعد وقف تكييف الهواء)، وبالتالي تسبب ذلك في عملية تدهور لآلاف القطع الاثرية يصعب علاجها.[13]

وبمرور السنين تفاقم الوضع، فبعد احتلال العراق سنة 2003 م، أخذ الغزو أبعادا خطيرة، فإلى جانب تدمير البنية التحتية وتجويع شعب بأكمله، ازاداد الوضع سوءا ليطول المكتسبات الحضارية والثقافية إذ في ظل الفوضى العارمة التي رافقت الاحتلال، امتدت الأيادي المدسوسة لنهب المخطوطات والكتب الثمينة والنادرة من مكتبات الجامعات العراقية، وغيرها مثل المكتبة الوطنية. فقد اشار التقرير الذي اعده (Jean-Marie ARNOULT)[*] الى ان مراكز الأرشيف والمتاحف الأثرية والجامعات ومراكز البحث العلمي والمؤسسات الثقافية لم تسلم من عمليات الإتلاف والسرقة والحرق، وفقدت أو حطمت القطع الأثرية، وأتلفت الوثائق الأرشيفية الجارية والتاريخية، وقواعد البيانات العراقية وهو ما يعد خسارة فادحة يصعب تقديرها إذ معها تفقد الحضارة الإنسانية جزءا ثمينا من ذاكرتها ومن رصيدها التاريخي والفكري.[14]

وكانت بداية النهب متحف بغداد الوطنى، فقد سرقت قوات الاحتلال أكثر من مئة وسبعين ألف قطعة أصلية من آثار الحضارات التي تعاقبت على العراق منذ آلاف السنين، وتركت الذي لم تستطع سرقته هي ليسرقه الغوغاء وعصابات الجريمة المنظمة. ويضم المتحف الوطني العراقي عددا كبيرا من أروع نماذج ما صنعته الحضارات الأولى في بلاد ما بين النهرين، فضلا عن الألواح التي كتبت عليها شريعة حمورابي التي تعتبر أولى التشريعات القانونية التي سنها الجنس البشري، وتشمل الطواقم الأثرية الموجودة في المتحف حليا ذهبية لملكات آشوريات حكمن قبل أكثر من 2500 سنة[15]. كما أن المتحف العراقي هو مستودع هائل لتاريخ

العراق القديم، ومنطقة الشرق الأوسط والإنسانية جمعاء، بل إن من الصعب بناء تصور الإنسانية لتاريخها بدون الميراث الهائل لبلاد الرافدين.

وما أصاب المتحف الوطني أصاب المكتبة الوطنية العراقية أيضا، فلم لم يعد في المكتبة التي تضم مخطوطات تاريخية مهمة سوى زجاج النوافذ المحطمة، بعد نهب وحرق نحو مليون طن من محتوياتها النادرة من الوثائق والمخطوطات. تعد المكتبة الوطنية من أهم المؤسسات الفكرية والثقافية في العالم العربي، كما أنها مصدر هام لتاريخ العراق الحديث. تضم المكتبة مئات الألوف من المجلدات والكتب، بعضها قد يكون النسخ الوحيدة المتوفرة في أي مكان من العالم بما في ذلك مكتبتا الكونغرس والمكتبة البريطانية. ويمكن القول إن المكتبة احتوت نسخا من الغالبية العظمى من الكتب التي طبعت ونشرت في العراق منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى تاريخ الغزو الأمريكي 2003. إضافة إلى ذلك، احتوت المكتبة نسخا من الصحف والدوريات التي صدرت في العراق منذ بداية عصر الحياة الصحافية في عهد الوالي مدحت باشا في ستينات القرن التاسع عشر. كل هذا جعل من المكتبة الوطنية العراقية مرآة حقيقية لتاريخ العراق الفكري والاجتماعي - السياسي طوال القرنين الماضيين، ومصدرا لا يمكن الاستغناء عنه لكل الباحثين في تاريخ العراق وحاضره، عراقيون كانوا أو غير ذلك.[16]

دار الوثائق القومية العراقية هي المؤسسة الرئيسية لوثائق تاريخ العراق في العصر العثماني، عصر الاستعمار البريطاني، والعهدين الملكي والجمهوري.، والجدير بالذكر أن تعقيدات التاريخ السياسي العراقي، قد جعلت الدار مستودعا لساحة تاريخية واسعة تتجاوز الساحة العراقية. فقد احتوت الدار مثلا آلاف الوثائق الهامة المتعلقة بتاريخ الأشراف في الحجاز وتاريخ الأسرة الهاشمية ككل، كما وثائق تاريخ القضية الفلسطينية والسياسات العربية تجاهها خلال الفترة ما بين الحربين العالميتين. بل إن وثائق تاريخ العراق الملكي، بما في ذلك رسائل المسؤولين العراقيين وأوراقهم الشخصية وسجلات المراسلات الحكومية والدبلوماسية، وجدت جميعها في هذه الدار. إلى جانب ذلك، أودعت الدولة جزءا كبيرا من وثائق الحرب العراقية - الإيرانية في هذه الدار. فوق ذلك كله، ضمت الدار الآلاف من الوثائق والمطبوعات الرسمية للعهد العثماني، خاصة تلك المتعلقة بولاية بغداد. [17]

قال جيفري روبر، رئيس وحدة المراجع الإسلامية في جامعة كامبردج حينها: "إذا فقدت الممتلكات الشخصية للناس يمكن استبدالها، لكن هذه الأمور لا يمكن استبدالها. الأرشيف العراقي يحتوي على الكثير من أوائل الكتب العربية المطبوعة، والتي هي نادرة جدا وهشة للغاية، وقد نجا الكثير منها في الطبع واحد أو اثنين فقط. وقال انه نوع من الأشياء التي ظهرت في المعارض الدولية في الماضي " لقد فقدت أيضا المواد من مكتبة وزارة الأوقاف، التي تحتوي على مواد مبكرة نادرة القانونية والأدبية، التي لا تقدر بثمن المصاحف والخط.

مكتبة وزارة الأوقاف: وهي مكتبة ذات طابع خاص تضم مجموعة من نسخ القرآن الكريم تعتبر إحدى أهم وأكثر المجموعات القرآنية فرادة في العالم، كتبت بيد خطاطين مسلمين كبار ويعود بعضها إلى العصر العباسي. هذه المجموعة قد اختفت بالكامل. وليس من الواضح حتى الآن مصير الجزء الآخر من المكتبة وهو ذلك الخاص بآلاف الوثائق والمخطوطات والكتب الإسلامية، التي تغطي التاريخ الإسلامي كله من الحقبة العباسية وحتى العصر الحالي. كما أن الغموض يحيط مصير عدد لا يحصى من إجازات العلماء المسلمين وهي مصدر لا غنى عنه لدراسة التاريخ الفكري الإسلامي حتى مطلع القرن العشرين، بما في ذلك تاريخ العلاقات بين العلماء والكتب والمناهج الفكرية السائدة في مرحلة ما بعد مراحل التاريخ الإسلامي. إضافة إلى ذلك، فإن مصير آلاف الوقفيات التي تشكل المصدر الأهم لتاريخ العراق الاقتصادي- الاجتماعي غير معروف حتى الآن [18]. كما يقول اسامة النقبشندي [*]: "بعد احتلال بغداد عثرت القوات الأمريكية على كمية من المخطوطات والكتب، من بينها لفائف جلدية لأسفار التوراة، موضوعة داخل اسطوانات من الخشب بعضها مغلفة بالفضة في أحد مخازن جهاز المخابرات السابق، فاستولت عليه ووضعها في شاحنة كبيرة مكيفة، وتم الكشف عليها من قبل خبراء دار المخطوطات والمتحف العراقي، فقدم تقرير إلى هيئة الآثار بأنها مواد تراثية يشملها قانون الآثار النافذ، ويجب أن تسلم إلى هيئة الآثار والتراث. إلا أن ممثل البنتاجون الدكتور إسماعيل حجارة (وهو أمريكي الجنسية أرسل من أمريكا للإشراف على هيئة الآثار والتراث) كان وراء نقلها إلى أمريكا، فحاولت إقناعه بعدم الموافقة؛ لأن إسرائيل تسعى للاستحواذ على الأسفار اليهودية منذ السبعينيات،

وهي بأقلام مشاهير الخطاطين اليهود في بغداد وعمرها يزيد على (150) عاما فلم يكترث، وقبل أن يتخذ أي إجراء نقلت هذه المجموعة خلسة إلى نيويورك ." [19]

This 1793 Babylonian Talmud was one of several sacred Jewish texts that was recovered from the basement of Saddam Hussein's intelligence headquarters in 2003. The items were rescued and brought to the U.S. to be restored. Photo by U.S. National Archives

هذه مخطوطة لعام 1793 التلمود البابلي واحدة من بين عدة نصوص اليهودية مقدسة التي كانت موجودة في مركز صدام في الطابق السفلي حتى عام 2003. تم نقلها إلى الولايات المتحدة لاستعادتها.[20]

أما أرشيف الإذاعة والتلفزيون العراقي: فهو أرشيف لا يقل أهمية من الناحية التاريخية والثقافية عن المراكز الأربعة المذكورة أعلاه، فقد بدأت الإذاعة العراقية البث منذ الثلاثينات بينما أسس التلفزيون العراقي في الخمسينات من القرن العشرين. يضم هذا الأرشيف عددا لا يحصى من الاسطوانات والأشرطة والملفات التي تحتوي مواد موسيقية وغنائية، برامج ومواد وتسجيلات لمحطات هامة وبارزة في تاريخ العراق الحديث. بعض التسجيلات الخاصة بقيادات العراق السياسية منذ الملك غازي وحتى صدام حسين هي تسجيلات ذات أهمية تاريخية لا تقدر، وا لبعض الآخر من التسجيلات الفنية والموسيقية يعتبر إرثا جميعا للعراقيين والعرب والعالم.[21]

من المراكز المهمة التي دمرت اثناء احتلال الولايات المتحدة للعراق مركز صدام للفنون: وهو المركز الذي ضم مقتنيات الدولة العراقية من الأعمال الفنية التشكيلية خلال قرن بأكمله، ويعد مركز الفنون الذي تأسس عام 1986 من أكبر الصروح الثقافية في العراق، حيث كان يتم فيه استقبال المهرجانات الفنية العالمية والمعارض التشكيلية المحلية والعالمية فضلا عن كونه متحفا يضم لوحات

نادرة لكبار الفنانين في العراق تعود لحقب مختلفة، وتتخذه اليوم وزارة الثقافة العراقية مقرا لها،بينما فقد بريقه الفني في مجالات الرسم والنحت والخزف. ووفق وكالة الأنباء الألمانية، كان المركز يضم قبل عام 2003 حوالي 8000 لوحة فنية لرواد الفن العراقي وفنانين معاصرين لكن في أحداث السلب والنهب والسرقات التي رافقت سقوط حقبة الرئيس العراقي الراحل صدام حسين في إبريل عام 2003، أدت إلى سرقة واتلاف حوالي 7000 لوحة، ولا يزيد عدد اللوحات الموجودة به حاليا على 1900 لوحة.[22]

من المكتبات الجامعية العراقية التي شهدت هي الاخرى الدمار والتخريب - مكتبة جامعة الموصل: وهي المكتبة الرئيسية في مدينة الموصل، المدينة التي تعتبر وعاء تاريخيا للميراث العربي - الإسلامي. وتضم المكتبة، إضافة إلى آلاف الكتب الضرورية لأي جامعة حديثة، آلافا أخرى من المخطوطات العربية - الإسلامية وعددا هائلا من الوثائق التاريخية الخاصة بتاريخ المدينة والعراق منذ العهد العثماني وحتى الآن. وفي حين تأكد تعرض المكتبة للسلب والنهب طوال يومين على الأقل، فمن غير الواضح حتى الآن حجم الخسائر التي انتابتها.[23] في الأخير قال بعض الأكاديمين الدوليين آنذاك أن حرق المكتبة الوطنية في العراق هو "خسارة مدمرة" وهو ما يعادل فقدان المكتبة البريطانية. وأضافوا أن فشل الجيش الأمريكي لمنع كارثة ويجب التحقيق لمنع حدوث ذلك مرة أخرى. ويصف الدكتور (Riedlmayer) [*] فشل القوات الأمريكية لمنع عمليات السلب والنهب باسم "مخز تماما"، قائلا انها انتهكت سلسلة كاملة من الاتفاقيات الدولية لقواعد الحرب في العراق[24].

3- دور المنظمات الدولية في حماية الممتلكات الثقافية والتاريخية:

إن فقهاء القانون الدولي الإنساني يجسدون جوهر الجريمة في: الإبادة الجسدية وتعني الاعتداء على الحياة وسلامة الجسم. الإبادة البيولوجية وتتمثل في الحيلولة دون نمو الجماعة البشرية نموا طبيعيا، وفي إعاقة التناسل. الإبادة الثقافية والفكرية وتتمثل في عزل المجتمع عن باقي المجتمعات في العالم.

لقد أدرك المجتمع الدولي أهمية الثقافة في حياة البشر، باعتبارها جسرا ممتدا بين الأمم والشعوب، مهما تباينت في اختياراتها السياسية والاجتماعية وفي

أنماط الحياة وأساليبها. لهذا أصبحت حماية الممتلكات الثقافية موضع اهتمام المحافل الدولية ومنظمات المجتمع المدني، نظرا لما تمثله هذه الأعيان من قيمة ثقافية وروحية كبيرة تشترك فيها الإنسانية جمعاء. وتعد موروثا حضاريا للبشرية على مر العصور. فكان من نتائج هذا الاهتمام إقرار العديد من الاتفاقيات الدولية التي غرضها حماية الممتلكات الثقافية أثناء النزاع المسلح الدولي والغير الدولي. نذكر منها:

- اتفاقية جنيف لعام 1949 وملحقيها سنة 1977.
- انفاقية لاهاي لعام 1954 والبروتوكولين الملحقين بها الأول لعام 1954 والثاني لعام 1999.
- اتفاقية اليونسكو لعام 1970 المتعلقة بالتدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بوسائل غير مشروعة.
- اتفاقية حماية النراث العالمي الثقافي والطبيعي لعم 1972
- الاتفاقية الدولية لاسترجاع الممتلكات الثقافية المسروقة أو المصدرة بطرق غير مشروعة لعام 1995.
- اتفاقية حماية التراث الثقافي المغمور بالمياه لعام 2001
- اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي لعام 2003
- اتفاقية حماية وتعزيز وتنوع اشكال التعبير الثقافي لعام 2005

كما تتعاون في الوقت الحاضر ومنذ سنوات منظمات دولية عديدة لحماية عموم الممتلكات الثقافية للشعوب اهمها:

- المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) ومقرها باريس
- المنظمة العالمية لحماية الملكية الفكرية (الويبو) ومقرها جنيف
- منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الانتربول) ومقرها باريس
- المنظمة الاسلامية والثقافة والعلوم (الايسيسكو) ومقرها الرباط
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اليسكو) ومقرها القاهرة

فكانت اتفاقية لاهاي الخاصة بالحرب البرية لعام 1907 أولا، ثم تعززت باتفاقية 1954 وبرتوكولها الأول الذي أرسى دعائم تنظيم قانون دولي يحمي الممتلكات الثقافية على نحو متكامل. وفي العام 1999 اكتملت تلك الاتفاقية بالبروتوكول الثاني لاتفاقية لاهاي لتعزيز حماية هذه الأعيان، فجاءت بنص واضح ومفصل يعرف الممتلكات الثقافية في المادة الأولى " يقصد من الممتلكات الثقافية، بموجب هذه الاتفاقية، مهما كان أصلها أو مالكها ما يأتي:

(أ)الممتلكات المنقولة أو الثابتة ذات الأهمية الكبرى لتراث الشعوب الثقافي كالمباني المعمارية أو الفنية منها أو التاريخية، الديني منها أو الدنيوي، والأماكن الأثرية، ومجموعات المباني التي تكتسب بتجمعها قيمة تاريخية أو فنية، والتحف الفنية والمخطوطات والكتب والأشياء الأخرى ذات القيمة الفنية التاريخية والأثرية، وكذلك المجموعات العلمية ومجموعات الكتب الهامة والمحفوظات ومنسوخات الممتلكات السابق ذكرها.

تعد اليونسكو الجهة الوحيدة على الساحة التي تستطيع عمل شيء إزاء ما حدث فيمكنها مناشدة المكتبات في العالم ألا تقبل أيا من المخطوطات أو الكتب التي خرجت من بغداد سواء قبل الحرب أو بعدها كما عليها أن ترمم ما تلف من المخطوطات خلال الحرب ويمكنها أن تقوم بحملة نداء خارج العراق وداخله لاسترجاع ما فقد من التراث الثقافي والتحف الأثرية ولو بمقابل مادي.

كذلك من الممكن أن يكون هناك تحرك عربي يتم من خلاله تفعيل دور المؤسسات العربية سواء كانت حكومية أو خاصة، وقد يمكن ذلك من خلال عدة خطوات على سبيل المثال:

- التفكير في تدابير مناسبة لتوفير مقومات الصيانة المناسبة للتراث الذي أضير خلال الحرب.
- أن تقوم المنظمات والجهات المعنية بحملات للمشاركة ترميم وصيانة هذا التراث.
- أن تتم مقاطعة مكتبة الكونجرس والمكتبة البريطانية وأية مكتبة أخرى إذا تبين يوما ما أنها اقتنت أيا مما نهب من التراث العراقي على أن تتم محاكمتها أخلاقيا ومهنيا.

- توجيه الدعوة على الصعيد العالمي للمجتمعات والجمعيات المناظرة أن تحذو حذو المجتمع العربي الاسلامى في مقاطعة المكتبات الأمريكية والبريطانية التي يثبت بحقها أنها اقتنت مواد مسروقة من مكتبات العراق.

إن ما حدث ومازال يحدث الآن ليس سوى عملية تجريد شعب يملك حضارة عريقة من تلك الحضارة ومحاولة طمس هويته وثقافته بوحشية وهمجية فاقت كل حد.

خاتمة:

تدمير المكتبات يعد من بين أهم الكوارث التي واجهت الحضارة العربية الإسلامية منذ تاريخها الطويل وحتى يومنا هذا. وأنها سبب رئيسي لتخلف الأمم عن التقدم العلمي وسر ضعفها، وجعلها عرضة للمستعمر الأجنبي. ان المتتبع لبناء الحضارات في العالم قديما وحديثا، يجد أن تأسيس المكتبات واحترام الكتب والمحافظة عليها وتبجيل العلماء والكتاب هو سر تطور الحضارات في العالم. فقد بنيت على اساسها الحضارات في البلدان شرقا وغربا كالحضارة العباسية والفاطمية والأندلسية، إلا أنها أخذت في الأفول بمجرد القضاء على المكتبات وحرق الكتب ومضايقة الأدباء والعلماء والمفكرين. إن الكتاب في الوطن العربي واجهوا عبر العصور المختلفة تحديات كبيرة تمثلت في تدمير الكتب والمكتبات وملاحقة بعض مؤلفي الكتب ومضايقتهم بل وحتى قتلهم. فقد تعددت أسباب تدمير المكتبات والكتب. حيث هناك أسباب شخصية بحتة، وأخرى تمثلت في الخوف من اقتناء الكتب باعتبارها محرمة وممنوعة بخاصة كتب الفلسفة والكتب العلمية. وهناك أسباب أخرى مصدرها الحقد والتعصب الأعمى والجهل القاتل، فضلا عن غزو البلدان العربية واحتلالها من قبل المستعمر الأجنبي وتدمير مكتباتها وحرق ما فيها من كتب، وهذا ما وقع في العراق الذي اخذ كان نموذج لتدمير المكتبات في وقتنا الحالي.

كثيرا ما تستخدم مصطلحات "الممتلكات" الثقافية و"التراث" الثقافي، و"السلع" و"القطع" الثقافية كمرادفات. لكن في الواقع لا يوجد تعريف عالمي لأي منها، فكل دولة تعرف هذه المصطلحات حسب قوانينها وتشريعاتها، ولغرض مكافحة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية، تم الآن توحيد تعريف "الممتلكات الثقافية" لدى الدول الاطراف في اتفاقية اليونسكو لعام 1970،

بشأن التدابير الواجب اتخاذها لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة، واتفاقية المعهد الدولي لتوحيد القانون الدولي الخاص (يونيدروا) بشان الممتلكات الثقافية المسروقة أو المصدرة بطرق غير مشروعة. وتعرف هاتان الاتفاقيتان الدوليتان الممتلكات الثقافية أو القطع الثقافية على انها "ممتلكات تتسم لاعتبارات دينية أو علمانية، بالأهمية بالنسبة لعلم الاثار، أو ما قبل التاريخ، أو التاريخ أو الأدب أو الفن أو العلم. والتي تندرج في احدى الفئات المذكورة على وجه التحديد في الاتفاقيتين" [25].

وضع القانون الدولي العديد من الأحكام المتعلقة لحماية الممتلكات الثقافية، وكان القانون الدولي الإنساني أول من كفل إجراءات الحماية للممتلكات الثقافية، كا تقرر ايضا حماية الأماكن التاريخية والدينية والفنية والعلمية، لما لها من أهمية تاريخية وروحية للأمم وللشعوب، لكن وللأسف ومن خلال ملاحظة سلوك وتصرفات قوات الاحتلال في العراق نجد أنها خالفت العديد من أحكام القانون الدولي الإنساني. فلقد حمت القوات الامريكية وزارة الدفاع ووزارة النفط لكن السؤال الذي يجب طرحه: لماذا تخلت عن المكتبة الوطنية العراقية والمتحف العراقي وبقية المراكز الثقافية المهمة في العراق؟

الهوامش:

*الذين يقومون بتدمير الكتب لهم تسمية خاصة متلفوا الكتب (**biblioclastes**). هؤلاء ليسوا بالضرورة اميين وحاقدين على الكتب والمكتبات فالتاريخ.يشير الى غوبلز،، القارئ النهم للكلاسيكيات اليونانية (وكارل ماركس)، وكان المحرض على تدمير كبير للكتب. في فرنسا نفسها، التي هي مهد للحرية والثقافة، وكانت مسرحا لعدد لا يحصى من احرق الكتب.

1)ناصر الحزيمي، حرق الكتب في التراث العربي الاسلامي، منشورات الجمل متوفر على www.ebooks4islam.com/2014/07/pdf_4494.html تم الاطلاع عليه 2016/03/13

2) Lucien X. Polastron ,Livres en feu: histoire de la destruction sans fin des bibliothèques, Lucien X. POLASTRON, 2004, p 20

3) Jean- louis de Montesquiou, L'ebook et les biblioclastes. Disponible sur: http://www.books.fr/lavenir-radieux-de-la-lecture-lebook-et-les-biblioclastes/, consulté 12/03/2016

*و يقول ايضا أن "الحق إن مما يوجب إعادة النظر في مسألة إتلاف مكتبة الإسكندرية على يدي عمرو بن العاص بإذن من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أن رواياتها أتت من المؤرخين العرب المتأخرين بحوالي ستة قرون عن فتح مصر سنة 642م، مثلما هو شأن ابن القفطي والملطي والبغدادي والمقريزي وكلهم من القرن الثالث عشر ميلادي. نقل بعضهم عن بعض دون مساءلة أو تحقيق وتبعهم في ذلك بعض المفكرين المحدثين مثل دالامبير وديدرو المشرفين على تأليف الموسوعة الفرنسية في القرن الثامن عشر ثم هيغل وتوينبي، وإن بكثير من التحفظ. فهيغل يورد "المسألة" على أنها "إشاعة" مشيرا إلى ما تلتئم عليه من تناقض مع ما تأكد من عناية المسلمين "بالفنون والعلوم ونشرها في كل مكان.

4) منصور سرحان، حرق الكتب وتدمير الكتب عبر التاريخ، متوفر على:

http://arablibrariannet.blogspot.com/2007/04/blog-post.html. تم الاطلاع عليه في 2016/03/04

* المصادر التاريخية تشير إلى أن عدد الكتب التي احتوتها بلغ زهاء 10400 كتاب، من بينها مائة مصحف بخط ابن مقلة. ومن بين المترددين عليها أبو العلاء المعري، وجاء ذكر المكتبة تحت اسم «دار العلم« على لسانه في "سقط الزند": أخازن دار العلم كم من تنوفة أتت دوننا فيها العوازف واللغط".

* تمكن طغرل بك من الاستيلاء على نيسابور عام 432، وعلى جرجان وطبرستان عام 433، كما ضم اليه في العام نفسه كرمان وبلاد الديلم، كان ملك على السلاجقة ، ولم يكن له أولاد.

5) انظر: محمود شاكر، التاريخ الاسلامي. ج. 6، ص.ص. 212-213. متوفر على:
https://books.google.dz/books?id=ig9_LY6eVboC تم الاطلاع عليه في 2016/03/12.

*الذي حكم الدولة الإسلامية من سنة 149هـ إلى سنة 193 هـ

6) عبد التواب شرف الدين، المدخل الى المكتبات والعلومات، القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2001، ص.17.

انظر ايضا لعى زكي حنظل، النظام المكتبي في العصر العباسي: النشأة ن التطور، عمان: دار السوافي العلمية للنشر، 2013، ص,ص. 36-39 حيث تتطرق المؤلفة للمكتبات في العصر عبسي ودورها في اثراء الحياة الثقافية في ذلك العصر، فقد كانت المكتبة منتدى للعلماء وقاعة بحث للدارسين من مختلف بقاع العالم.

7) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج.10، بيروت: دار صادر، [د.ت.]، ص.213

*التي كان الديوان يدين بها لهما ورغم ان حصة ابي الفرج خمسة آلاف دينار إلا انه أخذ ما يساوي المائة ألف دينار ونهبت من داره بعد أقل من شهر عندما فر الوزير يوم انهزام ناصر الدولة ابن حمدان وذهبت أغلب هذه الكتب إلى عماد الدولة ابن المحترق بالإسكندرية، وبعد مقتله انتقلت للمغرب بالإضافة إلى ما استولت عليه قبيلة لواته الذين عاشوا بدوا على الطرف الغربي لدلتا النيل (ليبيا اليوم).

8) محمد، آل زايد، تدمير المكتبات الفاطمية، متوفر على:
http://www.okhdood.com/?act=artc&id=192، تم الاطلاع عليه 2016/03/04

انظر ايضا فادي عبد الحميد، المرجع في علم المكتبات، عمان: دار اسامة للنشر والتوزيع، 2006، ص.ص. 25 - 28 حيث تعرض المؤلف للمكتبات في عهد الفاطميين ومادته من دور في نشر تعاليم الاسلام وقيمه.

9) زهراء محسن محسن، حرق خزائن الكتب في التاريخ الإسلامي في القرنين الخامس والسادس الهجريين، متوفر على: http://www.uokufa.edu.iq/journals/index.php/kufa_arts/article/view/3679. تم الاطلاع عليه في 2016/03/25.

* بارتولومي دي لاس كأساس) بالإسبانية :(Bartolomé de las Casas)أسقف إسباني (1474-1566)، كان لفترة من الوقت أسقفا على تشياباس في المكسيك، وهو معروف بلقب رسول الهنود،

* الكومونة Commune تعبير مختلف الدلالات، فهو في أوربا اللاتينية يطلق على أصغر وحدة في التقسيم الإداري. وفي روسيا القيصرية كانت الكومونة عبارة عن استثمارة زراعية جماعية تضم عددا من الفلاحين تقوم على الملكية المشتركة وتوفر فيها الحاجيات والخدمات الحياتية على نحو مشترك. وهي عبارة عن شكل من أشكال الادارة الذاتية في مدن أوربا الغربية في القرون الوسطى. بعد انتفاضة العمال المسلحة في باريس عام 1871 ، قُترن تعبير الكومونة بثورة العمال في باريس وأصبحت التسمية كومونة باريس. في 18 آذار/مارس 1871 استولت اللجان الثورية للكومونة على السلطة وحلت محل بلدية باريس في الثورة الفرنسية ثم شكلت حكومة باريس الاشتراكية،سقطة بذلك الحكومة البورجوازية.

تعد كومونة باريس التي لم تعمر أكثر من 70 يوما (من 18 مارس حتى 27 ماي 1871) ظاهرة فريدة في التاريخ فهي استمرار للحركات العمالية في أوربا 1830-1848 من ناحية، ومبشر يعلن عن الثورات الكبرى في القرن العشرين وخاصة الثورة الاشتراكية في روسيا عام 1917، من ناحية ثانية.

انظر الموسوعة العربية. متوفرة على: http://www.arab-ency.com/. تم الاطلاع عليها في 2016/03/12.

10) مرجع سبق ذكره، وهو مرجع مهم به تاريخ تدمير المكتبات عبر كل العصور والازمنة وفي كل الحضارات التي شهدها العالم.

11) Florence Quinche, Quelle éthique pour la littérature?: pratiques et déontologies, Genève: Labor et Fides, 2007, p165

12) إحراق مكتبة جامعة الجزائر: "جريمة بربرية شنعاء" متوفر على: http://www.aps.dz/ar/algerie/16766، تم الاطلاع عليه: في 2016/02/12.

13) ***Joëlle Pénochet,*** L'une des plus grandes catastrophes culturelles de tous les temps. Disponible sur: https://mecanoblog.wordpress.com/2010/05/04/vandalisme-et-pillage-en-irak-berceau-de-la-civilisation/consulté le 16/03/2016

*مفتش عام للمكتبات بفرنسا عام 2003.

14) Bibliothèques irakiennes: vues d'ensemble (juillet 2003). Disponible sur: cfi.ifla.free.fr/archives/conferences/berlin/irakarnoultcorps.htm. consulté le 10/03/2016.

15) Assemblée parlementaire du Conseil de l'Europe, , Compte rendu des débats ,session ordinaire de 2003, (quatrième partie) , 25 sept. – 2 Oct.2003 , Tome IV, Séances 24-33, p.1105.

16)علي الكاش، المكتبة الوطنية في مهب الريح، فصل محزن من قصة تدمير ذاكرة العراق الوطنية، متوفر على: www.sotaliraq.com. تم الاطلاع عليه في 2016/02/15.

17) بشير خزعل، في دار الكتب.. . وثائق الدولة العراقية في مخازن انتهت صلاحيتها منذ 18 عاما متوفر على: http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=97004. تم الاطلاع عليه 2016/03/21.

18) سهيلة شهاب الدين، مكتبات جامعات العراق: التتار يعودون. متوفر على: www.alrabita.info/forum/archive/index.php/t-8924.html. تم الاطلاع عليه في 2016/02/09

* خبير المخطوطات في العراق ومدير عام دار المخطوطات العراقية منذ تأسيسها من 1988حتى 2004

19) اسامة النقشبندي، استهداف المخطوطات في العراق خلال الحرب (1991، 2003)، متوفر على: http://www.alriyadh.com/292637تم الاطلاع عليه: 2016/02/09

20)صور من الأرشيف الوطني الأمريكي

21) جريمة سرقة مكتبة إذاعة بغداد!. متوفر على http://alzawraapaper.com. تم الاطلاع عليه 2016/04/04.

22) العراق يعاني أكبر عمليات سرقة لآثاره منذ 2003. متوفر على: http://www.moheet.com/2015/05/02/2257943/. تم الاطلاع عليه: 2016/04/04.

23) بشير موسى نافع، أولى خطوات التحرير الأمريكي: تدمير ذاكرة العراق التاريخية. متاح على: http://www.alarabnews.com/alshaab/gif/25-04-2003/a29.htm. تم الاطلاع عليه: 2016/03/25

* Andreas Riedlmayer, an Islamic art and architecture specialist from Harvard

24) Andrew Gumbell, Inquiry demanded over US failure to stop library looting, 15avril 2003 disponible sur: http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/inquiry-demanded-over-us-failure-to-stop-library-looting-115361.html. consulté le 20/03/2016.

25) اليونسكو، التدابير القانونية والعملية لمكافحة الاتجار غير المشروع بالممتلكات الثقافية: دليل اليونسكو، متوفر على: www.unesco.org/.../culture/.../illicit-trafficking-of-cul.. تم الاطلاع عليه في 2016/03/24

جودة الأداء بالمكتبات المدرسية:
ضرورة حتمية من أجل منظومة تربوية ناجحة بالجزائر

د. العربي بن حجار ميلود / د.خالدة هناء سيدهم
قسم علم المكتبات والعلوم الوثائقية قسم علم المكتبات
جامعة وهران -1- أحمد بن بلة- الجزائر
جامعة الحاج لخضر /باتنة

مقدمة:

يحظى قطاع التربية بإهتمام متزايد في المجتمع الجزائري، باعتباره ثروة استراتيجية، إذ يغذي المجتمع بنشء يسد الاحتياجات المستقبلية لكوادر بشرية تعمل على النهوض بمستقبل البلاد. لهذا نجد أن وزارة التربية الوطنية تبذل جهودا كبيرة لمسايرة التطورات الحاصلة والاتجاهات والخبرات العالمية المعاصرة، من اجل تطوير المنظومة التربوية، والتركيز على الكيف دون الكم، لمحاولة القضاء على البطالة. والقصور التعليمي وسد الفجوة بين الإنتاج والتعليم، والاهتمام بالمعرفة والسلوكيات والمهارات، ومن هذه المخرجات الالتزام بالمعايير العالمية.

فالمنظومة التربوية بالعالم العربي ككل تواجه تحديات كبيرة، كزيادة الطلب على التعليم، وارتفاع تكاليفه، وتغير متطلبات سوق العمل، والتقدم التكنولوجي السريع في مختلف نواحي الحياة[1]، ومن الجذير بالذكر أن تطوير المنظومة التربوية الجزائرية ضمن إطار جودة الأداء أصبح ضرورة ملحة وهذا للأخذ باحتياجات التحديث والتطوير المعاصر، كون جودة الأداء اكتسبت مزيدا من الأهمية على كافة المستويات الإدارية والتربوية والتعليمية[2].

حيث زادة حدة جودة الأداء في ظل تكنولوجيات المعلومات والاتصالات كونها اجتاحت جميع الميادين وبالخصوص ميدان التربية، هذا الموج العالي أو التسونامي قام بطلب إعادة النظر في الخدمات الرثة التي تقدمها بعض المكتبات المدرسية، لأنها جعلتها أمام حتمية ضرورية إما أن تغير من ممارستها وتركب الموج، وأن تتخلى بعض الإدارات البيروقراطية للمدارس عن الكثير من الأساليب الإدارية

المتعارف عليها التي ألفوها منذ عقود، وأن تكون هناك إدارة واعية ومتحمسة لهذا النظام أو أنها تبقى في مكانها عاجزة عن تقديم أنشطتها على أحسن ما يرام وبالتالي ينتهي بها المطاف نحو الموت المحتم.

كما أن التلميذ أصبح يعتمد اعتماد شبه كلي على شبكة الإنترنت في إعداد بحوثه، وفهم واستيعاب دروسه، وإيجاد الحلول لتمارينه المدرسية، إذ أضحت وسيلة للتحصيل المدرسي وسندا لا يستطيع الاستغناء عنه ولو لحظة، حتى وصل إلى حد الإدمان عليها لدى البعض منهم وهذا شيء خطير جدا، وإذا ركزنا حديثنا على التلميذ الجزائري نجده أصبح بعبارة واضحة له كسل فكري عن عملية التنقيب عن المعلومات بالمكتبة المدرسية، كون هذه الأخيرة لا تمثل له جزء حيوي في تكوينه وقليل من التلاميذ من له دراية بوجود مكتبة بثانويته.

كما أن المكتبي كونه حلقة وصل في كل هذا، نجده مطالب اليوم من أن يغير من سلوكياته على أساس أنه يعيش في بيئة طرأت عليها عدة متغيرات وبالتالي ظهرت هناك ممارسات جديدة، جعلت تسميته اليوم بـ "مختص المعرفة"

لهذا نجد ان مخرجات النظم التربوية ونوعيتها ومستوياتها من القضايا التي تثير اهتمام متزايد لدى المهتمين بشؤون التربية، لدى كان من الضروري الوقوف على الأبعاد والمتغيرات الرئيسية التي تحكم هذه الخدمات وتحدد جودتها لا سيما في ظل ظروف العالم المتطور[3]. إذ أننا بحاجة ماسة وملحة للقيام بمراجعة شاملة للنظام التربوي حتى نتمكن من الوقوف على التحديات وصياغة استراتيجيات وآليات لرفع المعوقات وصولا إلى مواكبة النظام التربوي في العالم المتقدم[4].

فكيف يمكن للمكتبي وللمكتبة المدرسية والمدرسة في آن واحد أن يغيرا من ممارساتهما حتى يستطيعا تحقيق الجودة في الأداء؟ كيف هو أداء المؤسسات التربوية انطلاقا من أحد مرافقها وهي المكتبة؟

1- تعريف المكتبة المدرسية:

يرى الشيمي بأنها: «المركز الفكري للمدرسة الذي يجب أن يتردد عليه كل شخص بالمدرسة-إداري أو مدرس أو تلميذ– من أجل استشارة مواد التعليم»[5]، المكتبة التي تلحق بالمدارس سواء الابتدائية أو المتوسطة أو الثانوية ويشرف على إدارتها وتقديم الخدمات أمين لها، وهدفها خدمة المجتمع المدرسي الذي هو الأداة

التي تحقق بواسطتها الأهداف التربوية[6]، وعلى ذلك فإن: «المكتبة المدرسية يقع عليها عبء تكوين المجتمع القارئ الذي يقود الحياة الثقافية والأدبية والعلمية في المستقبل»[7]، وعرفت أيضا بأنها: «مجموعة من المواد التعليمية والتثقيفية المختلفة – مواد قرائية وسمعية بصرية – اختيرت ونظمت تنظيما فنيا خاصا – بحيث يمكن تقديم الخدمات المكتبية المتعددة إلى التلاميذ وإلى أعضاء هيئة التدريس في الوقت المناسب في صورة كافية »[8].

بالإضافة إلى التعاريف السابقة الذكر فإن المكتبة المدرسية حظيت بالكثير من التعريفات وهذا بسبب التعدد في المراحل الدراسية الابتدائية والمتوسطة والثانوية بالإضافة إلى تنوع أعمار المستفيدين منها من مرحلة لأخرى، ولعل هذه الميزات أثرت في اختلاف المكتبين عند تعريفهم للمكتبة المدرسية، ومن أبرز هذه التعريفات:

إذ اعتبر جين لويس(Jean Lewis) المكتبة المدرسية أساسا هاما في فعالية أي نظام تعليمي لاحتوائها على مجموعة من المراجع المساعدة في استقصاء المعلومات ودورها في تشجيع التلاميذ على استخدام موادها وكيفية الوصول إلى المعلومات[9]، وتوصل الباحثون في مجالات التربية وعلوم المكتبات إلى تعريف المكتبة المدرسية بمفهومها الحديث بأنها: «المجموعات المنظمة من مواد مطبوعة وغير مطبوعة أي (مصادر المعلومات) الموجودة في مكان واحد داخل المدرسة تحت إشراف فني متخصص».[10] تعرف توجهات الإتحاد الدولي لجمعيات المكتبات(IFLA The International Federation of Library Associations and Institutions) المكتبة المدرسية بأنها: « مجموعة من المواد المطبوعة والسمعية البصرية المركزية في المدرسة تحت إشراف اختصاصين مهنيين مؤهلين وتوفر أكبر عدد من المصادر مع إتاحتها للمستفيد، مستخدمة في ذلك أجهزة الحاسبات آلية وغيرها من الوسائل، وتوفر المكتبة بيئة تعين على اكتشاف الذات لتشجع فيها على التساؤل والاعتماد على النفس »[11]، كما عرفت لائحة المكتبات المدرسية المصرية المكتبة المدرسية بأنها: « هي أحد المقومات الأساسية للعملية التعليمية، وهي مجال النشاط الفردي والجماعي لاكتساب المعلومات، وتتولى وظائف الاختيار والاقتناء لأوعية القراءة وأوعية البحوث والمراجع، والتنظيم الفني لتلك الأوعية، ثم خدمة التلاميذ وهيئة التدريس»[12].

2- تحديد مفهوم جودة الأداء:

فالجودة من جذر جود وحسب إبن منظور الجيد نقيض الرديء، وأصله جيود واستجدت الشيء أعددته جيدا[13]، وبالتالي نجد أن مفهوم جودة الأداء مرتبطة بمدى مطابقة المكتبة المدرسية للمعايير والمواصفات، والتميز والإتساق. كون الجودة قابلة للقياس وللملاحظة، إذ يرى جوران (Juran) أنها (مدى ملاءمة المنتج للغرض أو الاستخدام)، ويرى ديمنج (Demming) انها: "الوفاء بحاجات المستفيد ومستقبلا"[14]، كما يرى فيرى بسترفيلد (Besterfield) أن الجودة تمثل تقنية لضمان بقاء واستمرار ميزة التنافس للمؤسسة، ويعرفها النبوي بانها تكامل الملامح والخصائص لمنتج أو خدمة ما تمكنه من كسب رضا العميل وتحقيق رغباته وتوقعاته[15]. ومتعلقة بجوانب أداء المؤسسة ولها علاقة بنوعية ما تنتجه[16]، فهي الوفاء بمتطلبات المستفيد بل وتجازها، أو تلافي العيوب والنواقص منذ المراحل الأولى للعملية بما يرضي المستفيد[17]، فهي الدقة والإتقان، والقدرة على تحقيق طلبات المستهلك بالشكل الذي يتفق مع توقعاته وتحقق رضاءه التام عن الخدمة التي قدمت له، فالجودة مسؤولية كل فرد بالمنظمة[18]. كما عرفت بأنها:" صفة أو درجة تميز في شيء ما وتعني درجة امتياز لنوعية معينة من المنتج"[19]، كون الجودة من أهم الوسائل والأساليب لتحسين نوعية المنظومة التربوية ببلادنا والارتقاء بمستوى الأداء، فهي دليل على بقاء المكتبة المدرسية واستمرارها في ظل تقديم خدمة متميزة للتلاميذ وتلبية احتياجاتهم وتوقعاتهم وصولا إلى تحقيق أهدافها التعليمية في تزويد المجتمع بطاقات ذات جودة عالية.

لهذا نجد أن **الأداء** هو أفضل مستوى من النشاط الذي يقوم به المكتبي والذي يتسم بالكفاءة والفاعلية، وبما يحقق له المشاركة في تحقيق الجودة الشاملة بالمدرسة[20]. بينما محمد نصر ينظر له على أنه الإنجاز الناجم عن ترجمة المعارف النظرية إلى مهارات من خلال الممارسة العملية والتطبيقية لهذه النظريات وبواسطة الخبرات المتراكمة والمكتسبة في مجال العمل[21]. فالأداء يشير إلى الكفاءة والفعالية، والكفاءة تعنى بكفاءة الوظيفة، وهي أيضا ممثلة في الصيانة وتجهيز المباني والكفاءة في التخزين وفي تصميم أنماط الدوران داخل المؤسسة[22].

بينما **جودة الأداء** حسب سشوستر (Schuster) إنها خلق ثقافة متميزة في الأداء حيث يعمل ويكافح المديرون والموظفون بشكل مستمر ودءوب، لتحقيق توقعات العميل وأداء العمل الصحيح بشكل صحيح منذ البداية مع تحقيق الجودة بشكل أفضل وبفاعلية عالية وفي أقصر وقت[23]. وحسب رأي فيشر(Fisher): "تعبر عن درجة التألق والتميز وكون الأداء ممتاز وكون خصائص المنتوج ممتازة عند مقارنتها مع المعايير الموضوعة من منظور المنظمة او من منظور الزبون"[24]، هي القيمة مقابل المال، يعبر عن أبسط نموذج من الناحية الاقتصادية من جمع واستخدام فعال للموارد في عملية تقييم وتحسين جودة الأداء داخل المؤسسات التربوية، مع احترام المعايير الثلاث للتقييم وهي الفعالية والكفاءة والاقتصاد في التكلفة، إذ يمثل الأداء إنجازا كبيرا في نشاط المؤسسات التعليمية على الرغم من ذلك فإن الخبراء في هذا المجال يصعب عليهم تحديد مفهوم جودة الأداء[25].

- جودة الأداء مصطلح حامل لإيديولوجية التقدم، ومحاولة فعل شيء جيد.
- جودة الأداء يعني النجاح إذ هو العملية التي تحدث في لحظة معينة في الوقت المناسب.
- الأداء هو مرادف لجودة التربية.
- الأداء هو مرادف لمردودية الإدارة.

وتمثل جودة الأداء حالة من القدرة التنافسية للمؤسسة التي تصل إلى مستوى من الفعالية والكفاءة، والتي تضمن سوق مستدامة في السوق التنافسية[27].

3- قياس جودة الأداء:

يعني أن نقدر قيمة ومعرفة وسائل القيمة لترجمة الأداء، حيث يتم قياس الأداء في المدارس التربوية من خلال مؤشرات حددها الخبراء وتقنيات مفاهيمية تحدد التقييم مثل المباني المعيارية، ويعتقد البعض الآخر أن مؤشرات الأداء هي المعايير الإحصائية كونها تمثل مقياس يحدد من خلاله جودة البرنامج التعليمي الممثل في[28].

- استخدام إجراءات التقييم الداخلية المناسبة على أساس الخطط والمناهج الدراسية وطرق التدريس وتقنيات تقييم التلاميذ.
- الاختيار الدقيق للمدرس والموارد المستخدمة في إنشاء مرافق التعلم.
- الأنشطة اللاصفية للتلاميذ.

- إنشاء تدفقات التعليم والتعلم.

حتى نستطيع إذا قياس جودة الأداء بالمؤسسات التربوية لا بد من توفر معايير الجودة الممثلة في[29]:

- **القدرة المؤسسية:** لا بد أن تكون المؤسسة التربوية منتجة وتنقل المعرفة التكنولوجيا، وتتوفر على هياكل ذات الصلة، وتعمل على تنظيم أنشطة التدريب والترقية على أعلى مستوى من الأداء.
- **الكفاءة التربوية:** أهمية هذا المجال هي أن المؤسسة التربوية تدير ضمان الجودة في المستوى الإجمالي للأنشطة، بينما في نفس الوقت تنشر المعلومات على مستوى معين من الجودة.

إذ يجب أن تتوفر لدى المؤسسة الموارد الهيكلية وأن تأخذ في الاعتبار صورتها والأهداف المراد تحقيقها وتقع المسؤولية هنا على مدير المؤسسة.

- **إدارة الجودة:** تنفيذ إطار ملائم لإعداد تقرير للتقييم الذاتي، مع توفير أساس للتقييم الخارجي، وفي نفس الوقت ينبغي الأخذ في الاعتبار النتائج التي تم الحصول عليها في فترة من الزمن.

4- المكتبة المدرسية وطريقها نحو جودة الأداء:

تعتبر المكتبة المدرسية مثل باقي الأنواع الأخرى، تؤدي وظيفة تربوية، تثقيفية، علمية وعملية، تسعى إلى هدف تنظيم وترتيب لمجموعاتها، وتوفير الإرشادات والتوجيهات والمساعدة لمستفيديها من خلال تقديم الخدمات والأنشطة المكتبية المتنوعة على أفضل صورة وأكمل وجه[30]، حيث لها دور مهم داخل المؤسسة التربوية كونها تعمل على حفظ وصيانة معتقدات التلميذ، وإدارة المؤسسة التربوية الحديثة هي التي تحقق المناخ السليم والجو المستقر لكل الطاقم، وتتميز بالإيجابية والتعاون بهدف تحسين الأداء، وما نراه اليوم من تغير مستمر للإصلاحات التربوية هو نتيجة التقصير في الأداء، إذ أن ما يقدم للتلميذ هو عبارة عن معلومات مبعثرة يتلقونها جاهزة عن طريق التلقين فيحفظونها للإمتحان، كما أن مدارسنا تميل إلى الإقلال من النشاط الذهني للتلميذ إلى درجة السلبية، تجعله يقبل كل ما يقدم إليه، وكان نتيجة الكسل والخمول والضعف وجود فراغ ثقافي كبير وكل هذا راجع

إلى إدارة المؤسسة التربوية التي لم تستخدم الموارد مثل المكتبة المدرسية بكفاءة ولم تكن بالمستوى المطلوب[31].

لهذا فهي بحاجة إلى جودة في أداء مهامها، التي هي ضرورة ملحة في العقد الحادي والعشرين كونه عقد الجودة طبقا لرائد الجودة الأمريكي جوزيف جوران (J.Juran)، إذ عمل علماء التربية على تطبيق الجودة في التعليم، وقد أشار إداورد ديميج (E.Deming) إلى ضرورة إدخال الجودة في التعليم، والنظر إليها بوصفها منظومة لعمليات الجودة في التربية وللتحسين المستمر في التعليم، فتطبيق معايير الجودة في المكتبات المدرسية ضرورة حتمية ولكن ألا نجعل منها مؤسسات صناعية، وإنما الهدف منها تحقيق الجودة في التربية بقصد تطويرها وتحسينها، لأنها حجر الأساس لرؤية فلسفية جديدة، لتغيير المفاهيم واتجاهاتهم مما يضفي على المنظومة التربوية مناخا إيجابيا منتجا[32]. فالمكتبة المدرسية أحد المرافق الضرورية بالمدرسة ويرتبط أدائها برضا المستفيدين، فالمرافق لها تأثير كبير على حضور التلاميذ وأداء التعلم، حيث يتأثر أداء التلاميذ من خلال التسهيلات المقدمة، وأداء التعلم ليس فقط التركيز على نتائج التلاميذ، ولكن متعلق بمساهمات أخرى منها أداءهم في التوجه نحو المكتبة، من أجل التنمية الاجتماعية وتعلم المحفزات المتعددة، حيث لها أثر إيجابي على العلاقات الاجتماعية سواء بين التلاميذ وأساتذتهم، فحضور التلاميذ للمكتبة دور مهم في التعلم، فانخفاض الحضور يمكن أن يقلل وحتى يضعف قدرة المدرسة على توفير بيئة تعليمية جدية.

فالمكتبة المدرسية ووصولها لجودة الأداء لا بد أن تتوفر مؤشرات عن طريقها يتم تحسين خدماتها وهي كالآتي[33]:

- **تأهيل المكتبي:** توظيف أشخاص لهم ميزات ومواصفات يمكن إجمالها فيما يلي:

- الرؤية الاستراتيجية للمستقبل والمقدرة على تأسيس البنى التحتية وتحقيق وسائل التمويل.
- الاهتمام بتدريب وتأهيل العاملين من الشباب الذين يقومون بأعمالهم بشكل مقبول، وحفزهم لاكتساب المزيد من المهارات والمعارف من أجل وصولهم إلى مستويات كفاية أعلى في الأداء، كون التدريب يشكل العمود الفقري لأي مجهودات تبذلها المؤسسات والمنظمات نحو التطوير والتحديث[34].

- أن تكون له القدرة على إتقان المساءلة وجودة الاستماع وتقديم النصح مع القدرة على جذب العقول والمواهب الواعدة.
- التحلي بالقيم، الأمانة، القبول والعدل. فالمشاركة والرضا الوظيفي ضروري من أجل تقديم أداء جيد[35]، والمشاركة ممثلة في دعم التلاميذ بتوفير التغذية الراجعة لتعزيز التعلم[36].
- التقييم الذاتي من أجل قياس الأداء. وله علاقة أيضا بمتوسط سنوات الخبرة، ونسبة التلاميذ ومتوسط حجم القسم، ونسبة الأساتذة المؤهلين[37].
- مستوى المعرفة والقدرة على تطبيقها بطريقة احترافية، وحل المشاكل لمختلف الفئات المستهدفة[38].

- **أهداف المدرسة:**

- أن تكون لدى المؤسسة التربوية القدرة والدراية على اجتذاب الكفاءات المؤهلة للتعامل مع العقبات وحل المشكلات.
- عقد لقاءات مع التلاميذ المستجدين لتعريفهم بمرافق المدرسة التي تساعدهم في عملية اكتساب المعرفة العلمية[39].
- أن تكون المباني والمساحات مطابقة لما ينص عليه المعيار.
- توفير خدمات لذوي الاحتياجات الخاصة.
- توفير خدمات مفيدة مثل التصوير والماسح الضوئي بالمكتبة.
- تحسين جودة المكتبة المدرسية من خلال التقييم الذاتي المستمر[40]. وهذا من خلال قياس أداءها كونها مرفق إذ المكتبة مصنفة ضمن طاقة المدرسة[41]، انطلاقا من المتغيرات البيئية (المادية والاجتماعية)، فمرافق المدرسة لها تأثير كبير على أداء التعلم[42].
- أسلوب العمل الجماعي التعاوني، ومقدار ما يمتلكه العامل في المؤسسة التربوية من قدرات ومواهب وخبرات وإمكانات[43].
- مدى تكافؤ ميزانية المدرسة مع المكتبة المدرسية.
- دعم أوفياء المكتبة المدرسية من خلال وضع نظام للمكافئة والاعتراف بالأداء المتميز للمكتبي[44].

- **مهمة التلاميذ:**

- الاستفادة من شبكة الإنترنت والمكتبة ومختبرات الحاسوب التي تتوفر للتلاميذ[45].
- تقييم أعضاء هيئة التدريس وأمناء المكتبات من قبل التلاميذ على شكل استبيانات توزع عند نهاية كل حصة[46].

زيادة على العنصرين السابقين فإنه لا بد من مشاركة جميع الأطراف ذات العلاقة في جودة أداء المكتبة المدرسية وهم (التلاميذ، الأساتذة، المناهج الدراسية، سوق العمل، الإمكانات والبنية التحتية، المسؤولون الإداريون، الجهات الرسمية)[47].

- الحرص على استمرار التحسن والتطوير لتحسين جودة مخرجات العملية التعليمية من التلاميذ[48].
- قدرته على الخلق والإبداع والابتكار[49].

- جودة أداء الأستاذ[50]:

- غزارة المستوى العلمي.
- الأداء الأكاديمي المتميز.
- الأداء المهني المتميز.
- مدى مساهمته ومشاركته في تطوير المكتبة المدرسية.

- جودة الأنشطة التربوية[51]:

- عدد التلاميذ المنخرطين بالمكتبة المدرسية والعامة.
- درجة الصلة بين المكتبة والتلاميذ.
- مدى مشاركة أعضاء هيئة التدريس بإنجاح مهام المكتبة المدرسية.

5- المكتبة المدرسية ما بعد جودة الأداء:

التربية الحديثة تركز على توثيق الصلة بين المنهج الدراسي والمكتبة، وكل هذه العوامل مجتمعة أدت بدورها إلى دفع الجميع والحرص والتسابق على القراءة والاطلاع وتحصيل المعلومات من المكتبة المدرسية، فالأمر يتطلب تشجيع وتكليف التلاميذ على استخدام كتب وبرامج خارجية للاستقراء والتجربة والمشاهدة والتأمل والمقارنة والتعلم[52].

إذ أن المكتبة المدرسية ما بعد جودة الأداء أصبحت تحت مسمى "المكتبة الشاملة"، التي لها دور فعال في بناء شخصية التلميذ وتوجيه سلوكه وبناء أجيال قارئة، وهذا هو هدف مدرسة الجودة والمتمثل في[53].

- غرس روح المواطنة في نفسية التلميذ.
- مد يد العون للتلميذ من أجل تكوينه من جميع النواحي.
- تزويد التلميذ بمعارف إنسانية وبمهارات علمية وفنية وعملية.
- إعداد متعلمين يتحلون بما يلي:

- امتلاك المرونة والقدرة للتكيف مع المواقف الحرجة في ميدان العمل المعرفة.
- القدرة على اكتساب المعارف والمهارات الجديدة.
- القدرة على التعلم مدة الحياة.
- التكيف مع المجتمع.
- حل المشكلات والتفكير السليم.
- تشجيع التلاميذ على القراءة الحرة وتزيدهم بالمهارات التي تمكنهم من الاستخدام والمفيد لمحتويات المكتبة والخدمات التي توفرها[54].

6- من مكتبي إلى مختص المعرفة:

بروز مجتمع المعرفة، حتمية ضرورية كون المعرفة أصبحت الركيزة الأساسية لأي منظمة ناجحة، وأدركت المنظمات أن هذا التميز يستند إلى مبادرات إدارية مثل المنظمات التعلم وإدارة الجودة الشاملة، إذ أصبح ينظر إليها على أنها اللبنة الضرورية كونها:" العامل الذي يولد الرؤى، والمكون الذي يقود تفكير الناس، والقدرة التي تقود إلى السلوك القائم على العقلانية... كما أن المعرفة هي العامل الذي يخلق قيمة المنظمة."[55]، إذ للعنصر البشري دور مهم في عصر إدارة المعرفة، كونها ترتبط بالقدرات الإبداعية للإنسان، وبالتالي نجد ان ذلك المكتبي تحول بفضل الممارسات الجديدة التي فرضتها تكنولوجيات المعلومات والاتصالات إلى مختص للمعرفة، كونه يعمل على استرجاع المعلومات وتنظيمها وتقييمها وتصميم قواعد البيانات ومواقع النشر الإلكترونية[56].

فدور مختص المعرفة هو تحديد نوع المعرفة، من خلال تعاونه المتواصل مع فريق عمل متعاون (الطاقم المدرسي)، قادر على الإمساك بالمعرفة، وتفسيرها وتحليلها لتكوين معرفة جديدة، يكون مستعدا للمشاركة بها داخل وخارج المؤسسة، فدوره مركزا على بناء البنية التحتية للمكتبة المدرسية، فهو في الغالب مهتم ببناء المجموعة وتنظيمها واستخدام أحدث التكنولوجيا وتطبيقاتها في عمليات خزن واسترجاع المعلومات، بهدف تزويد المستفيد المناسب بالمعلومات في

الوقت المناسب[57]. إذا عليه أن يتميز بمجموعة من المهارات والخبرات والتعليم الدقيق والمتميز، حتى يستطيع تحويل المعرفة إلى أرباح والتي أطلق عليها رأس المال الفكري، لأن هناك بوادر للتحول من رأس المال المادي إلى رأس المال المعرفي والمعلوماتي، وبالتالي نرى انه من الضروري أن يتميز مختص المعرفة أيضا بمعايير الأداء الاستراتيجية المرتكز على توفير التكلفة، البحوث والتطوير، التجديد والابتكار، الارتقاء إلى أعلى مستويات الجودة، الاعتماد على اعلى تقنيات الحديثة، توفير خدمات للتلاميذ طوال اليوم، توفير الوقت وإدارته بصورة سليمة، سهولة التعامل مع نظم الاعمال المتطورة.[58]

إذ يلعب أمين المكتبة المدرسية دورا لا يستهان به داخل المؤسسة التربوية، وإذا ما ركز انتباهه على مسألة مراقبة الجودة فسيلعب دورا أكبر في مسؤولية تحسين الأداء، وأعمق تأصيلا للبعد الحضاري للجودة. كون لها دور في سد فجوة المعرفة، فالتحول إلى بناء شخصية التلميذ هو الطريق لسد الفجوة المعرفية وليس تكديس المعلومات على التلميذ، خصوصا مع تضخم المعرفة وتنوع الخبرات وسعة امتلاكها، إذ لم يعد هدف التربية نقل المعرفة العلمية بل إكساب المتعلم القدرة على التعلم ذاتيا مدى الحياة[59].

7- مد تكنولوجيات المعلومات والاتصالات يغزو قطاع التربية بالجزائر:

الواقع اليوم يشير إلى أن العديد من الدول تستخدم وسائل الإعلام والاتصال الحديثة كالمذياع، التلفاز، الحاسب الإلكتروني، والأجهزة الذكية، ونظم الشبكات خاصة الإنترنيت... إلخ، كحتمية ضرورية في العملية التربوية ونورد هنا على سبيل المثال لا الحصر تجربة المكسيك المسماة تلسكونداريا [60](TELEsecundaria) ،وتجربة كندا المسماة تيفك(TEVEC) [61] (وتجربة ألمانيا فونغ . كوللغ -Funk) (Kolleg ولا يخفى ما لهذه الطريقة من فوائد عظيمة كما أثبتت ذلك الأبحاث التي قامت بها الجمعية الدولية للتربية AIEA Association International[62] Education Administrators)

قامت المنظومة التربوية الجزائرية بتبني "المقاربة بالكفاءات"، بإعتبار هذه الأخيرة بديل حديث "لبيداغوجيا الأهداف" حيث سمح ذلك بإعادة النظر في المناهج التعليمية والكتب المدرسية وبالتالي تحديث التعليم في الجزائر قصد

الإصلاح التربوي والانتقال من فلسفة التعليم إلى فلسفة التكوين، ذلك حتى يصبح التعليم الجزائري يتماشى وتحديات العصر الحالي[63].

بناءا على المنشور الوزاري رقم 105-02 المؤرخ في 25 ديسمبر 2002، والمتعلق بتوفير أجهزة الإعلام الآلي في المخبر، نجد أن مؤسسات التعليم الجزائرية عملت جاهدة على توفيره في المخابر، وفي سنة 2003 تم تكوين المركز الوطني لإدماج الابتكارات البيداغوجية وتنمية تكنولوجيات الإعلام والاتصال في التربية، طبقا المرسوم التنفيذي رقم 03-471 المؤرخ في شوال 1424 الموافق لـ 02 ديسمبر 2003 بإعتباره مؤسسة وطنية ذو طابع إداري ويتمتع بشخصية معنوية واستقلال مالي، يوضع المركز تحت وصاية الوزير المكلف بالتربية الوطنية مقره في مدينة الجزائر[64].

إذ أنه في إطار تنفيذ السياسة الوطنية للتربية وبرنامج تنمية التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال في قطاع التربية، يتولى المركز المهام الآتية: [65]:

- جمع ومعالجة المعلومات المتعلقة بالابتكارات البيداغوجية والتكنولوجيات الجديدة في التربية ووضعها تحت تصرف الجماعة التربوية وقد كلف هذا المجال بما يلي:

- تسيير موقع الويب لقطاع التربية.
- إحداث مكتبة تحتوي على كتب قاعدية وأفلام وأنظمة معلوماتية ودروس متعددة الوسائط.
- جمع الإصدارات الحديثة في ميدان التكنولوجيات الجديدة والإعلام الآلي في التعليم.

- المساهمة مع المؤسسات الوطنية والدولية المتخصصة في كل بحث حول التحولات البيداغوجية الناتجة عن استعمال وتنمية تكنولوجيات المعلومات والاتصالات في التربية.

- توفير أدوات بيداغوجية لكل مستويات التعليم لدى المدربين في قاعة الدراسة، لمساعدتهم على القيام بالدرس بشكل متجاوب، حيث يمكن لهذه الأدوات أن تكون مكتسبة أو معدلة مع برامجنا التربوية، سيجمع هذا النظام مزودات تحتوي على دروس كاملة على الشبكة، وكمثال على ذلك سيجمع هذا النظام على الأدوات

البيداغوجية المنتجة من طرف المعلمين المبتكرين، دروس سيتم وضعها تحت تصرف المجموعة التربوية، سيتولى المركز إقامته مع مختصين أجانب قائمين على الشراكة مع بلادنا ألا وهي المشاريع e-math وe-écoleو Avicenne-men كل هذا سيخلق محيط عمل رقمي من خلال هذه البرامج المعلوماتية.

- إقامة علاقات تعاون وتبادل مع الأجهزة الاجنبية المماثلة والمنظمات الدولية التي تتناول مسائل تدخل في ميدان اختصاص المركز.

- تشكيل مصالح متعددة تتولى تصور الدروس على الحاسوب وبرمجتها والمصادقة عليها.

- ضبط وتطبيق معايير التأهيل وإثبات الشهادة في تكنولوجيات المعلومات والاتصالات في التربية.

- إنتاج وثائق سمعية-بصرية متعددة الوسائط وتشجيع كل المبادرات الهادفة إلى تصور الأدوات التعليمية والمساعي البيداغوجية المبتكرة في هذا المجال.

- ضمان المساعدة التقنية في إقامة وإستعمال تكنولوجيات المعلومات والاتصالات في التربية، في كل الأنشطة البيداغوجية والإدارية والتسييرية بقطاع التربية في مجال دعم الأجهزة وإسناد البرمجة.

- يقوم بدور الموزع لقطاع التربية، وذلك بضمان ربط هياكله ومؤسساته العمومية بشبكة الأنترانت.

- تقديم المساعدة التكنولوجية الضرورية للمؤسسات العمومية والهياكل التابعة لقطاع التربية.

- الدراسة والمشاركة في إقامة أرضية معلوماتية وتسييرها، بهدف تزويد قطاع التربية الوطنية بتكنولوجيات المعلومات والاتصالات.

8- واقع المنظومة التربوية وانعكاساتها على إدارة المكتبة المدرسية:

يواجه قطاع التربية بالجزائر عدة متغيرات بمعدل غير مسبوق في السنوات الأخيرة، أثرت على المستوى المهني والمؤسسي وعلى مستوى النظام ككل، اثرت كلها على المكتبة المدرسية ومن أهمها:

- عدم قدرة المكتبة على استيعاب الأعداد المتزايدة من التلاميذ الراغبين في الانخراط بها، بالنسبة للمدارس التي تعمل على غرس ثقافة المطالعة بالمكتبة.
- عدم المواءمة والمواكبة بين الرصيد الوثائقي والمنهج الدراسي.

- عدم توفر المكتبي المؤهل نتيجة توظيف عمال خارج التخصص في كثير من المكتبات المدرسية.
- انشغال بعض المدراء بإدارة الأعمال الورقية، وانفصالها عن أرض الواقع ووقوعها فريسة للخداع المؤسسي الذي غالبا ما يبدأ من القاعدة والمقربين.
- عدم جدية العمل ونقص المعلومات ونمو مراكز القوى وتغليب المصالح الشخصية على آليات التقييم والمحاسبة.

خاتمة:

يصعب علينا قياس الأداء في المؤسسات التربوية نظرا للاختلافات في القيم والمفاهيم التي لديهم حول الأداء، ولكن يظهر الأداء من خلال نوعية التعليم ومصداقية المؤسسة التربوية، كما ان التعقيدات الاجتماعية والسياسية تؤثر على جودة الأداء في البيئة التربوية، إذ لا يمكن لجودة الأداء أن تتحقق في المنظومة التربوية إلا من خلال تأسيس المنهج الفكري السليم الذي يعتمد في أساسه على المكتبة المدرسية في عملية التوثيق والبحث، التي تحوي العلوم والمعارف التي يتلقاها التلميذ، ومنظومات القيم الأخلاقية ونظم العلاقات الإنسانية، ووسائل الاتصال المتطورة وغيرها من الصيرورات التي تجعل حياة التلميذ في المدرسة متعة[66]. حيث أن المكتبة المدرسية تحتاج إلى مؤسسة تربوية عصرية تعمل في ظل منظومة تربوية فعالة، وذات جودة عالية، يمكنها ان تؤدي أدوارها التي يتوقعها منها المجتمع بكل مهارة وإتقان وإبداع، وتكييف مع مفاهيم عصر العولمة[67].

كون الجودة وتطبيقها بالمكتبات المدرسية، يمكن أن ترقي بمستوى الأداء لتلك المكتبات وتجعلها متميزة، إلا أن المشكلة التي تبرز هي طبيعة التطبيق لإدارة جودة الأداء ومدى توفر مستلزمات النجاح لذلك التطبيق، إذ ان نجاح تطبيق جودة الأداء بالمكتبات المدرسية يأتي ابتداء من الانطلاق من تلبية حاجات ورغبات المستفيد، ويستمر في تطوير مستوى تلبية تلك الحاجات والرغبات من خلال عملية التحسين المستمر الذي يمكن أن يكون في مستوى جودة التصميم[68].

- تعزيز المكتبة المدرسية وتوفير الدعم المستمر لها، والتأكيد على التعاون البحثي بين الأستاذ والمكتبة.
- الارتقاء بنوعية الخدمات المساندة للمكتبة وتطوير الخدمات الإدارية.

- تقوية قدرات المكتبة المدرسية من أجل ضمان الجودة.
- لا بد من الابتعاد والتخلي عن الأساليب التقليدية، والبدء بتطبيق جودة الأداء كأسلوب متطور قادر على تحسين بيئة أداء العمل بشكل فعال[69].
- التركيز على التدريب للتطوير المهني بالنسبة للمكتبي، حتى يمكنهم من مواكبة آخر المستجدات العلمية في المجالات العلمية والإدارية والفنية[70].
- التوجه نحو اللامركزية في اتخاذ القرارات التربوية فالمركزية هي من المشكلات الرئيسية التي تواجه تطبيق جودة الأداء في التربية[71].
- خلق مناخ تنظيمي يساعد على جودة الأداء[72].
- القدرة على تحقيق السبق والامتياز في ظل عمليات التحول والمتغيرات المتسارعة.
- توفير مؤشرات الأداء الأكاديمي التي تمكن الجهات المختصة من العمل على استمرار التحسين والتطوير لتحقيق الأهداف المرغوبة، وإظهار أن جودة التعليم أساس من الركائز والدعامات لاستراتيجيات الإدارة التربوية الحديثة[73].
- إشراك الجميع في تحقيق الجودة في الأداء ابتداء من عمال النظافة وانتهاء بمدير المدرسة وذلك بالسعي الدؤوب كل في مجال عمله لتحقيق الجودة في كل أعماله وتصرفاته[74].
- إيجاد موارد دائمة وثابتة ومستقلة لدعم ميزانية المكتبة[75].
- ضرورة إعتماد المؤسسات التربوية جودة الأداء كأسلوب إداري متطور بدلا من الأساليب التقليدية للإدارة من أجل الوصول إلى التحسين المستمر في جميع مستويات نشاط المؤسسة[76].

هوامش البحث:

1. - نعمان شحادة. **ضمان الجودة والاعتماد الأكاديمي**. في: *مجلة البحث العلمي*، ع2، 2010، ص61-70.
2- سوسن شاكر مجيد الجلبي، المرجع السابق، ص277-307.
3- أحمد عبد الله الرشدي، المرجع السابق، ص 1-18.
4- سمير بشير حديد، المرجع السابق، ص 45-72.
5- الشيمي حسني عبد الرحمن. مقومات الدور التربوي للمكتبات المدرسية: دراسة تطبيقية.الرياض: دار المريخ، 1986: ص22 **وانظر أيضا** ماجد مصطفى شامان الدبيس. **الدور التربوي والثقافي للمكتبات المدرسية**. *رسالة المكتبة*، مج 42، ع3+4، 2007: ص236-287.
6- أحمد عبد الله العلي.المكتبات المدرسية العامة: الأسس والخدمات والأنشطة. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1993: ص42

7- حسن محمد عبد الشافي. المكتبة المدرسية الشاملة: مركز مصادر التعلم. القاهرة: مؤسسة الخليج العربي، 1993: ص15

8- سعد محمد الهجرسي. المكتبات والمعلومات بالمدارس والكليات. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1992: ص 166-165

9- عبد الحميد سلامة أبو سندس. دور مدير المدرسة في تطوير المكتبة المدرسية في المدارس الثانوية في عمان الكبرى في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة. عمان: الجامعة الأردنية، 1995: ص12.

10- سبيكة محمد الخاطر. **المكتبة المدرسية في قطر**. *مجلة التربية*، يونيو 1995، س24، ع113، ص95

11- كارول فرانسيس لافربه؛ ترجمة وتقديم ياسر يوسف. موجهات عامة للمكتبات المدرسية. أوبسالا: مكتبة جامعة أوبسالا، 1995: ص13.

12- جمهورية مصر العربية، وزارة التربية والتعليم، المكتبات المدرسية. التشريعات المكتبية التي تحكم العمل بالمكتبة المدرسية. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997: ص1174.

13- إبن منظور. لسان العرب. في: موقع الوراق [على الخط] http://www.alwaraq.net/Core/AlwaraqSrv/LisanSrchOneUtf8 (تاريخ الاطلاع يوم 2016/07/14).

14- هلال بن زاهر النهاني، علي مهدي كاظم. **أنموذج مقترح لتطبيق معايير الجودة في مؤسسات التعليم العالي**. في: *شؤون اجتماعية*، ع102، س26، 2009، ص 111-135.

15- محمود أحمد أبو سمرة، عمر موسى العباسي، معزوز جابر علاونة. **مؤشرات إدارة الجودة الشاملة في جامعة القدس من وجهة نظر طلبتها**. في: *مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات*، ع12، فيفري 2008، ص11-46.

16-POUNDER JAMES S. **Evaluating the Relevance of Quality to Institutional Performance Assessment in Higher Education**. In: *Evaluation*, Vol 6(1), 2000, PP 66–78 [On-line] www.researchgate.net/...Evaluating_the_Relevance_o (Date of Access 26/05/2016).

17- محمد إبراهيم المدهون، سليمان أحمد الطلاع، **مدى توافر عناصر نموذج الهيئة الوطنية للاعتماد والجودة والنوعية لمؤسسات التعليم في الجامعات الفلسطينية**. في: *مجلة الجامعة الإسلامية* (سلسلة الدراسات الإنسانية)، مج14، ع2، جوان 2006، ص257-295.

18- محمد سعيد الطاهر. **الجودة في التعليم العالي رؤية وأبعادك إشارة إلى جامعة النيلين**. في: *مجلة الاستراتيجية والامن الوطني*، ع1، أفريل 2008، ص30-47.

19- قاسم نايف علوان المحياوي. **إدارة الجامعات في ضوء معايير الجودة الشاملة**. في: *مجلة اتحاد الجامعات العربية*، ع4، أفريل2007، ص 133-176.

20- محمد أحمد لطفي الجوفي. **معايير تحقيق الجودة الشاملة لدى عضو هيئة التدريس في كليات جامعة إب**. في: *مجلة الباحث الجامعي*، ع23، ديسمبر 2009، ص171-198.

21- رائد حسين الحجاز. **تقييم الأداء الجامعي من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية بجامعة الأقصى في ضوء مفهوم إدارة الجودة الشاملة**. في: *مجلة جامعة الأقصى*، مج8، ع2، 2004، ص 203-240.

22- M.Y Nurul Syakima, SAPRI Maimunah, A.R Moohd Shahril. **Measuring performance for classroom facilities**. In: *international conference on sociality and economies development*, vol.10, 2011, pp 209-213 [On-line] http://www.ipedr.com/vol10/39-S00036.pdf (Date of Access 26/05/2016).

23- محمد إبراهيم المدهون، سليمان أحمد الطلاع، المرجع السابق، ص 257-295.

24- قاسم نايف علوان المحياوي، المرجع السابق، ص 133-176.

25-RODICA Gherghino, FLORIN Vaduva, MIRELA Anca Postole. The **Performance management in public institutions of higher education and the economic crisis**. In: *Annales Universitatis Apulensis Series Oeconomica*, vol.11, N°02, 2009, PP 639-645 [On-line] http://www.oeconomica.uab.ro/upload/lucrari/1120092/03.pdf (Date of Access 12/01/2016).

26- Ibid., PP 639-645.

27- Ibid., PP 639-645.
28- Ibid., PP 639-645.
29- عنان سعيد محمد مراد. **إدارة الجودة الشاملة في المكتبات ومراكز المعلومات**. في: *رسالة المكتبة*، مج42، ع3-4، 2007، ص311-338.
30- عباس بلة. دور الإدارة في تحقيق الامن الفكري للناشئة. ص105-165.
31- هلال بن زاهر النبهاني، علي مهدي كاظم، المرجع السابق، ص 111-135.
32- محمد سعيد الطاهر، المرجع السابق، ص 30-47.
33- غسان عبد العزيز سرحان، عصام عبد العزيز خليل. **الاحتياجات التدريبية للمسؤولين عن إدارة التعليم في جامعة القدس المفتوحة من وجهة نظرهم**. في: *المجلة الفلسطينية للتربية المفتوحة عن بعد*، مج 1، ع1، 2007، ص 61-88.
34- OZGA Jenny. **Measuring and managing performance in education**. In: *CES*, N27, Feb. 2003, PP 1-4 [On-line]
35- www.ces.ed.ac.uk/PDF%20Files/Brief027.pdf (Date of Access 26/05/2016).
36- DRAFT. A Framework and Tool Box for Monitoring and Improving Quality, unicef, 2012, PP 1-63 [On-line]
37- www.unicef.org/.../ECD **Framework** PART II june (Date of Access 26/05/2016).
38- J. Scheerens, H. Lyten, J. Van Raves. Measuring Educational Quality by Means of Indicators. Netherlands: softcover, 2011, PP35-50 [On-line] www.springer.com/.../9789400709256-c2.pdf (Date of Access 26/05/2016).
39- IMHE ; Robert Wagenaar. Learning Outcomes a Fair Way to Measure Performance in Higher Education: the TUNING Approach. France: OECD, 2008, PP 01-08 [On-line] www.oecd.org/site/eduimhe08/41203784.pdf (Date of Access 26/05/2016).
40- **معايير ضبط جودة التعليم العالي: جامعة مؤتة مثالا**. في: *مجلة الجامعة*، ع7، 2009، ص ص77-99.
41- أسامة محمد سيد علي. **دراسة تحليلية لنظام الاعتماد الأكاديمي وضمان جودة التعليم المدرسي بمصر في ضوء بعض الخبرات المعاصرة**. ص ص149-218.
42- SULLIVA Teressa A., MACKIE Christopher, MASSY William F. [et al.]. Improving Measurement of Productivity in Higher Education. Washington: the National Academies Press, 2012 [On-line]
43- http://www.nap.edu/catalog.php?record_id=13417 (Date of Access 26/05/2016).
44- M.Y Nurul Syakima, SAPRI Maimunah, A.R Moohd Shahril. **OP, Cit**, pp 209-213
45- أسامة محمد سيد علي، المرجع السابق، ص 149-218.
46- قاسم نايف علوان المحياوي، المرجع السابق، ص 133-176.
47- **معايير ضبط جودة التعليم العالي: جامعة مؤتة مثالا**، المرجع السابق، ص 77-99.
48- نفس المرجع، الصفحة نفسها.
49- راشد محمد الحمالي. **التقديم والاعتماد أداة لضمان الجودة في جامعات العالم الإسلامي**. في: *مجلة الجامعة*، ع7، ص61-75.
50- - أسامة محمد سيد علي، المرجع السابق، ص 149-218.
51- - قاسم نايف علوان المحياوي، المرجع السابق، ص133-176.
52- نفس المرجع، الصفحة نفسها.
53- نفس المرجع، الصفحة نفسها.
54- خديجة محمد أبو منجل. **المكتبات المدرسية ودورها في العلمية التعليمية**. في: *مجلة المكتبات والمعلومات*، ع2، س1، جانفي 2010، ص87-96.

55- يزيد قادة. واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم الجزائرية: دراسة تطبيقية على متوسطات ولاية سعيدة. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم التسيير، تخصص حوكمة الشركات، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، جامعة ابي بكر بلقايد، 2011-2012، ص60-61.
56- يوسف أبو بكر يوسف جلاله. المكتبات المدرسية وتكنولوجيا المعلومات بين الواقع والطموح. في: مجلة المكتبات والمعلومات، ع1، س1، سبتمبر 2009، ص21-39.
57- هشام بن عبد الله العباس. التعليم الجامعي في ظل إدارة المعرفة: أقسام المكتبات والمعلومات بالجامعات السعودية أنموذجا. في: المؤتمر العشرون للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، نحو جيل جديد من نظم المعلومات والمتخصصين: رؤية مستقبلية، مدينة الدار البيضاء، المملكة المغربية، ديسمبر 2009، ص955.
58- المرجع نفسه.
59- نعيمة حسن جبر زروقي. رؤية مستقبلية لدور اختصاصي المعلومات في إدارة المعرفة. في: مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج9، ع2، ص155-183.
60- علي محمود فارس، عمر عبد النبي عمر الطلحي. **دور إدارة المعرفة في خلق الميزة التنافسية للمنظمات**. في: *مجلة المكتبات والمعلومات*، ع3، س1، مارس 2010، ص59-72.
61- فتحي سالم بوزخار. **دور عضو هيئة التدريس في تأصيل الجودة بمؤسسات التعليم العالي وتفعيلها**. في: *مجلة اتحاد الجمعات العربية*، ع4، أفريل 2007، ص333-353.
62- TELEsecundaria [en ligne] http://www.telesecundaria.dgme.sep.gob.mx (consulté le 21/07/2016).
63- Raymond LALLEZ.- le cas TEVEC une expérience d'éducation des adultes par système multimédia.- paris: UNESCO, 1973: P07 [en ligne] http://unesdoc.unesco.org/images/0013/001331/133178fo.pdf (consulté le 21/07/2016)
64- تشيسلوكوبيسونيش. **المدرسة ووسائل الإتصال**. *مستقبليات اليونسكو*، مج41، ع4892: ص31-61.
65- أغلال فاطمة الزهراء بوكرمة. **الإصلاح التربوي في الجزائر**. *مجلة الباحث*، ع4، 2006: ص67-73.
66- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التربية الوطنية، المركز الوطني لإدماج الابتكارات البيداغوجية وتنمية الإعلام والإتصال في التربية [على الخط]
67- http://www.cniipdtice.dz/arabe/lecentre-organisation.html# (تاريخ الاستشارة يوم 2016/01/06)
68- - المرجع نفسه.
69- - شرف أحمد الشهاري. *إدارة الجودة الشاملة في الجامعات اليمنية بين النظرية التطبيق*. في: **مجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية والتطبيقية**، مج3، ع5، فيفري 2010، ص1-52.
70- علي محمد يحي البرعي. **الفجوة بين مخرجات التعليم الثانوي ومتطلبات التعليم الجامعي في اليمن: رؤية ناقدة لأبرز القضايا واستراتيجية مقترحة**. في: *مجلة كلية التربية زبيد*، ع3، 2010، ص90-111.
71- محمود الوادي، رعد الطائي. **التكامل بين إدارة الجودة الشاملة والإدارة الاستراتيجية في الجامعات العربية: نموذج مقترح للارتقاء والتميز في الأداء**. في: *مجلة اتحاد الجامعات العربية*، ع4، أفريل 2007، ص201-242.
72- عنان سعيد محمد مراد، المرجع السابق، ص ص311-338.
73- غسان عبد العزيز سرحان، عصام عبد العزيز خليل، المرجع السابق، ص ص61-88.
74- رائد حسين الحجاز، المرجع السابق، ص203-240.
75- نفس المرجع، الصفحة نفسها.
76- أسامة محمد سيد علي، المرجع السابق، ص ص149-218.
77- قاسم نايف علوان المحياوي، المرجع السابق، ص ص133-176.
78- محمد فيصل عز الدين حسين. **تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بالمكتبات الجامعية: جامعة الخرطوم نموذجا**. في: *مجلة إعلم*، ع7، أكتوبر 2010، ص146-176.
79- بن عيشاوي أحمد. **إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الخدمية**. في: *مجلة الباحث*، ع4، 2006، ص07-29.

أرشيف مديريات التربية في الجزائر:
طبيعةالوثائق،التسيير،الحفظ

د.ة رحمونة بوشتة
جامعة وهران1 أحمد بن بلة

تمهيد:

تكتسي عملية توحيد تنظيم وتسيير وثائق أرشيف الإدارة التعليمية أهمية متزايدة تستمد من تزايد عدد المؤسسات من جهة وتشابه طبيعة ونوعية وثائق الأرشيق المتداولة على مستوى هذه المؤسسات حسب مختلف أطوارها من جهة أخرى، وكذا نظرا لكون المؤسسات التعليمية تقوم بنفس المهام، وتمارس نفس الصلاحيات وتخضع لنفس التنظيم، وهي بذلك تستعمل نفس الوثائق في اطار ممارسة مهامها.

حتى وإن كانت هذه الوثائق في بعض الحالات تحتاج إلي تقنين والتوحيد من حيث الشكل أو المضمون.

غير أن طريقة تنظيم وتسيير هذه الوثائق مازالت في حاجة الى المزيد من التحسين والضبط للتحكم أكثر في تداولها ووضع آليات لمعالجتها، وتوحيد نمط تنظيمهاوتسييرها ونظرا لما عرفته أرشيف الادارة التعليمية من وضعية مزرية سواء داخل المؤسسات التعليمية، أو داخل مديريات التربية استدعى إلى تدخل إطارات ومسيري هذه الإدارة وتحمل مسؤولياتهم من إختناق المصالح المختلفة بسبب وتيرة الانتاج المتزايد من الوثائق وغياب معالجة المرافقة لتلك الوثيرة الإنتاجية. والمتمثلة اساسا في الفرز المنظم والاحتفاظ بما هو صالح لمستقبل الادارة التعليمية وكثيرا ما تلجأ الإداراتأما هذه الوضعية إلى التخلص الفوضوي من الوثائق الذي يؤدي إلى فقدان جزء هام من هذه الذاكرة.

وأمام هذه الانشغالات الموضوعية التي استدعت وضع خطة من طرف مجموعة من إطارات الإدارة التعليمية التي انصبتمجهوداتها نحو، تجسيد نموذج لتسير الوثائق يكون دائما محورا للتحسين والإثراء المستمرين. والذي تمثل في إصدار مخططين الأول وهو:

مخطط إحصاء وتصنيف الوثائق المتداولة على مستوى الإدارة الولائية للتربية والذي يعد بمتابة المرشد التي يتبع القائمين على مهنة الأرشيف على كمستوى مديريات التربية.

أما الثاني فهو: مخطط إحصاء وتصنيف الوثائق المتداولة على مستوى المؤسسات التعليمية (الثانوي والإكمالي) الذي سوف نتطرق إليه في الفصل الموالي.

أرشيف مديريات التربية:

تقوم مديريات التربية بتطبيق السياسة الوطنية للتربية على مستوى الولايات ولتجسيد ذلك تنتج العديد من الوثائق لتسيير الشؤون التربوية والإدارية والمالية والبيداغوجية.

1. تنظيم مديرية التربية على مستوى الولايات:

ليتمكن الموظف المكلف بتسيير الأرشيف علىمستوى المؤسسة منالتعرف علىمصدر الوثائق التي تتجمع لديه، ويسهل عليه التمييز بينها، ولا يجد صعوبة في تصنيفها وترتيبها، فإنه من الضروري أن يتعرف على تنظيم مديريات التربية ومهامها ومهام المصالح والمكاتب المكونة لها.

شكل رقم 1

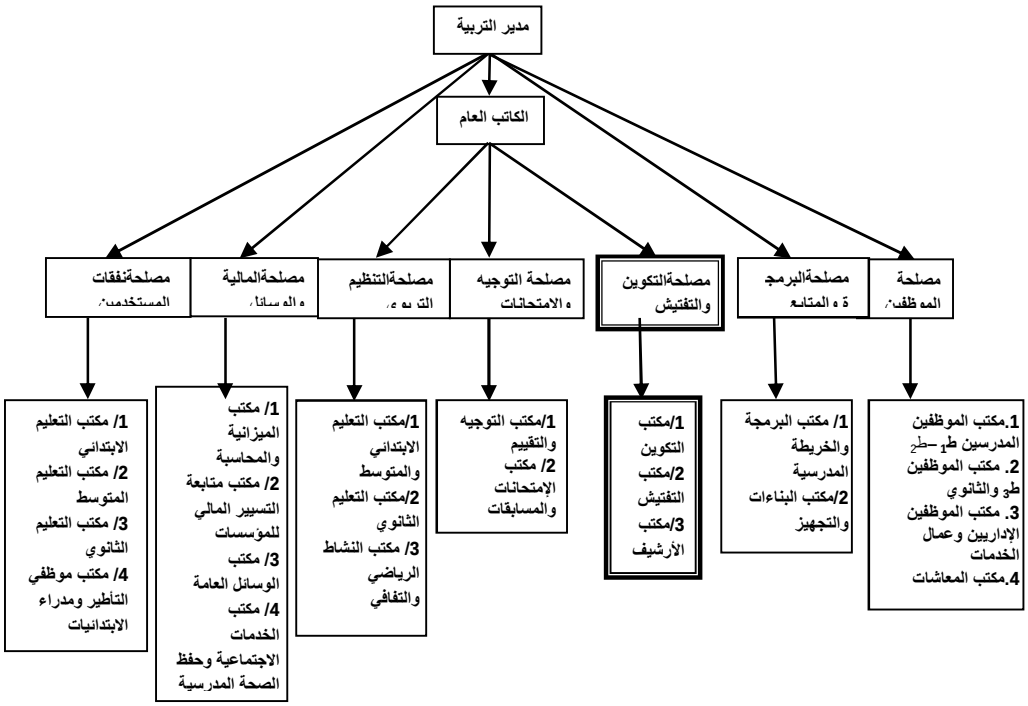

مديريات التربية على مستوى الولاية منظمة في شكل مصالح.

عدد المصالح بكل مديريات للتربية يتراوح ما بين 4 إلى 7 مصالح، حسب حجم الولاية من حيث عدد المؤسسات التعليمية وعدد التلاميذ وعدد المعلمين والأستاذة

كل مصلحة منظمة على شكل مكاتب يتراوح عددها ما بين مكتبين (2) إلى أربعة (4) مكاتب.

مثال لمديرية التربية تتكون من ستة مصالح:

- مصلحة البرمجة والمتابعة.
- مصلحة المالية والوسائل.
- مصلحة الدراسة والإمتحانات
- مصلحة الموظفين.

- مصلحة التكوين والتفتيش.
- مصلحة الرواتب

مثال لتنظيم مصلحة من مصالح مديرية التربية:

مصلحة الدراسة والإمتحانات تتكون من المكاتب التالية:

- مكتب التعليم الأساسي.
- مكتب التعليم الثانوي والتكوين
- مكتب الإمتحانات والمسابقات
- مكتب التنشيط الثقافي والرياضي.

وبالإضافة إلى مصالح والمكاتب توجد:

- الأمانة العامة لمديرية التربية.
- مكتب الضبط الذي يقوم باستلام وتسجيل البريد الوارد إلى المديرية لكل مصلحة، الوثائق والملفات الخاصة بها التي تستعملها في تأدية مهامها وتسيير الشؤون اليومية لنشاطاتها.

تحتل مديريات التربية مركزا وسطا بين الإدارة المركزية للوزارة التي تتلقى منها التعليمات والتوجيهات وبين المؤسسات التعليمية في الميدان، لذلك فإن طبيعة الوثائق التي تتمركز على مستوى هذه المديريات، يمكن تصنيفها إلى:

- الوثائق التي ترد إليها من المصالح المركزية للوزارة.
- الوثائق التي ترد إليها من المؤسسات التعليمية ومن مقاطعات التفتيش.
- الوثائق التي تنتجها مصالح مديريات التربية نفسها.
- الوثائق التي ترد إليها من بعض الجهات المختلفة، وهي قليلة ولا تشكل إلا نسبة بسيطة، مقارنة بالأنواع الثلاثة الأولى.

يشكل الصنف الثالث (الوثائق التي تنتجها مصالح مديريات التربية) أهمية خاصة بالنسبة لمديرية التربية، لأنها تعكس الأنشطة التربوية المختلفة على المستوى الولائي وتحضي بالأولوية عندما يتعلق الأمر بالحفظ لمدة طويلة، لأن بقية الأصناف تحظى بالأولوية في مجال الحفظ على مستوى المصالح المنتجة لها.

2. طبيعة الوثائق الموجودة على مستوى مديريات التربية حسب المصالح:

✓ **2-1. مصلحة التنظيم التربوي للتعليم الأساسي**[1]

الوثائق التي تحتويها هذه المصلحة:

- ✓ ملف الدخول المدرسي
- ✓ ملف التقارير والمحاضر الخاصة بتسيير المؤسسات
- ✓ ملف الإحصائيات الخاصة بالتلاميذ
- ✓ ملف المناصب المالية الشرائح السنوية

2-2. مصلحة التنظيم التربوي للتعليم الثانوي [2]

الوثائق التي تحتويها هذه المصلحة:

- ✓ ملف تحضير الدخول المدرسي
- ✓ ملف التقارير والمحاضر الخاصة بسير المؤسسات
- ✓ ملف الإحصائيات الخاصة بالتلاميذ
- ✓ ملف المناصب المالية (الشرائح السنوية)

2-3- مصلحة التنظيم التربوي:

الوثائق التي تحتويها هذه المصلحة [3]**:**

- ✓ ملف إعتماد الجمعيات
- ✓ ملف الإحصائيات الخاصة بالنشاط الثقافي والرياضي
- ✓ ملف التظاهرات الرياضية
- ✓ ملف تسيير الإعتمادات المالية المرصودة للأنشطة
- ✓ ملف التظاهرات الثقافية

2-4- مصلحة التوجيه والإمتحانات [4]**:**

الوثائق التي تحتويها هذه المصلحة:

- ✓ ملف القبول والإنتقال إلى السنة السابعة أساسي والأولى ثانوي
- ✓ ملف القبول والتوجيه إلى السنة الثانية ثانوي
- ✓ ملف البكالوريا
- ✓ ملف شهادة التعليم الأساسي
- ✓ ملف الإمتحانات المهنية المختلفة
- ✓ ملف التعويضات الخاصة بشهادة البكالوريا

- ✓ ملف لجنة الطعن (القضايا التأديبية الخاصة بالتلاميذ، التوجيه وإعادة التوجيه)
- ✓ ملف تعليم الأمازيغية

2-5- مصلحة الموظفين:

الوثائق التي تحتويها هذه المصلحة[5]:

- ✓ ملف مخطط التسيير
- ✓ الملفات المهنية للمستخدمين
- ✓ ملف المناصب المالية (الشرائح السنوية)
- ✓ ملف الحركة التنقلية للمستخدمين
- ✓ ملف التسجيل على قوائم التأهيل
- ✓ ملف إجتماعات لجنة الموظفين
- ✓ ملف التقاعد
- ✓ ملف الحوادث المدرسية
- ✓ السجلات
- ✓ ملف حوادث العمل
- ✓ ملف القضايا القضائية القضايا المدنية

2-6- مصلحة التكوين والتفتيش:

الوثائق التي تحتويها هذه المصلحة[6]:

- ✓ ملف التكوين أثناء الخدمة
- ✓ ملف الخريطة التقديرية للتكوين الأولى
- ✓ ملف الإنتداب للتكوين
- ✓ ملف التكوين بالخارج
- ✓ ملف التطبيق الميداني
- ✓ ملف نشاطات أسلاك التفتيش
- ✓ ملف الأرشيف
- ✓ ملف التكوين المتخصص

2-7- مصلحة المالية والوسائل:

الوثائق التي تحتويها هذه المصلحة[7]:

- ✓ ملف الميزانية المصادق عليها ملف مراقبة الحساب المالي
- ✓ ملف تحضير الميزانية

(الوثائق التي يتكون منها) PROJET DU BUDGET 1T

Budget de l'exercice 1

(pièces annexes).

- Délégation de crédits
- Budget additif
- Budget réédifié en fin d'exercice
- Cadre budgétaire
- Mandats (soit par n° soit par chapitre)
- Situation financière
- Engagement
- Dossiers comptables des fonctionnaires.
- Registre mandatement engagement

- ✓ ملف حالة منح التجهيز:
- ✓ ملف المطاعم المدرسية (الملف الإداري)
- ✓ ملف المنح المدرسية
- ✓ ملف المطاعم المدرسية (الملف المالي)
- ✓ ملف المطاعم المدرسية (العتاد والبضائع)
- ✓ ملف حظيرة السيارات
- ✓ ملف الصحة المدرسية
- ✓ ملف التضامن المدرسي
- ✓ ملف السكن
- ✓ ملف جرد العتاد
- ✓ ملف النقل المدرسي
- ✓ ملف إسقاط ممتلكات المؤسسات

2-8- مصلحة البرمجة والمتابعة:

الوثائق التي تحتويها هذه المصلحة [8]:

- ✓ ملف الدراسات الإحصائية
- ✓ تقرير إحصائي شامل حسب المؤسسات لكل الأطوار
- ✓ ملف مؤشرات إحصائية
- ✓ ملف الخريطة المدرسية
- ✓ ملف تسمية المؤسسات
- ✓ ملف البناءات المدرسية
- ✓ ملف إنشاء المؤسسات
- ✓ ملف الإصلاحات والترميمات

مصلحة البرمجة والمتابعة:

الوثائق التي تحتويها هذه المصلحة[9]:

- ✓ ملف متابعة البناءات المدرسية
- ✓ ملف التجهيز
- ✓ ملف المحاسبة

- ✓ ملف الدخول المدرسي
- ✓ ملف تجسيد المخططات الأمنية والتدخل

الأمانة العامة:

الوثائق التي تحتويها هذه المصلحة [10]:

- ✓ التقارير والمحاضر الخاصة بنشاط المديرية

- ✓ ملف محو الأمية.

3- تسيير الأرشيف مصالح التربية الوطنية:

إن أي نظام فعال وناجع لتسيير الأرشيف يجب أن يعتمد على المتابعة عن قرب لمختلف مراحل حياة الوثيقة، وأن الأدوات والمناهج التي يتكون منها هذا النظام هي التي توفر الحلول الملائمة الخاصة بكل مرحلة من المراحل الدفع والحفظ والحذف.

3-1- تسيير الأرشيف على مستوى المديرية:

تتمثل العملية في استقبال الأرشيف من مختلف المصالح والمكاتب من مديرية التربية عن طريق جدول الدفع المعمول به قانونيا, وكدا وفق رزنامة سنوية يعدها الأرشيف حتى لا يدخل الأرشيف دفعة واحدة ' مع إحترام المصالح لجدول التسيير الجديد المعتمد لتسيير وثائق الولايات:

القيام بفرز وترتيب الأرشبف والتأكد من وجود كل الملفات ,ثم نقوم بتسجيله وترميزه في الحاسوب مع الاحتفاظ بجداول الدفع كدليل إثبات وإطلاع بين المصلحة الدافعة والمصلحة المستقبلة.

- ✓ استقبال الأرشيف من جميع مصالح مديرية التربية عن طريق الدفع
- ✓ فرز. تنظيم. ترتيب ثم ترميز
- ✓ إدخال المعلومات في الحاسوب
- ✓ إعتماد بطاقة فنية لكل موظف
- ✓ إعادة تسمية بعض الحزم التي تمزقت بعد كثرة استعمالها
- ✓ استعمال طريقة الترتيب المستمر
- ✓ لاستخراج شهادات العمل ,مجمل الخدمات وقرارات أو نسخ من الوثائق الأصلية يقدم طلب رسمي للحصول عليها وهي تخص فقط العمال المنقطعين عن العمل بسبب: استقالة. عزل. تخلي عن منصب. إحالة على التقاعد أو الوفاة.

فيما يخص الإطلاع: المصالح أو المكاتب التي ترغب في استرجاع بعض الملفات لغرض دراستها تخضع لإجراءات إدارية بعد دلك يتم استرجاع الوثائق إلي المكتب.

أ- مكتب الأرشيف:

تسيير الأرشيف على مستوى مديرية التربية والمؤسسات التعليمية، كما يتولى المكتب دعوة المؤسسات التعليمية إلى المبادرة بوضع الرزنامة لتسيير وثائق المؤسسات التعليمية وفي نفس الوقت يشرف بدورنا على متابعة تطبيقها وتنفيذها ثم تقييمها. وكذلك وضعنا على مستوى كل المؤسسات التعليمية دليلا لتنظيم وتسيير وثائق أرشيف المؤسسات ليتمكن المكلفون بالأرشيف بتوحيد التنظيم.

الجدول رقم 1

العمليات المبرجة	تاريخ إنجازها وأجالها	الملاحظات
تنفيذ الرزنامة	من الفترة الممتدة من شهر نوفمبر إلى شهر أفريل	
تقييم الرزنامة	قبل نهاية شهر ماي	
إستقصاء حول ظروف الحفظ التأطير والتسيير لوثائق المؤسسات التعليمية	كل سنتين شهر جانفي	

ب- مهام مكتب الأرشيف خلال الموسم الدراسي:

الجدول رقم 2

	تاريخ الإرسال	الموضوع	المرسل	المرسل اليه
أولا	شهر أكتوبر	رزنامة دفع أرشيف مديرية التربية	مدير التربية	مدير التقويم والتوجيه والإتصال المديرية الفرعية للتوثيق التربوي وزارة التربية
		رزنامة دفع أرشيف مديرية التربية	مدير التربية	مصالح ومكاتب مديرية التربية
ثانيا	شهر نوفمبر	وضع الرزنامة السنوية لتسيير أرشيف المؤسسات التعليمية	مدير التربية	مديري المؤسسات التعليمية متوسط وثانوي
ثالثا	شهر ديسمبر	إستقصاء حول ظروف حفظ وتسيير وثائق أرشيف مديرية التربة والمؤسسات التعليمية	مدير التربية	مديري المؤسسات التعليمية متوسط وثانوي
رابعا	شهر جانفي	حوصلة حول جمع المعلومات الخاصة بظروف حفظ وثائق مديرية التربية والمؤسسات التعليمية	مدير التربية	مدير تطوير الموارد البيداغوجية والتعليمية المديرية الفرعية للتوثيق التربوي
خامسا	شهر فيفري	تقييم الرزنامة السنوية لتسيير الأرشيف على مستوى المؤسسات التعليمية	مدير التربية	مديري المؤسسات التعليمية متوسط وثانوي
سادسا	شهر جوان	التقرير السنوي الخاص بوضع وتنفيذ الرزنامة السنوية لتسيير الأرشيف على مستوى مديرية التربية والمؤسسات التعليمية	مدير التربية	مدير تطوير الموارد البيداغوجية والتعليمية المديرية الفرعية للتوثيق التربوي

2-3- تنظيم عملية دفع واستقبال الأرشيف:

يتم العمل بنفس الإجراءات المعمول بها على مستوى مفتشية أكاديمكية الجزائر ومديريات التربية على المؤسسات التعليمية فيما يخص إعداد وتنفيذ وتقييم الرزنامة السنوية للدفع، وتشتمل عملية الدفع بالنسبة للمؤسسات التعليمية الوثائق الموجودة على مستوى المقتصدية -النظارة -الإستشارة العامة- أمانة المدير

إذا أن تحويل الوثائق الأرشيفية من المصلحة التي انتجتها إلى المصلحة المكلفة بالحفظ فإن تطبيقه يجب أن يتم وفقا للإجراءات والشروط التالية:

أنه لا يعني أبدا التخلص مما هو موجود بالمكتب أو تحويل أكوام أو حزم تفتقر إلى أدنى شروط الترتيب والتنظيم، وإنما المقصود منه تحويل الملفات التي لم تعد الإدارة في حاجة لمراجعتها بصفة مستمرة، لكن إحتمال الرجوع إليه لإستقاء المعلومات يبقى قائما دائما.

إن ترتيب الوثائق في علب الأرشيف، وإن تعذر وجود العلب يمكن تنظيم الوثائق في حزم صغيرة بحجم علبة الأرشيف.

للعلم: 1م^2 =6م خطي =10 علب أرشيفية من 10سم =7 حزم من 15 سم =20سجل من 5سم.

- أن تعد جداول للدفع ترافق الوثائق المدفوعة وتقدم نسخ منها إلى المصلحة المعنية باستقبال الأرشيف قبل الشروع في تنفيذ عملية الدفع.
- إن يتم نقل وثائق الأرشيف إلى المصلحة المكلفة بالحفظ من قبل المصلحة الدافعة.
- أن تتم عملية الدفع وفقا لرزنامة سنوية مضبوطة تعدها كل مديرية للتربية.

كما ذكرنا سابقا فإن أرشيف العمر الأول يتم الاحتفاظ به في المصالح المنتجة، في حين دفع أرشيف العمر الثالث وبعض أرشيف العمر الثاني للمكتب المخصص بالأرشيف من أجل حفظه نظرا لقلة أو عدم الحاجة إلى إستعماله على مستوى تلك المصالح.

وتتجسد هذه العملية فيما يلي:

أ- **رزنامة الدفع السنوية**: على كل مديرية للتربية أن تعد سنويا رزنامة لدفع وثائق أرشيف المؤسسات التعليمية التابعة لها، وتعد الفترة الممتدة من بداية شهر جانفي إلى نهاية شهر مارس من نفس السنة أنسب فترة لتنفيذ هذه العملية.

ب- **تنفيذ رزنامة الدفع:** تتولى المصلحة المكلفة بالأرشيف متابعة تنفيذ الرزنامة مع كل مصلحة خلال الفترة المحددة في الرزنامة، حيث تتم عملية انتقاء الوثائق والملفات القابلة للدفع وفرزها وترتيبها وتنظيمها في علب أرشيف مع تحرير جدول الدفع، ثم استلام الوثائق المدفوعة بقاعة الأرشيف.

ج- **إعداد جداول الدفع**: جدول الدفع وثيقة رسمية هامة وهي عبارة عن قائمة وصفية تصاحب وترافق الوثائق الأرشيفية المدفوعة، يعد من طرف المصلحة الدافعة الذي يدون عليه تاريخ الدفع عدد العلب أو الحزم ومحتوى كل علبة أو حزمة ورقمها ويحرر الجدول في ثلاث نسخ نسخة تحتفظ بها المصلحة الدافعة والنسخة الثانية تحتفظ بها المصلحة المكلفة بالأرشيف والنسخة الثالثة تبعث إلى مديرية التربية مصلحة التكوين والتفتيش مكتب الأرشيف.

نموذج لجدول دفع وثائق الأرشيف:

الجدول رقم3:

إسم المؤسسة

رقم:... وهران في:...

رقم الترتيب	نوع الوثائق المدفوعة	التواريخ القصوى	مدة الحفظ	ملاحظات

د- **تقييم رزنامة الدفع:** تقوم المصلحة المكلفة بالأرشيف بإعداد تقرير تقييمي وجيز عن تنفيذ عملية الدفع تذكر فيه على وجه الخصوص:

- المصالح المدرجة في رزنامة والفترة المخصصة لكل مصلحة.
- عدد العلب والحزم المدفوعة من رف كل مصلحة ومحتواها.
- الصعوبات التي اعترضت تنفيذ الرزنامة.

3-3- إستقبال الأرشيف:

إن الكيفية التي نستقبل بها وثائق الأرشيف من المصالح المختلفة إل محل الأرشيف ينبغي أن تخضع لبعض الترتيبات والإجراءات التي من شأنها أن تساهم في تسيير القيام بهذه الوظيفة. ومن هذه الترتيبات والإجراءات ما يلي:

- ✓ **التسجيل:** كل دفع يوضع له رقم ترتيب خاص في سجل الدخول الذي يحتوى أيضا على تاريخ لدفع، والمصلحة الدافعة ووصف فهرسي للوثائق المدفوعة.
- ✓ **سجل الدخول:** يخصص هذا السجل لقيد وثائق الأرشيف التي يتم تحويلها من المصالح، ويحتوي على البيانات التالية:
  - ❖ الرقم التسلسلي
  - ❖ تاريخ الدخول
  - ❖ رقم جدول الدفع
  - ❖ عناوين الملفاتالتي تمتحويلها إلى الأرشيف.
  - ❖ المصلحة المحولة.
  - ❖ الملاحظات
- ✓ **سجل مراجعة الأرشيف**: يخصص هذا السجل لقيد الملفات التي ترغب المصالح المعنية في استرجاعها للإطلاع على الجهة المطالبة للملف لغرض العمل، وهذا السجل يحتوى على البيانات التالية:
  - ✓ الرقم التسلسلي
  - ✓ تاريخ خروج الملف.
  - ✓ عنوان الملف
  - ✓ تاريخ استرداد الملف
  - ✓ الملاحظات
- ✓ **عندخروج الملف من الأرشيف:**

عند خروج الملف نضع مكانه "دليل الخروج" ونكتب على دليل الخروج بقلم الرصاص اسم الملف الخارج، تاريخ الخروج، اسم المصلحة واسم الشخص الذي أخذ الملف، تاريخ احتمال ارجاع الملف.

وعند رجوع الملف يعاد إلى مكانه الأصلي مع نزع دليل الخروج، وعند خروج وثيقة من الملف نضع مكان الوثيقة بطاقة إبدال (fiche de substitution) نكتب عليها إسم الوثيقة الغائبة، إسم المصلحة أو الشخص الذي أخذ الوثيقة.

عند رجوع الوثيقة، تعاد إلى مكانها ونزع بطاقة الإبدال.

- ✓ **عند فتح الأرشيف للإطلاع:**

يحق للهيئة الدافعة أن تقدم طلبا كما اقتضت مصلحة عملها ذلك للإطلاع على أرشيفها ولذلك عليها أن توفر المراجع المشار لها في جدول الدفع الذي يبقى في حوزتها وعليه ينبغي على المصلحة الإحتفاظ وحسب الترتيب الزمني بنسخة من الجدول الذي عاد إليها بعد اتمام إجراءات الدفع.

من خلال دراستنا لمخطط إحصاء وتصنيف الوثائق المتداولة على مستوى الإدارة الولائية للتربية والذي يتضمن مجموعة من الملفات الموجودة على مستوى مصالح مديريات التربية والذي أخد بعين الاعتبار هيكلة وتنظيم هذه المديريات وخصوصية نشاطات كل مصلحة ومكتب بالإضافة إلى الوظيفة المسندة لكل مصلحة.

مع العلم أن هذا المخطط عرف عدة تنقيحات وتعديلات التي كانت تأخذ بعين الاعتبار في الأيام الدراسية والندوات واللقاءات التي كانت تعقد لفترات متتالية لضبط هدا المخطط بحيث يستعمل كدليل توجيهي للأرشيف لترتيب وتصنيف الوثائق المنتجة أو الواردة من مختلف المصالح أو حتى من خارج المديريات وذلك لاستجابة الانشغالات والمشاكل التي كان يعاني منها قطاع أرشيف الإدارة التعليمية.

وبالتالي تعميم تطبيق على مستوى هذه المصالح لتسهيل إجراءات الدفع بالنسبة للمصالح ولتفادي الدفع الفوضوي التي كانت تسير عليها المديريات التربية في وقت ما إذ عان رصيدها من التكدس للوثائق وعدم انتظامه والتي عان منها القائمين على الأرشيف مديريات التربية في السنوات مابين 1995-1999 نظرا للوضعية التي صادفها الأرشيف عند إسلامهم لوظائفهم في تلك الفترة.

ويضبط الشروط والإجراءات الواجب إتباعها لتنظيم هذه الحركة على مستوى مديرية التربية وكذا المؤسسات التعليمية والتي تتجسد في شكل مدفوعات دورية منظمة ينبغي الحرص على ترسيخ العمل بها لضمان معالجة إدارية سليمة لوثائق أرشيف الإدارة التعليمية وعليه فإن هده الحركة ينبغي أن تتم وفقا لأحكام وترتيبات هدا المنشور.

هوامش البحث:

1. وزارة التربية، مخطط إحصاء وتصنيف الوثائق المتداولة على مستوى الإدارة الولائية للتربية، الجزائر، المديرية الفرعية للتوثيق، 2001، ص5.
2. المرجع نفسه ، ص7.
3. وزارة التربية، مخطط إحصاء وتصنيف الوثائق المتداولة على مستوى الإدارة الولائية للتربية، الجزائر، المديرية الفرعية للتوثيق، 2001، ص9
4. المرجع نفسه، ص13.
5. المرجع نفسه، ص15.
6. وزارة التربية، مخطط إحصاء وتصنيف الوثائق المتداولة على مستوى الإدارة الولائية للتربية، الجزائر، المديرية الفرعية للتوثيق، 2001، ص19
7. المرجع نفسه، ص22.
8. المرجع نفسه، ص27.
9. - المرجع نفسه، ص.27
10. وزارة التربية، مخطط إحصاء وتصنيف الوثائق المتداولة على مستوى الإدارة الولائية للتربية، الجزائر، المديرية الفرعية للتوثيق، 2001، ص32

مواصفـات كتـاب الطفـل: الشكل والمضمون

د. بن دحو أحمد
جامعة وهران1 أحمد بن بلة

مقدمة:

لاشك أن كتاب الطفل ينفرد ويتميز عن باقي الكتب الموجهة إلى الفئات العمرية الأخرى، كيف لا وهو موجه إلى فئة حساسة في سلوكها وتصرفاتها وإدراكها، فالطفل مذ ولادته وهو يحاول اكتشاف وفهم العالم من حوله فبالنسبة له أي شيء يصادفه أو يعرض عليه فهو جديد.

وخلال مسيرته يحتاج الطفل إلى من يوجهه ويخاطبه ويفهمه جزءا من هذا العالم، وتتخذ هذه العملية عدة أشكال كالتربية المنزلية، برامج التلفاز، المؤسسات التعليمية والكتاب الذي هو محور حديثنا.

الكتاب وقبل تقديمه إلى الطفل يجب أن يرتكز على مجموعة من المعايير والمواصفات التي يجب أن تستجيب لميول الطفل ومستوى إدراكه، فطريقة تقديم الكتاب للطفل أهم بكثير من الكتاب نفسه فمجموعة العوامل الجاذبة يجب أن تكون حاضرة وبارزة في كتاب الطفل فاختيار الألوان والصور، وانتقاء المفردات والمصطلحات، وشكل الكتاب... كلها تفاصيل ينبغي مراعاتها قبل التفكير في طرح أي كتاب موجه للطفل.

1- مراحل الطفولة (الفئات العمرية للطفل):

1.1- مرحلة الرضاعة:

تبدأ من أول يوم إلى غاية السنتين (02)، كما هو مذكور في القرآن الكريم **""وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُن حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِم الرضَاعَةَ""** سورة البقرة، الآية 233. في هذه المرحلة يعتمد الطفل على أمه اعتمادا كليا، وهي مرحلة أول اتصال بالعالم الجديد.

2.1- مرحلة الطفولة المبكرة:

تبدأ من سنتين (02) إلى ستة (06) أعوام، حيث تطرأ عدة تغيرات على

الطفل كالنمو الجسدي، الإدراك النفسي الاجتماعي، ويكون أميل إلى اللعب واكتشاف محيطه وحب التعلم، يستحسن في هذه المرحلة تمكين الطفل من فرصة ولوج دور الحضانة خاصة بعد سن الثالثة وذلك لتحضيره للدراسة الابتدائية.

3.1- مرحلة الطفولة المتأخرة:

تبدأ من سن ستة (06) سنوات إلى سن اثنا عشر (12) سنة، هي مرحلة التعلم الفعلي حيث تتميز هذه المرحلة ببداية الالتحاق بالمدرسة، يكتسب الطفل خلال هذه السنوات نموا جسدا ملحوظا ويكون نظرة اتجاه نفسه، ويبدأ في الدراسة وتعلم الكتابة والحساب، ويبدأ في تكوين صورة عن معاني الحياة عامة.[1]

2- خصائص الطفل:

الطفولة مرحلة فريدة من نوعها يكون الطفل فيها صفحة بيضاء همه الوحيد هو التعلم والاكتشاف حيث يمكننا أن نكتب على هذه الصفحة ما نشاء، أيضا يكون الطفل كثير الحركة لا يكل ولا يمل كما أن خياله واسع، كثير الأسئلة والتقليد ويتميز بسرعة التعلم والحفظ، لا يفرق بين الخطأ والصواب، كثير العناد.[2]

3- لماذا كتاب الطفل؟

الطفل هو المستقبل هو المجتمع هو الجيل الذي سوف يخلفنا، هو ذلك الفرد الذي تعلق عليه الأمنيات وكل أب أو أم يتمنى أن يرى طفله يكبر ويشتد ساعده ليحقق النجاح تلو النجاح في حياته، لكن الأمنيات وحدها لا تكفي إذ يجب مسايرة مراحل نمو الطفل والتعب من أجله بل والاستثمار فيه فهو مشروع قد يكون رابحا وقد يكون خاسرا، فتربية الطفل أمر ليس بالهين وكجانب من هذه العناية أدب الأطفال عامة وكتاب الطفل خاصة.

كتاب الطفل يغذي ألباب أطفالنا، يعلمهم، يثقفهم ليكسبهم معاني الحياة، فهو - كتاب الطفل – يبني الأجيال ويغني قاموسهم اللغوي ويبعث فيهم روح التنافس والبحث وحب الإطلاع، كما يرسخ فيهم حب القراءة وينظم وقتهم ويبعدهم عن مساوئ التكنولوجيا الحديثة التي لم تعد ترحم. إن الطفل القارئ هو حتما طفل ناجح حيث يبدأ مسيرته الفكرية منذ الصغر ولعل ذلك يبرز في

المدرسة حيث يبدو جليا تفوق الطفل الذي تعود قراءة الكتب عن سائر أقرانه، فالمطالعة عادة حسنة ينبغي أن نعود أطفالنا عليها حتى نحصل في المستقبل على مجتمع قارئ، لا تنطبق عليه مقولة وزير الدفاع الإسرائيلي السابق "موشي ديان" (العرب شعب لا يقرأ، وإذا قرأ لا يفهم، وإذا فهم لا يطبق). بل تنطبق عليه مقولة "أمين الزاوي" (شعب يقرأ.. شعب لا يجوع ولا يستعبد).

وهناك دراسة مخيفة أوردت أن عدد الكتب المؤلفة سنويا والمتوافرة للطفل العربي لا تزيد على 400 كتاب، مقارنة بالكتب المؤلفة والمتوافرة للطفل الأمريكي مثلا، والتي فاقت 13260 كتابا في السنة، والطفل البريطاني 3837 كتابا، والطفل الفرنسي 2118 كتابا، والطفل الروسي 1458 كتابا في السنة الواحدة .

وأفادت الدراسات أن كل 20 مواطنا عربيا يقرؤون كتابا واحدا فقط في السنة، بينما يقرأ كل مواطن بريطاني 7 كتب أي 140 ضعف ما يقرأه المواطن العربي، أما المواطن الأمريكي فيقرأ 11 كتابا في السنة أي 220 ضعف ما يقرأه المواطن العربي.[3]

4- كيف نحبب القراءة للطفل؟

- كما ذكرنا في خصائص الطفل أنه كثير التقليد هذه الخاصية يمكن أن نستغلها بأن نقرأ نحن أمامه فندفعه إلى تقليدنا، خاصة أن الطفل يحب تقليد أو الأم والأب.

- الخيال: الطفل خياله واسع فمثلا قصص الخيال والمغامرات والشخصيات غير الواقعية تجذب وتثير اهتمام الطفل.

- انتقاء الكتب التي تلفت الانتباه بألوانها وصورها وحتى شكلها، وهذه وسيلة لجعل الطفل يأنس للكتاب ويستمتع به. فمن مواصفات كتاب الطفل أن يكون جذابا يشد الانتباه حتى يغري الطفل بالإقبال عليه.[4]

- التحفيز والمكافأة: نكافئ الطفل بعد انتهائه من قراءة الكتاب كاصطحابه إلى أماكن يحبها أو شراء أشياء تغري الصغار، ونخبره بأن هذا جزاء قراءتك لذلك الكتاب مثلا.

5- مواصفات كتاب الطفل:

كما أشرنا سابقا أن كتاب الطفل يكتسي حساسية بالغة حيث يجب أن يتوفر

على مجموعة من الصفات والخصائص تميزه عن سائر الكتب الأخرى، لأنه وبكل بساطة موجه إلى فئة عمرية لها ميزاتها هي الأخرى. ومن خلال تطرقنا لمواصفات كتاب الطفل ارتأينا جمعها في عنصرين أساسيين هما: الشكل والمضمون.

I- الشكل (الجانب المادي والفني):

أول اتصال بين الطفل والكتاب يكون عبر شكل هذا الأخير، فالنظرة الأولى مهمة جدا فيمكن أن ترغب أو تنفر الطفل من الكتاب، وإن لم نبالغ نقول أن نجاح الكتاب من شكله فهو عنصر مهم ينبغي على ناشري ومنتجي كتاب الطفل أن يولونه جانبا من الاهتمام والدراسة. ينقسم شكل كتاب الطفل إلى:

1- الغلاف:

إنه وجه الكتاب ينبغي أن يكون جاذبا وملفتا للانتباه، وأن يعبر عن محتواه كما يستحسن انتقاء صورة معبرة ومناسبة ترغب الطفل في ذلك الكتاب، تكون فيه الإشارة إلى نوع الكتاب (تعليمي، تثقيفي، ديني، قصة...)، والإشارة كذلك إلى الفئة العمرية (السن) المستهدفة.

2- الألوان:

إنها من أكثر العناصر جلبا للانتباه، لذلك يجب توظيفها وإعطائها الأهمية الكافية لكن ليس على حساب العناصر الأخرى، ويكون استعمالها مناسبا لموضوع الكتاب وأن تكون واضحة وتضفي جانبا جماليا من دون أن تكون حاجبة للخط أو معيقة للقراءة.

3- الصور والرسومات:

الطفل تجذبه الصور أكثر من الكتابة لذلك تكون طريقة استعمالها ذكية ويكون الهدف منها كسر الرتابة من القراءة، وأن تكون تخدم الموضوع والهدف. فمثلا عند ذكر اسم أحد الحيوانات يتم إرفاق صورة توضيحية كي تترسخ المعلومة في ذهن الطفل.

4- الطباعة:

الطباعة ونوع الإخراج واختيار الورق ذو جودة يعطي انطباع عن جدية ذلك الكتاب، فكلما كانت التقنية الموظفة عالية وكلما كان الخط واضحا، كان ذلك عاملا من عوامل ترغيب الأطفال في القراءة والإقبال عليها. فكما يهتم الناشر

بكتب الكبار عليه كذلك أن يهتم بكتب الصغار لأنهم حتما سوف يكونون قراء المستقبل.

5- حجم الكتاب:

حجم الكتاب وعدد الصفحات ينبغي أن يكون مدروسا حسب الموضوع والفئة العمرية الموجه إليها ذلك الكتاب، ومن الأحسن الابتعاد عن التكلف والأحجام الكبيرة لأنها لن تخدم الهدف المنشود، وتكون عاملا منفرا لا مرغبا، فالقارئ الصغير عندما يلاحظ أن الكتاب كثير الصفحات سوف يصيبه الملل فهو ليس متعودا على الصبر.

II- المحتوى أو المضمون:

مادة الكتاب لا يجب أن تقل أهمية عن شكله، فالمحتوى له ضوابط وقواعد يجب التقيد بها وأن يتسم بالموضوعية والتبسيط قدر الإمكان، وأن يحترم الهدف المنشود من الكتاب ويخاطب الفئة العمرية المستهدفة خطابا مباشرا.

1- الموضوعية:

تعالج مواضيع كتاب الطفل بموضوعية متناهية والتحقق من المعلومات المقدمة له خاصة فيما يتعلق بالمواضيع الإيديولوجية والدينية وذات الطابع العلمي لأنها تستهدف عقول الأطفال وهذه مسؤولية المؤلف والناشر، والغرض من هذا النوع من الكتب هو التثقيف والتعليم ولا ينبغي تقديم مادة تفتقر للموضوعية، فثقافة الطفل كما يقول **عبد التواب يوسف**: "هي خليط مما يرثه من أبويه وأسرته، وما يصله من عادات وتقاليد، وما يكتسبه من معرفة وعلم، وما يتأثر به من فنون وما يمارسه منها وما يعتقد فيه ويؤمن به وما يتصف به من خلق، وما تتميز به شخصيته من ملامح وكل ما يسود في مجتمعه من أفكار وآراء وقوانين وما يشيع فيه من ثقافة عامة".[5]

2- التبسيط:

قدرات الطفل اللغوية والمعرفية محدودة وهي في مرحلة التطور، لذلك يجب مخاطبة الطفل حسب إمكانياته بعيدا عن التعقيد فالتبسيط يساعد على قدرة الاستيعاب والتعلم. وهناك قصة استوقفتني سوف أقتبسها بتصرف لأنها تسلط الضوء على هذا العنصر وتبرز نتائج غياب التبسيط، يقول أحد الآباء: (جلست

لأستريح قليلا من عناء العمل. فجاءني ابني عبد الرحمن وقد ظهرت علامات الغضب واضحة على وجهه الجميل، وفي يديه كتاب صغير - كانت أمه قد أحضرته له بمناسبة تفوقه وحفظه لعشرة أجزاء من القرآن الكريم - نظرت إلى عينيه الصغيرتين فوجدت فيهما أسئلة حائرة.!!

أجلست عبد الرحمن بجواري ووضعت يدي على كتفه وحاولت التخفيف عنه، وقلت له: ماذا بك يا بني؟ لماذا أراك مهموما؟

قال عبد الرحمن: يا أبي هذا الكتاب به كثير من الكلمات التي لا أعرف قراءتها جيدا ولا أفهم معناها.!صمت قليلا ثم قلت له: هذا شيء عادي يا بني، فعندما تقرأ أي شيء وتصادفك كلمة لا تعرف معناها فتعال إلي وأنا أوضحها لك.

قال عبد الرحمن: يا أبي إن هذا الكتاب به كثير من الكلمات لا أعرف معناها، ثم قال بضجر: أنا لا أحب هذا الكتاب.. سوف أذهب لأشاهد التلفزيون ولا داعي للقراءة، فالإعلانات وأفلام الكرتون ممتعة ورائعة.

أحسست أنني في ورطة.. كيف أعالج هذا الأمر؟!

نظرت إلى عبد الرحمن ثم قلت له مداعبا: أهكذا يا بطل تترك صديقك الكتاب من أول مشكلة تواجهك؟! تعال معي، وأخذته إلى الشرفة ثم قلت له: تعال نتصفح الكتاب معا ونوضح الكلمات الغامضة... وافق ابني على ذلك وأخذ يقرأ جيدا ثم توقف عن القراءة.

نظرت إلى الكتاب فإذا بعبارة تقول: "**وذهب الظبي مع القرد إلى الغضنفر**".. وهنا أدركت أن ابني معه حق، لماذا لم يقل الكاتب: "**وذهب الظبي مع القرد إلى الأسد ملك الغابة**" فإذا كنا جميعا نعرف أن "الغضنفر" من أسماء الأسد فإن الطفل لا يعرف ذلك. وقبل أن يلحظ ابني ما أنا فيه من توتر واصلنا القراءة بعد أن شرحت له معنى كلمة "غضنفر"، وإذا بعبارة أخرى تقول: "**صه أيها القرد أتريد أن تسوي بيني وبينك شتان شتان**"، وهنا لم أتمالك نفسي فبدأ الانفعال على وجهي. قلت في نفسي لماذا لم يقل المؤلف: " **أسكت أيها القرد أتريد أن تسوي بيني وبينك فهناك فرق كبير**"

وهنا أدركت أن مؤلف الكتاب يريد أن يستعرض مفرداته اللغوية في كتاب لطفل صغير، ونسي هذا المؤلف أن نجاحه يتوقف على مدى سهولة ألفاظه وانسيابها وملاءمتها لقاموس الطفل.. كما أن المؤلف المحترف يجب أن ينزل بثقافته ومستواه اللغوي إلى ثقافة ومستوى الطفل، ليس هذا فحسب وإنما لكل مرحلة عمرية من الطفولة قاموس لغوي خاص بها ينبغي على كتاب الأطفال أن تأتي مفرداته متوافقة مع كل شريحة عمرية بعينها). [6]

من خلال هذه القصة المعبرة نستخلص أنه على مؤلف كتب الأطفال أن يسعى إلى التبسيط قدر الإمكان، وأن ينزل بمستواه المعرفي واللغوي إلى مستوى الطفل ويضع نفسه مكانه كأنه يكتب لنفسه.

3- الفئة العمرية المستهدفة:

كما أشرنا سابقا إلى أن نمو الطفل يمر عبر مراحل ولكل مرحلة خصائصها وقدراتها، وليس كل كتاب موجه للأطفال يمس كل الفئات العمرية إذ يجب الإشارة على صفحة الغلاف إلى أن هذا الكتاب يخص فئة معينة من الأطفال وتكتب بهذا الشكل (أقل من ستة سنوات) مثلا... وهذا الأمر يساعد الآباء في اختيار الكتاب المناسب لأطفالهم من دون إضاعة للوقت.

فلكل مرحلة عمرية سمات وخصائص معينة لغوية، عقلية واجتماعية وغيرها، فالكتاب الذي يناسب طفلا في السابعة لا يناسب آخرا في العاشرة مثلا [7]

4- أهداف كتاب الطفل:

طبعا كتاب الطفل كسائر الكتب له أهداف وغايات من طبعة ونشره، واقتناؤه يتم حسب الحاجة والرغبة، فهناك الكتاب العلمي، التعليمي، الديني، التثقيفي، التاريخي، قصص الأطفال... ويستحسن الإشارة إلى هدف أو نوع الكتاب على صفحة غلافه على سبيل التوضيح.

6- أدب الأطفال:

لا يقتصر أدب الأطفال على الكتاب فقط فهذا الأخير ما هو إلا جزء أو مكون من مكونات أدب الطفل، ففي عصرنا الحالي تعددت وتنوعت وسائط المعلومات وطرق عرضها، فتكنولوجيا المعلومات والاتصال لم تترك فئة إلا وخدمتها فنجد مثلا الأقراص المضغوطة وبرامج الإعلام الآلي الخاصة بالأطفال كذلك مواقع

الويب المتخصصة والإنترنت والتعليم عن بعد كلها أصبحت تولي الطفل أهمية معينة وتأخذه في الحسبان، لتبقى حرية الاختيار للمربي أي الوسائل يختار أو المزج بينها.

ويشكل أدب الطفل الدعامة الأساسية لثقافة طفلية شاملة فهو من الوسائل التربوية التي تعتمد على أشكال معينة وتهدف لتحقيق غايات محددة ويتخذ أساليب وقنوات وأشكالا مختلفة، وكما يقول **جون ديوي**: (الطفل هو الشمس التي تدور حولها المنظومة التربوية برمتها). [8]

وقد تعدى الأمر إلى بروز مكتبات ومراكز توثيق خاصة بالأطفال، وأصبح الدارسون يتخذون من الطفل مادة لبحوثهم ودراساتهم الجامعية.

خاتمة:

صناعة كتاب الطفل لم تعد كما السابق فقد أصبحت تسبقها دراسات سيكولوجية واجتماعية، وأصبحت له مواصفات ومعايير يجب على كل مؤلف وناشر أن يلتزم بها شكلا ومضمونا، حتى يستفيد القارئ الصغير أحسن استفادة ويصبح محبا للكتاب والقراءة التي أضحت تتناقص شيئا فشيئا في مجتمعاتنا في ظل المنافسة الشديدة التي يتعرض لها الكتاب من طرف وسائل الإعلام المرئية والإنترنت والوسائط الأخرى. إن العزوف عن المطالعة أو تراجع المقروئية أصبحت هاجسا يؤرق الباحثين ولم تعد مقصورة على فئة معينة بل انتشرت عدواها لتخص كل الفئات.

إن أكثر ما نخشاه على أطفالنا في عصر المعلومات والانفجار المعلوماتي وتعدد مصادر المعلومة هو الغزو الفكري والإيديولوجي، الذي أصبح يستهدف عقول الأطفال لأنهم يعلمون أنها الفئة المثالية التي يزرعون فيها ما يرغبون من أفكار، وفي حالة ما إذا تبنى الطفل أفكارا معينة فإنه يصعب بل ويستحيل إزالتها من ذهنه، أخطر أنواع الاستهداف تلك التي تستهدف عقيدة الطفل سواء بنشر ديانة أو مذهب أو بث أفكار طائفية دينية.

المراقبة ضرورية وهي مسؤولية الأسرة والمجتمع والسلطات، مراقبة الطفل واجبة سواء قرأ أو شاهد أو استعمل نحن من نختار له ما يقرأ وماذا يشاهد وكيف يستعمل، فكل شيء في عصرنا الحالي أصبح شبهة تثار حولها

الشكوك، كل هذا لنضمن منهجا سليما لأطفالنا وتربية صحيحة وتنشئة متينة ترافقه خلال مساره مستقبلا.

فالطفل مستقبل المجتمع وجيل الغد وهو مشروع للاستثمار فالتنشئة والتربية الصحيحة تؤتي أكلها بعد حين، يجب الاهتمام بمصادر المعرفة للطفل وتنويعها ولا يجب أن تقتصر على الكتاب فقط حتى يكون الطفل متمكنا من جميع الوسائل التقليدية منها والحديثة، التحكم في أدوات العصر من تكنولوجيا المعلومات والاتصال أمر لا يمكن إغفاله حتى يكون ذلك الطفل ابن وقته.

قائمة المراجع:

- موسوعة مقاتل الصحراء. الطفولة. [على الخط]. متوفر على:
<http://www.mokatel.com/openshare/Behoth/Mnfsia15/Tofolah/index.htm>.
أطلع عليه يوم: 2014/10/09

2 - محمد سعيد مرسي. فن تربية الأولاد في الإسلام. القاهرة: دار التوزيع والنشر، 2011. ص 13

3 - إسراء البدر. معدل القراءة عالميا.. النتيجة ليست في صالح العرب. [على الخط]. متوفر على:
http://magazine.islamtoday.net/m/art.aspx?ID=619> >. أطلع عليه يوم: 2014/10/09

4 - محمد عدنان سالم. معايير صناعة كتاب الطفل العربي. [على الخط]. متوفر على:
http://www.acbpub.org/index.php?p=DisplayNews&id=48> >. أطلع عليه يوم:
2014/10/10

5- عبد التواب يوسف. تنمية ثقافة الطفل. دمشق: دار الفكر، 2001. ص 26

6 - علي لطفي. مواصفات الكتاب الجيد الذي تختاره لطفلك. [على الخط]. متوفر على:
http://kenanaonline.com/users/alenshasy/posts/305263> >. أطلع عليه يوم:
2014/10/12

7- قحطان بيرقدار. صفات كتاب الطفل. [على الخط]. متوفر على:

8- http://www.alukah.net/literature_language/0/4925/#ixzz3FajH7ibJ> >. أطلع
عليه يوم: 2014/10/12

9- عبد المجيد إبراهيم قاسم. أدب الأطفال أهداف وغايات. [على الخط]. متوفر على:

10- http://www.siironline.org/alabwab/mogtama%20(23%20)/124.htm> >. أطلع
عليه يوم: 2014/10/12

من استرجاع الوثائق إلى نظم استرجاع المعلومات:

د.شاشة فارس
جامعة محمد لمين دباغين سطيف02

مقدمة:

تشهد احتياجات المستفيدين من المعلومات تعقدا في ظل تداخل التخصصات الموضوعية وتضخم الإنتاج الفكري الصادر في مختلف مجالات المعرفة كما أدت الانترنت إلى تفاقم مشكلة الانفجار المعرفي فالمعرفة في تزايد مستمر وهائل والمستفيد لا يستطيع أن يحصر ما يحتاج إليه من معلومات منتشرة بلغات مختلفة وفي أماكن متعددة لذا تطلب توفر أدوات تساعد على تسهيل الحصول على المعلومات الدقيقة بسرعة وفعالية، عرفت هذه الأدوات بنظم استرجاع المعلومات وهي أدوات تنظم للمستفيد المعرفة وتساعده في الوصول إليها واسترجاعها عند الحاجة كما أنها تعتبر وسيط بين مصادر المعلومات والمستفيد.

لكن تغير بيئة المعلومات وانتقالها من بيئة ورقية إلى رقمية وظهور أنواع جديدة من مصادر المعلومات أدى بنظم استرجاع المعلومات أن تتعامل مع المعلومات وتهمل الوسيط في غالب الأحيان.

1-فلسفة البحث عن المعلومات:

1-1-البحث عن المعلومات عملية معرفية:

كل عملية بحث عن المعلومات تكون وراءها حاجة.

والحاجة إلى المعلومات حسب الباحث تايلور Taylor هي معنى يدل على العلل والأسباب وتدل على طموح الفرد وكذلك على الشعور بالأشياء الناقصة كما أنها متعلقة بما لابد للفرد أن يحصل عليه ليقوم بعمله أو بحثه على أحسن وجه كذلك لكمال معرفته وخلق أفكار جديدة. [1]

والحاجة الى المعلومات قضية تدارسها باحثون في مختلف العلوم فبعض الباحثين في علم النفس المعرفي اعتبر أن البحث عن المعلومات هي مشكلة تتطلب

حل، حيث أن الحاجة حالة معرفية غير تامة وناقصة تتطلب إكمالها بمعلومات إضافية حسب الرسم التالي:

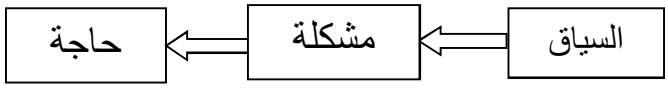

وتحديد الحاجة يؤدي إلى تحديد إطار هذا المشكل وتتم معالجته بتحديد المفاهيم (les notions) وقد تكون هذه المفاهيم:

- في بعض الحالات غير كاملة.
- في بعض الحالات تكون فارغة المعنى.
- في بعض الحالات تكون مرتبطة مع مفاهيم أخرى.

أما علم المكتبات والمعلومات فقد استعار بعض تقنيات ونظريات علم النفس المعرفي في فهم طرق عمل العقل وكيفية معالجته للمعلومات وبحثه عنها، فاقترح Brooker سنة 1980 معادلة لنمذجة عملية البحث عن المعلومات وليشرح كيفية تغير الحاجة المعرفية الأساسية (C)لشخص ما (Y)يوجد في حالة معرفية (C`)نتيجة اكتسابه معارف جديدة(α مستخرجة من معالجة معلومات(I)

$$C`=C+ \alpha ci$$

والحاجة إلى المعلومات تعرف هنا بفارق المعرفة أي تعرف ب(αc)، وبما أن الحاجة إلى المعلومات ليست ثابتة بل هي مرتبطة بالوثائق والمعلومات المتحصل عليها عن طريق النظام الوثائقي فانه تتولد حاجات أخرى، لذا تم تعديل هذه المعادلة لتصبح [2]

$$C`=C+£\ \alpha ci \ \ et\ (i=\{1,\ldots,n\})$$

فإشكالية البحث عن المعلومات لا يمكن حلها بإنشاء واجهات لبرمجيات وثائقية تمكن الباحث من طرح أسئلته بل هي عملية معرفية معقدة تتطلب منهجية وكثير من الخبرات والمعرفة ففي حالة الفرد الذي يبحث عن المعلومات لاستعماله الخاص يكون هدفه الحصول على معلومات والاطلاع على الوثيقة التي تحتويها وذلك لإرضاء حاجته وسيتحول هذا الفرد إلى مستعمل (utilisateur) عند وجود نظام وثائقي. [3]

والنظم الوثائقية ليست إلا برمجيات واليات لتمثيل المعلومات والأشكال، لذا على المستفيد التعبير عن حاجته ليتم ترجمتها إلى مصطلحات النظام ومعالجتها.

وعند البحث عن المعلومات في أي نظام وثائقي يجب التمييز بين الاحتياجات الخاصة بالمستفيدين والطلبات الفعلية التي يقدمونها فالاحتياجات أكثر بكثير من الطلبات المقدمة، لأنه ليس ضروريا أن تتحول كل الاحتياجات إلى طلبات.

عند مساءلة نظام وثائقي من طرف المستفيد نجد أن هناك حاجات يمكن تلبيتها في الحين مثل:

- معلومات عن شخص.
- معلومات علمية (معطيات).
- إحصائيات اقتصادية.
- اقتراحات تجارية.

وتكون المعلومات هنا في حالتها الخام (brute) ولا تحتاج إلى إعادة معالجة بل يطلب تحديد مصادر المعلومات فقط، كما أن هناك بعض الحاجات تتطلب معالجة خاصة حيث يتم جمع عدة معلومات وتحليلها وفرزها وكتابة ملخص ثم تقديمها للمستفيد.

2-1-نماذج علوم المكتبات والمعلومات للبحث عن المعلومات:

في أول الأمر كان علماء المكتبات والمعلومات يستخدمون مصطلح البحث الوثائقي (recherche documentaire) الذي عرفته المنظمة الفرنسية للتقييس AFNOR بأنه "تصرفات، طرق وعمليات تهدف إلى إيجاد بيانات وثائقية لوثائق دقيقة في رصيد وثائقي" ثم تطور هذا المفهوم إلى البحث عن المعلومات الذي عرف بأنه "تصرفات، أعمال وطرق تهدف إلى استخراج معلومات معينة من مجموعة وثائق ، وبطرقة أخرى هو كل عملية تهدف إلى بحث وجمع واستعراض المعلومات للإجابة على سؤال حول موضوع محدد".[4]

وهدف البحث عن المعلومات هو إضفاء علاقة بين المعلومات الموجودة من جهة وحاجات المستفيد من جهة أخرى التي يعبر عنها في جملة المساءلة وإنشاء هذه العلاقة يتم بواسطة نظام البحث عن المعلومات SRI، وتهدف هذه العلاقة إلى

إيجاد اكبر قدر من الوثائق الدقيقة(pertinente) مقارنة بحاجته ومفهوم الوثائق الدقيقة ما زال يشوبه قدر كبير من الغموض لأنه مرتبط بذاتية الباحث وتحديد حاجته بدقة.

ويمكن تمثيل نظام البحث عن المعلومات في الشكل التالي:

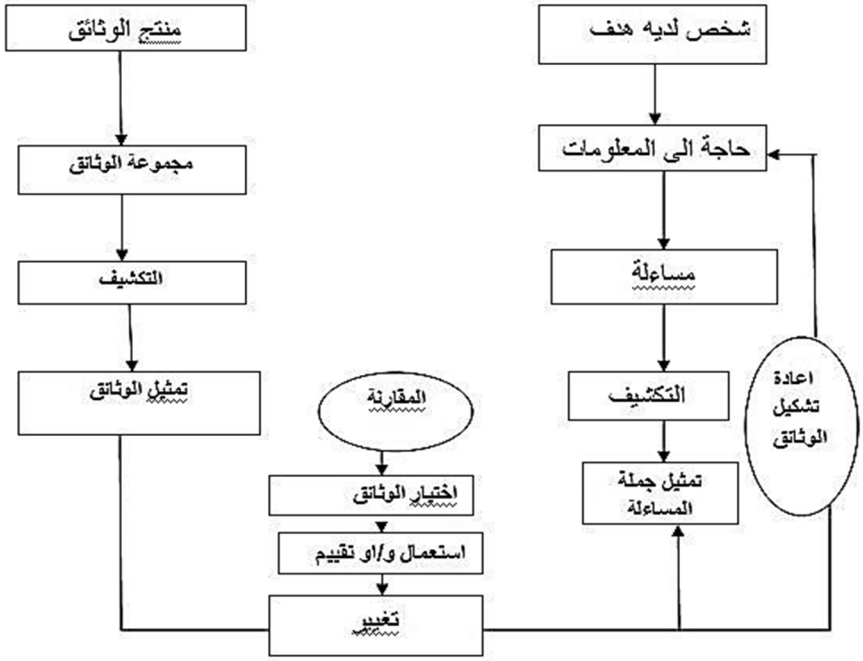

شكل رقم (01) يمثل نظام البحث عن المعلومات

وفي سنة 1984 تم تحديد طريقة البحث عن المعلومات عبر المراحل التالية:[5]

- ✓ تثبيت الفكرة: فهم الموضوع، معرفة مكان تواجد المصادر ونوع الوثائق.
- ✓ جمع المعلومات.
- ✓ معالجة الوثائق(معرفة دقة المعلومات).
- ✓ استعراض الوثائق واعادة البحث.
- ✓ الانتاج/الاتصال: وضع مخطط ، وضع عرض شامل -synthèse-، وضع منتوج فكري.

1-3-نماذج علوم المعرفة (sciences cognitives)للبحث عن المعلومات:

يعتبر علماء المعرفة أن عملية البحث عن المعلومات عملية معرفية مرتبطة بفعل القراءة.

ابتداء من تسعينات القرن العشرين وضع علماء المعرفة عدة خطوات للبحث عن المعلومات تتمثل في:[6]

- ✓ تحديد الهدف: يحلل الفرد السؤال المطروح ويحدد ما هو ناقص فيه لمعالجته.
- ✓ اختيار أنواع المعلومات: يحلل الفرد الوثائق لمعرفة دقة المعلومات.
- ✓ استخراج المعلومات(extraction de l'information): حيث يخزن الفرد المعلومات في ذاكرته أو يأخذ النقاط الأساسية.
- ✓ إدماج المعلومات(l'intégration de l'information):يدمج الفرد المعلومات المتحصل عليها مع معلومات أخرى كان يملكها ليحل المشكل، فإذا كانت عملية الإدماج ناجحة تتوقف العملية وإلا ستعاد العملية من الأول.

ثم تطورت نماذج أخرى اعتمادا على النموذج السابق ومن أشهرها نموذج E.S.T

(Évaluation –sélection-traitement).[7]

ففي مرحلة التقييم évaluation يتم فيها بناء وتحيين عرض الهدف المراد الوصول إليه ويقوم المستفيد بمقاربة تقديرية عن حجم المعلومات ونوعها التي يحتاجه لحل الإشكال.

وفي مرحلة الاختيار sélection يتم تحديد الفائدة من كل معلومة من المعلومات المجمعة.

وأخيرا في مرحلة المعالجة يتم معالجة محتوى كل وثيقة منتقاة أو ما يعرف عند أصحاب هذا النموذج قراءة الفهم.

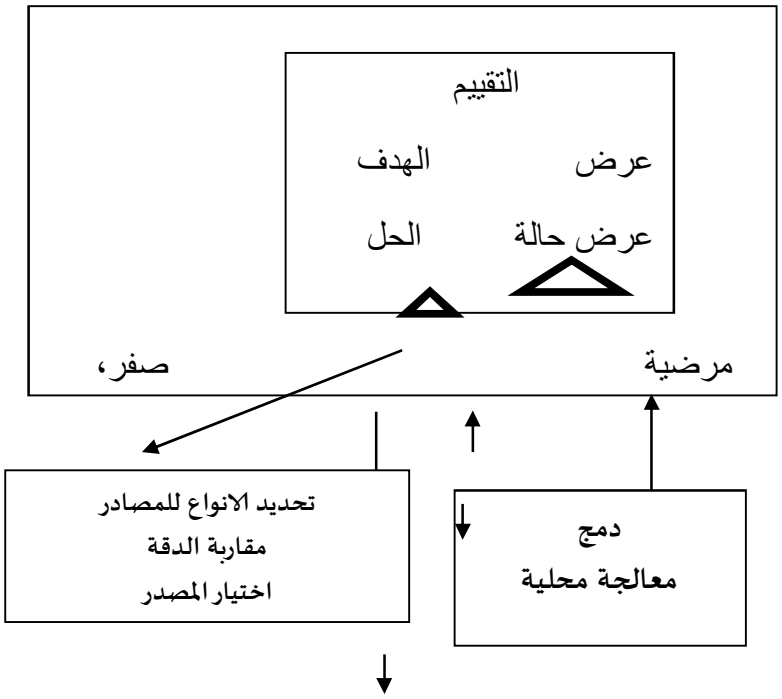

شكل رقم (02) يمثل البحث عن المعلومات وفق علوم المعرفة

Kembellec,Gérald. bibliographies scientifiques: de la recherche d'information à la production de documents normés: thèse de doctorat en sciences de l'information et de la communication: Université de Paris 08, 2012, p.121.

2- طرق البحث عن المعلومات les modalités de recherche d'information:

في عملية البحث عن المعلومات يتم المقارنة بين جملة المساءلة والمحتوى المعلوماتي للوثيقة.

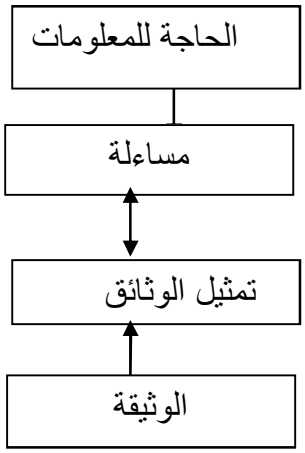

شكل رقم(03) يمثل طرق البحث عن المعلومات

وهناك عدة طرق وتقنيات للبحث عن المعلومات أهمها:

1-2-2 -الولوج المباشر(Accès direct):

هي ولوج ألفبائي أو ألفبائي رقمي بجملة مساءلة مباشرة مثل البحث في قاموس ورقي أو قاموس الكتروني وهي الطريقة المستخدمة في محركات البحث في شبكة الانترنت والبرمجيات الوثائقية حيث يتم الولوج في هذه الأخيرة باستخدام الحقول (**champs**). [8]

يكون البحث إما:

- على الشكل النهائي للمعلومات المبحوث عنها: العنوان الكامل والمقال... الخ.
- على أكثر الكلمات الموجودة في جملة المساءلة.

وكانت نظم الولوج المباشر الأولى تعتمد على الحقول في عملها مثلا حقل المؤلف والعنوان وتاريخ النشر لكن مع تطور معالجة المعلومات أصبح بالإمكان الولوج إلى النص الكامل plein texte.

2-2-2 الولوج الهرمي:

يتم في هذه الحالة ترتيب المحتوى المعلوماتي في مجموعات كبيرة تندرج تحتها مجموعات صغيرة وهكذا يتم تفريع المعلومات تفريعا شجريا.

مثال: مجموعة الفن ويندرج تحتها الرسم، النحت، اللوحات الفنية ونجد هذا الولوج في دليل البحث مثل Yahoo حيث يتم تقسيم المواقع إلى مجموعات ثم نتفرع هذه المجموعات إلى مجموعات جزئية، وقد تكون هذه الأدلة عامة أو خاصة، أحادية اللغة أو ثنائية.

2-2-3 الولوج المركب(Accès combinatoire):

تطور هذا النوع نتيجة شيوع البرمجيات الوثائقية ويعمل هذا النوع على تقديم اجابة دقيقة لسؤال معقد حيث يتطلب من المستفيد تحديد السؤال بدقة كبيرة ومعرفة أساسية ببعض تقنيات البحث.

يتم تشكيل جملة المساءلة (équation) إما اعتمادا على: [10]

- قاموس (lexique) أو لغة وثائقية.
- تركيب حر مختار من طرف المستفيد.

ثم يتم بناء جملة المساءلة بالاستعانة بالروابط البوليانية أو المقارنة أو التقريبproximité.

- الروابط البوليانية (et ,ou, sauf) وروابط المقارنة (=،<، >)
- روابط التقريب: يتم تحديد درجة تواجد كلمات جملة المساءلة في الوثيقة.مثال: البرمجية الوثائقية (doris)

كما يمكن البحث عن المعلومات باستخدام لغات وثائقية:

- التصانيف: ديوي، التصنيف العشري العالمي.
- Les listes de vedettes- matières rameau.
- المكانز.

ويمثل الشكل الموالي هذه الطريقة من البحث عن المعلومات

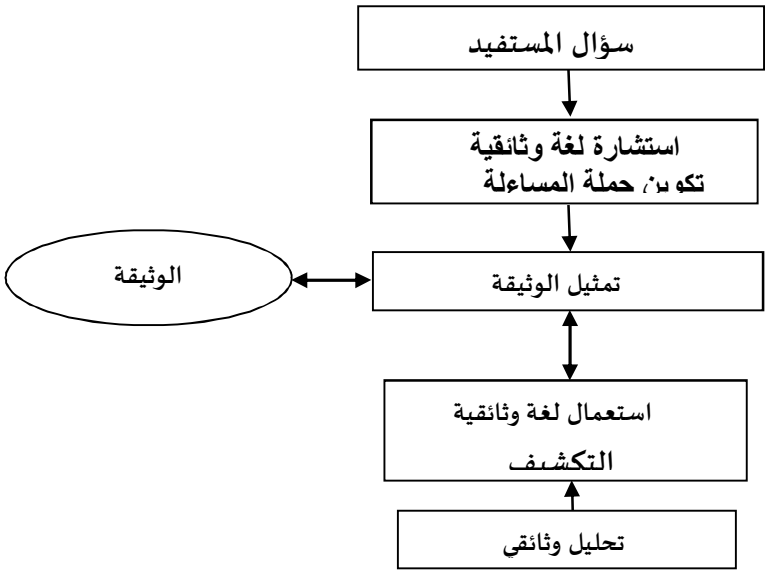

شكل رقم (04) يمثل الولوج المركب للمعلومات

4-2-2 الولوج الابحاري (accès navigationnel) :

يوجد في الوثائق الالكترونية والافتراضية وهو نوعان: (11)

❖ **الولوج باستخدام الروابط المتشعبة (navigation hypertexte)**: يتم تقسيم الوثيقة إلى أجزاء ويربط كل جزء بالأجزاء الأخرى باستخدام روابط تشعبية تتصل فيما بينها بما يسمى العقد nœud والإبحار هنا هو التنقل في المحتوى المعلوماتي للوثيقة ويكون هذا الإبحار بطريقة غير خطية، ويمكن وضع دليل إبحار للوثيقة أو ترك المستفيد يختار طريقته الخاصة في البحث عن المعلومات.

الولوج الايبرميدي (navigation hypermédia): تعتمد على نفس مبدأ النوع الأول ولكن تكون المعلومات مشكلة من صوت، صورة، كتابة (نصوص).

3-تقييم نظم استرجاع المعلومات:

3-1-مفهوم التقييم:

التقييم بمفهومه العام هو استخدام مقياس لوزن حادثة أو شيء ما، وبالنسبة لنظم استرجاع المعلومات فإن التقييم يكون إما على مستوى خصائص هذه النظم أو دراسة المفارقات التي أحدثها على مستوى المستفيد.

فالباحثان هارنون وماك كلير(Hermon et Mac Clure) عرفا تقييم نظم استرجاع المعلومات بأنها العمليات التي نميز بها المعلومات المتعلقة بالنظام وتحديد جودة الخدمات المقدمة ودرجة تحقيق الأهداف التي من اجلها تم إنشاء هذا النظام. (12)

ويحدد (Meadore) اتجاهين لتقييم نظم استرجاع المعلومات: (13)

- تقييم فعالية النظام: أي ما يحدث أثناء استعمال النظام للبحث عن المعلومات.
- تقييم نتائج البحث.

فتقييم فعالية النظام يتم فيها دراسة الوقت اللازم لاسترجاع المعلومات وتكلفة هذه المعلومات وسهولة استخدام النظام وفعالية وكفاءة واجهة النظام،أما تقييم نتائج البحث فيتم فيها حساب دقة النتائج المتحصل عليها.

3-2- طرق تقييم نظم استرجاع المعلومات:

حتى نقيم نظام استرجاع المعلومات فإننا نجري مقارنة وقياس نسب مجموعة الوثائق المحتواة في قاعدة بيانات ومجموعة النتائج المتحصل عليها عند إجراء مساءلة ما وذلك ب:

ا-قائمة النتائج المتحصل عليها: نتحصل في أنظمة استرجاع المعلومات الكلاسيكية على نتائج مرتبة عند إجراء مساءلة، ومن الناحية المنطقية فإن نتائج البحث الملائمة والدقيقة تكون مرتبتها الأولى لأن المستفيد يستعرضها أولا ثم يتجه إلى أسفل القائمة ومهما كانت طاقة المستفيد فإنه لا يطلع على كامل قائمة النتائج إذا كانت كبيرة.

وتقسم الوثائق الموجودة في نظام وثائق إلى أربعة أقسام كبرى:

-الوثائق الملائمة المسترجعة.

-الوثائق غير الملائمة المسترجعة

-الوثائق الملائمة غير المسترجعة.

- الوثائق غير الملائمة غير المسترجعة

وحتى نتمكن من تقييم فعالية نظام استرجاع المعلومات نستخدم علاقات الاسترجاع/الدقة Rappel/Précision.

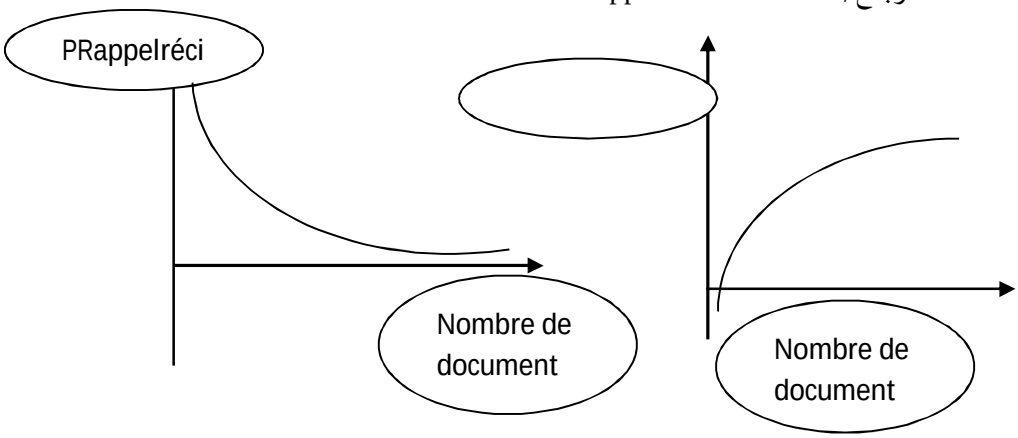

الشكل رقم (05) والشكل (06) يمثلان العلاقة بين الاسترجاع/عدد الوثائق وكذلك الدقة/عدد الوثائق

و نلاحظ من الشكلين السابقين أن:

- معدل الاسترجاع يزداد كلما زاد حجم الوثائق المحتواة في نظام وثائقي.
- معدل الدقة يزداد كلما قل عدد الوثائق الموجودة في النظام الوثائقي.

كما اتجه بعض الباحثين إلى إيجاد علاقة تربط بين معياري الاستدعاء والدقة وتوصلوا إلى مقياس يعرف بـ(Avenage précision).[14]

ب-مجموعة الوثائق:

نتيجة تطور نظم استرجاع المعلومات ظهرت تقنيات التشطير (Clustérisassions) التي تعمل على تقسيم قاعدة البيانات النصية إلى مجموعة وثائق فرعية حسب الموضوعات وفق عدة معايير محددة سلفا وذلك باستخدام محركات بحث مخصصة لذلك.

معظم الدراسات التي عملت على تقييم هذا النوع من نظم الاسترجاع اتفقت أولا على البدء بدراسة مصفوفات(matrice) المشابهة التي يستخدمها النظام لتشطير الوثائق الموجودة في قاعدة البيانات، ثم تقيم الوثائق الملائمة للمستفيد وغير الملائمة عند التشطير لمواضيع فرعية.

وقد طور الباحثان Jordin and Van.Réjsbergen مقياس يعرف امتحان التحصيل(test de recouvrement) يبين لنا ما هي النسبة التي تكون فيها الوثائق الملائمة (الدقيقة) قريبة الشبه بالوثائق غير الملائمة، وهذا بالنسبة لكل جملة مساءلة. (15)

و هذا المقياس لا يقيم النتائج النهائية المتحصل عليها بل يبحث على تقييم تشطير الوثائق إلى مجموعات فرعية تستخدم هذه الأخيرة لتتبع النتائج المتحصل عليها باستخدام النظم الكلاسيكية.

3-3-معايير التقييم الاحصائية: عند إجراء عملية بحث عن المعلومات في نظام وثائقي فإننا نحصل على: (16)

- مواد ذات صلة بالموضوع تم استرجاعها نرمز لها بـ (أ).
- مواد ذات صلة بالموضوع لم يتم استرجاعها نرمز لها بـ (ي).
- مواد ذات صلة بالموضوع تم استرجاعها نرمز لها بـ (ج).
- مواد ذات صلة بالموضوع لم يتم استرجاعها نرمز لها بـ (د)

حسب الجدول التالي:

مواد لا لها صلة بالموضوع	مواد ذات صلة بالموضوع	
ج	أ	مواد تم استرجاعها
د	ب	مواد لم يتم استرجاعها

جدول رقم (01)يبين نتائج عملية استرجاع المعلومات

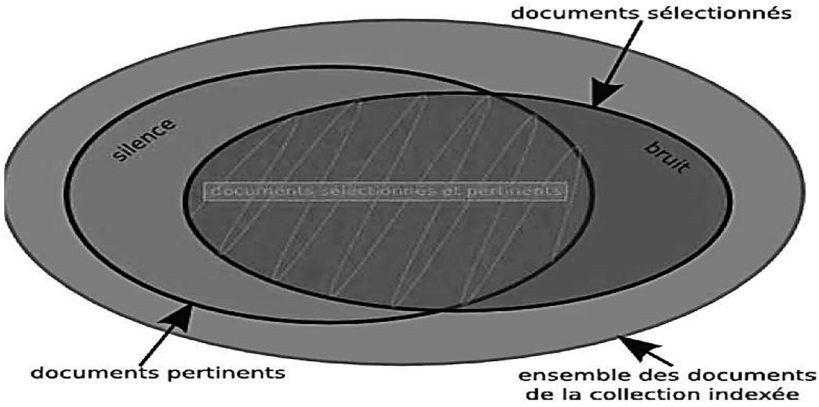

شكل رقم (07) يبين نتائج عملية استرجاع المعلومات

Kembellec,Gérald. Bibliographies scientifiques: de la recherche d'information a la production de documents normés: thèse de doctorat en sciences de l'information et de la communication: Université de Paris 08: 2012, p.121.

3-3-1-الاستدعاء:

هو مقياس لدرجة كمال الاسترجاع حيث يقيس نسبة المواد ذات الصلة بالموضوع التي تم استرجاعها فعليا من النظام وتحسب وفق المعادلة التالية:

$$\text{الاستدعاء} = \frac{\text{ا}}{\text{ب+ا}}$$

مجموع المواد ذات الصلة بالموضوع التى تم استرجاعها

المواد ذات الصلة التى تم استرجاعها + المواد ذات الصلة التى لم يتم استرجاعها

تختلف نسبة الرضي للمستفيدين من عملية الاستدعاء حسب حاجتهم التي يبحثون عنها، فقد قسم لانكستر حاجات المستفيدين إلى: (17)

1/ وثيقة بعينها معروفة الهوية.

2/ معلومات حقائقية معينة يمكن أن ترد في نوع ما من الكتب المرجعية، أو في أحد بنوك المعلومات الالكترونية كالخواص الفيزيائية الحرارية لمادة معينة.

3/ عدد قليل من المقالات الجيدة في موضوع معين.

4/ بحث شامل للإنتاج الفكري في مجال موضوعي معين.

5/ خدمة الإحاطة الجارية التي تجعل المستفيدين على دراية بالإنتاج الفكري الحديث المتصل باهتماماتهم المهنية الجارية.

و حتى يكون نظام استرجاع المعلومات ناجع وكفء فإنه يتطلب أن: [18]

- يحصل المستفيد على ما يبحث عنه فعلا.
- درجة اكتمال ودقة ما يحصل عليه.

و أول هذين الشرطين بسيط لا لبس فيه، أما الثاني فأكثر صعوبة إلى حد بعيد في التطبيق العملي

وحساب نسبة الاستدعاء رياضيا يكون دوما ≤ 1 والحالة المثالية = 1، أي أن النظام مثالي

(optimale).

2-3-3- الدقة précision: هو مقياس لمدى دقة الاسترجاع حيث يقيس نسبة المواد المسترجعة ذات الصلة بالموضوع، ويتم حسابه وفق المعادلة التالية:

$$\textbf{معامل الدقة} = \frac{ا}{ا+ج}$$

مجموع المواد الصلة ذت الصلة التى تم استرجاعها

المواد ذات الصلة التى تم استرجاعها + المواد التى لا صلة لها وبالموضوع تم استرجاعها

و ارتفاع نسبة التحقيق يعني مستوى أفضل للبحث كما أن الوقت اللازم لعملية البحث يكون قليل والجهد أقل لفرز النتائج. كما أن ارتفاع نسبة التحقيق يؤدي إلى نقص نسبة الاستدعاء والعكس صحيح، فكلما حاول الباحث تنقية بحثه بدرجة أكبر وتقليص نسبة التسجيلات غير المتصلة بالموضوع فان ذلك يؤدي إلى نقص التسجيلات التي يحصل عليها، وكذلك فان توسيع البحث لاسترجاع مواد أكثر يزيد من استرجاع المواد غير ذات الصلة بالبحث. [19]

و تعود أسباب عدم استرجاع مواد لها صلة بالموضوع (الصمت)إلى:

- استعمال الباحث جملة مساءلة مستخدما كلمات يربط بينها (و).
- دقة التكشيف ناقصة.

- عدم معرفة مصطلحات التكشيف بالنسبة للمستفيد.

أما أسباب التشويش (bruit)فهي:

- الباحث عن المعلومات لا يستعمل كلمات كثيرة عند البحث.
- يستعمل الباحث جملة المساءلة مع الربط بين كلماتها بـ أو (ou)

3-3-3- مقياس F- mesure

حتى يمكننا من تقييم شامل لنظام استرجاع المعلومات وفق نتيجة بحث ما، فإننا نستخدم مقياس(F- mesure) الذي يجمع بين معياري الاستدعاء والدقة ويسمى المعدل الناتج (moyenne homérique) ويحسب وفق المعادلة التالية

$$\frac{2 \times \text{الاستدعاء} \times \text{الدقة}}{\text{الاستدعاء} + \text{الدقة}}$$

-4-3-3

الجـــــدة:

يقصد بالجدة نسبة التسجيلات الجديدة على المستفيد، أي تلك التي لم يتعرف عليها من قبل ويمكن تمثيل صيغة الجدة على النحو التالي: [20]

$$\text{ا} = \frac{\text{ا}}{\text{ا} + \text{ب}}$$

أ: عدد التسجيلات الجديدة التي لم يسبق للمستفيد الاطلاع عليها.

3

ب: عدد التسجيلات المعروفة بالنسبة للمستفيد.

3-4-المعلومات الدقيقة والملائمة la pertinence(تقييم دلالي)

3-4-1-مفهوم المعلومات الدقيقة والملائمة:إن مستعمل نظام استرجاع معلومات يوجد في حالة مشكلة تتمثل في حاجته للمعلومات التي تعمل على توضيح هذه المشكلة أو تحلها له نهائيا، ودقة وملائمة المعلومات التي يتحصل عليها من إي نظام وثائقي مرتبط بمستوى حل هذه المشكلة.

ويعتبر مفهوم ملائمة ودقة المعلومات (la pertinence) من احدث المفاهيم في استرجاع المعلومات ومازال الباحثون حتى الآن لم يتفقوا على تعريف موحد له وذلك لارتباطه بالمستفيد من جهة وبنظام استرجاع المعلومات من جهة أخرى.

فعرف الباحث غوفمان(Gofman) دقة وملائمة المعلومات بأنها قياس محتوى وثيقة من المعلومات التي ترتبط بجملة مساءلة ما.

أما الباحث روس (Ress) فعرفها بأنها معيار لتحديد احتراف وجودة ظاهرة البحث عن المعلومات لمستفيد ما فهذا الأخير يحكم على هذه النتائج المتحصل عليها من: الاستعمال، الأهمية،درجة الارتباط،التلاؤم، قيمة الوثيقة وطريقة تمثيلها وهذا مقارنة بطلب معلومة أو حاجة أو سؤال ما.[21]

أما الباحث سراسفيك(Saracevic) فيعتبر أن مفهوم المعلومات ودقتها متعلق بذهنية وثقافة الباحث الذي يعبر عن حاجته والمعلومات التي يتحصل عليها ويترجمها وفق الحالة الذهنية له. [22]

من التعاريف السابقة يظهر أن مفهوم دقة وملائمة المعلومات مرتبط بحالة المستفيد ووفق سياق معين ورؤية الباحث لموضوع بحثه وفي الحالات العادية نقيس دقة وملائمة المعلومات وفق قوانين الصمت والتشويش، كما أن المستفيد هو الذي يحدد ملائمة النتائج ودقتها بالنسبة لموضوع بحثه.

يرتبط مفهوم ملائمة المعلومات مع مفهومي المعلومات الاستعمالية (Utilité) والمعلومات الموضوعاتية (Topicalité).

3-4-2- المعلومات الاستعمالية:

إن عملية البحث عن المعلومات عبارة عن مراحل مرتبطة فيما بينها لكن تبقى هذه المراحل في تتابع وفق خطة وطريقة الباحث عند بحثه عن المعلومات.

فالباحث عن المعلومات يعبر عن حاجته حتى يحصل على معلومات يستعملها في بحوثه وتلبي حاجته أو معلومات ذات جودة أو معلومات تحتوى معرفة يجهلها، وحتى نحدد المعلومات الاستعمالية نستخدم معايير عديدة نذكر منها: [23]

- **المصدر**: فالمعلومة الواحدة يختلف استعمالها حسب المصدر الذي نأخذه منها.

- **الوسيط**(الشكل):إن المعلومات يكون لديها موثوقية ومصداقية أكثر حسب الوسيط المخزنة فيه.

مثال: معلومات كتاب/معلومات انترنت.

- **الدقة**: جميع المعلومات الدقيقة تكون مستعملة أكثر من المعلومات الأقل دقة.
- **القدرة**: إن قدرة الحصول على المعلومات تحدد استعمالها من طرف الباحث وترتبط القدرة هنا بالقدرة العقلية وفهم هذه المعلومات والقدرة المالية لشراء هذه المعلومات والتمكن من لغة تلك المعلومات.
- الثقة: تكون المعلومات أكثر استعمالا إذا حازت ثقة الباحث.

وهناك علاقة بين مفهوم ملائمة ودقة المعلومات ومدى استعمالها وتظهر تلك العلاقة في الحالتين التالين: (24)

الحالة01:إذا قام المستفيد بمساءلة نظام وثائقي للإجابة على حاجة معينة وكانت النتائج المتحصل عليها لا تجيب عن حاجته تلك ولكن تجيب عن حاجة أخرى تفيده فان هذه الوثائق ليست ملائمة ودقيقة لكنها استعمالية.

الحالة 02: إذا وجد مستفيد وثائق تجيب عن مشكلته ولكن يعرف محتوى تلك الوثائق فهذه الأخيرة ملائمة ولكنها غير استعمالية.

3-4-3- المعلومات الموضوعاتية:

عند الحصول على نتائج بحث لمساءلة معينة فإننا نقوم بترجمة موضوعاتية(Topical) لهذه النتائج ونربطها مع موضوع جملة المساءلة، فالملائمة هي جسر بين موضوع الحاجة المعبر عنها من طرف المستفيد والنتائج المقدمة من طرف نظام البحث عن المعلومات. (25)

والشكل التالي يوضح ذلك

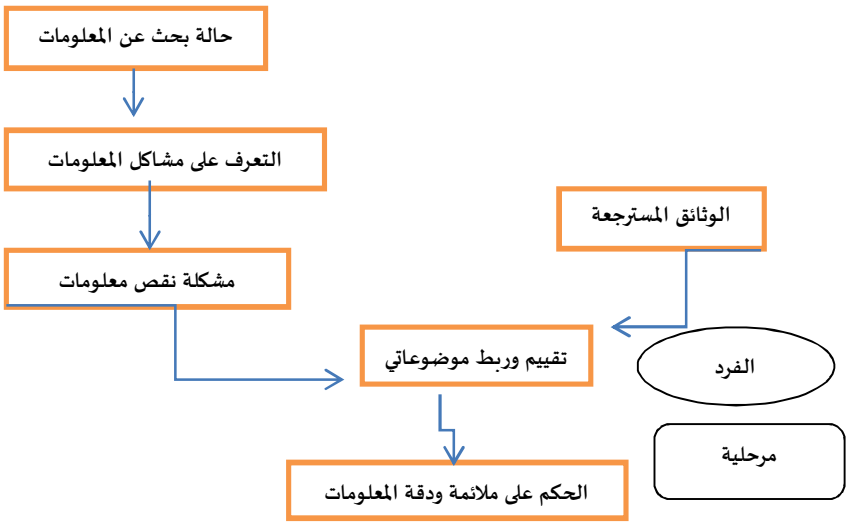

شكل رقم (08) يمثل المعلومات الموضوعاتية

Nathalie Densos, Modelisation de la pertinence en recherche d'information: modèle conceptuel, formalisation et application. Thèse doctorat: informatique: université Grenoble 1: 1997.p.17.

خاتمة:

تعد عملية استرجاع المعلومات احد أسس علم المكتبات والمعلومات لكن نتيجة تداخل عوامل نفسية واجتماعية وتقنية مازلت مشكلة معقدة رغم النظريات والآراء التي طرحت لتزيد من فعالية استرجاع المعلومات سواء في بيئة المكتبات التقليدية مثل المكتبات باستخدام الفهرس أو باستخدام البرمجيات الوثائقية وحتى في البيئة الرقمية باستخدام محركات البحث.

وتوصلنا أن هناك عدة معايير لتقييم نتائج استرجاع المعلومات أهمها المعايير الإحصائية مثل الدقة والاستدعاء، لكن ظهور مفهوم المعلومات الدقيقة والملائمة نتج عنه وجود عوامل أخرى متعلقة بالمستفيدين قد تؤثر على رضائهم عن نتيجة البحث وحكمهم على النظام الوثائقي.

قائمة المراجع:

1 -Morizio,Claude. **La recherche d'information**. Paris: ADBS, 2004.p69

2 - Morizio,Claude.**Idem**.p70

3 -Morizio,Claude. **Op.Cit**.p70

3 -Baeza-Yates, R.; Ribeiro-Neto, B. **Modern Information Retrieval**. New York: Addison-Wesley Publishing Company. 2008.p135

5- Morizio,Claude**. Op.Cit**.p72

6 - Morizio,Claude. **Idem**.p74

7 -Kembellec,Gérald. **bibliographies scientifiques: de la recherche d'information a la production de documents normés**: thèse doctorat: sciences de l'information et de la communication: université Paris 08: 2012, p121. [en line] https://tel.archives-ouvertes.fr/tel-00771553.(visite le 14/10/2015)

8-Hassoun,M ,Roger ,D**.les catalogues en line: enquête a la médiathèque de la cite des science de l'industrie**. Paris: presse de l'enssibe, 1994,p29.[en line] bbf.enssib.fr/consulter/bbf-1995-03-0091-005.(visite le 20/03/2015)

9 - Laublet, P**. Collecte d'information et recherche documentaire sur Internet**.CAMS, Université de Paris-Sorbonne. [en line]: http://www.mpl.orstom.fr/CDROM/ch06/laublet/laublet.htm.(consulte le 20/10/2015)

10 - Morizio,Claude.Op.Cit.p74

11 -Ihadjadene, Madjid. **la recherche et la navigation dans un système de recherche 'information grand public.** thèse doctorat: science de l'information et de communication: l'Université Claude Bernard – Lyon: 1999.p195.[En line] http://www.enssib.fr/bibliotheque-numerique/notices/1385-la-recherche-et-la-navigation-dans-un-systeme-de-recherche-d-information-grand-public-le-cas-des-hypercatalogues-sur-l-internet.(visite le 21/04/2015)

12 -Amélie ,Imafoua. **Étude de l'influence du passage a l'échelle sur les modèles de recherche d'information**. Thèse doctorat: école nationale supérieure des mines de saint –Étienne: informatique: 2006.p54. [En line] https://liris.cnrs.fr/inforsid/sites/default/files/a509c1mEhASitNqgw.pdf.visite le 20/ 04/2010).

13 --Amélie ,Imafoua. **Ibid**. P54

14 -Lamprier,Sylvain. **Vers la conception de documents composites: extraction et organisation de l'information pertinente**. Thèse doctorat: informatique: université Angers: 2008.p83. [en line] https://tel.archives-ouvertes.fr/tel-00417551.visite le 28/04/2015).

15 - Dumais S.T., Littman M.L., Landauer t.k., Letsche t.a**.Automatic cross-language retrieval using Latent Semantic Indexing**: Working Notes of AAAI Spring Symposium on Cross-Language Text and Speech Retrieval. Stanford, CA, 1997.[en line] http://www.ee.umd.edu/medlb/filter/sss/papers/dumais.ps.(vsite le 15-06-2015)

16 -لانكستر،ويلفردوبيكر،شاوون ل.**خدمات المكتبات والمعلومات:قياسها وتقييمها**.ترجمة حسني عبد الرحمن الشيمي وجمال الدين الفرماوي.الرياض:مكتبة الملك عبد العزيز العامة،2000.ص510-511

17 -لانكستر،ويلفرد ووورنر،ا.ج.**أساسيات استرجاع المعلومات**. ترجمة حشمت قاسم. الرياض:مكتبة الملك فهد الوطنية.1997.ص277

18 - لانكستر،ويلفرد ووورنر،ا.ج.**المرجع السابق**.ص 227

19- لانكستر،ويلفرد ووورنر،ا.ج.**المرجع نفسه**.ص 229-237

20 -Kembellec,Gérald. **Op.Cit**.p106

21 - Amélie ,Imafoua. **Op.Cit**. p60-61

22- kembellec,gérald. **Op.Cit**. p102

23- Sellier, Nathalie vaugeois. **méthode d'indexation qualitative**. Thèse doctorat, Sciences de l'Information et de la Communication, université Paris 08, 2009.p79-80. [En line] https://hal.archives-ouvertes.fr/tel-00534003/document.(visite 04/05/2015).

24- Amélie, Imafoua. **Op.Cit**. p61

25 -Densos,Nathalie. **Modélisation de la pertinence en recherche d'information: modèle conceptuel, formalisation et application**. Thèse doctorat, informatique, université Grenoble1 ,1997.p17. [En line] https://tel.archives-ouvertes.fr/tel-00004938.(visite le 02/05/2015)

مظاهر البيئة الرقمية وانعكاساتها على المكتبات:
مقاربة نظرية

أ.ة حمزة ة ريقات مريم
جامعة وهران -1-أحمد بن بلة
أ. د عبد الإله عبد القادر
جامعة وهران -1-أحمد بن بلة

مقدمة

إن العالم الذي نعيش فيه اليوم أصبح مجتمعا متغيرا عرف بالمعلومات والمعارف؛ يمتاز بالديناميكية والحيوية والتغيرات المتزامنة التي تطرأ عليه بشكل متسارع؛ الشيء الذي أدى إلى مواكبة التطورات الحاصلة في تكنولوجيا المعلومات، فكلما ازدادت المعلومات زادت الحاجة إلى استخدام أساليب وتقنيات جديدة بغرض جمعها، معالجتها، تخزينها واتاحتها لجمهور المستفيدين منها.

وقد شغل موضوع تكنولوجيا المعلومات والرقمنة اهتمام الكثير من المتخصصين في مجال علوم المكتبات والمعلومات بغرض تحسين من مستوى أداء أنظمة المعلومات الوثائقية بما فيها المكتبات وخاصة الجامعية منها وقصد رفع التحديات وكسب الرهانات التي يفرضها مجتمع المعلومات من خلال إتاحة المعلومات المخزنة رقميا.

نحاول من خلال هذا المقال ادراج المفاهيم المتعلقة بالرقمنة كأسلوب حتمي تفرضه متطلبات العصر وضرورية فرضتها التغيرات المحيطة بمجتمعنا في إطار تنظيم وتسيير المكتبات والتطلعات الجديدة لبناء مكتباتنا الرقمية.

1. مفهوم تكنولوجية المعلومات:

يعرف المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات تكنولوجيا المعلومات بأنها:

"الحصول على المعلومات الصوتية، المصورة، الرقمية.. .، وتجهيزها واختزانها وبثها

وذلك باستخدام توليفة من المعدات المايكرو الكترونية الحاسبة والاتصالية عن بعد".[1]

هي مجموعة الأدوات والأنظمة وتقنيات المعرفة المتطورة.[2]

-هي عبارة عن كل التقنيات المتطورة التي تستخدم في تحويل البيانات بمختلف اشكالها الى معلومات متنوعة والتي تستخدم من قبل المستفدين منها في كافة مجلات الحياة.[3]

- هي أدوات ووسائل تستخدم لجمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها، وخزنها وتوزيعها. وتصنف تحت عنوان اوسع واشمل وهو: «التقنيات المستندة الى الحاسوب »تمثل تكنولوجيا المعلومات الجانب التقني من نظام المعلومات والبديل لتسميته.[4]

من خلال ما سبق يظهر جليا أن مفهوم تكنولوجية المعلومات يرتبط باتجاهات ثلاث هي:

- **المعرفة العلمية:**

تسخير معرفة الإنسان العلمية المنظمة وإمكانياته العقلية والإبداعية من اجل تحقيق أغراض وتطبيقات عملية مطلوبة مثال ذلك تفكير الإنسان المبدع في تخزين ومعالجة اكبر قدر ممكن من المعلومات واسترجاعها بأسرع وأفضل الطرق المناسبة.

- **الاكتشاف والاختراعات**:

الأجهزة والأدوات الناتجة عن التطبيق العلمي للمعرفة العلمية المذكورة في الفقرة الأولى مثال: اختراع الحاسوب ثم إضافة الأجيال المختلفة.

- **التطبيقات العلمية:**

النتائج التي يتحصل عليها الإنسان من خلال التطبيقات العلمية للمكتشفات والأجهزة وقد ارتبط مفهوم التكنولوجيا بالصناعة أولا ثم تحول إلى مفهوم تكنولوجيا المعلومات ثم إلى مفاهيم أخرى كتكنولوجيا التعليم وما إلى ذلك..[5]

يرى أسامة خولي "أن التكنولوجيا الحديثة للاتصال تضم المعدات والبرمجيات، الخدمات أو المعطيات اللامادية وتظهر هذه التكنولوجيا من خلال ظاهرتين أساسيتين هما:

• الجمع بين الكلمة المكتوبة والمنطوقة، والصورة الساكنة والمتحركة وبين الاتصالات السلكية واللاسلكية أرضية أو فضائية، ثم تخزين المعطيات وتحليل مضامينها وإتاحتها بشكل مرغوب وفي الوقت المناسب وبالسرعة اللازمة

• اعتماد الأسلوب الرقمي للقيام بكل هذه العمليات "[6]

2. تأثير تكنولوجيا المعلومات على المكتبات:

تعد أجهزة تكنولوجيا المعلومات بشقيها «التخزين، والاسترجاع والاتصالات. »من أهم المتغيرات على أرض المكتبات ومراكز المعلومات حيث أصبحت عنصر بالغ الأهمية وذلك من حيث تطبيقاتها في مجال المهنة من جهة ومن حيث تدريس هذه المادة في الجامعات والمعاهد والمؤسسات تهتم المكتبات ومراكز المعلومات، وهذا بفضل التأثيرات الايجابية التي أضفتها هذه التكنولوجيا على المكتبات وذلك من خلال:

* في الشؤون الإدارية، إذ أن المكتبة قد شملت إجراءات المحاسبة وملفاتها، وان السجلات الالكترونية قد شملت شؤون للموظفين وقوائم الطلاب، والامتحانات وسجلاتها.. .....الخ

* معالجة البيانات في إجراءات التزويد، والفهرسة على الخط المباشر، وغيرها من الإعمال في قسم الإجراءات الفنية.

* تحسين خدمات المعلومات، وهذه أهم البرامج المكتبية، وذلك من خلال الاستفادة من المقتنيات لجميع الإطراف المشاركة في نظام المعلومات لخدمة الباحثين وغيرهم من القراء.[7]

3. تعريف البيئة الرقمية:

"هي مجموعة من العناصر البشرية المتفاوتة المهام والاختصاصات والدرجات وظيفية والقناعات والكفاءات العلمية المتفاعلة فيما بينها وفق منظومة إدارية لانجاز مهام محددة، وبعبارات أخرى البيئة الرقمية هي البعد الإنساني للتطبيقات التكنولوجية المختلفة في المؤسسات وتفاعل الإنسان وقناعته ومدى تقبله للتغيرات التكنولوجية".[8]

4. مفهوم الرقمنة:

"الرقمنة هي عملية إلكترونية لإنتاج رموز الكترونية أو رقمية، سواء من خلال وثيقة أو أي شيء مادي، أو من خلال إشارات الكترونية تناظرية".

وهناك تعريفا آخر يصب في نفس الصدد، ولكن يضيف الوسيط الذي يتدخل في عملية استرجاع هذه المعلومات، حيث تعرفها على أنها "تحويل شيء من حالته الحقيقية إلى مجموعة من الأرقام، تسمح بعرض هذا الشيء على جهاز الإعلام الآلي أو جهاز إلكتروني رقمي".

فالمسألة تبدأ عندما تنتج لدينا مجموعات رقمية من الأصول، فإذا كانت هذه المجموعة التي مورس عليها فعل الرقمنة، إلى جانب الوثائق الورقية الأصيلة محفوظة في مبنى واحد، فإننا رغم كوننا مورسنا فعل الرقمنة، إلا أننا سنكون من الناحية المنهجية أمام مكتبة هجينة.

وعندما يتم بناء هذه الكيانات الرقمية في مبنى مستقل وخاص بها، حيث تجهز القاعات بما يتلاءم مع بيئة الشبكات وتنصيب الحواسيب فإننا في هذه الحالة أمام نوع من المكتبات اسمه المكتبات الرقمية، وسواء كان الاشتراك فيها عن بعد أو باللجوء إلى مبناها، في الجامعة أو في أي مكان آخر، فالرقمنة هي "العملية التي يتم عن طريقها تحويل المعلومات من شكلها التقليدي الحالي إلى شكل رقمي سواء كانت هذه المعلومات صور، أو بيانات نصية، أو ملف صوتي أو أي شكل آخر".[9]

فالرقمنة هي ذلك التحول من الشكل الورقي الذي يدركه ويفهمه الإنسان بحواسه، إلى الشكل الرقمي الذي يفهمه الإنسان إلا عن طريق الحاسوب" إلا أنه لابد من التفرقة بين المكتبة الرقمية "بالميلاد" والمكتبة الرقمية "بالاكتساب" ذلك أن العمل الآن مبني الوثيقة الالكترونية في الأعمال الإدارية اليومية مما يعني توفرها على الكيانات الرقمية دون رقمنتها من جديد.[10]

5. المبررات والأسباب لتطبيق الرقمنة في المكتبات:

من بين الأسباب التي جعلت من تطبيق الرقمنة في المكتبات ضرورة أو حتمية يفرضها العصر الحالي هي:

- حفظ النسخ الأصلية: أو بمعنى آخر توفير إتاحة بديلة عن الأصلTraçabilité "هذه الميزة نجد أثرها بشكل أكبر في المجموعات ذات القيمة التاريخية، الفنية، وحتى النادرة، فهي رغم أنها لا يمكن في أي حال من الأحوال أن تعوض الأصل إلا أنها تعمل على التقليل من الممارسة المادية على الوثائق.[11]

- سهولة تحديث المعلومات الرقمية: توفر النسخة الرقمية إمكانية التحديث بتحميل التحديثات والتنقيحات المستمرة بضربة بسيطة على رموز الكومبيوتر على عكس النسخ الورقية التي تتطلب إعادة طبع الوثيقة، ويزيد من الأمر تعقيدا عندما تكون التحديثات متعلقة بدوائر المعارف والموسوعات والأعمال الكبيرة.[12]
- تسهيل عملية عرض واسترجاع المعلومة فعملية الرقمنة تسهل من عرض المعلومة، فمثلا قد لا يتم استخدام مجموعة من الأفلام السالبة أو الميكروفيلم حتى ولو اشتملت على محتوى هام، وذلك بسبب صعوبات عرض هذه المواد، ولكن إذا قمنا برقمنة هذه المواد فهذا يسهل عملية الإتاحة، وسيتم عرض محتويات هذه المواد بسهولة عن طريق الحاسب الآلي.
- إتاحة المعلومات بشكل دائم: توفر تقنية الرقمنة استجواب المعلومات في أي وقت ومن أي مكان، خاصة إذا اعتبرنا أن المكتبة التقليدية لا يمكن الولوج إلى مجموعاتها إلا في الأوقات التي تكون في حالة عمل، وبالتالي فإن أيام العطل والمناسبات وأوقات الليل.. تكون في حالة "بطالة أو عطلة"، مما يعني بهذا الخلفية أن الرقمنة تختصر مثل هذه الحواجز والعراقيل.
- تحسين الوصول إلى الأرصدة المرقمنة: تحسين الوصول يمر عبر رقمنة الأرصدة، ونشر النسخة المرقمنة يسمح للمستعملين بإنشاء ومعرفة هذه الوثائق بكثرة وذلك من خلال تبادل سريع للبيانات بين المتعاملين الخواص والعموميين.[13]

6. متطلبات عملية الرقمنة:

إن إمكانية الولوج وإتاحة المعلومات الرقمية من خلال البوابات الإلكترونية والأنظمة الآلية يتطلب وجود:

- **.الموارد البشرية:**

يعد العنصر البشري من العناصر الهامة في قيام أي مشروع، مهما كانت درجة تقنية وحداثة المشروع فيما إذا كان في مقدور العاملين في قطاع المكتبات على النهوض واللحاق بركب التقدم التكنولوجي السريع وتطوير الذات وعلى ذلك فإن أفضل ما يطلق على من يقوم بمهام المكتبة الإلكترونية هو أخصائي المكتبات والمعلومات، حيث يكون هو الشخص الم ، لم بكل القواعد العلمية والعملية الخاصة بالعمليات الفنية في مجال المكتبات، ومزودا بكل ما وصلت إليه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من خبرات ومعارف.

من الأفضل أن يكون من المختصين العاملين في مجال المكتبات، وله من الخبرات العالية في مجال تكنولوجيا المعلومات، ويمكن أن نلخص ما يجب أن يتحلى به أخصائي المكتبات والمعلومات الذي سيعمل في المكتبة الرقمية في عدة نقاط نبرز بعضا منها فيما يلي:

- **المعرفة التخصصية في علم المكتبات والمعلومات:** وهو كما قلنا ركيزة أساسية لأي شخص يعمل في مجال المكتبات عموما تقليديا كان أم رقميا

- **أن يكون الشخص مؤهلا تأهيلا علميا عاليا** وذلك حتى يتسنى له مواجهة ما يمكن أن يواجهه في بيئة عمله من جهد عقلي، وإدراكه لمدى أهمية المكان الذي يعمل به.

- **المتابعة والتجديد:** حيث يجب أن يكون المكتبي الذي يعمل في البيئة الرقمية أن يكون متابعا لكل جديد في مجال تخصصه وكذلك في مجال تكنولوجيا الاتصالات وعلوم المعلومات، وكل ما هو حديث في مجاله.

- **التعليم المستمر:** فيجب أن يكون هناك نوع من التعليم المستمر للمكتبيين العاملين في مجال المكتبات الرقمية وذلك عن طريق الدورات التدريبية والتقنية المستمرة في مجالات التقنية والتكنولوجيا وعلوم المكتبات والمعلومات، وهذه النقطة بالطبع ملقاة على عاتق المؤسسات الحاضنة لمثل هذه المكتبات

- **التدريب العملي المستمر للعاملين:** حيث يجب على المكتبيين العاملون في المكتبات الرقمية إلى نوع من التدريب المستمر والمنظم حتى يكونوا على دراية دائمة ومتجددة بالحديث في مجال التخصص..[14]

- **الموارد المالية:**

تعتبر الموارد المالية من النقاط الحساسة من عمر أي مشروع، وبالأخص مشروعات التحويل الرقمي، ويمكن تقدير الاحتياجات المالية للمشروع بالنظر إلى نوعية الأهداف المسطرة والمرجوة وصولها وتحقيقها.

وأهم ما يمكن مراعاته عند التفكير في بلورة مشروع الرقمنة، وضع دراسة مفصلة حول الموارد التي يمكن اعتمادها والتي ينتظر منها أن تحدث سيولة مالية معتبرة، ويمكنها أن تدعم سير المشروع بقدر معين.[15]

- **التجهيزات:**

لإنجاز عملية الرقمنة لابد من توفر الأجهزة التالية:

➢ **الماسح الضوئي:** يعتبر الماسح الضوئي من الأجهزة الهامة في عملية الرقمنة والماسح الضوئي هو جهاز يقوم بتحويل أي شكل من أشكال البيانات المتوفرة في الوثائق المطبوعة والمصورة والمخطوطة والمرسومة إلى إشارات رقمية قابلة للتخزين في ذاكرة الحاسوب، وتكون نتيجة المسح الضوئي عبارة عن صور رقمية متعددة الأشكال.

وتتمثل مهمة جهاز الماسح الضوئي Scanner بالأساس في تحويل صورة موجودة على الورق أو على فيلم شفاف إلى صور إلكترونية حتى يمكن معالجتها ببرامج خاصة مثل فوتوشوب "Photoshop"، ثم إخراجها في صورة منتج نهائي إما مطبوعا لأغراض النشر المكتبي أو مضافا إلى العروض التقدمية أو مقدما على الانترنيت، ويتصل جهاز الماسح الضوئي بالحاسوب عادة من خلال منفذ "USB" هذا عن اتصال الماسحة بالحاسوب من حيث الأجهزة "Hardware" ولكن فيما يتعلق باتصالها من حيث البرامج "Software" فإنه يتم من خلال برامج تشغيل محركات "Drivers" يوفرها مصممو الماسحات الضوئية وأشهر هذه البرامج تسمي برامج "Twain" وهذا الاسم يعني معيار قياس صمم ليسمح لبرنامج الصور الذي تتعامل معه بالتواصل مع الماسحة الضوئية.

والماسحات الضوئية أنواع عديدة نذكر أشهرها:

✓ **الماسحات الضوئية المسطحة** [16] وهي تشبه آلة تصوير المستندات "Photocopier" حيث يتم وضع الصورة فوق شاشة زجاجية ثم يتحرك رأس المسح فوقها داخل الوحدة نفسها وهذا النوع المسطح هو أشهر أنواع الماسحات وأكثرها استخداما لسهولة استخدامه ومعالجته لوثائق وصور من حجم **A4** و **A3** وبعض الماسحات الضوئية المسطحة مزودة بأداة Adapter لتمكينها من معالجة المواد الشفافة، كما أن هناك ماسحات مسطحة تسمي Slide Scanner مخصصة للمواد الشفافة.

✓ **الماسحات الضوئية الرأسية** [17]: ويطلق عليها أيضا ماسحات الكتب وتتميز بالحد من مخاطر إتلاف المصدر أثناء عملية المسح الضوئي ناهيك عن تجاوزها عائق انحناء الكتب والمجلدات وهي مرتفعة الأسعار مقارنة بالماسحات الأخرى

➢ **ألآت التصوير الرقمية:** يتعلق الأمر بآلات تصوير رقمية منتظمة نظام رقمنة داخلي وأغلبيتها متشابهة من الناحية البصرية على غرار نظيرتها الكلاسيكية وحاليا تصل إلى إحاطات بالصورة إلى عدد من البيكسالات PIXELS يصل إلى ثلاثة ملايين بيسكال PIXEL وهذا ما يسمح بالوصول إلى نوعية مذهلة من الصور والوثائق. وهناك نوع أخر يسمى كاميرا كلاسيكية موصلة ببطاقة امتلاك والتي تعمل بالنظام التناظري موصولة ببطاقة امتلاك موجودة على الحاسوب وقد كانت هذه الطريقة أكثر استعمالا قبل ظهور آلات التصوير الرقمية وانخفاض أسعارها.[18]

➢ **الحواسيب:** يعتبر الحاسوب المظهر الأساسي لتكنولوجيا المعلومات ومن أهم الأجهزة المستخدمة في عملية الرقمنة، ويتفق معظم الخبراء في مجال الرقمنة إلى أن الحواسيب المستخدمة في مجال الرقمنة لابد أن تتمتع بإمكانيات تسمح بإنجاح عملية الرقمنة خاصة اليوم في ظل التطور التكنولوجي السريع الذي يعتبر في حد ذاته مشكلة بالنسبة للمؤسسات التي تتبنى هذه التكنولوجيات.

➢ **أوعية التخزين:** إن من بين أساسيات تكنولوجيا الرقمنة اختيار أوعية تخزين ذات جودة واسعة وعالية، وتتعامل مع الإعلام الآلي ومن هذه الأجهزة الأقراص الضوئية، الأوعية المغناطيسية المتصلة بالإعلام الآلي.[19]

➢ **البرمجيات:** لايمكننا استخدام الحاسب الآلي في عملية الرقمنة بدون برامج، سواءا كانت برامج تشغيل مثل"ويندوز"أو"يونيكس"، أو برامج التطبيقات التي تستخدم للقيام بمهام الرقمنة وتتمثل أهم هذه البرامج الأساسية والمهمة في عملية الرقمنة في مايلي:

- برامج التقاط الصور التي تتاح غالبا مع جهاز المسح الضوئي ويتم التعامل معها أثناء عملية المسح الضوئي.
- برمجيات تحرير الصور التي تقوم بمعالجة وتحسين الصور الرقمية بعد التقاطها من جهاز المسح الضوئي.

- برمجيات التعرف البصري على الأحرف"OCR" في حالة القيام برقمنة النصوص والذي يقوم بتحويل صور الصفحات إلى نصوص كاملة.
- برمجيات تحويل القياسات،وبرمجيات التصليح والترميم[20]

7. ايجابيات وسلبيات الرقمنة:

✓ **ايجابيات الرقمنة:**

إن عملية رقمنة الأرصدة الأرشيفية ورغم ما تتطلبه من تكاليف وإمكانيات بشرية فان لها عدة ايجابيات يمكن تلخيصها في مايلي:

❖ الحفاظ على النسخ الأصلية أطول مدة ممكنة والتقليل من تدهورها نتيجة استعمال الوثائق المرقمنة بدلا منها.

❖ تمكن الرقمنة من تحقيق عدد لا متناهي من النسخ للصور المحصل عليها وعلى حوامل متنوعة دون فقدان قيمة ونوعية هذه الصور.

❖ تمكننا عملية الرقمنة من إحداث تغييرات وترميمات وتصحيحات للصور وذلك لتحسين نوعيتها دون المساس بالمحتوى، فهي تقدم لنا صور يمكن إعادة سحبها عدة مرات من دون التأثير على نوعيتها.

❖ الصور الرقمية لا تتدهور أو تفقد صلاحيتها مع مرور الزمن حيث يكفي تحويلها على حوامل جديدة موازاة مع التطور التكنولوجي وعلى فترات زمنية.[21]

❖ تتيح لنا عملية الرقمنة سرعة وسهولة الوصول إلى المعلومات فهي توفر لنا أنظمة بحث تلقائية تسهل عملية الاطلاع ذات النوعية الجيدة والسهلة، وتخفض من تكاليف الحصول على المعلومات.

❖ السرعة في الإجابة على أسئلة الباحثين باعتبار أن التجهيزات الآلية حاليا لها قدرات القيام بعملية البحث في وقت وان واحد.

❖ تتيح لنا عملية الرقمنة الوصول السريع ولعدد غير محدود من المستفيدين.[22]

✓ **سلبيات عملية الرقمنة:**

تتمثل سلبيات الرقمنة عموما في ضرورة متابعة ومسايرة التطورات الخاصة بالعتاد والبرمجيات.

❖ تتطلب هذه التكنولوجيا استثمارات مالية كبيرة لرقمنة الرصيد الوثائقي من جهة، ولإجراء البحث الوثائقي من جهة أخرى.

❖ مجهودات بشرية متواصلة تتعلق بتحويل المعطيات المرقمنة ومراقبتها باستمرار ومراقبة كل التطورات في مجال تكنولوجيا المعلومات من طرف الأرشيفي[23].

8. المكتبة الرقمية:

هي المكتبة التي تشكل المصادر الالكترونية الرقمية كل محتوياتها ولا تحتاج إلى مبنى، وإنما لمجموعة من الخوادم وشبكة تربطها بالنهايات الطرفية للاستخدام.[24]

المكتبات الرقمية هي مجموعة من المواد المعلومات الالكترونية المتاحة لدى المكتبة يمكن الوصول إليها من خلال شبكة المحلية أو على شبكة المعلومات العالمية. ويرى بعض العلماء مثل "بورجمان " إن المكتبات الرقمية ما هي إلا إشكال حديثة من نظم استرجاع المعلومات أو نظم المعلومات التي تدعم إنتاج المحتوى الرقمي والإفادة منه والبحث فيه. ويراها البعض الأخر بأنها مجموعة التقنيات والأدوات والمصادر والإجراءات ذات الصلة بإدارة المحتوى في بيئة المعلومات. وقد كان من الأشهر التعارف المتداولة ذلك الذي يقول بأنها مجموعات منظمة من المعلومات الرقمية تصبحها بعض الخدمات حيث تكون المعلومات مخزنة في إشكال الرقمية ومتاحة عبر إحدى الشبكات،[25]

9. أهمية المكتبة الرقمية:

تستمد المكتبة الرقمية أهميتها من إمكاناتها حيث تستطيع أن تقدم حلولا واقعية وملموسة للعديد من مشاكل المجتمع ليصبح قادرا على مواكبة حضارة الغرب والشرق فهي أداة للتطور الاقتصادي والاجتماعي والبحث العلمي فمن خلال المكتبات الرقمية يمكن تقديم خدمات المعلومات للمناطق النائية وتحسين مستوى الخدمات مع توفير حقيقي في مقومات الخدمات الأساسية للمعلومات اليومية أو لمجتمع المعلومات. [26]

10. أهداف المكتبات الرقمية:

مع ظهور الانترنت تزايدت توقعات المستفيدين وتطورت طموحاتهم بشأن الوصول إلى كل ما يحتاجون إليه من مصادر معلومات على نحو فوري وهذا ما تسعى

المكتبات الرقمية إلى تحقيقه فقد أصبح بإمكان المستفيدين إنجاز ما يلي:

❖ الإسهام في إنتاج المعرفة وتقاسمها والإفادة منها، مما يجعل المجتمعات أكثر فعالية وإنتاجية، وأيضا لتعظيم درجة التعاون بين تلك المجتمعات.

❖ - معاونة المجتمعات القائمة في قطاعات البحث والتعليم، وتيسير إنشاء مجتمعات جديدة في تلك القطاعات.

❖ - إضافة إلى ذلك، فإن إنشاء المكتبات الرقمية ليس هدفا في حد ذاته، وإنما تفيد هذه

❖ المكتبات في إدارة المصادر الرقمية، والتجارة الإلكترونية، والنشر الإلكتروني، والتدريس والتعلم، وغيرها من الأنشطة.

لقد أصبحت المكتبات الرقمية مؤسسات رئيسة في عديد من المجالات المختلفة والمتنوعة، وتفيد بوصفها أداة رئيسة في توصيل المحتوى لأجل أغراض البحث العلمي، والعمل التجاريcommerce ، والحفاظ على التراث الثقافي والتعريف به[27].

11. أنواع المكتبات الرقمية

تتفاوت المكتئبات الرقمية في حجمها من مكتبات بالغة الصغر إلى أخرى بالغة الضخامة كما أنها تستخدم إي نوع من أجهزة الحواسيب، ومن هنا تكون هذه المعلومات منظمة على الحواسيب ويتم إتاحتها عبر إحدى الشبكات مع ما يصاحبها من إجراءات، لذلك فقد ينظر للمكتبات ليس بوصفها مجموعة من مصادر المعلومات الرقمية وما يتصل بها من أدوات لإدارة هذه المجموعة وإنما ينبغي النظر إليها بوصفها تلك البيئة التي تجمع معا بين المجموعات والخدمات لدعم الدورة الكاملة لإنتاج البيانات والمعلومات فيها للتعاون والاستفادة منها. [28]

➢ المكتبات الرقمية للجامعات

لقد عرف قطاع الجامعات في الدول المتقدمة أربعة أنواع من المبادرات: القواعد الرقمية، الموجزات الرقمية، سلاسل الكتب الإلكترونية، وأدوات الدروس الرقمي

➢ قواعد البيانات الرقمية

أول نوع من أنواع المبادرات جمع مجموعة من المشاريع، والتي تم تطويرها من طرف مجموعة من الناشرين أو اتحادات الناشرين، حيث يتم الإجراء بإنشاء

الرصيد الرقمي ثم وضعه رهن الاستعمال والتداول، مع الإشارة إلى أن الرصيد لا يقتصر على الكتب فحسب، لكن يتضمن أيضا: الدوريات، المجلات والجرائد، القوائم الببليوجرافية، التقارير الرسمية. ومع هذا فقد وجهت لهذا النوع من المبادرات جملة من الانتقادات، تمحورت أساسا حول:

_ نوعية وأهمية الوثائق والتناسق والترابط المنطقي للرصيد ككل.

_ طرق تنظيم وتقديم المحتويات، التركيب وتصنيف وتقديم النصوص، محركات البحث، والتي من شأنها تسهيل عملية البحث والوصول إلى النصوص.

- **الكتب الرقمية**

أما النوع الثاني من هذه المبادرات فتتمثل في وضع الكتب المقررة على الطلبة رهن التداول على الخط مباشرة مع ملاحظة أن هذه الكتب تم نشرها على الورق، تضم إليها بيانات، أو معلومات، أو خدمات إضافية تكون في أغلب الحالات عبارة على موارد وثائقية تهدف تزويد الطالب بمعلومات إضافية، من شأنها إثراء المفاهيم التي تتضمنها الكتب المقررة، بالإضافة إلى وسائل وأدوات التقييم الذاتي ومع هذا فإن هذا النوع من الخدمات يواجه عوامل مثبطة تعيق تعميمها وتحول دون تطورها.

- **مجموعات الكتب الإلكترونية E-BOOK**

أما المبادرة الثالثة فتتمثل في منح إمكانية تداول كتب بأكملها وليس جزء منها فحسب عبر الويب، كما هو الحال في جامعة كاليفورنيا ومن بين أهم المشاريع في هذا المجال نذكر على سبيل المثال مشروع Netlibrary وهو موجه للمكتبات وخاصة الجامعية منها ويجب التأكيد هنا على أن الرصيد الرقمي الذي يتم إنشاءه لا يوضع في متناول الرواد مباشرة، وإنما يعرض على المؤسسات قصد شراء الكتب الإلكترونية المقترحة، ووضعها في متناول روادها عن طريق الإعارة في شكل غير بعيد غن الشكل التقليدي لها.

وتوجد كذلك مكتبات رقمية أخرى تتمثل في: المكتبات الرقمية التراثية والمكتبات الرقمية المعرفية الموسوعية. [29]

12. خدمات المكتبات الرقمية:

من بين الخدمات التي تقدمها المكتبات الرقمية نذكر ما يلي: [30]

- المشاركة في تحليل ومعالجة المعلومات الرقمية وبشكل خاص عند التعامل مع النصوص فإن حاجة لأنواع مختلفة من التحليل بسبب المشكلات الخاصة بالتحكم بالمصطلحات المحددة،وفي هذا المجال ربما يكون استخدام المكانز مفيدا لاسترجاع محتويات الوسائط المتعددة.

- للمستفيدين الذين يستخدمون المكتبات الرقمية في الغالب احتياجات فريدة، لذلك تقدم لهم المكتبات الرقمية نوع هام وقيم من الخدمات تتعلق بالخصوصية وبناء ملفات خاصة برغبة المستفيد حيث يتم إعلام هؤلاء المستفيدين بالموضوعات الحديثة ذات الاهتمام والمتوافرة في قاعدة معلومات المكتبة.

- خدمة البحث عن المعلومات واسترجاعها من جانب أمناء المكتبة الرقمية وجميع هذه المكتبات تقدم هذه الخدمة عبر الأسئلة المباشرة ومن خلال الأشكال المعروضة، وكمثال على ذلك: مشروع ذاكرة أمريكا الذي يعد أحد المشروعات المطورة بشكل متقن والمكتبات الرقمية المعقدة يقدم خدمات البحث المباشر عبر المجموعات المتكاملة أو المختارة للمستفيدين، ويتم ذلك من خلال البحث في الفهارس والببليوغرافيات وقواعد البيانات الإلكترونية.

- الخدمة المرجعية والإجابة عن الاستفسارات عبر مختلف القنوات والوسائل لأنواع مختلفة وخلفيات متباينة في احتياجاتها المعلوماتية من جمهور المستفيدين.

- خدمات تدريب المستفيدين من خلال الجولات والجولات والبرامج التعليمية باستثمار.

وبالرغم من ذلك، فإن كثيرا من التحديات التي تواجه إنشاء المكتبات الرقمية اليوم، هي تحديات اجتماعية واقتصادية وتشريعية، أكثر منها تقنية.

هناك جملة من التحديات والمشاكل التي تواجهها المكتبات الرقمية وقد تحول دون تطورها والتي يمكن أن نذكر منها:

1- التقادم التقني على مستوى كل من العتاد والبرمجيات.

2- ضعف التحكم في المعلومات من قبل مالكي الحقوق الفكرية وصعوبة إدارة هذه الحقوق.

3- والارتفاع النسبي في تكلفة إنشاء هذه المكتبات، ومشكلات التكامل بين المكتبات

4- الرقمية المختلفة وبرمجيات الحلول المختلفة .

ومن المشكلات أيضا في هذا المجال:
الزيادة الهائلة في اقتناء البيانات والمعلومات وتمثيلها في أشكال رقمية متنوعة، وفي الوقت الذي لا زالت فيه أساليب الوصول إلى هذه المعلومات متخلفة وأقرب إلى النزعة الانطباعية، حيث لا يزال يعتمد معظمها على كشافات الكلمات الدالة البسيطة، والاستفسارات ذات السمة العلائقي، فإن أساليب البحث والاسترجاع تعود إلى سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين الميلادي .(وعلى حد قول البعض: "نحن نحتاج إلى المزيد من التقنيات التي تساعد على البحث فقد كرسنا الجهود في إنشاء المكتبات الرقمية أكثر مما كرسناها في تطوير الأدوات اللازمة لاستخدام هذه المكتبات بشكل فعال.[31]

إن المكتبات الرقمية سوف تحدث تغييرات جذرية في أساليب العمل والنشاط العلمي لدى المستفيدين في مجالات المعرفة البشرية لاستكشاف المعرفة الذي يعتمد على إنتاج المعرفة في جميع مراتبها والاستخراج الآلي في جميع مستوياته لنقل المكتبة الرقمية من كونها مؤسسة للبيانات إلى مؤسسة للمعرفة بحيث تصبح المكتبة الرقمية مصدرا معرفيا لكل نشاطات البحث والتطوير. [32]

خاتمة

تسعى المكتبة دوما إلى تحقيق أهدافها من خلال الإستراتجية التي تتبناها لتطوير خدماتها ومصالحها، حيث أصبح مستقبل المكتبات مرهون بمدى تكيفها مع المتغيرات الجديدة التي تنشط في المحيط التي تتواجد فيه ومن أهم هذه المتغيرات الأساليب التكنولوجية الحديثة للمعلومات ومتطلبات الرقمنة التي لها تأثير على تسيير المكتبات وتدعمها للنهوض بالتوجهات وتطلعات المستفيد البجثية وبلوغ رضاه.

إن الرقمنة وسيلة لتحقيق أهداف المكتبة بإدخال أساليب علمية متطورة عليها والتي تسمح بمواكبة التقدم العلمي عن طريق تنمية وتطوير مهاراتها وقدراتها وتغيير اتجاهاتها بأنماط مختلفة من الخدمات التي توفرها ناهيك عن توفير الوقت والجهد للباحث عن المعلومة وبالتالي زيادة فعالية النشاطات التي تقوم بها المكتبة والرفع من كفاءتها، لهذا ظهرت جملة من الاتجاهات الحديثة لمواكبة عصر المعلومة حيث أصبحت فيه هذه الأخيرة تشكل موردا اقتصاديا، وفي خضم

هذا التطور الهائل الذي ظهرت فيه المكتبات الرقمية كفضاء علمي تحتوي على مختلف مصادر المعلومات المدعم من خلال تكنولوجيا المعلومات.

الهوامش

1 جعفر الجاسم، تكنولوجيا المعلومات. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2005م. ص 50-51

2 محمد صريفي، ادارة تكنولوجيا المعلومات. I.T. الاسكندرية: دار الفكر الجامعي، 2009. ص. 13

3 علاء عبد الرزاق السامي.. تكنولوجيا المعلومات.ط. 2. عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع،2008. ص. 20

4 غسان قاسم داود، اللامي. تكنولوجيا المعلومات في منظمات الإعمال:الاستخدامات والتطبيقات.عمان:مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، 2009. ص. 16

5 عامر إبراهيم قنديلجي، المعجم الموسوعي لتكنولوجيا المعلومات والانترنت. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2003 ص ص 331 – 332.

6 أسامة الخولي، تكنولوجيا المعلومات. في مجلة المستقبل العربي، أكتوبر 2000 ص 101

7 جعفر الجاسم، تكنولوجيا المعلومات.عمان:دار اسامة للشر والتوزيع، 2005. ص 123 - 124

8، عامر إبراهيم قنديلجي؛ إيمان الفاضل السامرائي، حوسبة: (أتمتة) المكتبات. ط2. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2010. ص 62

9 محمد منير حجاب، الموسوعة الإعلامية للمعلومات والتوثيق.المجلد3. بيروت: دار الفجر للنشر والتوزيع،2003. ص. 593

10 محمود عباس طارق، مجتمع المعلومات الرقمي.القاهرة::مركز الأصيل للطبع والنشر والتوزيع،2004. ص190.

11 منير الحمزة،.دراسة حول مشروع المكتبة الرقمية لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.مذكرة ماجستير:.قسنطينة: جامعة العلوم الإسلامية، 2007

12 سهيلة مهري، المكتبة الرقمية في الجزائر: دراسة للواقع وتطلعات المستقبل. مذكرة ماجستير: علم المكتبات: قسنطينة، 2006. ص 93.

13 صالح محمد؛ عماد عيسى.المكتبات الرقمية: الأسس النظرية والتطبيقات العلمية. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2005، ص286.

14أسماء بشير أبو لويفة، التحول نحو المكتبة الرقمية في المؤسسات المصرفية: دراسة حالة لواقع مكتبة مصرف ليبيا المركزي، cybrarians journal،ع.5، يونيو 2005، متاح في:
http://www.cybrarians.info. تاريخ إتاحة 09-04-2015

15 صالح محمد؛ عماد عيسى. المكتبات الرقمية: الأسس النظرية والتطبيقات العلمية المرجع السابق.ص152.

16- Boudry, C. Principes généraux de la numérisation: matériel de numérisation et de création d'images. [En ligne]. Disponible sur site: http:// web. eer.jussieu.fr/url /image numérique /principes. htm date de consultation 20/12/2014

17. Boudry, C, ibid.

18 عبد المالك بن السبتي، محاضرات في تكنولوجيا المعلومات.- قسنطينة: مطبوعات جامعة منتوري، 2004.- ص. 190

10 منير الحمزة، دراسة حول مشروع المكتبة الرقمية لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.. المرجع السابق.

20 منير تيقروسين، دور المكتبات الجامعية الجزائرية في تقليص الفجوة الرقمية. رسالة ماجستير: علم المكتبات: قسنطينة، 2005. ص.157.

21 صالح محمد؛ عماد عيسى.المكتبات الرقمية: الأسس النظرية والتطبيقات العلمية.القاهرة: الدار المصرية اللبنانية،2005،ص286.

22 سعد الزهري. الشراكة بين المكتبيين والأرشيفيين: وقائع المؤتمر 17 للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات.الجزائر:الدار المصرية اللبنانية،2006،ص. 253

23 سعد الزهري.المرجع السابق.ص222.

24 حشمت قاسم. الدوريات الالكترونية والمكتبات الرقمية. القاهرة: دار غريب للطباعة، 2010. ص 114

25عبدالحفيظ الكوت، آمنة. المكتبات الرقمية.. .أسس ومفاهيم. في المجلة الليبية للمعلومات، ع 9 ، 2009. ص. 30

36 عزة فاروق جوهري. أريج الحازمي. مكتبة المدينة الرقمية: الواقع والمستقبل. ، cybrarians journal، ع.15 مارس 2008 متاح على الموقع http://www.cybrarians.info/ ، تاريخ الإتاحة < 12-12-2015

27حشمت قاسم علي. الدوريات الإلكترونية والمكتبات الرقمية، القاهرة: دار غريب،2010. ص.99-100

28عبدالحفيظ الكوت، آمنة. المكتبات الرقمية.. .أسس ومفاهيم.في المجلة الليبية للمعلومات، ع 9 ، 2009. ص. 31

29. VACHEZ,MA. des bibliothèques virtuellesDisponible sur le web. http//: www.pdffactory.com ,date de consultation 22/06/2014.

30ربحي مصطفى عليان، ايمان السامراني. النشر الإلكتروني.عمان: دار صفاء،2010.. ص.346

31 ربحي مصطفى عليان. المكتبات الإلكترونية والمكتبات الرقمية.عمان: دار الصفاء، 2010.،ص383.

32عبدالحفيظ الكوت، آمنة. المكتبات الرقمية.. .أسس ومفاهيم.في المجلة الليبية للمعلومات، ع 9 ، 2009. ص. 30

المحور الثالث

الهوية الافتراضية بين الذات الاصيلة والذات الزائفة
قراءة في الاغتراب الذاتي للمتلاعبين بالهوية عبر الفضاءات الافتراضية من منظور إريك فروم

أ.ة غمشي الزهرة
جامعة وهران1 أحمد بن بلة

" ليس هناك على وجه التقريب جانب من جوانب الحياة المعاصرة لم تتم مناقشته من خلال مفهوم الاغتراب وأيا كانت الدرجة التي وصل إليها الاغتراب في مسار اعتباره السمة السائدة لهذا العصر فإنه من المؤكد انه يبدو بمثابة شعار العصر"
ريتشارد شاخت

مقدمة:

يعيش الانسان اليوم عصر الموجة الثالثة كما سماها ألفين توفلر؛ عصر الكوخ الالكتروني القائم على تكنولوجيا الانترنت؛ عصر أصبح الانسان فيه لا يسعى إلى الاقتراب من البعيد إلا ابتعادا عن القريب، إنه لا يدنو من الغائب إلا فرارا من الحاضر ولا يتواصل مع البعيد إلا هروبا من القريب، إنه لا يتصل إلا لكي لا يتواصل حسب تعبير عبد السلام بنعبد العالي، واقع يتجلى بوضوح من خلال "المجتمع الافتراضي" الذي ذاع صيته مع ظهور الشبكات الاجتماعية الافتراضية والذي كان بمثابة الفضاء الجديد، الذي صاحب ظهوره تغيرات اجتماعية كثيرة شملت العلاقات بين الأفراد، قيمهم، اتجاهاتهم ومختلف الأنشطة التي غيرت من طبيعة البيئة الفيزيقية والاجتماعية التي يعيش فيها الفرد، وعززت اكثر ازمة الانسان المعاصر التي يمثل الاغتراب أحد أبعادها فبعدما نسي مفهوم الاغتراب لعشرات السنوات فإنه قد اصبح من جديد متداولا مؤخرا، بعد ذلك التحرر النسبي لمستخدمي الانترنت في علاقتهم بالمكان والجسد والوضع الاجتماعي والذي هو بالأساس تحرر سلبي بمفهوم فروم يتيح للأفراد نوعا جديدا من الممارسات متمثل تحديدا في تمكينهم من اصطناع هويات افتراضية وإدارتها بما يتناسب ورغباتهم في التعدد الهوياتي، إن ما يفرزه هذا التلاعب بالهوية على الانترنت من

هويات مستعارة لهو في الأساس شكل للاغتراب الذاتي في العصر الحديث، فالفرد وفي محاولته لان يكون امينا للهوية التي تبناها – أي الهوية الافتراضية المستعارة- فهو في نفس الوقت يتجه نحو الاغتراب الذاتي، وهو نفس ما ذهب إليه الباحث الصادق رابح في كتابه فضاءات رقمية حين اكد ان التمازج بين الذوات الافتراضية والذوات الفعلية له انعكاساته على طبيعة الهوية الفردية، إذ ليس من المؤكد أن القفز "والاستحواذ" على مجموعة من الذوات الافتراضية سيساعد الفرد على تعميق أناه (ذاته)، بل على العكس من ذلك في الغالب ما يقوم بتحييد الانا الفعلي بل وحتى اقصائه فقد تتحول هذه الهوية إلى اغتراب للذات، حيث تنقسم الذات على نفسها وتتحول من إمكانية الحرية الداخلية " الحرية السلبية" - كما يسميها إريك فروم- إلى ضرورة الخضوع للظروف الخارجية بعد ان يصاب الانسان بالإحباط وبالتالي السقوط في فخ الاغتراب؛ الذي يجعل الأنا تعيش في وضعية اللايقين الناتج عن انفصال الذات الافتراضية عن نظيرتها الحقيقية.

وبناء على ما سبق ذكره؛ تحاول هذه الورقة البحث في الهوية الافتراضية (بين الزيف والأصالة) من خلال الاجابة على الإشكالية الآتية: **ما هي أبعاد ومؤشرات الاغتراب الذاتي للهوية الافتراضية انطلاقا من المقاربة النظرية للاغتراب لدى إريك فروم؟**

تساؤلات الدراسة:

- ما مفهوم الاغتراب؟ وما هي الجذور التاريخية له ؟
- ما مفهوم الاغتراب عند إريك فروم؟ وما الفرق بي الذات الزائفة والذات الأصيلة عنده؟
- ما طبيعة الهوية الافتراضية؟ أهي ذات أصلية ام ذات زائفة؟
- ما طبيعة الطبع الاجتماعي الافتراضي؟

أهمية هذه الورقة البحثية:

من اجل إيضاح أهمية هذه الدراسة سأستدل بمقولة للمفكر الفيلسوف الالماني "أرفينج هورتيز" الذي أكد أنه: "بمجرد التمكن بصورة سليمة من فهم المعاني والمستويات المختلفة التي استخدم بها وبصددها اصطلاح الاغتراب، فإن علماء الاجتماع سيكون بوسعهم القيام باستخدام الاغتراب على نحو افضل كمتغير جوهري في مناقشة السمات الاخرى للهيكل والتطور الاجتماعيين"[1]،

فاعتماد مفهوم الاغتراب كمفهوم أساسي في هذه الدراسة يضفي نوع من القيمة لها خاصة وانه (أي الاغتراب) هو أزمة الإنسان المعاصر، أيضا ما يضفي ويعزز شرعية الخوض في هذا البحث هو ما ذهب إليه فروم من كون أن التطورات الحديثة أفقدت الانسان احساسه بقيمته وأدت به إلى العجز واللامعنى والعزلة وهي كلها أبعاد للاغتراب، والانترنت يعتبر من اهم سمات التطور التكنولوجي الحديث التي أتاحت فرصة لتبني هوية افتراضية، فهذه الورقة البحثية تسعى لخلق مساحات نقاش بين فكر فروم حول الاغتراب وبين التطورات التكنولوجية ممثلة بالانترنت وماأفرزته من وجود افتراضي (هوية افتراضية)، هذا الاقتراب النظري لاغتراب الهويات الافتراضية، وما سبق واشرنا له هو ما يضفي على دراستنا هذه أهميتها.

أهداف الورقة البحثية:

لعل أبرز ما تسعى إليه هذه الورقة البحثية هو الوقوف على مفهوم الاغتراب خاصة من خلال مقاربة إريك فروم لهذا المفهوم التي سنتبناها كإطار نظري من أجل البحث في ملامح اغتراب الذات الافتراضية

1. في مفهوم الاغتراب:

1.1 المعنى اللغوي للاغتراب:

ان الكلمة العربية "غربة" وردت في لسان العرب لابن منظور لتدل على معنى النوى والبعد؛ فغريب أي بعيد عن وطنه، وأيضا الغرباء هم الأباعد"واغترب فلان إذ تزوج إلى غير أقاربه"، وعلى هذا النحو فالكلمة العربية تدل على معنيين؛ الاول يدل على الغربة المكانية، والثاني يدل على الغربة الاجتماعية،[2]اما المقابل لهذه الكلمة في اللغة الأجنبية؛ فهو الكلمة الانجليزية Alienation والكلمة الفرنسية Aliénation وفي الألمانية Entfremdung وقد اشتقت كل من الكلمة الانجليزية والفرنسية أصلها من الفعل اللاتيني Alienare والذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر او يعني الانتزاع أو الإزالة وهذا الفعل مستمد بدوره من كلمة اخرى هي Alienus أي الانتماء إلى شخص آخر أو التعلق به وهذه الكلمة الأخيرة مستمدة في النهاية من اللفظ Alius الذي يدل على الآخر سواء كاسم او كصفة.[3]

2.1المعنى الاصطلاحي للاغتراب:

إذا بحثنا عن المعنى الاصطلاحي للاغتراب فإن هذا المصطلح ينطوي على دلالات عديدة أفرزت استخدامات مختلفة اختلفت باختلاف مجال الدراسة، فقد ارتبط استخدامه بالقانون واللاهوت والفلسفة وعلم النفس والطب وعلم الاجتماع، فدلالته القانونية مثلا هي انتقال أو بيع مال أو حق أما دلالته في علم الاجتماع ترتبط بانحلال الرابطة بين الفرد والآخرين أما عن دلالته الدينية فيمكن ان نلخصها على انها انحلال الرابطة بين الفرد والآلهة، وإذا ما لاحظنا هذه المعاني نجد أنها تراوحت بين السلبية والإجابية.

وعن هذا التنوع في الاستخدام نجد مثلا ميخائيل أنوود[4] في "معجم مصطلحات هيغل" يؤكد انه في أواخر العصور الوسطى في ألمانيا كانت كلمة الاغتراب تشير إلى من يأخذ أو يسرق أمتعة شخص آخر كما تشير إلى الاغتراب العقلي لاسيما الغيبوبة او الذهول لكنها أشارت فيما بعد إلى غربة الأشخاص بعضهم عن بعض، أو غربتهم عن أنفسهم أي الاغتراب الاجتماعي أو الاغتراب الذاتي، وهو نفس ما ذهب إليه جيل فيريول[5] في "معجم مصطلحات علم الاجتماع".

وللوقوف أكثر على معنى الاغتراب ارتأينا طرح بعض ما أورده بعض الكتاب والباحثين حول هذا المفهوم؛ فالاغتراب حسب وولمان " wolmanيشير إلى الابتعاد وقطع العلاقات أو الصلات القريبة وتمزق الاحساس بالانتماء إلى الجماعة الكبيرة وزيادة الفجوة بين فئات الجماعة الواحدة." [6] أما في ذخيرة علوم النفس؛ اوضح كمال دسوقي (1988) ان الاغتراب يشير "إلى انفصال الفرد عن الذات الحقيقية بسبب الانشغال العقلي بالمجردات وبضرورة مجاراة رغبات الآخرين وما تمليه النظم الاجتماعية"[7]ويعرفه جابر عبد الحميد وعلاء الدين الكافي (1988) في معجم علم النفس والطب النفسي بأنه: "انهيار أي علاقات اجتماعية أو بنية شخصية وفي الطب النفسي يشير المصطلح إلى الفجوة بين الفرد ونفسه والتباعد بينه وبين الآخرين، وما يتضمنه ذلك من تباعد أو غربة للفرد من مشاعره الخاصة التي تستبعد من الوعي خلال المناورات الدفاعية."[8] وليس ببعيد عن هذه الدلالات التي أوردناها للاغتراب عند بعض الكتاب، ترى انشراح الشال أن الاغتراب وهو" شعور الفرد بأن المجتمع والسلطة لا يحسان به ولا يعنيهما أمره

وبأنه لا قيمة له في هذا المجتمع، ويؤدي ذلك إلى فقدان الفرد الحماس والدافع للمشاركة الفعالة.. وقد ربط بعض الباحثين بين الاغتراب وبين الشخصية المتسلطة مما قد يفسر ظهور الجماعات المتطرفة على مستوى العالم في النصف الثاني من هذا القرن"[9]وكخلاصة لما أوردناه سابقا يتبين أن الاغتراب خاصية مميزة للإنسان قديمة ومتأصلة في وجوده وان اغترابه يعني انفصاله عن وجوده الانساني وان المفهوم سواء في أصوله اللغوية أو في المعاجم المتخصصة والاستخدامات المختلفة يفيد معنى الشعور بالانفصال عن الذات أو المجتمع والعالم الموضعي أو الله.

.2الجذور التاريخية لمفهوم الاغتراب:

يعد الاغتراب ظاهرة قديمة شديدة العمق عريقة الأصل، تعود إلى فجر البشرية؛ فقد كانت أولى مشاعر الاغتراب تلك التي عاشها آدم عليه السلام حين نزل إلى الأرض مغتربا عن الجنة وعن المعية الإلهية، فالوجود البشري وجود مغترب بالقدرة الإلهية قبل الضرورة الفلسفية والنفسية، وهو نفس ما ذهب إليه الباحث محمد خضر عبد المختار جراء مناقشته لعلاقة الاغتراب بالوجود الانساني فقد أكد أن "الوجود الانساني وجود مغترب بالضرورة الإلهية فاغتراب آدم عليه السلام من الجنة وهبوطه للأرض، وكذلك ميلاد كل طفل من رحم الأم يعتبر بمثابة البذرة الأولى للاغتراب."[10]

أما إذا ما حاولنا البحث في الرحلة العلمية لهذا المفهوم، نجد انه له تاريخ عريق ارتبط بالكتابات اللاهوتية الاولى وبالبحوث الفلسفية والنفسية القديمة، وعليه يمكن تلخيص مسيرة هذا المفهوم على النحو الآتي:

1.2 مفهوم الاغتراب قبل هيجل:

وخلال هذه المرحلة يحمل مفهوم الاغتراب معاني مختلفة تكمن في سياقات ثلاثة هي: السياق القانوني، حيث استخدم المصطلح في القانون الروماني بمعنى النقل والتسليم (بمعنى انتقال الملكية عن صاحبها وتحولها إلى آخر) والسياق الديني فالمفهوم الكلي للاغتراب يجد تعبيره الأول في الفكر الغربي في مفهوم العهد القديم للوثنية بمعنى انفصال الانسان عن الله وعبادته للأصنام التي صنعها

بيده، والسياق النفسي الاجتماعي بمعنى انفصال الإنسان عن ذاته أو مخالفته لما هو سائد في المجتمع.

2.2 الاغتراب عند هيجل:

يشير العديد من الباحثين والدارسين الذين تناولوا هذا مفهوم الاغتراب إلى أن هيجل هو أول من استخدم هذا المفهوم استخداما منهجيا مقصودا، حتى انه لقب بأب الاغتراب، فهو من أغنى هذا المفهوم، حين اعتبر تاريخ الانسان هو في نفس الوقت تاريخ اغتراب (*(Entfremdungالانسان، وهو ما أكده في "فلسفة التاريخ" حين قال: <<إن ما يسعى العقل، حقيقة من أجله، هو تحقق فكرته، ولكنه في فعل ذلك يقوم بإخفاء ذلك الهدف عن رؤيته، ويكون فخورا وراضيا عن هذا الاغتراب عن جوهره.>>[11]

وعلى العموم فإن ما قصده هيجل بمفهوم الاغتراب يقترب إلى حد بعيد من فكرة الصنمية في كتابات اللاهوت القديمة، فالاغتراب من وجهة نظره يكمن في حقيقة أن الفرد لا يقدم نفسه كموضوع لفعله الشخصي، كتفكير، كشعور، كشخص محب، لكن يقدم نفسه وقدراته في الشيء الذي أنتجه، أي أن الانسان يعبد ما تصنع يداه بدلا من أن يلاقي نفسه باعتبارها الخالق،[12] وهو نفس ما ذهب إليه عند تناوله للثقافة كمنتوج للفرد ففي الفصل المعنون " الروح المغترب عن ذاته" من كتاب "فينومينولوجيا الروح" يربط هيجل بين الثقافة والاغتراب فالفرد يعارض ذاته من اجل الحقيقة الشاملة التي تتمثل في الثقافة لأنها كل ما ينتجه الانسان وان انتاجه مكثف في عنصرين "الدولة والثروة"، الدولة توحد بين الأفراد من خلال الكل والثروة توحد بين الأفراد ولكن من خلال الفرد؛ وهنا يظهر الاستخدام المزدوج لمفهوم الاغتراب من قبل هيجل فهو يستخدم الاغتراب للإشارة إلى علاقة انفصال او تنافر كتلك التي تنشأ بين الوضع الفعلي والمرء وبين طبيعته الجوهرية، وكذلك يستخدم هيجل هنا الاصطلاح للإشارة إلى التسليم أو التضحية بالخصوصية والإرادة فيما يتعلق بقهر الاغتراب واستعادة الوحدة مرة اخرى،[13]وفي نفس السياق حاول حليم بركات شرح معنى الاغتراب عند هيجل فأوضح أن هيجل يستعمل هذا المفهوم ليشير إلى "حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الانسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوظف لصالح غيره بدل أن يسيطر هو عليها لصالحه الخاص. وبهذا يفقد الفرد القدرة

على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية بما فيها تلك التي تهمه وتسهم بتحقيق ذاته وطموحاته"،[14] إذن ووفقا لكل ما سبق يمكن ان نستخلص نقطتين فيما يخص الاغتراب عند هيجل أولها أن الاغتراب عنده مبني على الفصل بين الجوهر والوجود، وثانيا ان المصدر الأساسي للاغتراب من وجهة نظره هو مصدر ديني ينبع من البعد عن الله ليصل في النهاية إلى الانفصال عن كل شيء وحتى عن نفسه.

3.2 الاغتراب عند كارل ماركس:

يعتبر ماركس من الأوائل الذين درسوا الاغتراب كظاهرة اجتماعية، فمفهوم الاغتراب "دخل مجال الفكر الاجتماعي مع اعمال ماركس الذي حول فكرة هيغل إلى وصف للدولة وعملية يخسر العامة من خلالها انفسهم وعملهم في الرأسمالية. واستقى ماركس هذا المصطلح مبدئيا من المناقشات الفلسفية للهيغليين الشباب"[15]، وقد أشار إريك فروم في كتابه "الانسان عند ماركس" إلى أن عملية الاغتراب في فكر ماركس يتم التعبير عنها في العمل، وفي تقسيم العمل، فالعمل يعد مغربا لكونه لم يعد جزءا من طبيعة العامل، الذي لم يعد يحقق ذاته من خلال عمله، وكأن "العمل بالنسبة له –أي لماركس- هو التواصل الفعال للإنسان مع الطبيعة، خلق عالم جديد، بما فيه خلق الانسان لذاته. (الفعالية العقلية بالنسبة لماركس هي دائما في العمل كالفعالية اليدوية أو الفنية.)، إلا أنه عبر تطور الملكية الخاصة وتقسيم العمل يفقد العمل صفته كتعبير عن طاقات الانسان، حيث يتخذ العمل ونتاجه، بعدا منفصلا عن الانسان، وعن إرادته ومشروعه."[16] هذا ويرجع ماركس الاغتراب إلى الملكية الخاصة وإلى تقسيم العمل بالدرجة الأولى ثم إلى تحول قوة العمل إلى بضاعة وهو نفس ما اكده إريك فروم في اقتباس له لفكرة من مخطوطات ماركس أوردها في كتابه "مفهوم الانسان عند ماركس" حيث قال: "إن النتيجة المباشرة لاغتراب الانسان عن نتاج عمله عن فعاليته الحياتية وعن حياته النوعية هي اغتراب الانسان عن البشر الآخرين فعندما يواجه الانسان ذاته فهو يواجه أيضا الآخرين فما هو صحيح عن علاقة الانسان ذاته فهو يواجه أيضا الآخرين. فما هو صحيح عن علاقة الانسان بعمله، بنتاج عمله، وبذاته هو صحيح أيضا عن علاقته بالآخرين بعملهم وبمواضيع عملهم"[17]، فالماركسية تذهب في تفسيرها للاغتراب إلى ان الأفراد يغتربون عن أعمالهم

كنتيجة لعلاقات الانتاج ونسق السيادة الطبقي، إذ يحول المجتمع الرأسمالي جميع العلاقات الإنسانية ا إلى علاقات حسية بين أشياء أو سلع فقيمة الفرد تحدد بموجب السلع التي يملكها لا بقيمة ذاته، كما انه العمل في المجتمع الرأسمالي يعتبر شيئا خارجيا عن العامل، وليس جزءا من طبيعته، وكل هذا يخلق عند أفراد المجتمع شعورا بالاغتراب، إذن فـ " هذا المعنى للوجود كسلعة لا يحس به فحسب من جانب العمال اليدويين الفقراء في الولايات المتحدة المعاصرين ومجتمعات رأسمالية أخرى، ولكن ايضا في الأنماط الإدارية (البرجوازية الصغيرة) الذين ليسوا في طبقة البروليتاريا نفسها، ولكنهم يجدون انفسهم مستغلين ومهمشين في حين ان المشرفين عليهم (وهم ايضا أدوات للطبقة الحاكمة) لديهم شعور بأن هذا الامر ضروري"[18].

انطلاقا مما سبق يمكن القول أن ماركس قد صنف فعلا من رواد البحث الهادف لتحليل مفهوم الاغتراب على اعتبار أنه هو الذي منحه طابعا أمبريقيا وسوسيولوجيا بعد أن كان مفهوما ميتافيزيقيا ولاهوتيا وذلك من خلال تحليله للعلاقات التي تنشأ في المجتمع الرأسمالي بين الانسان وموضوع عمله وصاحب العمل حيث تناول اغتراب العامل في المجتمع الرأسمالي، ليصل إلى ان الانسان بين مصلحة الشخصية ومصلحة المجتمع يقع فريسة للاغتراب؛ فريسة لاغترابه عن عمله وعن ناتج عمله، وهذا ما يجره أيضا للاغتراب الاجتماعي وأيضا الاغتراب الذاتي، فهو يؤكد ان الاغتراب الاقتصادي هو مصدر مظاهر الاغتراب الأخرى.

4.2 الاغتراب في الفكر الوجودي:

إن رواد الفكر الوجودي يرون ان سعي الانسان لتماثله مع الآخرين وانصهاره في الحشد يسقطه في فخ الاغتراب، فالإنسان الحديث وفقا للوجوديين يضحي بحريته في مقابل الأمن الزائف الذي يحظى به من جراء امتثاله مع الجمهور وهذا ما يفقده ذاته كإنسان؛ يظهر كل هذا من خلال كتابات الوجوديين فمثلا المفكر الوجودي كير كيجارد لطالما أبدى عداءه الشديد للحشد، وهو نفس ما ذهب إليه هيدجر "الذي تابع بإخلاص كير كيجارد في عدائه للحشد فهو يصف في كتابه "الوجود والزمان" الوجود الانساني المستغرق في الحشد بأنه وجود زائف لأنه يهبط بالإنسان إلى حياة يومية مبتذلة، حياة متشابهة فالإنسان الذي يضيع في الحشد يفقد حريته واستقلاله ويصبح رأسا في القطيع،....، بكلمة واحدة إنه

يصبح مجرد نسخة مكررة من كائن بلا اسم أو هوية، هو الناس أو الحشد، وبهذا يقضي الانسان على وجوده الأصيل ويتنازل عن حريته وتفرده ويصبح مجرد شيء بين اشياء، وموضوع بين موضوعات". [19]إذن فالتماثل مع الآخرين قد انتزع - وبكل ما تحمله الكلمة من معاني- كينونة الأفراد فألغى ذواتهم فأضحى كما يقول هيدجر في كتابه "الكينونة والزمان": "كل هو الآخر وما من واحد هو ذاته"[20]، أيضا إذا ما تفحصنا فكر سارتر نجد انه يؤكد " أن الانسان يمضي في الحياة بوصفه كائنا مغتربا يكابد القلق ويحيا نهبا لمشاعر الهجر فهو كائن مهجور واغترابه دائم ولا يمكن قهره وان حدة الاغتراب تزداد في المواقف التي تتميز بقهر الحرية والاضطهاد والتشيؤ واستلاب الذات"[21]، إذن فقد تناولت "الوجودية عدة موضوعات تتصل عميقا بتجارب الاغتراب كمشاعر التعلق بحق الاختيار وما يرافقه من أحاسيس المسؤولية والقلق والعبث والغربة والعجز واللاانتماء، ورسمت صورة للإنسان الحديث على انه في الوجود كمسافر فوق بحر لا خريطة له ويعيش في قلق مهما كان اتجاهه."[22] فالفكر الوجودي لطالما اكد أن الوجود الانساني في عصرنا هذا وجود مغترب تنصهر كينونته وذاتيته في امتثاله مع الجمهور وفي سيطرت فكر الحشد عليه.

.3في مفهوم الاغتراب عند إريك فروم:

إن المتصفح لكتابات إريك فروم سرعان ما يدرك ان مفهوم الاغتراب قد شكل بحق المحور الأساسي لفكر فروم، فلا يكاد يخلو مؤلف له من إشارة له سواء كان ذلك بصيغته الصريحة أي باستخدامه لمصطلح الاغتراب أو من خلال الاستعانة ببعض المفاهيم التي صاغها والتي إذا ما تفحصناها بعمق نجد انها تحمل دلالات تحيل في واقع الامر لمفهوم الاغتراب؛ كمفهوم الشخصية التسويقية، والحرية السلبية، والذات الزائفة وغيرها من المفاهيم، فقد أشار فروم في كتابه " المجتمع السوية" إلى انه قد وقع اختياره على مفهوم الاغتراب كمنطلق مركزي يمضي من خلاله إلى انشاء تحليل للطبع الاجتماعي المعاصر(أي الطبع الاجتماعي لإنسان القرن العشرين)، فروم إنما يتناول قضايا التغير الاجتماعي وتأثيرها في شخصية الانسان ليؤكد أن التغير من مجتمع على آخر يحتمل أن يؤدي إلى اضطراب في الطبائع الاجتماعية للناس ولا يصبح التكوين القديم للطباع مناسبا للمجتمع الجديد مما يزيد من شعور الانسان بالاغتراب واليأس، وقد حدد فروم سلسلة

من مظاهر الطبع الاجتماعي لهذا العصر نذكر منها على سبيل المثال: مبدأ الامتلاك، ومبدأ التسويق، والامتثال والخيالات النرجسية الجماعية وإغراءات الجماد والأشياء، والواقع المصنع؛ وكلها جوانب وثيقة الاتصال بظاهرة الاغتراب.

وللوقوف على كل ذلك حبذنا بداية تحديد مقصود إريك فروم من الطبع الاجتماعي.

1.3 الطبع الاجتماعي:

لقد عرفه فروم في كتابه "المجتمع السوي بأنه: "نوية الطبع الاجتماعي التي يشترك فيها جل أعضاء الثقافة ذاتها على عكس الطبع الفردي الذي يختلف فيه الناس الذين ينتمون إلى الثقافة عينها بعضهم عن بعض."[23]أما عن وظيفة الطبع الاجتماعي فهي تكمن في قولبة الطاقة البشرية مع توفير القنوات الملائمة ضمن مجتمع معين قصد استمرار هذا الاخير في تأدية وظيفته، وعن " الطبع الاجتماعي" المناسب لرأسمالية القرن العشرين اكد فروم انه تكريس للتماثل في مجموعات كبيرة مبنية أساسا على الاستهلاك المكثف والأذواق الموحدة.

2.3 معنى الاغتراب لدى فروم:

الاغتراب كما عبر عنه فروم في كتابه "المجتمع السوي" هو"نمط الخبرة الذي يخبر به الشخص أنه غريب. ويمكن للمرء أن يقول إنه قد صار متغربا عن نفسه، إنه لا يخبر نفسه على أنه مركز عالمه وخالق أفعاله- بل ان أفعاله وعواقبها قد صارت سادته، الذين يطيعهم أو يمكن حتى أن يعبدهم. والشخص المغترب بعيد عن التماس بنفسه كما بعيد عن التماس بأي شخص آخر. فهو يخبر كما يخبر الأشياء؛ بالحواس والفهم المشترك، ولكنه في الوقت ذاته لا يكون متواصلا مع نفسه ومع العالم خارجه بطريقة إنتاجية." [24] ومن هنا يظهر أن الفكرة السائدة في تفكير فروم عن الاغتراب هي فقدان النفس لذاتها وفي هذا الفقد يكتسب ذاتا ليست هي ذاتها الحقيقية أو ما يجب ان تكون عليه حقا، وقد أسهب إريك فروم في استخدام المصطلحات التي قصد بها وصف الاغتراب، فصاغ مفهوم الذات الأصيلة والذات الزائفة، ومفهوم الشخصية التسويقية، والحرية السلبية، كما جعل الاغتراب امتداد لفكرة الصنمية وكلها مفاهيم سنستعين بها في دراستنا هذه وسنتناولها فيما يلي بنوع من التفصيل.

3.3 الذات الأصيلة والذات الزائفة:

من المفاهيم التي انتجها فروم في دراسته للاغتراب؛ مفهومي الذات الزائفة والذات الأصيلة؛ وميز بينهما فأوضح أن "الذات الأصيلة هي التي يتسم صاحبها بأنه شخص مفكر قادر على الحب والإحساس والإبداع أما الذات الزائفة فهي التي تفتقر إلى جميع هذه الصفات أو بعضها ويبدو أن مفهوم الذات الأصيلة يرادف عند فروم مفهوم الذات غير المغتربة التي حققت وجودها الانساني المتكامل أما الذات الزائفة فهي الذات التي اغتربت عن نفسها وانفصلت عن وجودها الانساني الأصيل."[25] وقد تطرق لهذا الأمر في كتابه "الخوف من الحرية"[26] من خلال حديثه عن المثل الأصيلة والزائفة وأكد ان الفرق بينهما كالفرق بين الصدق والكذب؛ فعرف المثل الأصيلة بأنها تلك الأهداف التي تسرع بالنمو والحرية وسعادة النفس، اما المثل الزائفة بأنها تلك الاهداف الاضطرارية واللاعقلانية التي هي تجارب جذابة ذاتيا مثل الدافع للخضوع.

والواقع ان فكرة الوجود الأصيل والوجود الزائف تمتد إلى الفلسفة الوجودية، فكير كيجارد يميز بين الوجود في داخل الحشد والوجود المنعزل، فالوجود في داخل الحشد (**أي الامتثال والتطابق مع الآخر**) هو الوجود الزائف الذي يختبئ وراء جموع المصلين في الكنيسة تارة،أو وراء الحشد في الشوارع تارة أخرى وهو في الحالتين إنما يهرب من المسؤولية ومن عبء الحرية (**تلك الحرية السلبية كما سماها فروم**) إنه يقول ما يقوله الحشد ويعتنق ما يعتنق الحشد أنه الصواب، وبهذا فإن الفرد يذوب في المجموع معتمدا على أن **الحقيقة تكون في السير مع القطيع**، وهذا هو الاغتراب بمفهوم كير كيجارد والذي يرتبط بعبودية الانسان للجموع وانفصاله عن ذاته الانسانية الحقة، اما عن الوجود الأصيل فيؤكد كير كيجارد أنه مرادف للوجود المنعزل المتفرد؛ إنه الوجود القادر على تحمل العزلة والقلق وممارسة الحرية. [27] أما هيدجر فقد: "عالج فكرة الوجود الزائف والوجود الأصيل بشكل أكثر وضوحا حيث ربط مفهوم "الغربة" وبين الوجود الزائف، وميز بين الوجود الأصيل والوجود الزائف فالأول يعني وجود يضع ذاته ويحدد اتجاهه من خلال القرارات والاختيارات التي تنتمي إليه حقا والتي يمارسها بحرية تامة وبوعي كامل أما الوجود الزائف فهو الوجود الذي يتخلى عن مسئوليته تجاه

اختيار إمكانياته ويترك لغيره هذه المهمة إنه وجود يخضع للمجهول ويعجز عن أن يقرر ذاته ومستقبله."[28]

وبالعودة لفكر فروم فقد أكد ان إحلال الأفعال الزائفة محل الأفعال الأصيلة للتفكير والشعور والإرادة يفضي إلى احلال نفس زائفة محل النفس الأصيلة، هذه الاخيرة هي جوهر الوجود الذي تخنقه النفس الزائفة، ففقدان النفس الأصيلة واستبدالها بنفس زائفة تترك الفرد في حالة متوترة من الزعزعة إنه محاصر بالشكوك لأنه هو أساسا انعكاس لتوقع الناس الآخرين عنه قد فقد بشكل ما ذاتيته بسقوطه في فخ سلطة الامتثال والتطابق بغية بلوغ الاستحسان والإقرار المستمر لدى الآخرين، او بمعنى آخر ذات زائفة تسعى للترويج والتسويق لشخصيتها، وبانتمائها إلى سلطات خارجية فإنه يكتسب ذاتا جديدة زائفة غير تلك الحقيقة، وتلك الذات الجديدة تبدي رغبتها إما في التدمير أو في السيطرة وإما في الانتماء أوالامتثال[29]، وهو ما سنوضحه اكثر في العناصر الموالية من خلال التطرق لفكرة الصنمية وللشخصية التسويقية وللحرية السلبية كمصدر للاغتراب.

1.3.3 الاغتراب ومفهوم الصنمية:

لقد حدثنا إريك فروم عن فكرة الصنمية في علاقتها بمفهوم الاغتراب، وأكد أن "الصنمية" هي جوهر الاغتراب؛ فدراسة فروم لمسيرة المصطلح التاريخية أكدت أن هذا المفهوم عريق وله جذور في التقليد الغربي القديم خاصة فيما تلعق باللاهوت القديم، حيث قد تم الإشارة إلى مفهوم الاغتراب ليس بصريح العبارة ولكن تحت اسم عبادة الأوثان، ففروم يؤكد أن عبادة الأوثان (الأصنام) هي في حقيقة الأمر اغتراب الفرد عن الله، وهو نفس ما ذهب إليه الفيلسوف الألماني لوديفيغ فيوبارخ ((Ludwig Feuerbach؛ حين اعتبر الدين نوع من الاغتراب عن الذات، فبدلا من ان يسيطر الفرد على مخلوقاته، تسيطر هي عليه على اعتبار أن "الانسان يعكس أفضل ما في نفسه من صفات وما لديه من قيم على الألوهة فيصبح الإله صورة للكمال ويتحول الانسان إلى مثال للخطيئة والشر." [30] وهو ما عبر عنه فروم في كتابه "مفهوم الانسان عند ماركس" حين اكد ان الفرد يقوم بعبادة الشيء الذي خلقه هو بذاته؛ فيحول ذاته إلى شيء فبدلا من أن يمارس ذاته كفرد خالق فإنه يتواصل معها فقط عبر عبادة الوثن،[31] إذن فالعبادة الصنمية تتضمن فعل الخضوعي يقربها من مفهوم الاغتراب عن الذات.

2.3.3 الحرية السلبية كمصدر للاغتراب:

إن اطروحة كتاب إريك فروم "الخوف من الحرية" الأساسية هي ان الحرية لها معنيان بالنسبة للإنسان الحديث حرية سلبية وحرية إيجابية؛ فالحرية السلبية تكمن في أنه قد "تحرر من السلطات التقليدية وأصبح "فردا"، لكنه في الوقت نفسه اصبح منعزلا عاجزا وأداة للأغراض القائمة خارجه وانه اغترب عن نفسه وعن الآخرين، زيادة على ذلك إن هذه الحالة تقوض نفسه وتضعفه وترعبه، وتجعله مستعدا للخضوع لأنواع جديدة من القيد، أما الحرية الإيجابية من جهة اخرى فهي متطابقة مع التحقق الكامل لإمكانيات الفرد مع قدرته على ان يحيا بشكل إيجابي وتلقائي"[32]، وهكذا يظهر أن الاغتراب وفقا لفروم "يبدأ من حالة عضوية هي انسلاخ الانسان عن الطبيعة التي تساوي أحيانا البيئة الاجتماعية إذ يتحدد جوهر الانسان من خلال علاقته بالطبيعة كجزء منها إلا أنه حين بدا الانسلاخ عنها وخرج من احضان تلك الوحدة الكونية إلى حيز الذات الضيق المعزول بدا يستشعر فقدان التناسق والشعور بالنقص إن هذا الاغتراب وليد تطور حتمي للنوع البشري وجرح تولد عن انفصال حتمي بين الرحم (الطبيعة) والانسان (الابن)"[33] فالاغتراب إذن هو نتيجة حتمية لتحرر الفرد من الوحدة الكونية مع الطبيعة أي هو نتيجة لما سماه فروم بالحرية السلبية؛ وهنا نصل لفكرة جوهرية في فكر هذا الفيلسوف هي أن مصدر الاغتراب هو الحرية السلبية حيث تصبح هذه الأخيرة حرية مزيفة، لأن الانسان يعتقد أنه صاحب قراراته وصانع ما يقوم به من أفعال في حين انه يفكر ويشعر ويقرر ووفق ما هو سائد وفق ما يريده المجتمع وما تريده السلطات المجهولة.

وإذا ما حاولنا البحث في مفهوم الحرية السلبية فإن فروم "يسمي العملية التي يتم من خلالها تحرر المرء من روابطه الأولية بـ" الاصطباغ بالصبغة الفردية" وعملية الاصطباغ بصبغة فردية هي أساسا ما يعنيه فروم بالحرية السلبية، أو حرية التحرر من، فهي في جانب تساعد على تقوية ونمو النفس وفي الجانب الآخر تخلق شعورا بالانفصال والعجز والقلق"[34]، مشاعر العزلة والقلق هته دفعت بالفرد إلى الفرار من الحرية نفسها ولاشك في ان الهروب من الحرية غالبا ما ينتهي بخضوع الانسان لأي قوى خارج ذاته يجد لديها نوعا من الامان المفقود، والواقع ان هذا الأمان ليس أمانا حقيقيا با أمان زائف يرتبط بفقدان النفس وبالتنازل

عن الحرية ومن هنا يمكن القول ان الأساليب التي عن طريقها يهرب الانسان من حريته هي نفسها التي تؤدي به إلى الاغتراب عن ذاته، ولعل ابرز تلك الأساليب:[35]

-**الخضوع للسلطات المجهولة**: أي الخضوع للسلطة الباطنية التي تعمل باسم الواجب والضمير أو الانا الأعلى، والسلطات المجهولة تقترب من **مفهوم القهر** المعاصر عند هربرت ماركيوز.

-**الامتثال أو الخضوع للحشد**: فالإنسان المعاصر يهرب من وحدته وعزلته إلى الامتثال؛ والامتثال عند فروم يماثل مفهوم **الانسان ذو البعد الواحد عند هربرت ماركيوز**

-**الخضوع السادى – المازوكى؛ السادية والمازوكية:** وجهان لموقف واحد هو الشعور بالعجز والنقص فكل من السادي والماكوزي يحتاج لشخص آخر يكمل ما لديه من نقص:" فالسادي يجعل من كائن آخر امتداد لنفسه والمازوكي يجعل من نفسه امتدادا لكائن آ خر.

3.3.3 الشخصية التسويقية:

تساءل فروم في كتابه "المجتمع السوي" عن طبيعة **علاقة الانسان بذاته في وضع الاغتراب**؛ وللإجابة على هذا السؤال صاغ مفهوم جديد هو الشخصية التسويقية، فوفقا له ما يحكم علاقة الانسان بذاته هو التوجه التسويقي "ففي هذا التوجه يخبر الانسان نفسه بوصفه شيئا يستخدم بنجاح في السوق وهولا يخبر نفسه بوصفه فاعلا نشطا بوصفه الحامل للقدرات الانسانية بل هو مغترب عن هذه القدرات هدفه أن يبيع نفسه بنجاح في السوق" [36]وفقا لفروم فإن شخصية السوق تفعل بالضبط ما تتطلبه مقاييس النجاح والقبول الاجتماعي، فالشخصية التسويقية تقوم على ممارسة الشخص لذاته كسلعة، ولقيمته "كقيمة تبادلية" لا "كقيمة انتفاعية" أين يصبح الكائن البشري سلعة في " سوق الشخصيات" وليس هناك فرق بين معايير التقييم في سوق الشخصيات عن نظيرتها في سوق السلع، فإذا كانت هذه الأخيرة تعرض السلع للبيع فإن الأولى تعرض الشخصيات وفي الحالين قيمة المعروض هي قيمته التبادلية؛ أين يتوقف النجاح إلى حد كبير على كيفية إظهار الفرد "شخصيته" أو بمعنى آخر كيف يجعل من مجموع صفاته وشخصيته "صفقة" مقبولة، فالشخصية التسويقية لم يعد

لصاحبها "أنا" ego كالذي كان لأفراد القرن التاسع عشر، يتمسك بها ويمتلكها ولا يغيرها، وإنما هو يغير هذا "الأنا" باستمرار وفقا للقاعدة " أنا أكون كما تريدني أن اكون"[37]، فهدف الشخصية التسويقية إذن هو التواجد الدائم في سوق الشخصيات بالصفة المطلوبة.

.4في مفهوم الهوية:

الهوية مفهوم له دلالته اللغوية واستخداماته الفلسفية والاجتماعية والنفسية والثقافية فقد استخدم هذا المفهوم على انحاء شتى للتدليل على الهوية الفردية وهوية الأنا والهوية الجماعية والهوية العرقية والهوية الثقافية، وصولا إلى الهوية الافتراضية.

وإذا ما بحثنا في المعنى اللغوي نجد ان الهوية كلمة مشتقة من ضمير المفرد (هو) وتعني " الأمر المتعلق من حيث امتيازه عن الأغيار وتقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود"[38]، هذا ويؤصل مراد وهبة (1979) معنى الهوية بالرجوع إلى اشتقاقات اللفظ في اللغة العربية واللغات الأجنبية، يقول: "أن لفظ "الهوية" في اللغة العربية مصدر صناعي مركب من "هو" ضمير الغائب المعرف بأداة التعريف "ال" ومن اللاحقة المتمثلة في الـ "ى" المشددة وعلامة التأنيث وفي الفرنسية والانجليزية واللاتينية يعني لفظ " "id-idemضمير الإشارة للغائب بمعنى ذاته، ويستعمل هذا الضمير للدلالة أحيانا على الاختصار وعدم التكرار عند الإشارة إلى شيء محدد."[39] أما عن المعنى الاصطلاحي للهوية نجد مارتن هيدجر يشير إلى: "أن الانسان لكي يكون ذاته لابد ان يفكر في الوجود وعليه ألا يسمح للأطر أن تشكله كيفما تشاء لأنها –الأطر- من إبداعه وهي ليست إلا هبة من هبات الوجود يكشف بها عن نفسه بشكل يتماشى مع طبيعة العصر."[40]وكانه يريد أن يؤكد انه الهوية توجد من خلال التفكير بالوجود، وهو نفس ما ذهب إلية ديكارت من خلال مبدئه الشهير الكوجيتو "أنا أفكر إذن انا موجود" الذي أجاب من خلاله على سؤال الهوية.

اما إريك فروم في كتابه "المجتمع السوي" أشار إلى ماهية الهوية من خلال تعريفه للإنسان حيث أكد انه: "الحيوان الذي يمكن ان يقول "أنا" الذي يمكن أن يدرك نفسه بوصفه وجودا منفصلا، والكائن الحيواني الذي هو في داخل

الطبيعة، ولا يتجاوزها، ليس مدركا ذاته، وليس به حاجة إلى الإحساس بالهوية."[41] وهكذا ربط فروم الاحساس بالهوية بالانفصال وتجاوز الطبيعة وبالتحرر من الروابط الأولية وبإدراك الفرد أنه كائن متميز ومختلف ومنفصل عن العالم الخارجي ومن ثم فهو في حاجة لتكوين مفهوم عن ذاته وبحاجة إلى ان يشعر وان يقول "أنا أكون أنا"، لهذا نجد الطفل الذي لازال لم يقطع صلته بأمه لا يدرك ذاته، وتكون إحدى آخر الكلمات التي يتعلم استخدامها هي " أنا" في الإشارة إلى نفسه بمثابة ولادة لهويته.

ويسقط فروم نظرته هذه على تاريخ الجنس البشري ويشير إلى أنه: "في نشوء الجنس البشري تعتمد الدرجة التي يدرك فيها الإنسان انه ذات منفصلة على المدى الذي خرج فيه من العشيرة والمدى الذي نما فيه التفرد، ويمكن لعضو العشيرة البدائية أن يعبر عن إحساسه بالهوية في صيغة " أنا نحن" وهو لا يستطيع بعد أن يتصور انه "فرد" يوجد بمعزل عن الجماعة."[42]

1.4 جدلية الهوية والاغتراب:

الهوية كما يقول حسن حنفي هي: "تعبير عن الحرية، الحرية الذاتية، الهوية إمكانية قد توجد وقد لا توجد، إن وجدت فالوجود الذاتي، وإن غابت فالاغتراب"[43]، فقد تتحول الهوية إلى اغتراب للذات، حيث تنقسم الذات على نفسها وتتحول من إمكانية الحرية الداخلية " الحرية السلبية" - كما يسميها إريك فروم- إلى ضرورة الخضوع للظروف الخارجية بعد ان يصاب الانسان بالإحباط ويسيطر الاغتراب على موضوع الهوية.

فبعد ان ينفصل الانسان عن روابطه الأولية ويكسر وحدته مع الطبيعة تتشكل هويته الذاتية هذه الهوية التي سرعان ما تختفي من جراء الخوف من العزلة والوحدة، لتحل محلها هوية جديدة ناتجة عن التماثل والتطابق فكما يقول فروم "بعد التخلص من الروابط الاولية وفي محاولة للإحساس الفردي بالهوية سقط الانسان في فخ تحديدات الهوية المرتبطة بمفهومات الامة والديانة والطبقة والمهنة كالقول انا أمريكي مثلا، وهذا ما يؤدي إلى خبرة التماثل، إي إلى انني لست مختلفا وأني مثل الآخرين، وهكذا يمكنني أن أشعر أنني " أنا" أنا – "كما تريدني" وبدلا من هوية العشيرة ما قبل الفردانية، تنمو هوية قطيعية

جديدة، يعتمد فيها الاحساس بالهوية على الاحساس الذي لا شك فيه بالانتماء إلى الجمهور"[44]، وهكذا يظهر أن الجنس البشري إنما يعيش جدلية هوية/إغتراب، متتالية كلما لامسنا وادركنا حلقة منها تداعت واختفت الحلقة الأخرى.

2.4 التكنولوجيا الدين الجديد:

إن الانسان وفقا لفروم يبدع اوثانا يسجد لها وأصناما يعبدها وهنا يكمن جوهر الاغتراب عنده ففي عملية الاغتراب عند فروم يتنازل المرء عن نفسه إزاء استسلامه لما صنع، وهناك أشياء كثيرة في حياة الانسان المعاصر يمكن أن تصبح أصناما –كما يراها فروم- لها يخضع الانسان، وإليها يقدم نفسه قربانا ولعل التكنولوجيا هي الصنم الجديد الذي يقدم له انسان القرن المعاصر نفسه، فقرننا الحالي كما يشير فروم في كتابه**"الانسان المستلب وأفاق تحرره"** قد طور دينا جديدا سماه "دين التقنية".[45]

فقد خلق الانسان عالما من الأشياء بشرية الصنع كما لم يوجد من قبل وبنى آلة اجتماعية معقدة لإدارة الآلة التقنية التي بناها ومع هذا فإن هذا الخلق الكلي يقف فوقه وعليه وهو لا يشعر انه مبدع ومركز بل انه خادم لل"غولم" - der golem من أشهر روايات الكاتب النمساوي غستاف ميرينك (1868-1932) وقد ظهرت سنة 1915 وهي مستوحاة من أسطورة قروسطية عن حاخام اخترع مخلوقا ليخدمه وسماه غولم- الذي بنته يداه. وكلما كانت القوى التي يطلق العنان لها أعظم، ازداد إحساسه بالعجز بوصفه انسانا وهو يواجه نفسه بقواه المتجسدة في الأشياء التي خلقها، مغتربا عن نفسه ويمتلكه خلقه، وقد فقد ملكيته لذاته،[46] وهكذا يغترب الانسان تحت وطأة الحضارة وهيمنة التكنولوجيا وسيطرة الآلة، ولعل أبرز غولم مرتبط بالتكنولوجيا ابتدعه الانسان هو الهوية الافتراضية التي سنحاول التطرق لها وبنوع من التفصيل –المرتبط بإشكالية الدراسة- في العناصر الموالية.

3.4 الهوية الافتراضية:

أو كما يسميها البعض الهوية الرقمية يعرفها إتزشاد (Etzscheid.2009) بأنها: "مجموع الأثار (المكتوبة او المحتويات السمعية او البصرية أو رسائلنا في المنتديات، او بيانات الاتصال أو اعمال الشراء أو المعاينة....) التي نتركها خلفنا

بوعي أو بغير وعي خلال إبحارنا على الشبكة ومبادلاتنا التجارية أو علاقاتنا المتبادلة في المواقع المخصصة لذلك".. [47] ف"الانترناتيون" إذن يظهرون وجودهم (أي الوجود الافتراضي) من خلال علامات نصية، صوتية، وبصرية؛ فإذا كانت الهوية الواقعية تستمد معناها من الوعي بالذات والتميز الفردي عن الآخرين، فإن الهوية في الفضاء الافتراضي تحدد من خلال عنوان البريد الالكتروني أو الاسم المستعار أو الصورة الرمزية التي يقدمها "الانترناتي" وغيرها من الأشياء التي قد لا تعكس هويته الحقيقية أو لا تقدم القدر الكافي من المعلومات لمعرفة حقيقته، وهو نفس ما ذهب إليه علي محمد رحومة حين عرف الهوية الافتراضية بأنها: "السمات والمواصفات التي يقدمها الفرد الطبيعي للآخرين عبر الانترنت، فتكون عملية الاتصال تتم بين ثلاثة أطراف وليس طرفين وهي: الشخص العادي والهوية الافتراضية والأشخاص الآخرين."[48] وهكذا يظهر ان الفرد يتمتع بقدر من الحرية في عرض هويته الافتراضية فـ "يمكنه ان يقدم نفسه كما يشاء وعلى النحو الذي يريده وهو السلوك الذي قد يتعذر عليه في المجتمع الواقعي، حتى ان بعض العلماء اطلقوا على العوالم الافتراضية اسم "ورشات الهوية"[49]، وهذا كناية عن مرونة الهوية الافتراضية وعن حرية التلاعب بالهوية في الفضاء الافتراضي.

.5مؤشرات زيف التواجد الافتراضي:

إذن وكما وسبق ان أشرنا في تعريف الهوية الافتراضية فإن شبكات التواصل الاجتماعي يمكن اعتبارها كورشات للهوية، وكفضاء مستحدث لتشكل الذات، بإتاحتها حرية خلقت "نوعا جديدا من الممارسات متمثلة تحديدا في تمكين الأفراد من اصطناع هويات افتراضية وإدارتها بما يتناسب ورغباتهم في التعدد الهوياتي." [50] أي اتاحتها إمكانية استعارة وتقمص وتجريب أشكال مختلفة للهويات، وقد تناول الباحث الصادق رابح هذه الفكرة في كتابه "فضاءات رقمية" حين اكد الامكانية التي يحظى بها "الانترناتي" والتي توفر له فرص استعارة وتجريب ما شاء من ذوات دون ان يتعرض للعقاب بل ان الامر يذهب أبعد من ذلك؛ "فالذوات التي يتقمصها في الفضاء "الانترناتي" هي في اغلب الاحيان وخلافا لتلك التي تتشكل منه ذاته (أناه) (حسب رؤية ميد) متناقضة مع الأدوار الفيزيائية والاجتماعية التي يمكن أن تقوم بها في الحياة الفعلية...، وعليه يجب قراءة استعارة الذوات وبالتوازي كإعادة تخليق" [51]أي كخلق لذات زائفة، تحل محل الذات الأصيلة،

ومن اجل الوقوف على زيف هذا التواجد الافتراضي سنحاول التطرق للطبع المجتمعي للمجتمعات الافتراضية.

1.5 الطبع الاجتماعي للمجتمعات الافتراضية:

سنتناول من خلال هذا العنصر بعض من جوانب الطبع الاجتماعي للمجتمعات الافتراضية، مستدلين في ذلك بما حدده فروم من جوانب الطبع الاجتماعي للمجتمع الرأسمالي والتي تؤكد في جلها الاغتراب الذاتي للفرد داخل هذا المجتمع؛ وهناك نقطة مركزية في هذا الجانب لابد ان نشير لها وهي ان فروم في سياق دراسته للطبع الاجتماعي للمجتمع الرأسمالي أكد انه مجتمع استهلاكي بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى؛ حيث يتم فيه استلاب الفرد ذاتيا من خلال الزج به في عوالم استهلاكية لا يكون مطالبا فيها بالتفكير أو الابداع ولا حتى بالإحساس وبالحب أي يتمثل كذات زائفة مرغمة على الاستهلاك ومن آليات تحقيق ذلك الخضوع للسلطة المجهولة أي للتماثل الآلي، والسرور الاستهلاكي، والشخصية التسويقية، والصداقة الاغترابية...وغيرها من الجوانب التي تحيل إلى الطبع المجتمعي غير المنتج.

1.1.5 السلطة المجهولة والتماثل الآلي:

أكد فروم ان ابرز ما يميز الطبع المجتمعي للمجتمع الرأسمالي هو خضوع الأفراد لسلطة مجهولة هي التماثل الآلي، أو اتخاذهم صفة الانسان ذو البعد الواحد على حد تعبير هربرت ماركيوز، وهذا ما يجعله فرد مغترب بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فقد اصبحت ذاته مستلبة ومستغرقة في وجودها المستلب، ولم يعد هناك سوى بعد واحد، إنه موجود في كل مكان وفي كل الأشكال.[52] والذوات الافتراضية في المجتمعات الافتراضية لا تخرج عن هذا المعنى؛ فالفرد وبخلقه لهوية افتراضي يتوهم أنه يتحرر من الأشكال الصريحة للسلطة أي سلطة الروابط التقليدية، ليسقط في فخ نوع جديد من السلطة هي التي سميناها التماثل الآلي، فمن أهم الميكانيزمات والحيل الدفاعية التي تتيحها الانترنت في سعيها للتحرر من السلطة التقليدية، هو الاستعانة بالهوية المستعارة التي تسمح للفرد بأن يتصرف بنوع من الحرية إلا أن ما يمكن ملاحظته على هذه الحرية انها حرية سلبية بمفهوم فروم، فالذات أحيانا تسلك أشبه بالشيء بل في الحقيقة تصبح شيئا ممثل في ذات افتراضية يتنازل من خلالها الفرد عن نفسه الفردية

ليصبح آلة متطابقة مع الملايين الآخرين من الآلات المحيطة به، وهذا ما يمكن ان نتلمسه من خلال تصفح عينة من الصفحات العشوائية على الفيسبوك.

2.1.5 الشخصية التسويقية:

كنا قد تحدثنا عن الشخصية التسويقية سابقا وحددنا معناها عند فروم والذي تناولها في محاولة لدراسة علاقة الانسان بذاته في الحالة الاغترابية، وإذا حاولنا معرفة علاقة الانسان بتواجده الافتراضي أي بهويته الافتراضية فسيتجلى بكل وضوح مفهوم الشخصية التسويقية كيف لا وكل هدف الهوية الافتراضية هو التمظهر بهوية تلقى إقرار واستحسان القطيع (الحشد)، أي تبني صورة مثالية في عين الآخر من خلال التطابق معه، وتكون هذه الهوية بذرة لذات مغتربة فقد اشارت كارين هورني إلى أن:"الاغتراب ينشأ عندما يطور الفرد صورة مثالية عن ذاته بلغ من اختلافها عما هو عليه حد انه توجد هوة عميقة بين صورته المثالية وذاته الحقيقية وحينما يتشبث المرء بالاعتقاد بأنه هو ذاته المثالية، فإنه لا يعود قادرا على ادراك ذاته الحقيقية."[53] فغالبا ما يتمثل الأشخاص الرقميون بما يرغبون ان يتمثلوا به، أي يتظاهرون بالأشياء التي يحبونها في الحديث وفي التعريف بأنفسهم وبآرائهم وأفكارهم وغير ذلك. وليس شرطا أن يكونوا كما هم في واقع الأمر. وهذا لا ينفي أن كثيرا منهم يحاولون أن يكون صادقا في كل ذلك،ولكن الأمر المشترك في معظم المتمثلين افتراضيا هو تمثلهم بما يريدون من الآخرين أن يروهم به[54]، ولعل أبرز ما يرغب الآخرون في رؤيته هو التطابق معهم لأجل كل هذا اصطبغت ممارسات الفرد على الويب بنهج لإدارة الأعمال، فقد قام ببناء صورة وشرع في إدارة السمعة e-réputation، فأصبحنا الآن نتحدث عن الشخصية كعلامة تجارية[55]؛ وهنا لا يسعنا إلا تبني مفهوم "الشخصية التسويقة" لمفروم لوصف الهوية الافتراضية.

3.1.5 تشيؤ العلاقات الانسانية:

من ابرز جوانب الطبع المجتمعي الذي ساد المجتمع الرأسمالي وأيضا يسود المجتمع الافتراضي**"تشيؤ" العلاقات الإنسانية** والذي يقصد به تحول الانسان إلى مجرد سلعة قابلة للبيع أو الشراء مما يفقده سمته المتعالية كإنسان ومن ثم تغدو ايضا علاقاته بالعالم علاقة تملك وحيازة، **وزيف هذه العلاقات** يكمن في كون ان الفرد إنما يسعى لحيازة علاقات ضمن آلية هروبية تضمن له البقاء

قرب الآخرين هروبا من الوحدة، وهنا ينتقل الانسان من حالة اغتراب الانفصال إلى اغتراب الخضوع[56] أي من التحرر من سلطة العلاقات التقليدية إلى اغتراب الخضوع للقطيع، والوجود الافتراضي يكرس الهروب من العلاقات الشخصية نحو علاقات سطحية في بيئة افتراضية في موقف شبيه لما حدثنا عنه فروم.

الحديث عن تشيؤ العلاقات يجرنا أيضا للحديث عن **الصداقة الاغترابية**[57] التي هي بالأساس جانب من جوانب اغتراب العلاقة الشخصية، التي أضحت حسبها الصداقات لا تتشكل على أساس الرغبة الفردية والتجاذب بل يحددها عدد الصداقات المشتركة، والانتماءات المتماثلة كما هو الحال مع العلاقات المشكلة عبر شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك.

4.1.5 محبة المبادلة:

لقد تحدثنا في العنصر السابق عن تشيؤ العلاقات الاجتماعية وفي واقع الأمر فإنه حتى المحبة تم تشيؤها فأصبحنا نتحدث عن محبة المبادلة التي حلت محل محبة الامتلاك، ولكن الأهم هو ان الدافع إلى المبادلة قد مس أيضا مجال العلاقات الشخصية المتبادلة فـ"في كثير من الاحيان لا يكون الحب إلا مبادلة مستحبة بين شخصين يحصلا على معظم ما يمكن ان يتوقعاه وهما يأخذان في الاعتبار قيمتهما في سوق الشخصية"[58] وهذا ما نلاحظه من خلال الهوية الافتراضية وما تشكله من علاقات ففي الفضاء الافتراضي ليس المهم طبيعة العلاقة التي تربطك مع الآخرين ولا مقدار المحبة التي تجمعكم بقدر ما يهم كم تملك من علاقات أي كثافة شبكة علاقاتك.

وإذا ما بحثنا في ممارسات الهوية الافتراضية على الفيسبوك فيما يتعلق بمحبة المبادلة لوجدنا سوق للمشاعر واقصد هنا تلك الملصقات التي خصص لها الفيسبوك متجر أوجد فيه أيقونات للتعبير عن المشاعر وعن التعابير فأصبحت البهجة أيقونة ضاحكة، وأصبح الحب يعبر عنه من خلال كبس زر الإعجاب، وحلت الابتسامة المصنعة (ملصقات الأقونات الضاحكة) محل الضحك الحقيقي، وحلت الثرثرة الجوفاء محل الكلام التواصلي.

5.1.5 الاغتراب السروري:

من أشكال الاغتراب عن المسرات نذكر السرور الاستهلاكي الذي نقصد من ورائه أن السرور أضحى محض استهلاك، ونستعين هنا بالمثال الذي اورده فروم في حديثه عن هذا الامر في كتابه "المجتمع السوي" حين اعتبر التقاط الصورة الفوتوغرافية تعبيرا عن الادراك البصري الاغترابي وبالتالي محض استهلاك، فالسائح لا يحمل عن رحلته سوى سلسلة اللقطات الخاطفة التي اقتنصتها الكاميرا والتي أضحت بديلا عن التجربة السياحية التي كان من المفترض أن يعيشها لكن السرور الاستهلاكي منعه من ذلك، أيضا من أشكال السرور الاستهلاكي هو قتل الوقت الذي وفرناه ونحن مسرورين عندما انقضائه، وقد أكدت العديد من البحوث اننا نحيا تجاربنا الحياتية من خلال صور التقطناها بغية إلحاقها بصفحاتنا الافتراضية على شبكات التواصل الاجتماعي، وأيضا أن الابحار في الفضاءات الافتراضية ليس سوى نوع من قتل الوقت.

خاتمة:

لقد حاولنا من خلال هذه الورقة الوقوف على ما سمي بأزمة الانسان المعاصر أي الاغتراب من خلال الحديث عن الهوية الافتراضية وما تخلقه من وجود زائف يحيل إلى الاغتراب الذاتي في شكله الحديث الذي يتوافق ومتطلبات المجتمع الافتراضي، فالانسان ومن خلال تبنيها لهوية افتراضية خلق "غولم" جديد وجعله امتداد لذاته فأسقط كل ما يملك من مثل عليه، ليصير خلقه هذا هو الوثن الذي يعبده ويقدم نفسه له قربانا في حالة قريبة لما وصفه فروم بدين التقنية المفضي للاغتراب الذاتي، ففي الوقت الذي يبني في الفرد هويته الافتراضية يكون ينفصل عن الحياة الجوهرية ويتخلى عن انسانيته متجها صوب الوجود الزائف الذي يفرض عليه التماثل الآلي مع الحشد، الذي يسعى من خلاله إلى التمظهر حسب ما يريده الآخرون فتصبح هويته هذه شخصية تسويقية كل ما يهمها هو ان تكون شخصية ذات صفقة رابحة في سوق الشخصيات، وكل هذا يوصلنا نتيجة مفادها أن الهوية الافتراضية ليست سوى ذات زائفة، والفرد وفي محاولة منه لأن يكون أمينا لهذه الهوية يتجه نحو الاغتراب الذاتي.

الهوامش:

1. -محمد سليمان حسن، **"الاغتراب في الفكر الفلسفي"**، المعرفة، العدد 343، 01 أفريل 1992، ص 24.
2. -عبد اللطيف محمد خليفة، **مقياس الاغتراب**، القاهرة: دار غريب، 2005، ص 13.
3. -عبد اللطيف محمد خليفة، **مقياس الاغتراب**، المرجع نفسه، ص ص 8-9.
4. -ميخائيل أنوود، **معجم مصطلحات هيغل**، تر: إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص 79.
5. -جيل فيريول، **معجم مصطلحات علم الاجتماع**، تر: أنسام محمد الأسعد، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، 2011.
6. -عبد الحميد محمد الشاذلي، **الاغتراب النفسي لدى الشباب الجامعي**، القاهرة: مجموعة اجيال لخدمات التسويق والنشر، ط1، 2008، ص16
7. -عبد اللطيف محمد خليفة، **مقياس الاغتراب، مرجع سابق**، ص 12
8. -عبد اللطيف محمد خليفة فضالي، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب**، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، 2003، ص ص30-31.
9. -انشراح محمد الشال، **مدخل إلى علم الاجتماع الاعلامي**، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 1985، ص 172
10. -عبد اللطيف محمد خليفة فضالي، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب**، مرجع سابق، ص 20.
11. -*استعمل هيغل التعبير الألماني((entfremdungللإشارة لمفهوم الاغتراب.
12. -إريك فروم، **مفهوم الانسان عند ماركس**، تر: محمد سيد رصاص، دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص 65.
13. -أنظر: إريك فروم، **مساهمة في علوم الانسان (الصحة النفسية للمجتمع المعاصر.)**، تر: محمد حبيب، اللاذقية: دار الحوار، ط1، 2013، ص 124.
14. - محمد سليمان حسن، مرجع سابق، ص. ص.: 44 - 45.
15. - حليم بركات، **الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الإنسان بين الحلم والواقع)**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006، ص37.
16. - جون سكوت، **علم الاجتماع (المفاهيم الأساسية)**، تر: محمد عثمان، ط1، بيروت: الشبكة العربية للابحاث والنشر، 2009، ص 48.
- إريك فروم، **مفهوم الانسان عند ماركس**، مرجع سابق، ص 66.
17. -إريك فروم، **مفهوم الانسان عند ماركس**، مرجع نفسه، ص 70
18. - أرثر أيزابرجر، **النقد الثقافي (تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية)**، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويس، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003، ص92.
19. -حسن حماد، **الانسان المغترب عند إريك فروم**، القاهرة: دار الكلمة، 2005، ص 101.
20. -مارتن هيدجر، **الكينونة والرمان**، تر: فتحي المسكيني، بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2012، ص 255.
21. -ابراهيم عيد، **الاغتراب النفسي**، القاهرة، د.د.ن، 1990،، ص 11.
22. -حليم بركات، **الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الإنسان بين الحلم والواقع)**، مرجع سابق، ط1، ص ص 45-46.
23. -إريك فروم، **المجتمع السوي**، تر: محمود منقذ الهاشمي، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ط 1، 2009،ص 187.

24. -إريك فروم، **المجتمع السوي**، المرجع نفسه، ص 232

25. -عبد اللطيف محمد خليفة فضالي، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب**، مرجع سابق، ص 42

26. -أنظر:إريك فروم، **الخوف من الحرية**، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1972، ص ص 211-213.

27. -حسن حماد، **مرجع سابق**، ص ص 121-122.

28. -عبد اللطيف محمد خليفة فضالي، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب**، مرجع سابق، ص ص 41-42.

29. -محمود حسن اسماعيل، العلاقة بين استخدام طلاب الجامعة للانترنت والاغتراب الاجتماعي لديهم، قسم الإعلام وثقافة الطفل، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.: http://www.askzad.com يوم: 01/15/ 2016، ص 13.

30. -حليم بركات، **مرجع سابق**، ص 38.

31. -إريك فروم، **مفهوم الانسان عند ماركس**، مرجع سابق، ص ص 53-45.

32. -إريك فروم، **الخوف من الحرية**، مرجع سابق، ص 214

33. -أحمد حسن، **"الاغتراب والحداثة"**، مجلة العصور الجديدة، القاهرة:سينا للنشر، العدد 01،03 نوفمبر 1999، ص 60.

34. -حسن حماد، **مرجع سابق**، ص 136

35. -حسن حماد، **مرجع سابق**، ص ص 149-154.

36. -إريك فروم، **المجتمع السوي**، مرجع سابق، ص 254.

37. -إريك فروم، **الإنسان بين الجوهر والمظهر**، تر: سعد زهران، عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1989، ص ص 139-140

38. -جمال محمد احمد سليمان؛ **مارتن هايدجر(الوجود والموجود)**، دار التنوير، 2009، ص 259

39. -محمد ابراهيم عيد ابراهيم، **الهوية والقلق والابداع**، القاهرة: دار القاهرة للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص17

40. -جمال محمد احمد سليمان؛ **مرجع سابق**، ص 275.

41. - إريك فروم، **المجتمع السوي**، مرجع سابق، ص 168

42. -إريك فروم، **المجتمع السوي**، المرجع نفسه، ص 169.

43. -حسن حنفي، **الهوية**، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ط1 2012، ص 11.

44. -إريك فروم، **المجتمع السوي**، مرجع سابق، ص 170.

45. -إيريك فروم، **الانسان المستلب وآفاق تحرره**، تر: حميد لشهب، فيديرانت، الرباط، 2003، ص 93.

46. -إريك فروم، **المجتمع السوي**، مرجع سابق، ص 236.

47.Fanny Georges, « L'identité numérique sous emprise culturelle. De l'expression de soi à sa standardisation », Les Cahiers du numérique 2011/1 (Vol. 7), p 32.

48. -علي محمد رحومة، **علم الاجتماع الآلي (مقاربة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب)**، عالم المعرفة، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008، ص 470.

49. -علي محمد رحومة، نفس المرجع، ص 467

50. -الصادق رابح، **فضاءات رقمية قراءات في المفاهيم والمقاربات والرهانات**، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003، ص124.

51. -الصادق رابح، **المرجع نفسه**، ص 129.

52. -عزيز الزرق ومحمد الهلالي، **دفاتر فلسفية (نصوص مختارة)، الشخص**، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط 1، 2010، ص 85

53. -نصر الدين جابر ومسعودة بن علية، **"الاغتراب النفسي وتدني قيمة الذات"**، مجلة علوم الانسان والمجتمع، العدد 14، مارس،2015، ص 143.

54. -علي محمد رحومة، **مرجع سابق**، ص 145.

55. - Samy Ben Amor, Lucia Granget, « L'identité numérique. De la construction au suicide en 52 minutes », *Les Cahiers du numérique* 2011/1 (Vol. 7), p103.

56. -لمعلومات أكثر انظر: ناجح محمد محمود شاهين، **مرجع سابق**، ص 68.

57. -لمعلومات أكثر حول هذا المفهوم أنظر: إريك فروم، **المجتمع السوي**، مرجع سابق، ص 275.

58. -إريك فروم، **المجتمع السوي**، مرجع سابق، ص 261.

الصحافة المكتوبة في الجزائر بين الحرية وأخلاقيات المهنة: مقاربة نقدية لفترة ما بعد التعددية

نجاة لحضيري
جامعة وهران1أحمد بن بلة
د. محمد برقان
جامعة وهران1أحمد بن بلة

مقدمة

خضعت الصحافة المكتوبة في الجزائر بعد الاستقلال إلى القانون الفرنسي للإعلام وبقي الأمر على هذه الحال إلى لغاية صدور قانون الصحفي سنة 1968، الذي كان بمثابة أول محاولة لتنظيم المهنة من حيث: دور، طبيعة ووضعية الصحفي الجزائري بعيدا عن القانون الفرنسي.

ونظرا لتغير البيئة السياسية، الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، ظهر قانون إعلام سنة 1982 الذي ساير سياسة النظام الجزائري، وجعل من الصحفي مناضلا يخدم مبادئ حزب جبهة التحرير الوطني؛ حيث عرفت الساحة الإعلامية المكتوبة في الجزائر ظهور عناوين وطنية صادرة باللغتين العربية والفرنسية. ولم يكن لحرية الصحافة ممارسة فعلية أو أي اعتراف قانوني خلال هذه المرحلة، حيث انشغل النظام في بناء دولة وتأسيس مجتمع جزائري كمشروع بتداعياته المختلفة وبخصوصياته. إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور جملة من المطالب بصفة محتشمة، تدعو إلى إقرار حرية التعبير والصحافة عبر صفحات الجرائد العمومية في ركن رسائل القراء، إذ تعمد مدراء المؤسسات الصحفية نشرها لتمرير رسائل مشفرة إلى السلطة تدعوها الى التفكير في تقنين حرية الصحافة، مسايرة لمطالب الأسرة الصحفية التي سئمت الدور المناط إليها والمتمثل في التعبئة والتجنيد الجماهيري وراء مشاريع الدولة وبرامجها، وكذا الرقابة الممارسة خلال الفترة نفسها مع الوضع الدولي المتمتع بالديمقراطية وحرية الصحافة.

وبعد النضال الطويل للإعلاميين إلى جانب مختلف الاضطرابات التي عرفتها الجزائر، ظهر دستور 1989 الذي أقر حرية التعبير والصحافة. هذا الأخير مهد لظهور قانون 1990 للإعلام الذي اعترف بحرية التعبير والصحافة مع حرية إصدار العناوين الصحفية.

عرفت فترة التسعينيات كثرة العناوين الصحفية ذات الملكية الخاصة التي تمتعت بحرية المعالجة والنشر لمختلف المواضيع، إلا أن هذا الحال لم يدم طويلا، حيث عرفت الصحافة المكتوبة انحرافا إعلاميا أوقعها في المتابعات القضائية.

بناء عليه سنحاول في هذه المقال طرح الإشكالية الآتية: ما هي حدود الحرية الصحفية للصحافة المكتوبة في الجزائر وما مدى تمثلها للأخلاقيات المهنية بعد فترة التعددية؟

في مفهوم التعددية الإعلامية:

يشير مفهوم التعددية الإعلامية إلى "وجود خصائص متميزة للصحف، إذ تختلف عن بعضها البعض في المضمون والنمط والاتجاه السياسي وتسودها الملكية الشخصية، وأن قراء هذه الصحف سيتعرضون لمعلومات متنوعة أكثر من قراء صحف التعبئة والولاء، لأن عالم اليوم هو عالم الاتصال المفتوح والمعلومات المتدفقة وعالم المخترعات الحديثة التي تسمح لكل فرد بالتقاط ما يريد وسماع وقراءة حتى ما لا يحب."[1]

عرفت الجزائر تعددية إعلامية بعد صدور أول قانون إعلام أبريل 1990 والذي أقر بحرية إنشاء نشريات ذات طابع خاص، حيث عرفت فترة التسعينات ميلاد عدة عناوين صحفية في مجال الصحافة المكتوبة من حيث اللغة: (العربية والفرنسية)، الملكية (شركات ذات اسهم، تابعة لأحزاب) وفي سياسات التحرير التي تباينت من زاوية معالجة الأحداث أو تسليط الضوء عليها دون أخرى وفقخطها التحريري.

نظرة عامة عن الصحافة المكتوبة في الجزائر بعد التعددية:

شهدت الجزائر بعد التعددية بروز"عدة عناوين للصحافة المكتوبة بعد أن كانت الساحة الإعلامية تعد 49 عنوانا تابعا للقطاع العام منها 06 يوميات وستة أسبوعيات إضافة إلى عدد من الدوريات فقفز العدد إلى.. . 35 يومية و100

أسبوعية و86 دورية أي بمجموع 221 عنوان. وهو رقم قياسي في تاريخ الصحافة الجزائرية آنذاك ساهمت السلطة - كما يقول المحامي مقران آيت العربي-".. . بدلا من تشجيع الصحفيين المحترفين لتأسيس يوميات ودوريات بالعدد المعقول في إطار التعددية الإعلامية سمحت بظهور عشرات العناوين بدون مبرر، كما سلمت لأشخاص لا علاقة لهم بمهنة الصحافة البطاقة المهنية، لأن هذا الرقم سرعان ما تراجع بعد سنة فقط إلى 119 عنوان ثم إلى 94 عنوان سنة 1995، و85 عنوان سنة 1996 ثم 75 عنوان سنة 1997، قبل أن يرتفع العدد مرة أخرى سنة 1999 الى 250 نشرية كانت نتيجة إنشاء مؤسسات خاصة تنشط خصوصا في مجال الصحافة المكتوبة ويستقر في سنوات 2003 إلى 2006 في حدود 132 عنوان."[2] وصلت مع نهاية 1999 إلى 250 نشرية بالعربية والفرنسية".[3] من بين 823 عنوان أنشأ خلال الفترة 1989- 1999، لم يبق منها سوى 129 عنوانا خلال العام 2001.[4]

يلاحظ بناء على عدد العناوين الصحفية التي ترتفع تارة وتنخفض تارة أخرى، أنها تخضع إلى الظروف المالية للجريدة وللوضع السياسي والأمني غير مستقر خلال التسعينيات. إلا أن ذلك لم يمنع هذه الصحافة من تمتعها بحرية كبيرة لفترة وجيزة (1990 -1992)، التي تجرأت خلالها بعض العناوين في الخوض في مواضيع كانت ممنوعة من النشر سابقا.*

هذا الكم الهائل من العناوين الصحفية أتى نتيجة "التسرع والارتجال، فما حدث على مستوى الأحزاب السياسية تأسيس أكثر من 60 حزبا في فترة وجيزة، تكرر في الميدان الإعلامي وهذا ما أدى إلى صحافة ضعيفة، صحافة متعددة لكن ذات خطاب واحد ينعدم فيها الاستقصاء، الدراسات والتحاليل، صحافة تتشابه."[5] جاء نتيجة لقلة التجربة والتكوين الصحفي المؤهل للعمل المحترف بالإضافة إلى تركيز معظم العناوين الصحفية التي أنشئت خلال هذه المرحلة، على الربح التجاري وبالتالي لم تكن تبحث عن متطلبات القراء في نوع المعلومة والسهر على نقلها بموضوعية بقدر ما كان بعضا منها منبرا لترويج الأفكار السياسية والدعائية.إذ لو نتمعن في فترة التسعينيات نجد أنها شهدت صراع سياسي كبير حول السلطة كون التعددية لم تكن إعلامية فحسب، بل سياسية بالدرجة الأولى

ولما استبقت الأحزاب العناوين الصحفية الخاصة في النشأة، جعلتها في خدمة مصالحها وغاياتها وكوسيلة فعالة لتحقيق طموحها السياسي وليس من أجل التنويع الإعلامي وتحقيق مبدأ احترام الرأي والرأي الآخر وذلك ما جرها إلى الوقوع في خلاف كبير مع السلطة، التي من خلال تطبيق القانون لم تعلق بعض العناوين فحسب، بل هناك أخرى توقفت نهائيا عن الصدور نتيجة للمضايقات المالية واعتبارات أخرى.

حرية الصحافة في الجزائر بعد التعددية: تطور في المفهوم والممارسة

قيل أنه:"إذا أردت أن تعرف ما إذا كان النظام السياسي في دولة ما ديمقراطيا أم لا، فاسأل عن حال حرية الصحافة بها."[6]

تعني حرية الصحافة: "عدم وجود إشراف حكومي أو رقابة من أي نوع، كما تعني حق الناس في إصدار الصحف دون قيد أو شرط."[7] وفي نفس السياق يقال أن: "صحيفة حرة يمكن أن تكون أقوى من حزب سياسي"، فإذا ما تحقق تطبيق التعامل بمبدأ الحرية في مجال الإعلام يمكن أن يتجسد تحقيق العبارة التي تشير إلى أن " الرأي العام هو السلطة وهو الذي يحكم".[8]إلا أن ذلك لن يتحقق إلا بالسعي نحو "التكفل التام والحقيقي من طرف رجال الإعلام وتقديم تعريف لها أو بمشاركتهم، تحديد دورهم، أهدافهم، مهنتهم ومهمتهم الاجتماعية مع التزاماتهم، واجباتهم ومسؤولياتهم."[9]

عرفت الصحافة المكتوبة في الجزائر عصرا ذهبيا في فترة التعددية السياسية لكنه كان قصيرا، حيث صحبت معها ظهور عناوين مستقلة وخاصة. فمنذ سن قانون أبريل 1990، حدث تغيرا في توجهات الطبقة السياسية وطموحات المجتمع، ليعكس تيارات فكرية مختلفة، بعضها موالية للسلطة وأخرى متمردة عليها، لتظهر عناوين خاصة تعالج مواضيع بعضها كانت جد ناقدة، (مما أدى بها إلى التعرض إلى) سلسلة من المحاكمات، التعليقات وحتى التوقيف النهائي عن الصدور، بغض النظر عن الضغوط الأخرى التي اتخذت طابع التمويل واحتكار الإشهار، فأضحت الصحافة محاصرة بين مطرقة السلطة وسندان الظروف العصيبة التي مرت بها الجزائر، لتتقلص إثرها حدود حرية التعبير.[10]

يمثل ترتيب الجزائر في التصنيف العربي والعالمي وضع حرية الصحافة فيها إذ سبقت بعض الدول وبخاصة العربية منها إلى فتح مجال حرية التعبير والصحافة مع إقرار التعددية الإعلامية. إلا أن مسألة توفر حرية الصحافة في أي بلد كان يمثل قضية نسبية، فبقدر ما يتطلع الصحفيين بحرية أكبر بقدر ما يستوجب عليهم الاحتكام إلى أخلاقيات المهنة وتحمل المسؤولية أمام الفرد والمجتمع، باعتبار الصحافة لا تكون الرأي العام فحسب، بل يمكنها أيضا أن تضلله أو تدفعه إلى قلب الموازين سلبا في كل المجالات.

نظرا لخوض الصحافة المكتوبة في الجزائر تجربة طويلة في مجال التعددية والحرية النسبية وذلك وفق تعاقب الأحداث السياسية، الأمنية مع التحول الاجتماعي والاقتصادي الذي عرفه المجتمع الجزائري، ترى الأسرة الإعلامية أنها لم تصل بعد إلى مستوى طموحاتهم المحلية والدولية. وفي هذا الصدد، علق الإعلامي جنبلاط حول تجربة حرية الصحافة في الجزائر قائلا: "في بلادي كثير من الديمقراطية وقليل من الحرية."[11]

انطلاقا من مسح عام لمختلف المواثيق، المراسيم وقوانين الإعلام العضوية التي عرفها قطاع الإعلام في الجزائر بعد التعددية، فإن مبدأ حرية الإعلام والصحافة قد ذكر تقريبا في كل هذه النصوص التشريعية، التي عرفت صدورا عبر الجريدة الرسمية وأيضا تلك التي جمدت ولم ترى النور. إذ عرفت صدور أول قانون متعلق بالصحفي سنة 1968، ليليه أول قانون عضوي للإعلام سنة 1982، اللذان اعتبرا الصحفي موظفا مجندا لخدمة البرامج والسياسات الحكومية. ثم عرفت فترة التعددية سلسلة أخرى من النصوص التشريعية التي تقر بمبدأ حرية التعبير والصحافة التالية: قانون 1990 وقانون 2012 للإعلام كقانونين صدرا في الجريدة الرسمية، إضافة إلى سلسلة من مشاريع قوانين هي: المرسوم التشريعي لسنة 1993، ومرسوم 1994 اللذان عرفا تطبقا فعليا حيث صدر الأول في إطار إلغاء المجلس الأعلى للإعلام، فيما قام الثاني بإلحاق المؤسسات الإعلامية الوطنية بوزارة الاتصال في السنة التي صدر فيها. كما صدرت أيضا تعليمة رئاسية لليامين زروال سنة 1994 التي تضمنت الحق في التعبير والإعلام مع تطبيق مبدأ الخدمة العمومية، تلتها الجلسات الوطنية للاتصال في نهاية شهر ديسمبر 1997. عرفت أيضا الساحة الإعلامية بعد هذه الفترة مشاريع قوانين إعلامية لم ترى النور

تمثلت في: مشروع قانون الإعلام 1998، مشروع قانون الإعلام لسنة 2000، مشروع قانون إعلام 2001، مشروع قانون الإعلام 2002، مشروع قانون إعلام 2003، ومشروع 2007 والذي صدر سنة 2008 في الجريدة الرسمية ينظم علاقة الصحفي بمؤسسته المهنية (علاقات العمل).[12]

يشار إلى أن آخر قانون إعلام صدر في جانفي سنة 2012، الذي فتح المجال بشكل أوسع لحرية التعبير والصحافة، التي دعمها الدستور الجزائري الجديد الصادر يوم 6 مارس 2016 [13]الذي ألغى عقوبة سجن الصحفي إضافة إلى إقراره لحرية الصحافة في المادة 50 من الفصل الرابع.

الأخلاقيات المهنية والصحافة المكتوبة في الجزائر بعد فترة التعددية:

أعطت اليونان القديمة اللغة الإنجليزية كلمة "أخلاقيات" ((Ethic وهي مشقة من اليونانية (" (Ethoالروح".[14]هناك حافزان قويان للسلوك الأخلاقي: الحافز الأخلاقي (في ممارسة مهنة الصحافة) التي تستوجب على الصحفي التحلي بالأخلاق والحافز العملي، حيث تعزز الصحافة الأخلاقية مصداقية المؤسسة الصحفية.[15]

إن العلماء يطلقون على أخلاقيات الصحافة كلمة الموضعية، فكل ظرف يختلف عن الآخر وكل قرار يجب أن يتماشى مع هذا الظرف.[16] ويقول محامي وسائل الإعلام جوزيف تي فرانك :(Josef Tee FRANKإن قواعد أخلاقيات الصحافة مازالت حتى الآن مجرد "نظام لسياسات تبحث عن أخلاقيات."[17]

معظم الإعلاميين ينظرون إلى الأخلاقيات على أنها مجموعة من المبادئ والنظريات الفلسفية المعقدة والتي يصعب تطبيقها وأنها تتناقض مع ظروف العمل الإعلامي ومتطلباته وتحد من حريتهم في الحركة وقدرتهم على تغطية الأحداث، ولكنهم مضطرون إلى تبرير أعمالهم بشكل عام وتجنب النقد الموجه إلى وسائل الإعلام من الجمهور والمجتمع.[18]

يمكن أن تتضمن قوانين الإعلام مجموعة من المبادئ الأخلاقية لممارسة الصحافة كما يمكنها أن تصدر في مواثيق خاصة تدعى مواثيق الشرف. تتفرع إلى مواثيق شاملة لكل الوسائل الاعلامية ومواثيق خاصة بكل وسيلة إعلامية على حدى. أما من ناحية التطبيق فإنها أما مواثيق الزامية بمعنى تخضع الصحفي إلى

الالتزام وجوبا بالتحلي بأخلاق معينة وإن استهان بها فإنه يتعرض إلى عقوبات وإما مواثيق اختيارية. وفي هذه الحالة يتوقف الأمر على الصحفي من حيث اتسامه بالنزاهة والمهنية وتمتعه بالضمير الأخلاقي أمام المجتمع ومؤسسته الإعلامية خلال ممارسته مهنته وعدم التعسف فيها.

تعد مواثيق الشرف أو مواثيق الأخلاق المهنية "مكملة للحقوق والضمانات المكفولة للقائمين بالاتصال، إذ تعكس وتحدد الحقوق والضمانات التي يتعين توفيرها للمجتمع أو للبيئة التي تمارس فيه العملية الاتصالية ذاتها، في مواجهة القائمين بالاتصال. ومن ثم، تبلور هذه المواثيق المسؤوليات الاجتماعية والأخلاقية لرجال الإعلام حيال المجتمع الذي يعملون فيه وتبنى على أساس أن الإعلام وإن كان حقا للفرد، فهو أيضا حق للمجتمع، وينبغي حماية حق المجتمع في الوقت الذي تحمى فيه حقوق الأفراد. وعلى ذلك فكلما نضج النظام الاتصالي والإعلامي، ارتفع المستوى المهني للعاملين فيه، وتزايدت الحاجة إلى تحديد هذه القواعد والالتزامات الاجتماعية لرجال الإعلام[19]".

والالتزام وجوبا بالأخلاقيات المهنية يتعلق مبدئيا في كيفية معالجة المواضيع ونقلها إلى العامة، وطرق الحصول على المعلومات كما يشمل بالأخص النقد الصحفي. فحرية النقد التي يطمح إليها الصحفي تسعى إلى فضح السياسات وكشف التجاوزات، التي لا يجب أن تتعدى إلى ارتكاب التجاوزات من قبل الصحفي. وإذا تمعنا في حال الصحافة المكتوبة في الجزائر بعد التعددية، فإن الصحف أضحت بإمكانها معالجة مواضيع كانت سابقا ممنوعة. لكن بدرجات متفاوتة تناسبا مع تعاقب الفترات والأحداث.

ورغم ما يقال عن مدى تقدم وتطور برامج النقد الصحفي الداخلي والخارجي حفاضا على أخلاقيات العمل الصحفي، فلا يزال الانحراف الإعلامي يلعب دورا بالغ الخطورة في خداع الرأي العام والعبث بدفة السياسة العالمية.[20] وهذا ما يكشف الفرق بين النقد الموضوعي والمؤسس على الأحداث والوقائع والنقد السلبي الذي يكتسي طابع تصفية حسابات أو التركيز على القناعات السياسية أو التوجهات الأيديولوجية، التي لن تخدم كثير الصالح العام بقدر ما تهدمه. تفاديا لذلك تعد مواثيق الشرف الصحفية الحل الأنسب لردع التجاوزات ولو نسبيا.

ينبغي وضع ميثاق وطني لأخلاقيات المهنة (في الجزائر) "للحد من أخطاء الصحفيين"، وإلا أصبحت الأخطاء تجاوزات قانونية وقاعدة للممارسة الإعلامية. وقد وضعت النقابة الوطنية المستقلة للصحفيين الأرضية لميثاق أخلاقي وطني للصحافة من خلال يوم دراسي نظم في قصر الثقافة (مفدي زكريا) في العاصمة يوم 22 فبراير 1999، حيث خلص المشاركون إلى ضرورة الاعتماد على التجربة الأوروبية في هذا المجال، وتكييفها مع المعطيات الاجتماعية السياسية والثقافية الجزائرية مع ضرورة إنشاء هيئة مراقبة تتمثل في مجلس لأخلاقيات المهنة يعمل على إلزام الصحفيين بالامتثال للميثاق الذي تمت المصادقة عليه في 13 إبريل 2000 [21] نص على مجموعة من المبادئ، الذي شاركت في صياغته الصحافة المكتوبة والسمعية- البصرية. فإلى جانب إقراره للحقوق والواجبات فإنه في ذات الوقت أخضع الصحفي إلى تحمله للمسؤوليات أمام القانون.

تتحدد هذه المسؤوليات من خلال قيام صحفي في إساءة استخدام الوسائل المتاحة له ضمن عمله الصحفي، أو عند أداء واجبه وإخلاله بأصول المهنة وقواعدها، أن يستوجب كل ذلك وضع العقوبات اللازمة في الحالات التي يشكل فيها الفعل خطرا على النظام أو السلامة العامة أو على حريات الأفراد والمجتمع وكرامة الانسان.[22] تتفرع المسؤوليات إلى:

مسؤوليات جنائية وهي المسؤولية الناجمة عن مخالفة الصحفي لأحكام قانون المطبوعات وكذلك لقوانين المؤسسات الصحفية الرسمية الأخرى عند العمل فيها فضلا عما ورد بهذا الخصوص من أحكام خاصة في قانون العقوبات، الذي نظمت أحكامه تلك المؤسسة وكيفية توجيه الاتهامات والجرائم المتعلقة بالنشر وتحديد المسؤولية عنها والمحاكم الخاصة بها. مسؤولية مدنية: تختلف هذه المسؤولية عن المسؤولية الجنائية في كونها تلاحق الصحفي المخالف لأحكام القوانين النافذة أو تجبره على دفع التعويضات المالية للمتضرر مقابل الضرر الذي أصابه نتيجة الخطأ أو فعل جرمي. مسؤولية مهنية: وهي المسؤولية الناجمة عن مخالفة الصحفي للقواعد المنظمة لأصول المهنة الصحفية كذلك لأحكام نقابة الصحفيين والتي تشكل قواعد أخلاقيات المهنة الصحفية المنصوص عليها في القانون المذكور وأبرز تلك الاحكام في نطاق هذه المسؤولية فالالتزام الأخلاقي هنا مسألة مركزية مباشرة في ميدان المهنة وخدمتها.[23] "بعض الانتهاكات

للمسؤولية في الصحافة تتحقق عن طريق الحذف أكثر مما تتحقق عن طريق الإضافة أو التكليف."[24] مما يستدعي فتح منابر الصحف أمام الرأي والرأي المخالف لتجنب التحيز الفاضح الذي يحرفها من المهنية.

حرية الصحافة المكتوبة في الجزائر بعد فترة التعددية: واقع حال

عرفت فترة التعددية في الجزائر عدة أحداث على كل المستويات، أثرت سلبا وإيجابا على قطاع الصحافة المكتوبة. كأول قطاع خاض تجربة الحرية المقننة، ولو أنها لاقت انتقادا واسعا من قبل الصحفيين وحتى الأكاديميين، لكون إقرار حرية التعبير والصحافة عكس رغبة السلطة في فتح منابر الرأي المتعدد من جهة كما شجع الخواص في إنشاء عناوين متباينة. مما يستوجب علينا إظهار مدى امتثال الصحافة المكتوبة لأخلاقيات المهنة والمسؤولية خلال عملهم.

انطلاقا من النتائج الأولية لأطروحة الدكتوراه في طور الإنجاز[25] التي استهدفت بالدرجة الأولى كشف واقع حرية الصحافة في الجزائر في عهد التعددية من خلال ثلاثة صحف وهي الخبر، الوطن و((Quotidien d'Oran، عبر استمارة الاستبيان والمقابلة للصحف الثلاثة،[26] اتفق الصحفيين في مجملهم على وجود حرية الصحافة في الجزائر نسبيا وحكموا عليها كذلك انطلاقا من تجربتهم في المهنة أما في مجال احتكامهم لأخلاقيات المهنة، فإنهم يؤكدون على ارتكازهم على سياسة تحرير الجريدة مع محاولتهم احترام ذهنية وقيم المجتمع خلال المعالجة الإعلامية لمختلف الأحداث التي يتطرقون إليها. هذا الاتفاق اجتمع عليه الصحفيين الدائمين، المراسلين وكذلك المتعاونين وتتوقف مسألة حرية الصحافة المرتبطة بالأخلاقيات مع المسؤولية بالنسبة لهؤلاء الصحفيين على شخصية الصحفي وطبيعة المؤسسة الإعلامية.[27]

خاتمة

"اذا كان صحيحا أن الصحافة الحرة لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة للجمهور... فإنه صحيح أيضا وبقدر متساو أن احترام الجمهور وثقته بصحافته أمران ضروريان وأساسيان لاستمرار بقاء الصحافة الحرة."[28]

يتضح لنا أن حرية الصحافة المكتوبة في الجزائر مرت بفترات عصيبة وأخرى منتعشة وفقا للظروف والأحداث السياسية، الاقتصادية والاجتماعية التي

تعاقبت على الجزائر كما أن خضوعها إلى الأخلاقيات، يتوقف على نوع المواثيق الأخلاقية المقرة، بالإضافة إلى مدى توافر القائم بالإعلام في الصحافة المكتوبة على الضمير المهني الأخلاقي في إطار امتثاله للقوانين. إذ شهدت الجزائر محاولات لوضع مواثيق أخلاقية كما أدرجت أيضا بعض من المبادئ الأخلاقية ضمن قانون 2012 للإعلام لإكسابها طابع الإلزامية مع إقراره خلق مجلس أعلى لأخلاقيات الصحافة المكتوبة إلا أن هذا الأخير لم يرى بعد النور.

نخلص في الأخير إلى أن الصحافة المكتوبة في الجزائر عايشت الحريات الصحفية في غياب مواثيق أخلاقية متينة تنصف الصحفي والمجتمع أمام التجاوزات المرتكبة كما أن التماطل في خلق مجلس أخلاقيات الصحافة قد يصعب مهمة الامتثال بالأخلاقيات والتحلي بالمسؤولية.

الهوامش

1. -طاهر بن خرف الله، **من التعددية السياسية إلى حرية الصحافة وتعددها**،المجلة الجزائرية للاتصال،عدد 5، 1991،ديوان المطبوعات الجامعية، ص 61.

2. -حميد بوشوشة، **حدود حرية الصحافة في التشريعات والقوانين الجزائرية**، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية،العدد 17، 2014،ص 228.

3. -يوسف تمار، **نظرية Agenda Setting: دراسة نقدية على ضوء الحقائق الاجتماعية والثقافية والاعلامية في المجتمع الجزائري**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2004_2005، ص 143.

4. -Achour CHEURFI ,**la presse écrite algérienne: (genèse, conflits et défis)**, Casbah éditions, Alger, 2010, p 231.

-*سمي بالعصر الذهبي للصحافة.

5 -نجاة لحضيري، **تأثير المسار الديمقراطي على السلطة والصحافة في الجزائر**، مجلة عصور،عدد 22-23، مخبر التاريخ، جامعة وهران1، جويلية – ديسمبر 2014،الجزائر، نقلا عن محمد قيراط: **حرية الصحافة في عهد التعددية السياسية في الجزائر**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 19، العدد 3 - 4، 2003، ص 136.

6 -فتحي حسين عامر، **حرية الإعلام والقانون**، العربي للنشر والتوزيع، ط 1، 2012، ص12.

7 -محمد سعد إبراهيم، **حرية الصحافة: دراسة في السياسة التشريعية وعلاقتها بالتطور الديمقراطي**، ط 3، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص 26.

8 -عبد المالك الدناني، **حرية التعبير عن الرأي في الصحافة اليمنية**، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 35، صيف 2012، ص 155.

9 - E DERIEU , **déontologie et organisation des professionnels: l'information en France**, Paris, 1980, p.12.

10 -نجاة لحضيري، **تأثير المسار الديمقراطي على السلطة والصحافة في الجزائر**، مرجع سابق، ص ص 279-280.

11 -المرجع نفسه، ص 279.

12 -نشير إلى أن الطالبة تطرقت إلى مختلف التشريعات الإعلامية التي صدرت رسميا والتي لم تصدر منذ استقلال الجزائر والتي ارتكزت كثيرا على الصحافة المكتوبة بالتفصيل في أطروحة الدكتوراه في طور الإنجاز الموسومة ب: **الإعلام والسلطة في الجزائر: واقع حرية الصحافة في عهد التعددية: من أكتوبر 1988 إلى جانفي 2012**، من إعداد نجاة لحضيري تحت اشراف الدكتور محمد برقان، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة، منذ السنة الجامعية 2012- 2013.

13 -قانون رقم 01 - 16 مؤرخ في 26 جمادى الأول عام 1437 الموافق 6 مارس سنة 2016، يتضمن التعديل الدستوري الصادر في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 14، يوم 27 جمادي الأول 1437 الموافق ل7 مارس 2016.

14 -جين فورمان، **أخلاقيات الصحافة**، ترجمة محمد صفوت حسن، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، الدار الجزائرية للنشر والطبع والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 47.

15 -المرجع نفسه، ص. ص: 31- 32 بالتصرف.

16 - -شيرلي بياجي، **المقابلة الصحفية فن: دليل عملي للصحفي**، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، 1991، ص 262.

17 -المرجع نفسه، ص 259.

18 - -محمد صرفي، **الإعلام**، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، مصر، 2009، ص 207.

19 -راسم محمد جمال،**الاتصال والإعلام في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص ص 65_ 66.

20 -ماجد راغب الحلو، **حرية الإعلام والقانون**، مرجع سابق، ص 131.

21 -نور الدين تواتي، **الصحافة المكتوبة والسمعية البصرية في الجزائر**،**ط 1**،**الجزائر**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، 2008،ص44.

22 -محمد جمال الفار، **المعجم الإعلامي**، دار أسامة المشرق الثقافي، عمان، الأردن، 2006، ص 303.

23 -المرجع نفسه،ص 304.

24 -جون ل هالتنج، **أخلاقيات الصحافة: مناقشة علمية للقواعد الأخلاقية للصحافة كما حددتها جمعية رؤساء تحرير الصحف الأمريكية**، ترجمة كمال عبد الرؤوف، الدار العربية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، ص 22.

25 -من إعداد الطالبة نجاة لحضيري، تحت إشراف الدكتور محمد برقان، سبق ذكرها.

26 -وزعت على صحفي اليوميات المدروسة على مستوى ولايتي وهران والجزائر.

27 -ننوه إلى أننا قدمنا فقط القراءات الأولية الناجمة عن أولى الاستمارات المسترجعة مع الأخذ بعين الاعتبار آراء مدراء الصحف الثلاث الذين عقدنا معهم مقابلات ميدانية.

28 -جون هالتنج، **أخلاقيات الصحافة: مناقشة علمية للقواعد الأخلاقية للصحافة كما حددتها جمعية رؤساء تحرير الصحف الأمريكية**، مرجع سابق، ص 105.

الوعي السياسي والإعلام الرقمي
قراءة في المفاهيم والأدوار

أة /قدوري ريم فتيحة
المركز الجامعي /غليزان

مقدمة:

برزت أهمية الإنترنت في المجال السياسي كمجال عام إفتراضي مكن الأشخاص من إبداء آرائهم وأفكارهم مباشرة إلى جمهور عالمي بسهولة ويسر، حيث تتوافر بالنسبة لهم الحماية من القوانين الصعبة التي تواجهها وسائل الإتصال التقليدية، ويتميز الاعلام الرقمي الجديد بالسرية والمشاركة الديمقراطية والحرية الدينية والسياسية والوصول العالمي وحرية التعبير[1]. كماء يعد الإعلام الرقمي مظهرا جديدا من مظاهر التطور التكنولوجي، وقد لعبت وسائل الإعلام الرقمي دورا كبيرا وهلما في نقل وبث المعلومات والأخبار حول الأحداث وتحليلها والتعليق عليها، الى جانب إشراك الجمهور المتلقي في ذلك كناقل للحدث وإبراز وجهات النظر المختلفة للأفراد.

ولوسائل الإعلام دور فاعل في تشكيل سياق الإصلاح السياسي في المجتمعات المختلفة؛ حيث تعكس طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع، وبين النخبة والجماهير ويتوقف إسهام ودور وسائل الإعلام في عملية الإصلاح السياسي والديمقراطي على شكل ووظيفة تلك الوسائل في المجتمع وحجم الحريات، وتعدد الآراء والاتجاهات داخل هذه لمؤسسات، بجانب طبيعة العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية المتأصلة في المجتمع، فطبيعة ودور وسائل الإعلام في تدعيم الديمقراطية، وتعزيز قيم المشاركة السياسية وصنع القرار السياسي، يرتبط بفلسفة النظام السياسي الذ ي تعمل في ظله، ودرجة الحرية التي تتمتع بها داخل البناء الاجتماعي[2].

إن التطور الهائل في وسائل الإعلام ساهم بشكل أو بأخر في تحديد اتجاهات الجمهور وفاعليتهم تجاه القضايا السياسية في بلدانهم، حيث يفترض يورغان

هامبرماس" "**Jurgen Habermas**أن من شروط قيام الإعلام بوظيفة الديمقراطية هو الاسهام في تحقيق المشاركة السياسية: من خلال إتاحة المعلومات الكافية التي تؤهل المواطنين للمشاركة واتخاذ قراراتها بالانتماء للأحزاب السياسية، أو التوجهات الفكرية، أو التصويت بما يدعم النشاط السياسي العام[3]. وبالتالي صنع او المشاركة في صنع وتشكيل وعي سياسي للأفراد والجماعات.

أولا: عن الوعي السياسي:

تعتبر مسألة الوعي السياسي على درجة كبيرة من الأهمية، خاصة في تلك المجتمعات التي تبغي ترسيخ قيم الديمقراطية، ومشاركة مواطنيها في الأمور السياسية لمجتمعهم، حيث انه لن تكون هناك مشاركة فعالة بدون أن يعى أفراد المجتمع قيمة هذه العملية بالنسبة لهم، وبالنسبة لوضعهم في البناء الاجتماعي والسياسي، فغالبا ما تقاس درجة المشاركة السياسية، بمدى نضج الوعي السياسي لدى الأفراد[4].

لقد أبدى "ماركس" إهتمامه بمسألة الوعي، وأكد أن **الوعي: هو مجموعة الآراء والتصورات التي تتشكل لدى أفراد المجتمع عن وضعهم الاجتماعي، وأن الصراع بين الجماعات من أجل المصالح يساعد على تكوين ذلك الوعي**، كذلك فقد أكد أن حرص الطبقة المسيطرة على إستمرار الوضع القائم، يدفعها إلى بلورة أفكار وتصورات ومعتقدات تزكى مصالحها الطبقية والأيديولوجية المسيطرة[5].

ويتضح لنا تأكيد "ماركس" على أن الوعي الاجتماعي يتكون من خلال وضع الأفراد في المجتمع، وأنه يتشكل من خلال سياق اجتماعي تاريخي، وأنه عبارة عن مجموعة من الآراء والأفكار والمعتقدات التي تتشكل لدى أفراد المجتمع، وأشار الى ان الطبقة الحاكمة تلجأ الى تزييف ذلك الوعي حفاظا على مصالحها، وهذا بالفعل ما تمارسه السلطة في المجتمع الحديث من خلال الوسائل المختلفة كوسائل الإعلام والتعليم وغيرها من أجل إستمرارها في وضعها.

الوعي إذا هو حالة من اليقظة يدرك فيها الإنسان نفسه وعلاقاته وما حوله من زمان ومكان وأشخاص وأفكار، كما يستجيب للمؤثرات البيئية استجابة صحيحة،

وهو إدراك المرء لذاته ولما يحيط به إدراكا مباشرا، وهو أساس كل معرفة، ويمكن إرجاع **مظاهر الشعور أو الوعي إلى ثلاثة أقسام**[6]**:-**

-1الإدراك والمعرفة 2- الوجدان 3- النزوع والإرادة

هنا ووفقاً لمفهوم الوعي السياسي بشكل عام يشيرالوعي إلى العوامل المرتبطة بالبيئة الإنسانية ومعرفة الإنسان بتلك البيئة من جميع النواحي معرفة واعية بحيث يستطيع تحليلها ومعرفة نتائجها. **ويعرف علماء النفس الوعي بأنه**(شعور الكائن الحي بنفسه أو ما يحيط به)[7].

ومع تقدم العلم أخذ مدلول (الوعي) ينمو نحو العمق والتفرع والتوسع، ليدخل العديد من المجالات النفسية والإجتماعية والفكرية، فقد كثرت المجالات التي يضاف إليها الوعي، فهناك الوعي الاجتماعي والوعي الطبقي والوعي السياسي. وهو محور حديثنا هنا.

حيث يعد الوعي السياسي من أكثر أنواع الوعي الإجتماعي أهمية وتأثيرا في الفرد والجماعة؛ فالوعي السياسي هو خبرة يحتاجها الأفراد من أجل تنظيم شئون المجتمع المحلي المحيط بهم، ولكي يتم ذلك الوعي يجب أن تتوافر الدراية والعلم عن ذواتنا وذوات الآخرين، وقد تكونت جذور الوعي السياسي منذ أن وجدت الدراية بذات الفرد وذات الجماعية في القبيلة والمجتمع والدولة.[8]

اختلفت التعاريف التي تقدم مفهوم الوعي السياسي، وذلك للاختلاف الأيديولوجي والبيئي للمجتمعات البشرية، حيث يعطي كل مجتمع تعريفا خاصا للوعي السياسي حسب نوعية ذلك المجتمع.

هناك تباين في مفهوم الوعي السياسي من **النظام الاشتراكي** الذي يركز على العامل الاقتصادي ودور الطبقات[9] وهو على عكس ما يراه**الاتجاه الرأسمالي** فالدور الأكبر والأنشط للفرد في حياته وفهم المفاهيم والمصطلحات السياسية حيث ساعدكل من السوق الحر والصحافة الحرة وحرية الرأي والتعبير على خلق نوع من الوعي السياسي المنتج والمؤثر على كافة الأصعدة، اما **الفكرة الإسلامية** فقد أشارت إلى مسألة الوعي في إطار السياسة الشرعية وقد ارتبطت كلمة (الوعي) في الفكر الإسلامي بالجمع والحفظ على النحو الذي نجده في القرآن الكريم (وجمع

فأوعى)[10]، وقد كونت و عيا سياسيا لدى المسلمين منذ قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنوره وذلك لارتباط الجانب الديني والدنيوي ببعض، وبدأ العمل على نشر الدعوة الإسلامية ونشر المفاهيم السياسية التي جاءت بها الإسلام.

عرفت الموسوعة البريطانية الوعي السياسي بأنه " ما لدى الأفراد من معارف سياسية على المستوى المحلي أو العالمي نتيجة الثقافة السياسية التي حصل عليها الافراد داخل المجتمع، التي تعد مؤشرا جيدا على التقدم السياسي من حيث إدراك الأفراد لدورهم في صنع القرار ومدى ظهور فكرة المواطنة [11].

ويعرف الوعي السياسي بأنه: مجموعة من الاراء تجسد نظويا السياسة التي التي تنتهجها طبقة معينة، أو جماعة إجتماعية، والسياسة نمط خاص من العلاقات بين الطبقات والأمم والأحزاب، وهي تحدد أيضا مضمون شكل الحكومات، وتشابكها مع الطبقات والجماعات الاجتماعية [12].

والوعي السياسي معرض للتغيير والتبديل وفقا للواقع السياسي الديناميكي كونه يجري في حركة دائمة ومستديمة ففي كل فترة زمنية نجد أفكارا ومشاريع تطرح على شعوب العالم وتؤثر في وعيهم السياسي وهذا ما نجده في الفترة الراهنة حيث مفاهيم (الحرية الحقوق الإنسان الديمقراطية الإصلاح السياسي) التي تطرح في العديد من الدول العربية.

كما يعرف الوعي السياسي بأنه" الرؤية الشاملة بما تتضمنه من معارف سياسية وقيم واتجاهات سياسية تتيح للانسان أن يدرك أوضاع مجتمعه ومشكلاته ويحللها ويحكم عليها، ويحدد موقفه منها والتي تدفعه للتحرك من أجل تغييرها وتطويرها"[13].

في حين أن الوعي السياسي يتكون من القيم والإتجاهات والسلوكيات والمعارف السياسية للأفراد والمجتمع. بالتالي فوعي الفرد يتأثر بالثقافة العامة للمجتمع رغم انها قد تكون مستقلة. وللوعي السياسي أنواع ومستويات، وعند الحديث عن أنواع الوعي السياسي يكون الغرض منه عادة هو تحديد ما إذا كان هذا الوعي ايجابيا أو سلبيا أو محدودا. **ويقسم الوعي السياسي الى ثلاث مستويات، كالتالي:**[14]

1. وعي مشارك: وهو الذي يساعد في تشكيل الاتجاهات تجاه الموضوعات أو المسألة السياسية، وبالتالي فالوعي حين يكون مساهما ومشاركا يعتبر ايجابيا.

2. وعي تابع: وهو إما أن يكون تابع لرأي أو جماعة بشكل متعصب ومستسلم، دون الرجوع الى طرح تساؤل أو مساهمة. وهذا الوعي سلبي ويدفع الى إتجاهات سلبية.

3. وعي محدود: وهو الذي لا يشكل أي تغيير أو مشاركة وهو محدود بنطاق الفرد وشخصيته فقط.

يجب علينا الإشارة إلى دوائر الوعي السياسي: وهي عبارة عن دوائر من الوعي بأمور اخرى، تشكل الوعي السياسي وتدخل كعوامل مؤثرة فيه وهي[15]: -

1. الوعي بالمسألة السياسية: يمكننا أن نعرف المسألة السياسية على أنها الممارسة السياسية والعمل السياسي الذي يقوم به الاشخاص، وتتعلق المسألة السياسية (دول- منظماتأحداث السياسية من حيث بدايتها وكيف تسير، وتاثرها بالاحداث السياسية السابقة او ما يعرف بالتاريخ السياسي أو الدبلوماسي.

2. الوعي الإقتصادي: وهو معرفة حركة الاقتصاد والمال من حيث الطلب على السلع أو عرضها، وإدراك تأثير الاقتصاد على المسألة السياسية، إضافة إلى معرفة القروض الدولية والمؤسسات المالية الدولية وأثرها على أشخاص المسألة السياسية.

3. الوعي بالجماعات: ويقصد بها معرفة الأحزاب وجماعات المصالح والضغط أو النقابات. ويتطلب الوعي بها معرفة أهدافها وأساليب عملها ومعرفة الأشخاص الذين يعملون في هذه الجماعة من حيث أيدولوجياتهم وانتمائهم الفكري، لأنهم هم من يحرك الجماعة.

4. الوعي الإعلامي: وهذا يتطلب معرفة بالمراحل الثلاث للعملية الإعلامية وهي:

أولا: الجهة الإعلامية (المرسل) التي تقف خلف المضمون الاعلامي.

ثانيا: المضمون الإعلامي: (الرسالة) وهو يعتبر الشكل الخارجي لتلك الجهة بما يحمل من أفكار واهداف يراد ايصالها للمستقبل والتاثير عليه.

ثالثا: المستقبل للمضمون الإعلامي أو الشريحة المستهدفة من قبل الجهة الإعلامية.

ويوضح الشكل التالي الدوائر أو العوامل المؤثرة في تشكيل الوعي السياسي

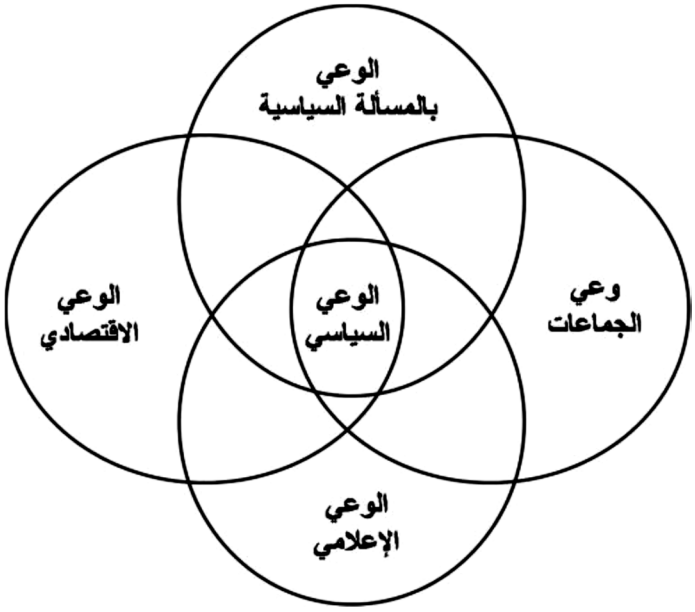

ثانيا في مفهوم الاعلام الرقمي/الجديد وخصائصه:

فرضت شبكة الإنترنت، وما توفره من خدمات ووسائل، نفسها على الإعلام وعملياته الإنتاجية من خلال طريقتين: **الأولى** تتجسد في استخدام غرف التحرير والأخبار للحاسوب والإنترنت وما توفره من مصادر ومعلومات وتتأكد من صحتها ودقتها وتوظيفها ثم تخزينها في الأرشيف.

أما الطريقة الثانية، فقد مكنت شبكة الإنترنت من ظهور صحافة إلكترونية وإعلام جديد استفاد من تقنيات الإنترنت في الإنتاج والتخزين وتوصيل خدماته إلى جمهور واسع ومتعدد، إضافة إلى خصائصه المتمثلة في التفاعلية والوسائط المتعددة والنص الفائق [16] و لا زالت المفاهيم والتعريفات التي قدم الاتصال الرقمي Digital Communication محددة بحدود ما قدمته إسهامات تكنولوجيا الاتصال الحديثة في التعريف بالوسائل القائمة على النظم الرقمية، مثل مواقع الويب Wibsit الفيديو، والصوت، والنص وباقي الوسائل المتعددة المتحركة والثابتة.

إن اشكاليات المصطلحات واختلاف تعريفاتها وتطور مفاهيمها لحين تستقر عند مجموعة مفاهيم متقاربة، هو امر يطال كثير من المصطلحات بما في المصطلحات

المرتبطة بالإعلام والمعلومات. ومن تلك المصطلحات مفهوم " الاعلام الرقمي أو الإعلام الجديد" وإن بدرجة غموض أقل من غيره من كثير من المصطلحات، فالإعلام الجديد تركز مفهومه في مرحلة من شيوعه على الأدوات ووسائل الاتصال الحديثة خصوصا المرتبطة بالأنترنت. [17]

أحدث الإعلام الجديد New Media نقلة نوعية بمفهوم الإعلام، تمثلت بالمواقع الالكترونية والبوابات ومواقع المحادثة أو الدردشة وغيرها على شبكة الانترنت، وكذلك أثر في تغيير مفهوم الإعلام القديم وتطور وسائله المعتادة كالصحافة والإذاعة والتلفزيون، فقد شهدت جميعها تحولات كبيرة في السنوات القليلة الماضية، ولكن لم يتم الإتفاق على تعريف موحد لهذا الإعلام الجديد.

تعدد تسميات الإعلام الرقمي/ الجديد: لنقر بداية على أن هناك اتفاقا عاما بأن الإعلام الجديد تولد من تزاوج بين تكنولوجيات الاتصال والبث الجديد والتقليدية مع الكمبيوتر وشبكاته، تنوعت وتعددت اسماؤه والى الأن لم تتبلور خصائصه النهائية.

فيعرف البعض الإعلام الرقمي بأنه " تلك الوسائل الحديثة للاتصال متمثلة بـ (الفيسبوك وتويتر ويوتيوب) يمكن ان تكون مكملة للإعلام التقليدي، لينتج إعلام يزاوج بين المهنية وصرام التقاليد التي نشأت عليها السلطة الرابعة، وبين التقنية الحديثة التي تتيح للإعلام التقليدي الفرصة ليكون أكثر قربا ليس من الحدث فحسب، وإنما من الناس أيضاوهكذا هو جوهر الموضوع[18].

ونعتقد أن هذا التعريف قاصر على مفهوم الشبكات الإجتماعية التى وفرتها شبكة الإنترنت، حيث تعرف الشبكات الإجتماعية بأنها صنف من المواقع يقدم خدمات تقوم على تكنولوجيا الوب وتتيح للأفراد بناء ملمح متاح للعموم (Public profile) أو شبه متاح للعموم في إطار نظام محدد. كما تتيح هذه المواقع بناء شبكة من العلاقات والإطلاع على شبكة علاقات الآخرين (قائمة الاصدقاء)، في حين ان مصطلح الإعلام الجديد قد يحمل معه هذه المواقع ولكن لا يقتصر عليها.

يقدم عباس صادق الإعلام الرقمي/ الجديد أو الإعلام البديل بأنه: "الإعلام الرقمي ((Media Digitalلوصف بعض تطبيقاته التي تقوم على التكنولوجيا الرقمية مثل: التلفزيون الرقمي والراديو الرقمي وغيرهما، أو للإشارة الى أي نظام أو

وسيلة إعلامية تندمج مع الكمبيوتر. ويطلق عليه**الإعلام التفاعلي Interactive Media** طالما توفرت حالت العطاء والاستجابة بين المستخدمين لشبكة الانترنت والتلفزيون والراديو التفاعليين وصحافة الانترنت وغيرها من النظم الاعلامية التفاعلية الجديدة"[19].

هو ايضا**الإعلام الشبكي الحي على خطوط الاتصال**Online Media بالتركيز على تطبيقاته في الانترنت وغيرها من الشبكات. كما يطلق عليه تعبير **الوسائط السيبرونية**Cyber Media من تعبير الفضاء السيبروني Cyber Space الذي اطلقه كاتب روايات الخيال العلمي **ويليام غبسون William Gibson** في روايته التي اصدرها عام 1984م باسم**Neuromancer** والتعبير مأخوذ من علم السيبرنطيقا Cybernetics المعروف عربيا بعلم التحكم الآلي، ويعني تعبير السايبرميديا العالم المصنوع من المعلومات الصرفة التي تأخذ- ليس فيزيائيا- شكل المادة، ويصف التعبير وسائل التحكم الالكتروني التي حلت محل الاداء البشري، ولكنه يستخدم هنا لوصف فضاء المعلومات في شبكة الانترنت.

ويطلق على الإعلام الجديد أيضا صفة إعلام المعلومات Info Media للدلالة على التزاوج داخله بين الكمبيوتر والاتصال، وعلى ظهور **نظام اعلامي جديد**سيتفيد من تطور تكنولوجيا المعلوماتية ويندمج فيها. كما يطلق عليه إعلام الوسائط التشعبية Hypermedia لطبيعته المتشابكة وإمكانية خلقه لشبكة من المعلومات المتصلة مع بعضها بوصلات تشعبية. كما يطلق على بعض تطبيقات هذا الاعلام المستحدث، اعلام الوسائط المتعددة Multimedie لحالة الاندماج التي تحدث داخله بين النص والصورة والفيديو[20].

الملاحظ هنا ارتباط بعض هذه الأسماء بتطبيقات الكمبيوتر، فبعضها خرج من طبيعة الوسيط الاتصالي وأخرى من خبرات ثقافية يصعب إيجاد تعبير مقابل لها خارج البيئة التي ولدت فيها، كما ان بعض الأسماء يشير إلى تطبيق جزئي من تطبيقات الإعلام الجديد أو احدى ميزاته، كما هو الحال بالنسبة للتسميات التي تنطلق من شبكة الإنترنت، وبعضها يلم بأطراف اخرى من الوسائل، مما يوسع من قاعدة التعريف ومن قاعدة الوسائل والتطبيقات والخصائص والتأثير للإعلام بشكل عام.

عن ماهية الإعلام الجديد وابعاده واتجاهات الباحثين: فقد وردت العديد من التعريفات للإعلام الجديد في العديد من القواميس وكذلك لبعض الباحثين منها: -

تعريف قاموس التكنولوجيا الرفيعة :High-Tech Dictionaryالذي قدم الإعلام الجديد بشكل مختصر ويصفه بأنه "إندماج الكمبيوتر وشبكات الكمبيوتر والوسائط المتعددة"[21]. في حين **يعرفه ليستر Leste**بالقول: "الإعلام الجديد باختصار "هو مجموعة تكنولوجيات الاتصال التي تولدت من التزاوج بين الكومبيوتر والوسائل التقليدية للإعلام، الطباعة والتصوير الفوتوغرافي والصوت والفيديو". [22]

موسوعة الويب ويبوبيديا Webopedia تقدم الإعلام الجديد بأنه " مصطلح عام للعديد من الأشكال المختلفة للاتصالات الالكترونية التي اصبحت ممكنة من خلال استخدام تكنولوجيا الكمبيوتر". وتضيف الموسوعة في تعريفها للإعلام الجديد " أنه بينما يقوم مبدا وسائل الإعلام التقليدية على نظام ثابث ومعروف، إما بطريقة الاتصال من واحد الى واحد ((Point-To-Point، ومثال على ذلك الاتصال بالهاتف، أو من واحد الى الكثيرين ((Point-To-Man، ومثال على ذلك التلفزيون والراديو. أما في حالة الاعلام الجديد، وفي تطبيقاته المختلفة، خاصة المرتبطة بالانترنت، فإن هذا النمط تغير بشكل جذري. فقد مكنت الانترنت من الوصول الى كل الأشكال المحتملة من نقاط الاتصال"[23].

وبحسب **الموسوعة الحرة ويكيبيديا :Wikipedia**الإعلام الجديد" هو مصطلح حديث يتضاد مع الإعلام التقليدي، كونا لإعلام الجديد لم يعد فيه نخبة متحكمة أوقادة إعلاميين، بل أصبح متاحا لجميع شرائح المجتمع وأفراده الدخول فيه واستخدامه والاستفادة منه طالما تمكنوا وأجادوا أدواته، وللإعلام الجديد العديد من المرادفات منها: الاعلام البديل، الاعلام الاجتماعي، صحافة المواطن، مواقع التواصل الاجتماعي او ما يعرف بالشبكات الاجتماعية"[24].

قاموس الكمبيوتر Dictionary: Computing، يعرف الإعلام الجديد عبر شقين: **الشق الأول**: "أن الاعلام الجديد يشير إلى جملة من تطبيقات الاتصال الرقمي وتطبيقات النشر الإلكتروني على الأقراص بأنواعها المختلفة والتلفزيون الرقمي والانترنت. وهو يدل كذلك على إستخدام الكمبيوترات الشخصية والنقالة فضلا

عن التطبيقات اللاسلكية للاتصالات والأجهزة المحمولة في هذا السياق. ويخدم أي نوع من أنواع الكمبيوتر على نحو ما تطبيقات الإعلام الجديد في سياق التزاوج الرقمي Digital Convergence إذ يمكن تشغيل الصوت والفيديو بالتزامن مع معالجة النصوص وإجراء عمليات الاتصال الهاتفي وغيرها مباشرة من أي كمبيوتر. **أما الشق الثاني**: " يشير المفهوم ايضا الى الطرق الجديدة في الاتصال في البيئة الرقمية بما يسمح للمجموعتا الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الانترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للافراد والمجموعات باسماع صوتهم وصوت مجتمعاتهم الى العالم اجمع "[25].

لكن **قاموس الإنترنت الموجز Condensed Net Glossary**، يشير في تعريفه إلى أن: "أجهزة الإعلام الرقمية عمومما أو صناعة الصحافة على الإنترنت. وفي أحيان يتضمن التعريف إشارة لأجهزة الإعلام القديمة، وهو هنا تعبير غير انتقاصي يستخدم أيضا لوصف نظم إعلام تقليدية جديدة: الطباعة، التلفزيون، الراديو والسينما"[26].

يقر جونز Jonesفي تعريفه بعدم وجود إجابة وافية وقاطعة عن السؤال: ما هو الإعلام الجديد؟ ويبني إجابته على أن هذا الإعلام هو في مرحلة نشوء. " الإعلام الجديد هو مصطلح يستخدم لوصف أشكال من أنواع الاتصال الإلكتروني أصبحت ممكنة باستخدام الكمبيوتر كمقابل للإعلام القديم التي تشمل الصحافة المكتوبة من جرائد ومجلات والتلفزيون والراديو- الى حد ما- وغيرها من الوسائل الساكنة .[27]" Static

ويتميز الإعلام الجديد عن القديم بخاصية الحوار بين الطرفين، صاحب الرسالة ومستقبلها، ومع ذلك فإن الفواصل بين الإعلام الجديد والقديم ذابت، لأن القديم نفسه أعيد تكوينه وتحسينه ومراجعته ليلتقي مع الجديد في بعض جوانبه[28].

وتضيف **كلية شريدان التكنولوجية Sheridan2** تعريفا عمليا للإعلام الجديد بأنه: " كل أنواعا لإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي. فهو يعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت، فضلا عن استخدام الكومبيوتر كآلية

رئيسة له في عملية الإنتاج والعرض، اما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس الذي يميزه.

على ذلك، يمكن تقسيم الإعلام الجديد الى الأقسام الأربعة الآتية:

✓ الإعلام الجديد **القائم على شبكة الانترنت Online**وتطبيقاتها، وهو جديد كليا بصفات، وميزات غير مسبوقة، وهو ينمو بسرعة وتتوالد عنه مجوعة من تطبيقات لا حصر لها.

✓ الإعلام الجديد **القائم على الأجهزة المحمولة**، بما في ذلك أجهزة قراءة الكتب والصحف. وهو ايضا ينمو بسرعة وتنشأ منه انوع جديدة من التطبيقات على الأدوات المحمولة المختلفة ومنها أجهزة الهاتف والمساعدات الرقمية الشخصية وغيرها.

✓ نوع **قائم على منصة الوسائل التقليدية** مثل الراديو والتلفزيون التي أضيفت اليها ميزات جديدة مثل التفاعلية والرقمية والاستجابة للطلب.

✓ الاعلام الجديد **القائم على منصة الكومبيوترOff line**، ويتم تداو لهذا النوع، اما شبكيا او بوسائل الحفظ المختلفة مثلا الأسطوانات الضوئية، وما اليها ويشمل العروض البصرية والعابا لفيديو والكتب الالكترونية وغيرها ".

من خلال قراءاتنا حول الإعلام الجديد ومحاولة البحث عن مفهوم محدد نجد انه لم يتفق الباحثين على وضع تعريفا محدد وواضح لمفهوم الإعلام الجديد. ولعل ذلك راجع الى عدة اسباب منها: إن صورة الاعلام الجديد لم تتبلور بعد بشكل واضح ومحدد، كما أنه لا يمكن الجزم على بقاء الإعلام الجديد على صوره الحالية، ذلك أن التكنولوجيا الحديثة وثورة المعلومات وما توصل إليه الإعلام والاتصال من تطور وتقدم، قد تأتي بما هو أكثر جدة وحداثة عما هو عليه الإعلام الان. لذلك تمحورت جميع أو جل التعريفات للإعلام الجديد حول الآليات المتبعة والمستخدمة في الإعلام عمومها فمنها من استند على الإعلام القديم المطور والجديد المحدث، وهنالك من زاوج ما بين هذين الشكلين.

في حين انه هناك شبه توافق لدى الكثير من الباحثين على أن الإعلام الجديد يحمل في طياته الكثير من التنوع والخصائص وأشكال التقنيات الجديد، التي لها ارتباط بالوسائل الاعلامية الحديثة، والتي لم توفرها تلك الوسائل القديمة مثل:

الجهد الفردي والتخصيص، الذي استهل به القرن الجديد هذا التطور الكبير في الإعلام، كما كان الإعلام القديم صفة القرن الماضي، وتأتي هاتين الخاصيتان نتيجة ميزة رئيسية هي التفاعلية.

وهو ما يؤكده عباس صادق بقوله " انه إذا ما كان الإعلام الجماهيري والإعلام واسع النطاق وهو بهذه الصفة وسم إعلام القرن العشرين، فإن الإعلام الشخصي والفردي هو إعلام القرن الجديد، فالإنترنت، وهي واحدة من أدواته، جعلت في مقدور أي إنسان البحث عن الأغنية والبرنامج التلفزيوني والفيلم السينمائي والمعلومات الصحفية والعلمية التي يريد في الوقت الذي يريد"[30].

لكن من المهم جدا أن نتفق بأن الإعلام الجديد ليس إنترنت فقط، فبعض تطبيقاته بعيدة كليا عن المبادئ التي تقوم عليه تكنولوجيا الإنترنت. فالإعلام الجديد يستبطن عددا من التكنولوجيات الإتصالية التي ظهرت بعد أول تطبيق للنشر الإلكتروني من نص وصور ساكنة في نظم الكمبيوتر والشبكات المبكرة، الى تطبيقات الاتصال غير المسبوقة على شبكة الانترنت.

ومن المهم بمكان تسليط الضوء على أهمية فهم وسائل الإعلام الجديد، ذلك أن مميزات الإعلام الجديد تختلف عن الإعلام القديم وذلك في استبداله الوحدات المادية بالرقمية، أو البتات بدل الذرات ((Bits Not Atomsكأدوات رئيسية في حمل المعلومات يتم توصيلها في شكل إلكتروني وليس في شكل فيزيائي، والكلمات والصور والأصوات والبرامج والعديد من الخدمات يتم توزيعها بناء على الطريقة الجديدة، بدلا عن توزيعها عبر الورق أو داخل صناديق مغلفة.

ويضيف حسنين شفيق على أن ميزة الإعلام الجديد على المخاطبة الرقمية المزدوجة ((Addressabillity Digital، بأنها عبارة عن نموذج تطور من عملية نقل المعلومات رقميا من كمبيوتر إلى اخر منذ بداية رقمنة الكمبيوتر نفسه بعد الحرب العالمية الثانية، إلى تطور تشبيك عدد غير محدود من الأجهزة بعضها البعض، وهذا من ناحية، يلبي الاهتمامات الفردية ومن ناحية اخرى يلبي الاهتمامات العامة، أي أن الرقمية تحمل قدرة المخاطبة المزدوجة للاهتمامات والرغبات وهي حالة لا يمكن تلبيتها بالإعلام القديم. والميزة الأكثر أهمية هي أن هذا الإعلام خرج من أسر السلطة التي كانت تمثل في قادة المجتمع والقبيلة، الكنيسة والدولة الى

أيدي الناس جميعا وقد تحقق هذا جزئيا عند ظهور مطبعة (غوتنبرغ) وتحقق ايضا عند ظهور التلغراف واخد سمته الكاملة بظهور الانترنت التي جاءت بتطبيق غير مسبوق وحققت نموذج الاتصال الجمعي بين كل الناس. [31]

يقول **ليف مانوفيتش** " "Lyfmanwfitshأنه لكي نفهم طبيعة الإعلام الجديد: أننا نحتاج إلى تجاوز الفهم السائد الذي يحدده بشكل عام في استخدام الكمبيوتر لتوزيع وعرض المعلومات. وضرورة النظر الى الدور التكاملي للكمبيوتر في عمليات الإنتاج كلها وفي وسائل الإعلام كلها الذي احدث تغييرات هائلة في طبيعة الاتصال، والنظر في طبيعة الرسائل الجديدة الناتجة عن العملية الاتصالية الجديدة ايضا، فكل الأشكال الجرافيكية وأنواع الرسم، والصور والمؤثرات، والأصوات، والنصوص اصبحت تتم بواسطة الكمبيوتر، وقد جاءت تكنولوجيا المعلومات بحالة التزاوج والاندماج بين صناعات كانت مختلفة جدا في السابق وهي استخدام الكمبيوتر ووسائل الإعلام، ونظم الاتصالات" [32].

وفي مقاربة عربية لفهم الإعلام الجديد: يبسط سعود الكاتب مداخلته عن الإعلام الجديد من عدة مداخل يرصدها في التغير في انماط السلوك وفي الاندماج بين وسائل الاتصال، ويبدأ أولا بمقارنة الإعلام القديم، ويجد في التفاعلية أول مظاهر التميز عند الإعلام الجديد على القديم، ويصل إلى أن تكنولوجيا الإعلام الجديد جعلت من حرية الإعلام حقيقة قائمة، وذلك من خلال [33]: -

- **التفاعلية أهم مظاهر التميز:** "فخاصية توفير مصادر المعلومات والتسلية لعموم الناس بشكل ميسر وبأسعار منخفضة هي خاصية مشتركة بين الاعلامين القديم والجديد. الفرق هو ان الاعلام الجديد قادر على اضافة خاصية جديدة لا يوفرها الاعلام القديم وهي التفاعل، أي قدرة وسيلة الاتصال الجديدة على الاستجابة لحديث المستخدم تماما كما يحدث في عملية المحادثة بين شخصين. هذه الخاصية أضافت بعدا جديدا مهما لأنماط وسائل الاعلام الجماهيري الحالية والتي تتكون في العادة من منتجات ذات اتجاه واحد، يتم ارسالها من مصدر مركزي، مثل الصحيفة أو قناة التلفزيون أو الراديو إلى المستهلك، مع امكانية اختيار مصادر المعلومات والتسلية التي يريدها متى ارادها وبالشكل الذي يريده،

ومثال ذلك التقليدي هو قنوات التسوق المنزلي Home shopping على أنظمة الكيبل وعلى الإنترنت".

- **التغير في أنماط السلوك** "لقد غيرت تكنولوجيا الإعلام الجديد ايضا بشكل أساسي من أنماط السلوك الخاصة بوسائل الاتصال من حيث تطلبها لدرجة عالية من الانتباه، فالمستخدم يجب أن يقوم بعمل فاعل » « activeيختار فيه المحتوى الذي يريد الحصول عليه. وكثير من الأبحاث التي تدرس أنماط سلوك مستخدمي وسائل الإعلام الجماهيري توضح أن معظم أولئك المستخدمين لا يلقون انتباها كبيرا لوسائل الاعلام التي يشاهدونها أو يسمعونها أو يقرؤونها، كما أنهم لا يتعلمون الكثير منها وفي واقع الامر، فإنهم يكتفون بجعل تلك الوسائل تمر مرورا سطحيا عليهم دون تركيز منهم لفحواها، فمشاهدو التلفزيون مثلا قد يقضون ساعات في متابعة برامج التلفزيون، ولكنها غالبا تكون متابعة سلبية Passive بحيث لو سألتهم بعد ساعات بسيطة عن فحوى ما شاهدوه فالقليل منهم سيتذكر ذلك. الاعلام الجديد من ناحية أخرى غير تلك العادات بتحقيقه لدرجة عالية من التفاعل بين المستخدم والوسيلة"[34].

- **اندماج الوسائل:** يشير كاتب الى حالة التماهي بين وسائل الاعلام الجديد كإحدى أهم الصفات التي تتصف بها: " فتكنولوجيا الإعلام الجديد أدت الى اندماج وسائل الاعلام المختلفة، والتي كانت في الماضي وسائل مستقلة لا علاقة لكل منها بالأخرى بشكل ألغيت معه تلك الحدود الفاصلة بين تلك الوسائل. فنجد ان جميع وسائل الاعلام الجماهيري الحالية اصبحت وسائل الكترونية بشكل أو بآخر "[35].

وحول حرية الإعلام الجديد: يرى كاتب نتيجة اخرى مهمة لتكنولوجيا الإعلام الجديد هي: " أنها جعلت حرية الإعلام حقيقة لا مفر منها. فشبكة الوب مثلا جعلت بإمكان أ ي شخص لديه اتصال بالانترنت أن يصبح ناشرا وأن يوصل رسالته إلى جميع أنحاء العالم بتكلفة لا تذكر، هناك ايضا على الانترنت عشرات الآلاف من مجموعات الأخبار، التي يمكن لمستخدميها مناقشة أي موضوع يخطر على بالهم مع عدد غير محدود من المستخدمين الآخرين في أنحاء متفرقة من العالم "[36].

أصبح الإعلام الجديد مؤسسة كبيرة وواسعة، يشارك فيها مجتمع متفاعل بأكمله غير مختصر على كتاب وقراء وصحفيين بعينهم، بل فتحت كل الأبواب والأفاق لكل من يريد أن يتبادل مع الآخرين همومهم وأفراحهم واحتياجاتهم ومشاكلهم وامورهم الحياتية الأخرى، عبر تواصل اجتماعي حي ومشوق. ومن المؤشرات الدالة لمستقبل الإعلام هو ما يطلق عليه (المستقبل التفاعلي الشبكي).

ويحصر البعض فهم الإعلام الجديد في أنه عملية اصلاحية للنظام التقليدي للإعلام، اي أنه تطور تاريخي- بالمعنى الإيجابي- للإعلام التقليدي، يتفاعل معه، فيصلح كل منهما الاخر.

بحسب عباس صادق فالإعلام الرقمي/ الجديد إذا هو: إعلام تعددي بلا حدود ومتعدد الوسائط ليؤدي أدوارا جديدة كليا لم يكن بوسع الاعلام التقليدي تأديتها، فهو على سبيل المثال لا الحصر وسيلة تعليم ومنافس تلقائي للمدارس. وهو يعمل في سياق مؤسسات جديدة تختلف عما عهدناه في وسائل الاعلام التقليدية، فهو ليس إعلام صحفيين وكتاب وقراء، ولكنه مجتمع متفاعل يتبادل فيه الاعضاء خدماتهم ويحصلون على احتياجاتهم الأساسية ويمارسون أعمالهم اليومية[37].

ثالثا: حول العلاقة بين الإعلام والسياسة:

هناك اعتقاد أن العلاقة بين الإعلام والسياسة علاقة واهنة، فالإعلام يعني الإخبار وتقديم المعلومات وترجمة عاداتنا في خطب تثير أكبر قدر من الضوضاء، وعملية تتصف بطابع التضخيم والعلانية دون حياء، يسيطر عليها الصوت المرتفع وتملق الجماهير. أما السياسة فتثير في الذهن التحركات السرية المعقدة التي تبدأ وتنتهي في الخفاء بين الكواليس بعيدا عن أعين الجماهير لا يدري بها أحد يغلفها التكتم ويحيط بها الصمت، هي قضية الطبقة الحاكمة وليست أمورا تعني الشعب[38]. ويعتبر الإعلام أحد اهم مؤسسات التنشئة السياسية الى جانب العائلة والمدرسة والأحزاب وجماعات الضغط.

فقد غيرت الإبتكارات في مجال تكنولوجيا الإتصالات بالإضافة إلى العولمة الزاحفة، طبيعة وسائل الإعلام العالمية وأدت الى انتشار المعلومات، وترتب على ذلك نتائج مهمة بالنسبة لكل من ادارة شؤون المجتمعات الوطنية والمجتمع

العالمي، وقد بدأ هذا مع البث الاذاعي في الأربعينات، ومنذ ذلك الحين من خلال التلفاز والبث بالاقمار الصناعية لإتاحة الفرصة حتى لمن يعيشون في مناطق نائية للوصول المباشر الى الصوت والصورة من العالم الأكثر اتساعاوفي بعض البلدان تأتي الاتصالات الجديدة الى السكان حتى بأنباء الأحداث الداخلية التي لا تتوفر لهم محليا كما أدت خدمات الاتصال الدولي الرقمي المباشر بالهاتف والفاكس الى حدوث زيادة هائلة في تدفق الأنباء وسائر الرسائل عبر الحدود، وثمة تطور آخر مهم هو التشارك في المعلومات من خلال الروابط بين الحواسيب (خدمة الانترنت والبريد الالكتروني) في كافة أرجاء العالم[39].

، يعتبر اتساع فرص الحصول على المعلومات أمرا صحيا بالنسبة للديمقراطية التي تفيد من وجود مواطنين أفضل اطلاعا كما أفاد هذا التنمية أيضا والتعاون العالمي والمهني والعديد من الانشطة الأخرى، ويمكن للروابط الواسعة التي أصبحت ميسرة الآن أن تساعد أيضا على التقرب من شعوب العالم، فقد حفزت صور وسائل الإعلام عن المعاناة الانسانية للشعوب من خلال الإسهام في جهود الاغاثة مثلا ومطالبة الرأي العام الحكومات على تقديم التفسيرات واتخاذ الإجراءات اللازمة، والواقع أن للإعلام ووسائله تأثيرا كبيرا في تشكيل السياسة الخارجية في عدد من البلدان[40].

تمكن ستيفن ومجوعة باحثين من تحديد الطرق المختلفة التي تترك وسائل الاعلام آثارها على الرأي العام وهذه الطرق هي: تمكين الناس من الاحاطة بما يجري في العالم **(أسلوب التعلم)**، وتحديد القضايا والأحداث السياسية الهامة أو مشاكل الساعة**(أسلوب ترتيب الأحداث)**، أو لعب دور تأثيري في تحديد من من السياسيين ينبغي لومه أو مكافأته بشأن المواضيع والأحداث التي توردها الأخبار **(تحديد المسؤولية)**، واخيرا هناك أسلوب التأثير على الخيارات والميول السياسية للناس **(الاقناع)**[41]

تعمل هذه الفئات الأربع من التأثيرات ضمن غطاء أشبه ما يكون بالسلسة، إذ تمثل عملية بث المعلومات التأثير الأول لوسائل الاتصال، وبدورها تؤدي عملية زيادة الاحاطة الى حدوث تغيرات في بروز حدث أو قضية معينة، فمثلا لو كانت البلاد تعاني من حالة الركود، سيدرك الناس عبر متابعتهم للصحف أو التلفاز بأن

آلافا من المواطنين قد أضحوا عاطلين عن العمل، وهو ما من شأنه أن يزيد اهتمام المواطنين بالوضع الاقتصادي.

وإذا تحول إهتمام الناس الى قضية أو حدث ما، فإنهم سيبادرون إلى محاولة تكوين فهم خاص بهم حول هذه القضايا عبر (تحديد المسؤولية) فهم سيطالبون بإيضاحات عديدة: ما الذي دفع الاقتصاد الى هذا الوضع السيئ؟ ومن هي الجهة أو ما هي الوسيلة القادرة على تصحيح الاوضاع؟ أما الأسلوب الذي تتبعه وسائل الاعلام من التلفاز والنشرات الاخبارية في وضع المواضيع السياسية في اطار معين يمكن أن تقود المشاهدين الى النظر الى المسؤولية عما يجري بطرق مختلفة، ويمكن أخيرا للأخبار أن تقنع الأفراد بتغيير ميولهم السياسية أو خياراتهم الانتخابية مثلا فلو قام الإعلام بتعريض المواطنين الى أخبار اقتصادية ولمدة طويلة، ستبرز البطالة كأهم قضية في نظرهم، وستقع مسؤولية ما آل إليه الوضع الاقتصادي على عاتق أولئك المتقلدين المناصب، والذين سيفقدون شعبيتهم وسيتحول الناخبون لمصلحة منافسيهم[42].

ومن هنا فالإعلام السياسي هو أحد أنواع أو فروع الإعلام الذي يهدف بشكل خاص إلى توصيل رسالة إعلامية من الدولة أو مؤسساتها بهدف تحقيق التأثير في الجماهير لتحقيق أغراض تخدم السياسة العامة للدولة أو توجهاتها في المجال السياسي كالاحزاب أو الانتخابات أو الاستفتاء على دستور أو معاهدات أو قوانين سيادية هامة. أو تحريك مشاعر الجماهير في حالة السلم لخدمة الوطن أو التعاون مع الأمن أو الجيش أو لخدمة الوطن في حالة الحرب للدفاع عن الوطن ومقدراته ومكتسباته أو توعية الجمهور نحو أهداف الوطن السياسية بخصوص الولاء والانتماء للنظام الحاكم أو الحزب الحاكم أو موقف الدولة من دولة اخرى، أو الإعدام لحرب، ويمكن هنا بروز موضوع الإشاعات والحرب النفسية كوسائل من وسائل الإعلام السياسي أو الإعلام السياسي المضاد[43].

وقد حاول بعض الباحثين أن يبرهن على أنه يمكن فهم الحياة السياسية وتفسير ظواهرها من خلال (العملية الإعلامية) كوظيفة اتصالية تمثل عصب الحياة السياسية. فالإعلام السياسي هو أحد وظائف النظام السياسي وسياسته الخارجية، والقرارات يجب أن تتخذ على أساس معلومات جديدة ومناسبة، وهي

تكون كذلك إذا حصلنا عليها بواسطة (أداة إعلام) جديدة تعبر عن: الواقع الذي نريده وتمدنا بالحقائق التي نحتاجها، دون تشويه أو تحريف، أي إذا ما استخدم الحكام قنوات بالحقائق التي نحتاجها، دون تشويه أو تحريف، أي إذا ما استخدم الحكام قنوات اتصال جديدة وفعالة تنقل إليهم نبض الجماهير وتطلعاتها وآراءها ومواقفها واتجاهاتها الحقيقة، وتنقل للمواطنين تعليمات وأوامر الحكام بدقة، كانت عملية التواصل بين الحكام والمحكوم جيدة وتأصل من خلالها النظام السياسي[44].

إذن فالإعلام السياسي هو حملة إخبارية منظمة هادفة تطلقها الدولة (المرسل) إلى الجمهور (المستقبل) لتنفيذ التأثير في نفوسهم لتحقيق أهداف تتعلق بسياسة الدولة تجاه موقف محدد أو معين.

في الوظائف السياسية لوسائل الإعلام:

غالبا ما نشهد حدة الإعلام السياسي في الحالات الطارئة كعداء دولة أو الاستعداد للحرب أو الدخول في مفاوضات أو لمبايعة حاكم أو تأييده أو لتوقيع اتفاقيات سياسية حول سلام أو تعاون أو حرب أو غيره أو لنشر فكرة جديدة تتعلق بهدف سياسي أو إيديولوجي[45]. **ويستخدم النظام السياسي وسائل الاعلام لتحقيق الأهداف التالية[46]:**

1. **التثقيف السياسي:** إذ تحرص أنظمة الحكم وعلى الخصوص الشمولية منها التي تخضع لسلطة مركزية (حكم فردي أو حكومات الحزب الواحد) على الإستعمال المكثف لوسائل الإعلام من أجل تنشئة جماهيرها الوطنية لهدف خلق وعي سياسي لديها بشأن قضية معينة قد تكون أيدلوجية اقتصادية أو عقيدة سياسية أو سياسات إصلاحية معينة.
2. **التأثير في اتجاهات الرأي العام،** حيث تعمل أنظمة الحكم على استخدام وسائل الاتصال من أجل توجيه الرأي العام وتحديد مواقفه المساندة لسياستها وبرامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومحاولة إضعاف ظاهرة الرفض والمعارضة لهذه السياسات، وحتى تعمل أي حكومة بكفاءة يتوجب أن توفر درجة ملائمة من الاتصال بينها وبين القاعدة، بحيث يتم طرح قرارات بعد الوقوف على توجهات الرأي العام من خلال رصده في وسائل الاعلام، وجمع المعلومات من

خلالها وأن يتم ذلك من خلال خبرات فنية متخصصة في تحليل المعلومات الواردة والتغذية الراجعة بصورة خالية من التحريف والتشويش.

3. **التسويق السياسي:** وهو محاولة عرض الأفكار والمواقف على الجمهور المتلقي عبر وسائل الاعلام بهدف تسويقها والتسليم بها، وهنا فإن السياسين في عملهم هذا إنما يشبهون فر عرض أفكارهم أصحاب المتاجر حيث يعرضون سلعهم بطريقة جذابة ومؤثرة على الجمهور بهدف الترويج لها وبيعها، ولا بد من التأكيد على أن مقدرة السياسين في عرض أفكارهم ومواقفهم هي التي تحكم مدى النجاح أو الاخفاق في قبول الجمهور بما يطرح عليه، ويستخدم التسويق السياسي عادة في الحملات الانتخابية للمواقع السياسية كالرئاسة والمجالس النيابية أو البلدية، وتلجأ الأحزاب السياسية والمرشحون لهذه المواقع القيادية الى الى الاستعانة بمكاتب متخصصة في مجال الاعلام والدعاية السياسية لتصميم برنامجها الانتخابي بصورة تكفل نجاح العملية الاتصالية والنفاذ الى نفوس المتلقين. وهم جمهور الناخبين، وضمان تأييدهم السياسي.

لقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة في مجال الإعلام السياسي أن لوسائل الاعلام قوة مستقلة في المجتمع وأنها تلعب أدوارا سياسية من خلال ما تقدمه من رسائل إعلامية، كما أنها تلعب دورا مؤثرا في عملية صنع القرار السياسي، **ويرجع أهمية الدور الذي تلعبه وسائل الاعلام في الحياة السياسية المعاصرة الى عدة أسباب أهمها**[47]:

1. الحجم الكبير من المتلقين، سواء من المواطنين العاديين أو من أعضاء النخب يتعرضون لما تقدمه مو مواد ورسائل إعلامية.

2. ثقة المتلقين في صدق ما تقدمه وسائل الاعلام من معلومات.

3. سعي وسائل الإعلام الدائم لجذب المتلقين وزيادة أعدادهم من خلال أشكال متنوعة للفنون الاعلامية، التي قد يبدو بعضها بدون مضمون سياسي، وإن كان في الحقيقة لا يخلو من دلالات سياسية.

4. الكم الهائل من الرسائل الإعلامية الذي تبثه وسائل يوميا يجعل المواطن غير قادر على إدراك حقيقة المواقف إلا من خلال الرؤية التي تقدمها له وسائل الإعلام.

ويمكننا أن نخلص إلى أن أهم الوظائف السياسية لوسائل الإعلام تكمن في:

1- **الوظيفة الإخبارية ومراقبة البيئة الخارجية:** قديما عهدت القبائل البدائية لبعض الأفراد مراقبة الظروف المحيطة بهم، وتحذيطهم علما بالأخطار المحدقة، سمي هؤلاء بحراس البوابة، وهذه الوظيفة تقوم بها في المجتمع المعاصر وسائل الإعلام.[48] وحراس البوابة في المجتمعات المعاصرة هم جامعوا الأخبار والقائمون عليها، والعاملون في المؤسسات الإعلامية المختلفة.[49] ويمكن دراسة وظيفة المراقبة على مستويين:

أولا: وظيفة المراقبة الاعلامية على المستوى العام.

ثانيا: وظيفة المراقبة الاعلامية على المستوى الخاص.

وتعني الوظيفة الاولى: أن وسائل الإعلام لا تمدنا فقط بالمواد الإعلامية، ولكنها تلعب دورا سياسيا في المجتمع، إنها تصنع الكثير في برنامج العمل السياسي، كما أنها تساعد على تحديد المطالب السياسية التي تثار، وأي هذه المطالب لها فرصة الإرضاء وأيها سوف يهمل.

ولأن وسائل الإعلام تقوم بإبراز المسائل التي تكون محل الإهتمام فإن وظيفة المراقبة العامة للبيئة تكون سياسية، فهي تحدد أي الأحداث سيتم تغطيتها إخباريا وأي الأحداث سيتم تجاهلها، ومن هنا فإن وسائل الإعلام تؤثر في مجال تحديد ما الذي ستتاح له فرصة جيدة ليصير موضوعا للمناقشات السياسية والعقل السياسي، وبدون التغطية الإعلامية للأحدات فإن تأثيرها السياسي يقل أو لا يكون هناك أصلا تأثير سياسي.

أما المراقبة على المستوى الخاص: فإن لوسائل الإعلام تأثيرا واضحا على المواطن العادي بمنزلة عينه وأذنه على العالم المحيط به، فوسائل الإعلام تخبر المواطن بالظروف الاقتصادية وأخبار الرياضة والطقس والاعمال والاحداث الثقافية والاجتماعية والثروة والصحة والحياة العامة والخاصة للمشهورين، كما تقوم وسائل الاعلام بنقل الأخبار التي تؤكد أن النظام السياسي يعمل لمواجهة الأزمات المتجددة والأخطار المفترضة، إن تأكيد هذا المعنى أمر هام جداص للاحتفاظ بالتماسك الاجتماعي للشعب، وهو ما يعني توفير الظروف المواتية للاستقرار السياسي للنظام القائم طالما أن الحكومة قادرة على القيام بوظائفها.[50]

2- الوظيفة التفسيرية للأحداث:

تقوم وسائل الإعلام بتفسير وقائع الأحداث، ووضعها في سياقها العام، وتوقع نتائجها، إذ أن التفسير المختار يؤثر على النتائج السياسية التالية، ومن ثم فالاصطلاحات التي تستخدمها الصحافة لايضاح نقطة ما أو تشخيصها او وصف الفاعل السياسي هامة في تشكيل الآراء وتطوراتها.[51]

3- التنشئة السياسية:

هذه الوظيفة أشار إليها (لاسويل) في نظرياته إذ يقول: أن التنشئة السياسية هي العملية التي يمكن بواسطتها تشكيل الثقافة السياسية أو المحافظة عليها أو تغييرها، والسمة الأساسية للتنشئة السياسية أنها عملية مستمرة على مدى حياة الإنسان[52].

أما الثقافة السياسية فيمكن أن نعرفها (مجموعة من القيم والأفكار والمعتقدات التي تتبلور في مجتمع يتميز في ضوئها على المجتمعات الاخرى، وهي العامل الذي يؤثر في الأفراد من خلال القيم، لبناء سلوك سياسي تجاه السلطة السياسية مع التأثير في اتجاهات السلطة نحو الافراد، وترتبط الثقافة السياسية بأداة مهمة أخرى من أدوات التنمية السياسية هي التنشئة السياسية التي تعني اكتساب الانسان للأفكار والقيم بفعل تكوينه وتربيته لتحمل موقف اجتماعي معين، فالتنشئة والثقافة أدوات متفاعلة لبناء السلوك السياسي في إطار التنمية السياسية).[53]

إن وسائل الإعلام تعد إحدى الوكالات الدولية للتنشئة السياسية، لأن الكم الكبير من المعلومات التي يحصل عليها الجمهور عن طبيعة عالم السياسة يأتي من خلال تلك الوسائل، وهي تصلهم مباشرة من خلال تعرضهم الاختياري للوسائل الإعلامية التي تبثها، وبهذا الصدد تشير دراسة هربرت وهايمن إلى أن تاثيرات الإعلام تستطيع أن تتسع وتكون مقياشا كافيا لخلق الروابط القومية للثقافات الفرعية خاصة في المجتمعات القبلية. وقد وجد (إنكز وسميث) أن التعرض لوسائل الإعلام يعد مصدرا للمواقف السياسية، ويؤكد ألموند على أن وسائل الإعلام تستط يع أن تلعب دورا هاما في التنشئة السياسية من خلال

التدعيم للعقائد المكتسبة، أو من خلال زيادة التركيز على قيمة معينة من القيم الإنسانية.[54]

4- التلاعب أو التأثير المدروس في العملية السياسية

تعمل وسائل الاعلام على التلاعب المباشر بالعملية السياسية، فقد يكون غرض بعض الأخبار السياسية إثارة ردود الأفعال العامة وخلق مطاليب سياسية جديدة، أو قد يكون الهدف هو إثارة النخبة السياسية الحاكمة من أجل القيام ببعض الإصلاحات، وقد يكون الهدف هو التعاون بين موظفي الحكومة الإداريين والصحفيين لإثارة موضوع من الموضوعات العامة[55].

ونشير إلى أن أهمية الدور الذي يقوم به الإعلام تتوقف على طبيعة العلاقة بينه وبين النظاميين السياسي والإجتماعي السائدين في اي بلد، فالعملية الإعلامية ايا كان مستواها التقني أو وجهتها السياسية هي نتاج لبناء اقتصادي- اجتماعي في مرحلة من مراحل تطور المجتمع الا نساني. ويأتي الاعلام تعبيرا واضحا عن الاقتصاد والسياسية بوصفها وجهي عملة واحدة[56].

رابعا: حول دور الإعلام الرقمي والصحافة الإلكترونية تحديدا في تعزيز الديمقراطية والمشاركة السياسية:

تعتبر الصحافة الالكترونية بكل اشكالها من بين الوسائل الحديثة التي أتاحت لكل أطياف المجتمع الفرصة للتعبير الحر، والكتابة دون خوف من القيود المختلفة، ودون التعرض للمضايقات من أي جهة، فما لم يكن يسمح بنشره أو بثه في وسائل الإعلام التقليدية، أصبح ممكنا مع الصحافة الالكترونية، ولاسيما المدونات الالكترونية ومواقع بث تسجيلات الفيديو، ومن دون شك أن حرية التعبير والصحافة من بين المبادئ الأساسية للديمقراطية.

فقد " أفرزت التقنيات الجديدة للاتصال تأثيراتها على الممارسة السياسية من خلال الإنترنت، وكيفية استخدام المواطنون الانترنت في مناقشة السياسية وكيف يتفاعل الناس مع بعضهم البعض في وقت المناقشة السياسية مثل وقت ارسال النشرات، أو المناقشة من خلال البريد الالكتروني"[57]، أو من خلال الأشكال المختلفة للصحافة الالكترونية.

ويشير إبراهيم بعزيز إلى التسهيلات التي تقدمها تطبيقات الإنترنت "حيث تسهل الإنترنت للمواطن إيصال انشغالاته واهتماماته للمسيرين والسياسين، وتتيح له المشاركة السياسية من خلال إبداء آرائه حول مختلف قضايا الشأن العام، واقتراح حلول وسبل جديدة لصانع القرار، ولعل هذا ما جعل العديد من السياسين الفرنسيين يصممون مدونات إلكترونية خاصة بهم لتسهل عليهم التواصل مع مواطنيهم ومعرفة انشغالاتهم" [58] ولهذا يعتبر الكثير من المتتبعين أن ثورة المعلومات والاتصالات وما نتج عنها من أشكال إعلامية جديدة عززت بشكل كبير مشاركة المواطن في العملية السياسية، من خلال إبداء رأيه وإيصاله الى صانع القرار.

هناك خمس نقاط أساسية قدمها الباحثون كدليل على أن الاعلام الرقمي بشكل عام والإنترنت بشكل خاص شكلوا مساحة جديدة من الإعلام أكثر ديمقراطية، وهي[59]:

- بإتاحة المعلومات لكل الناس بسهولة، فلم تعد المعرفة حكرا على النخبة والطبقة العليا.
- بجعل تكنولوجيا الإعلام رخيصة وسهلة الاستخدام أوسع الاعلام الرقمي من رقعة مصادر المواد الاعلامية، فأي شخص يمكن أن يصبح منتجا إعلاميا مما جعل رصد الرأي العام في منتهى السهولة.
- الإعلام الرقمي مكن العامة من التواصل عن طريق شبكات مثل شبكات التواصل الاجتماعي، مما يسهل التواصل عن بعد، بل عبر القارات.
- أصبح الان من السهل إرسال رسائل من أكثر من مصدر إلى متلق أو أكثر في نفس الوقت وتلقي أكثر من رد لمصدر أو أكثر، وهذه الخدمة توفرها الهواتف الحديثة والإيميل وشبكات التواصل الاجتماعي.
- يفتح الاعلام الجديد الباب أمام مشاركة وجهات نظر العامة المختلفة وتجاربهم، ومشاعرهم. هناك مجال لعرض وجهات النظر، ومناقشتها، بل تصحيحها، ومزجها مع ما يتوافق معها، وليس فقط التباهي بها وعرضها دون تفاعل.

يمكننا عرض مجموعة من النقاط التي تتجسد فيها **الديمقراطية عبر اشكال الصحافة الالكترونية على النحو التالي: -** [60]

- إمكانية التواصل المباشر بين القارئ والكاتب وغمكانية قبول التعليق والنقد والتعديل بين الطرفين، يعطي مساحة أكبر للقارئ في صنع القرار.
- إعطاء المساحة الاكبر للشباب والشابات بإبداء آرائهم سواء بالتعليق أو النقد أو الكتابة مهما كان عددهم دون التقيد بالنوع والكم من الكتابة، وعدم اقتصار هذه الفئة على نوع معين من القراء.
- خلق المجتماعات المتجانسة عملت على خلق ديمقراطية متجانسة محلية وعربية ودولية بأقل التكاليف وأسرع وقت.

وفي محاضرة حول التدوين تم تنظيمها من طرف جامعة هارفارد في 2005م، أكد John Palfre مدير مركز بيركمان للدرسات حول الانترنت، "أن الحديث عن التدوين والصحافة هو عبارة عن تدعيم لمبادئ الديمقراطية، وقيمها التي تمارس عبر الإنترنت، كالتعبير الحر والنقاش المتاح لكل الناس، والفرص الكثيرة المتاحة لمزيد من الأصوات من كل أنحاء العالم وبأقل التكاليف"[61]، فاليوم بإمكان أي شخص أن يكتب في مدونة أو موقع شخصي أو يعلق على خبر ما، ويمارس حقه في الاتصال.

يذهب عباس صادق في هذا الإطار إلى عدد من الأبعاد السياسية التي حققتها هذه الصحافة الجديدة، خاصة تلك المتعلقة بصحافة المواطن والتي تعتمد على وسائل الديمقراطية المحمولة المختلفة[62]، تحقق حلم المجتمع المدني في الحصول على وسيلة اتصال جماهيرية تتصف بالصفات التالية[63]:

- ✓ **ثلاثية الاستخدام السياسي:** حيث يستطيع الفرد صناعة المحتوى السياسي وإستقباله وإرساله.
- ✓ **القدرة على المشاركة السياسية:** من أي مكان وفي أي زمان، وذلك بالاستفادة من قدرة تكنولوجيا الاتصالات السلكية واللاسلكية على الحركة ومتابعة الحدث في مكان حدوثه مباشرة وبمرونة فائقة.
- ✓ **المشاركة الشخصية:** تعتبر" الديمقراطية المتحركة عملا فرديا تطوعيا حرا غير خاضع لتوجهات منظمات معينة بل للقناعات السياسية للفرد نفسه خلافا لوسائل الاتصال التقليدية".

كما توصلت حنان جنيد، في دراستها عن مدى اعتماد طلاب الجامعة على الاتصال التفاعلي من خلال شبكة الانترنت كمصادر للمعلوماتعن القضايا السياسية والعالمية والمحلية وأثره على مدى وعيهم السياسى ومشاركتهم الساسية، إلى ارتفاع تأثير هذا الإستخدام قياسا بالوسائل الاخرى وخصوصا فى أساليب المشاركة السياسية لطلاب الجامعه فى المتابعه المستمرة والمناقشة مع الاخرين والمشاركة فى الاستطلاعات الرأى العام الإليكترونية، كما إحتلت القضايا السياسية الرتبة الأولى كأهم القضايا التى يفضل الشباب الجامعى مناقشتها تليها القضايا الثقافية فالقضايا الدينية وأخيراالاقتصادية[64].

للإعلام الرقمي/ الجديد دور هام في بلورة الرأي العام، ففي دراسة حول دور وسائل الإعلام الإلكترونية في بلورة الرأي العام، وتشكيل آراء الأفراد حول السياسيين والقضايا السياسية العامة، اجريت في 2008، تبين أن الصحافة الإلكترونية تلعب دورا كبيرا في تشكيل آراء الناس ونظرتهم للقضايا السياسية، ومدى ولائهم للشخصيات السياسية، وقد أكدت الدراسة ان الصحافة الالكترونية لها طابع خاص وتأثير خاص على الجمهور، لأنها مقروءة بالخصوص من طرف الشباب والطبقة المتعلمة المثقفة بدرجة اكبر، وهي الطبقة التي تقوم فيما بعد بنشر تلك المعلومات وزرع تلك الأفكار باعتبارهم قادة رأي في مجتمعاتهم، وهذا ما يسمى بالاتصال على مرحلتين، أي أن الرسالة الاعلامية تتوجه في مرحلة أولى الى قادة الرأي، ثم بعد ذلك وكمرحلة ثانية تتوجه الرسالة وتنتقل الى الجمهور العام. وقد خلصت هذه الدراسة الى أن الصحافة الالكترونية والمطبوعة تؤثر بشكل كبير على تشكيل الرأي العام وإدراك الجماهير للقضايا[65].

، شير إلى أن الإنترنت خلقت نوعا جديدا من الرأي العام وهو ما بات، يعرف بـ**(الرأي العام الإلكتروني**، ذلك أن انتشار استخدام شبكة الإنترنت وقيام الكثيرون بعمل صفحات خاصة لهم يبثون من خلالها أفكارهم ورؤاهم بشأن كافة الأحداث والقضايا، قد دفع البعض إلى الحديث عن أن ثمة رأي عام إلكتروني آخذ في التشكل بقوة.

ويمكن تعريف الرأي العام الالكتروني على أنه كل (فكرة – اقتراح- رأي- مشاركة) أو حتى لفظ اعتراض غاضب أو نكتة تعبر عن توجه معين أو تدافع عن أيدلوجية

بعينها أو تنبع من تجربة شخصية سواء فردية أو جماعية لتصل الى نتيجة سياسية عامة يتم توصيلها كرسالة اتصالية من خلال شبكة الإنترنت، لتأخذ دورها في المشاهدة والإطلاع من قبل كل من يملك أو يستطيع استخدام تلك الخدمة، والإطلاع في الوقت نفسه على تلك القنوات التي يستخدمها الاخرون، وبذلك يتكون " الرأي الالكتروني"[66].

وبالتالي فإن شبكة الانترنت وخدماتها المختلفة وتطبيقاتها العديدة الخاصة بمختلف أنواع الإعلام الرقمي /الجديد وخاصة الصحافة الالكترونية، قد ساهمت بشكل فعال في تعزيز كثير من الحريات العامة والفردية، ولاسيما حرية التعبير، وحرية الصحافة، والحق في الاتصال بجانبيه، أي المشاركة في العملية الاتصالية كمرسل وكمصدر وتقديم معلومات ورسائل، أو المشاركة في العملية الاتصالية كمستقبل للرسائل والمعلومات[67].

الخاتمة:

من خلال ما تقدم نعتقد ان العلاقة بين الوعي السياسي ووسائل الاعلام علاقة مثينة عكس ما يعتقده البعض فأينما وجدت السياسة كانت وسائل الاعلام حاضرة واينما ذهبت وسائل الإعلام لحقتها السياسة ذلك ان الوسائل الاعلامية تعمل على نقل او توطيد صورة او فكرة او نشر راي عام يؤثر في صانع القرار السياسي والانظمة السياسية كما ان له انعكاسات على الفرد المتلقى للرسالة التي تحمل مضامين سياسية مختلفة. ورغم اعتقادنا الشديد انه لا يوجد مقياس لمعرفة مدى وعي الفرد سياسيا إلا أنه يستعان بدرسات في هذا الجانب للبحث في مدى الدور الذي يقوم به الإعلام الرقمي في عملية تشكيل الوعي السياسي للجمهور. وهو ما يفتح المجال واسعا للعديد من الدراسات التي تتناول الجوانب السياسية لوسائل الإعلام.

خلاصة القول أن للإعلام الرقمي/ الجديد دور هام في تشكيل الوعي السياسي، آيا كان نوع هذا الوعي ومستوياته (وعي مشارك، أو وعي تابع، أو وعي محدد)، وذلك من خلال الوظائف السياسية التي يقوم بها، كما ساهم ظهور الإعلام الرقمي بظهور نوع جديد من الرأي العام وهو الرأي العام الإلكتروني، والذي يعد حقل جديد لدراسات الرأي العام خاصة بعد ما شهدته الساحة السياسية الدولية من

تغيرات على الخارطة السياسية إنطلاقاً من الانتخابات الأمريكية ودول أوروبا التي استغلت الإنترنت والإعلام الرقمي لترويج للمترشحين للإنتخابات الرئاسية، وصولا إلى ما شهده العالم العربي من تغيرات سياسية انطلقت باعتراف الكثير من الخبراء من داخل الفضاء الإلكتروني.

فمن المهم جدا دراسة دور الإعلام بمختلف أشكاله وخاصة الإعلام الرقمي في تشكيل الوعي السياسي للجمهور، ذلك أن التطورات السريعة لتكنولوجيات الاتصال والمعلومات، ودخول عالم العولمة الإعلامية خاصة من خلال الشبكات الإجتماعية تفرض علينا في وسط تغيرات المشهد السياسي الدولي والعالمي لدراسة هذا الدور ومعرفة اتجاهاته وتأثرياته على الجمهور المتلقي.

الهوامش:

1. Center For Democracy,Technology.(2000).The Internet and HumanRights. An Over View Washington. RetrievedJanuary 3rd, 2013 Fromwww.cdt.org/international/000105humanrights.shtm/
2. Shelton Gunaratne. "Democracy, Journalism and Systems Perspectives From East and West " , inx , Hao and S.K , Data Ray (eds) , issues and challenges in AsianJournalism , (Singapora: Marshall Cauendish , 20006) pp 1-24.
3. JenningsBryant , Susan Thompson " Fundamentals of Media Effects " (New York: McGraw Hill , (2002) pp. 307- 309 -6.
4. السيد شحاته السيد، عبد الله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع السياسي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2005، ص372.
5. جون بالاميناتز، الايديولوجية، مفاهيمها وتطورها في الواقع التاريخي والسياسي، ترجمة اسماعيل على سعد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990، ص 24، 25.
6. أحمد خورشيد النورة جي– مفاهيم في الفلسفة الاجتماعية – دار الشؤون الثقافية – بغداد – ط1 – 1990 ص 253.
7. عبد الكريم بكار– تجديد الوعي – دار القلم – دمشق – ط1 – 2000 – ص 9.
8. نجم طه عبد العاطي، علم اجتماع المعرفة دراسة في مقولة الوعي والأيديولويجا، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط2، 2004، ص 159.
9. المصدر نفسه، ص 74.
10. سورة المعراج – الآية (18).
11.Encyclopedia , Britannica, 2001. Deluxe Edition, CD-Rom, N,20.
12. السيد شحاته السيد، عبد الله محمد عبد الرحمن، علم الاجتماع السياسي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2005، ص373.
13. موقع المعهد العربي للبحوث والدراسات الاستراتجية:
14. http://www.airssforum.com/f397/t16320.htm

15. موقع المعهد العربي للبحوث والدراسات الاستراتجية:

16. http://www.airssforum.com/f397/t16320.htm

17. كتاب مقومات الوعي البصيرة، عبر الرابط التالي:

18. http://www.balagh.com/pages/book.php?bcc=89&itg=23&bi=238&s=ct#_ftn3

19. محمد عبد الحميد، الاتصال والإعلام على شبكة الإنترنت، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 2007، ص 138.

20. حسنين شفيق، نظريات الاعلام وتطبيقاتها في دراسات الإعلام الجديد ومواقع التواصل الاجتماعي، دار فكر وفن للطباعة والنشر، 2014، ص 21.

21. المرجع سابق، ص 93.

22. عباس مصطفى صادق، الاعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، دار الشروق للنشر2008، ط1، 53.

23. نفس المرجع، ص 30.

24. انظر Definition For New Media,High-TechDictionary ,

25. http://www.computeruser.com/resources/dictionary/dictionary.html; Accessed: Oct. 2006

26. Dr. Paul Martin Lester ,California State University. <http://commfaculty.fullerton.edu/lester/curriculum/newmedia.html>; Accessed: July. 2006.

a. : 2014/11/22 تم الاطلاع عليه بتاريخ

b. http://www.webopedia.com/sgsearch/results?cx=partner-pub-8768004398756183%3A6766915980&cof=FORID%3A10&ie=UTF-8&q=new+media

27. 2014/11/22 تم الاطلاع عليه بتاريخ

28. http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF

29. ذكره عباس صادق، مرجع سابق، ص 31،32.

30. حسنين شفيق، نظريات الاعلام وتطبيقاتها في دراسات الاعلام الجديد ومواقع التواصل الاجتماعي، مرجع سابق، ص 95.

31. البروفيسور ستيف جونز Steve Jones هو رئيس قسم الاتصال بجامعة ايلنوي في شيكاغو، ومؤلف موسوعة الاعلام الجديد، ذكره عباس صادق،ص32.

32. نفس المرجع، ص 33.

33./ A WorkingDefinition of New Media 1998 <http://www.sheridanc.on.ca> Accessedfrequently.

34. عباس صادق، مرجع سابق، ص 34.35.

35. حسنين شفيق، نظريات الإعلام الجديد، مرجع سابق، ص 98.99.

36. نفس المرجع.

37. سعيد صالح كاتب، الاعلام القديم والاعلام الجديد، هل الصحافة المطبوعة في طريقها الى الانقراض؟ المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، 2002.

38. المرجع السابق.
39. نفس المرجع.
40. سعيد صالح كاتب، مرجع سابق.
41. عباس صادق، مرجع سبق ذكره، ص 51.
42. حامد ربيع، الحرب النفسية في الوطن العربي، دار واسط للنشر والتوزيع، بغداد، 1989، ص 110.
43. لجنة إدارة شؤون المجتمع العالمي، جيران في عالم واحد، ترجمة مجموعة من المترجمين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1995، ص 52، 53.
44. المرجع السابق.
45. ستيفن ايتز لابير وآخرون، لعبة وسائط الإعلام، ترجمة شحدة فارع، دار البشير، عمان 1999، ص 133، 134.
46. ستيفن ايتز لابير وآخرون، مرجع سابق، ص 134.
47. محمد أبو سمرة، الإعلام السياسي، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2012، ص 19، 20.
48. زكي الجابر، الإعلام والتنمية في الوطن العربي، ورقة مقدمة الى الندوة العلمية التي نظمتها الجمعية العربية والأمم المتحدة، وزارة الإعلام التونسية، 1982.
49. محمد أبو سمرة، الاعلام السياسي، مرجع سابق، ص20.
50. مجد الهاشمي، الاعلام الدبلوماسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2009، 71، 72.
51. محمد سعد السيد أبو عامود، الوظائف السياسية لوسائل الاعلام، مجلة الدراسات الاعلامية المركز العربي للدراسات الاعلامية، القاهرة 1988، ص 15.
52. جيهان أحمد رشتي، الأسس النظرية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص 356.
53. شاهيناز طلعت، وسائل الإعلام والتنمية الإجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 22، 23.
54. مجد الهاشمي، الإعلام الدبلوماسي والسياسي، مرجع سابق، ص 73، 74.
55. مجد الهاشمي، سبق ذكره، ص 75.
56.Gabrial A. Almond and Bringham. Epowell. Comparative Politics, System, process and policy 2 and Ed Boslon 1978. P83.
57. غازي فيصل، التنمية السياسية في بلدان العالم الثالث، دار الحكمة، بغداد، 1993، ص 156، 157.
58. مجد الهاشمي، الإعلام الدبلوماسي والسياسي، مرجع سابق، ص 76.
59. المرجع السابق.
60. ثروت مكي، الاعلام والسياسة، وسائل الاتصال والمشاركة السياسية، عالم الكتاب، القاهرة، ط1، 2005، ص 120.
61. محمد نصر مهنا، في النظرية العامة للمعرفة الاعلامية: الفضائيات العربية، العولمة الاعلامية والمعلوماتية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،2009،ص128.
62. ابراهيم بعزيز، مرجع سبق ذكره، ص150.
63. ستيفن كولمان، الاعلام والجمهور، ترجمة صباح حسن عبد القادر، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2012، ص 158،159.
64. زيد منير سليمان، الصحافة الالكترونية، دار اسامة للنشر والتوزيع،ط2008،1، ص20.21.
65. ذكره ابراهيم بعزيز، مرجع سابق، ص151.
66. يقصد الكاتب هنا تكنولوجيات الاتصال الحديثة المتعلقة بالهاتف الجوال والاجهزة اللوحية.
67. عباس مصطفى صادق، مرجع سبق ذكره، ص188.189.

68. حنان جنيد، تكنولوجيا الاتصال التفاعلي (الانترنت) وعلاقته بدرجة الوعي السياسي لدى طلاب الجامعات المصرية،المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الثامن عشر يناير– مارس 2003.

69.http://www.researchgate.net/publication/228951985_New_Media_and_Democracy_The_Changing_Political_Landscape_in_Malaysia

70. مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة، الرأي العام، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتجية، العدد 23، سنة 2006، متوفر عبر الرابط التالي:

http://boulemkahel.yolasite.com/resources/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A3%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85.pdf

-67ابراهيم بعزيز، مرجع سابق، ص151.

المصادر والمراجع:

1. أحمد خورشيد النورة جي– مفاهيم في الفلسفة الاجتماعية – دار الشؤون الثقافية – بغداد – الطبعة الأولى، 1990.
2. إبراهيم بعزيز، الصحافة الالكترونية والتطبيقات الإعلامية الحديثة، دار الكتاب الحديث، 2012.
3. السيد شحاته السيد، عبد الله محمد عبد الرحمن، علم الإجتماع السياسي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2005.
4. ثروت مكي، الإعلام والسياسة، وسائل الاتصال والمشاركة السياسية، عالم الكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005.
5. جهان أحمد رشتي، الأسس النظرية لنظريات الإعلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.
6. جون بالامياناتز، الايديولوجية، مفاهيمها وتطورها في الواقع التاريخي والسياسي، ترجمة اسماعيل على سعد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990.
7. حسنين شفيق، نظريات الاعلام وتطبيقاتها في دراسات الإعلام الجديد ومواقع التواصل الاجتماعي، دار فكر وفن للطباعة والنشر، 2014.
8. حامد ربيع، الحرب النفسية في الوطن العربي، دار واسط للنشر والتوزيع، بغداد، 1989.
9. حنان جنيد، تكنولوجيا الاتصال التفاعلي (الإنترنت) وعلاقته بدرجة الوعي السياسي لدى طلاب الجامعات المصرية، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الثامن عشر يناير– مارس 2003.
10. زيد منير سليمان، الصحافة الإلكترونية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،2008.
11. زكي الجابر، الإعلام والتنمية في الوطن العربي، ورقة مقدمة الى الندوة العلمية التي نظمتها الجمعية العربية والأمم المتحدة، وزارة الإعلام التونسية، 1982.
12. سعيد صالح كاتب، الاعلام القديم والاعلام الجديد، هل الصحافة المطبوعة في طريقها الى الانقراض؟ المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، 2002.
13. ستيفن ايتز لابير وآخرون، لعبة وسائط الإعلام، ترجمة شحدة فارع، دار البشير، عمان الأردن 1999.
14. شاهيناز طلعت، وسائل الإعلام والتنمية الإجتماعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
15. عباس مصطفى صادق، الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، دار الشروق للنشر، الطبعة الأولى، 2008.
16. عامر إبراهيم قنديلجي، المعجم الموسوعي لتكنولوجيا المعلومات والإنترنت، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2003.
17. عبد الأمير الفيصل، الصحافة الإلكترونية في الوطن العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 2006.

18. غازي فيصل، التنمية السياسية في بلدان العالم الثالث، دار الحكمة، بغداد، 1993.
19. لجنةإدارةشؤونالمجتمعالعالمي،جيرانفيعالمواحد،ترجمةمجموعةمنالمترجمين،سلسلةعالمالمعرفة،الكويت 1995.
20. محمد نصر مهنا، في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية: الفضائيات العربية، العولمة الاعلامية والمعلوماتية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،2009.
21. ماجد سالم تربان، الإنترنت والصحافة الإلكترونية، رؤية مستقبلية، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 2008.
22. محمد عبد الحميد، الاتصال والإعلام على شبكة الإنترنت، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 2007.
23. محمد أبو سمرة، الإعلام السياسي، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان الاردن،الطبعة الأولى، 2012.
24. مجد الهاشمي، الإعلام الدبلوماسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان الطبعة الأولى، 2009.
25. محمد سعد السيد أبو عامود، الوظائف السياسية لوسائل الإعلام، مجلة الدراسات الإعلامية المركز العربي للدراسات الإعلامية، القاهرة 1988.

26. كتاب: مقومات الوعي البصيرة، عبر الرابط التالي
http://www.balagh.com/pages/book.php?bcc=89&itg=23&bi=238&s=ct#_ftn3
27. موقع: المعهد العربي للبحوث والدراسات الاستراتجية
http://www.airssforum.com/f397/t16320.htm
28.Definition For New Media,High-TechDictionary ,Accessed: Oct. 2006
http://www.computeruser.com/resources/dictionary/dictionary.html;
29.Dr. Paul Martin Lester ,California State University. <http://commfaculty.fullerton.edu/lester/curriculum/newmedia.html>; Accessed: July. 2006.
30.: تم الاطلاع عليه بتاريخ 2014/11/22
31.http://www.webopedia.com/sgsearch/results?cx=partner-pub-8768004398756183%3A6766915980&cof=FORID%3A10&ie=UTF-8&q=new+media
32.تم الاطلاع عليه بتاريخ 2014/11/22
33.http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF
34.A WorkingDefinition of New Media 1998 <http://www.sheridanc.on.ca>Accessedfrequently.
35.Gabrial A. Almond and Bringham. Epowell. Comparative Politics, System, process and policy 2 and Ed Boslon 1978. P83.
36.http://www.researchgate.net/publication/228951985_New_Media_and_Democracy_The_Changing_Political_Landscape_in_Malaysia
37. مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة، الرأي العام، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتجية، العدد 23، سنة 2006، متوفر عبر الرابط التالي:

38.http://boulemkahel.yolasite.com/resources/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A3%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85.pdf
39.Center For Democracy,Technology.(2000).The Internet and HumanRights. An Over View Washington. RetrievedJanuary 3rd, 2013 Fromwww.cdt.org/international/000105humanrights.shtm/
40.Shelton Gunaratne. " Democracy , Journalism and Systems Perspectives From East and West " , inx , Hao and S.K , Data Ray (eds) , issues and challenges in AsianJournalism , (Singapora: Marshall Cauendish , 20006) pp 1-24.
41.JenningsBryant , Susan Thompson " Fundamentals of Media Effects " (New York: McGraw Hill , (2002) pp. 307- 309 -6.

جمهور الدراما التلفزيونية التركية في الجزائر

أ.ة بلغيثية سميرة
المركز الجامعي غليزان
أ.د علي قسايسية
جامعة الجزائر3)

تحتل الأعمال الدرامية في التلفزيون مساحة كبيرة على خريطة البرامج والفقرات المختلفة التي يعرضها التلفزيون، الذي لا يزال يشكل قوة خاصة رغم وجود وسائل اتصال جديدة، ذلك من حيث قدرتها (الدراما) على تكوين وبناء الصورة الذهنية لدى المشاهد، إذ تجمع بين عناصر التشويق والإثارة والمؤثرات التي تتعاون جميعها لصنع هذه الصورة وصياغتها بين الأفراد والجماعات والشعوب.

- أولا: مفهوم الدراما

إن الكلمة الإنجليزية drama مشتقة من الكلمة اللاتينية dram والتي تعني باللغة العربية أن يفعل[1]، ويعد أرسطو أول من تناول هذا المصطلح في كتابه "فن الشعر" وأوضح أنه عبارة عن محاكاة لفعل بشري "هذه المحاكاة باعتبارها غريزة في الإنسان منذ طفولته هي من الأشياء التي تميزه عن الحيوان ويتلقى بها المعارف الأولى"،[2] كما أصبحت النظرة الجديدة للدراما تمتد إلى أعماق الحياة لا لتحاكيها كما يقول أرسطو وإنما للقيام بتحليلها وتفسيرها،[3] وعرف قاموس "أكسفورد للمسرح" الدراما فأعطاها تعريفين:[4]

الأول: اصطلاح يطلق على كل ما يكتب للمسرح.
الثاني: يطلق على أي موقف ينطوي على صراع ويتضمن حلا لهذا الصراع.

وعرفها قاموس المصطلحات الأدبية بأنها تعني معنيين:[5]

الأول: المسرحية وهي الجنس الأدبي الذي يتميز عن الملحمة أو الشعر الغنائي مثلا بأنه خاص بقصة تمثل على خشبة المسرح، وهي أيضا مؤلف من الشعر أو النثر يصف الحياة أو الشخصيات أو يقص قصة بواسطة الأحداث والحوار على خشبة المسرح.

الثاني: الدراما هي مسرحية جادة لا يمكن اعتبارها مأساة ولا ملهاة وفيها معالجة مشكلة من مشاكل الحياة الواقعية.

والدراما لفظ شائع بدأ في اللغة اليونانية، وللفظة نفسها تاريخ معين فظهورها في قاموس المجمع العلمي عام 1762 معاصر لأول نجاح لاقاه هذا النوع على المسرح، كما يرى محمد فريد عزت[6] في قاموس المصطلحات الإعلامية أن الدراما تعني ثلاثة أشياء:

الأول: مسرحية أو قصة أو رواية تمثيلية، الثاني: الدراما هي الفن المسرحي، الثالث: هي سلسلة أحداث تنطوي على تضارب بين قوة مختلفة.

و يرى حسين رامز أن الدراما شكل من أشكال الفن قائم على تصور الفنان لقصة تدور حول شخصيات تتورط في أحداث، هذه القصة تحكي نفسها عن طريق الحوار المتبادل بين الشخصيات.[7]

ومن التعريفات السابقة يتضح لنا ارتباط مصطلح الدراما بالمسرح حيث نشأت الأعمال الدرامية على خشبة المسرح، كما أن كثيرا من الباحثين يرى أن الفنون نبعت من المسرح لذلك يسمى بأبي الفنون حيث ينطوي في جوهره على عنصر الصراع سواء على مستوى الملهاة أو المأساة أو المستوى المركب بينهما.

أما الدراما التلفزيونية فتعرفها الباحثة زغلولة سالم بأنها: "تجسيد حي لحادثة أو لمجموعة من الأحداث ذات دلالة معينة"،[8] وتتم كتابتها طبقا لأصول وقواعد خاصة ومن ثم تتم الاستجابة الجماعية التي هي من صميم طبيعة الدراما، والدراما الاجتماعية المتلفزة "المسلسل الاجتماعي" هو المسلسل الذي يتناول موضوعا أو مشكلة اجتماعية تنبع من واقع وظروف المجتمع ويسعى إلى توضيح أبعاد هذا الموضوع أو المشكلة وقد يتضمن تصورات أو اقتراحات لوضع الحلول المناسبة لها، كما يرى إبراهيم إمام أن الدراما الاجتماعية هي كل دراما يتعرض موضوعها للإنسان وهو في ظروفه الاجتماعية أو مشكلاته الاجتماعية، أو حياته الاجتماعية ومن ثم يمكن القول: ملهاة اجتماعية.

ثانيا: عناصر العمل الدرامي

لكل عمل درامي بناء أساسي يبنى عليه المؤلف أفكاره ويحدد به الإطار الذي يشكل العمل ويعطيه معناه ويحدد كيفية إدارة الصراعات وخلق الشخصيات التي تدير الصراع من بداية الحدث إلى نهايته والمكان الذي تجرى فيه الأحداث وإيقاع تدفق الأحداث، وتتمثل عناصر العمل الدرامي في الفكرة والحبكة والحوار والشخصية.

أ-الفكرة: إن الفكرة قد تعني الموضوع الرئيسي للدراما وقد تعني المغزى أو الهدف من العمل الدرامي،[9] ويرى محمود درويش: " أن الفكرة هي روح العمل الدرامي أو ما يمكن أن يستخلصه المتلقي من العمل الدرامي ككل بعد أن يتعرض له وهذه الفكرة يجب أن تكون واضحة في ذهن الكاتب كما يجب أن يحاول توضيحها للجمهور بشكل غير مباشر".[10]

فمن التعاريف السابقة يتضح لنا أن الفكرة تعد مغزى القصة ومحورها الرئيسي وهي جزء مرتبط بالنسيج الدرامي التي تتبلور من خلال الشخصيات والمواقف، كما يمكن القول أن الفكرة تصف القضية الأساسية التي يناقشها الكاتب الدرامي ويعمل الجمهور على اكتشافها.

أما عن مصادر الفكرة فهي متعددة، فقد يلجأ الكاتب إلى خبراته الشخصية وتجاربه والمواقف اليومية التي يتعرض لها ويستوحي فكرته من قراءة التاريخ وسير الشخصيات أو يستوحيها من خبر في جريدة حيث يرى بعض الكتاب أن المشاهد الآن يقبل على القصص الواقعية التي تدور حول أشخاص عاشوا بيننا.[11]

كما وضع عددا من الكتاب شروطا يجب أن تتوفر في الفكرة من بينهم د.ماجدة التي وضعت أربع عناصر للفكرة كالتالي:

الجدة: المقصود بها الزاوية التي يتناول بها الكاتب موضوعه ومن خلال تبنيه لوجهة نظر يعرضها من خلال العمل الدرامي.

المطابقة: تعني إثارة المتفرج عاطفيا أو وجدانيا بحيث يجعل الفكرة تنبض بالمشاعر التي يشعر بها المتفرج.

التعقيد الدرامي: بحيث تعطي الفكرة الفرصة للصراع ولتطور الحدث.

التطبيق العملي: يجب أن تكون فكرة العمل الدرامي قابلة للتنفيذ ويجب أن نراعي فيها التكلفة الإنتاجية والصعوبات التقنية التي قد تحول دون التنفيذ.[12]

وأضاف محمود درويش الشروط التالية التي يجب أن تتوفر في الفكرة:[13]

-ألا تكون مفروضة على العمل الدرامي بل يجب أن تكون نابعة من داخله.

-يجب أن تكون الفكرة متضمنة في الشخصيات والأحداث التي يقدمها الكاتب.

-يجب أن يتم التعبير عن الفكرة من خلال القصة والأحداث لا عن طريق عرضها على لسان أحد الشخصيات حتى يتذكرها الجمهور.

-يجب أن تخدم الفكرة النص الدرامي بأن تصبح نقطة البداية في العمل الدرامي.

-يمكن التعبير عن مختلف الأفكار في العديد من المجالات الاجتماعية والثقافية والفردية والفلسفية وحتى الميتافيزيقية التي تبحث فيما وراء الطبيعة ولكن يشترط أن نجعل الجمهور يهتم بهذه الفكرة ويؤمن بالأحداث التي تجري فيها حتى وإن كانت خيالية.

فمهما كانت الشروط التي يجب أن تتوافر في الفكرة لابد أن تكون واضحة ومفهومة من قبل الكاتب الدرامي حتى يستطيع الجمهور فهمها والتجاوب معها بحيث يرى Stanli Field أن الفكرة يجب أن تجعل الجمهور يفكر لأن الكاتب قد فكر فيها وأهمته، كما هناك العديد من الكتاب الذين يشعرون بأن هناك التزاما اجتماعيا يفرضه عليهم وضعهم كمؤلفين فتشغل وعيهم الاجتماعي بعض القضايا مثل مشكلات التكبر والطلاق وآثارها.

ب-الحبكة: هي الطريقة التي يسرد بها الكاتب قصة وكيف يؤثر حدث في الآخر وكيف تتفاعل الشخصيات ولماذا؟، وهي العلاقة بين الأحداث (العلاقة بين السبب والأثر) وبالنسبة للدكتور محمود درويش:[14] " الحبكة هي تتابع الأحداث التي تقع في العمل الدرامي، بمعنى طريقة أو كيفية وضع الأحداث بجوار بعضها وتبنى العقدة من أجل تقديم بعض الصعوبات والمخاطر التي يواجهها البطل للتغلب عليها، فهذا التتابع الخاص بالأحداث يعطي البطل فرصة للتفاعل مع باقي شخصيات العمل الدرامي" ويضيف أن الحبكة الجيدة تربط الجمهور بالعمل

الدرامي والجمهور يفضل القصص ذات الحبكة القوية والتي تضم بداية ووسط ونهاية.

نستنتج من التعاريف السابقة أن الحبكة مهمة لتطور العمل الدرامي خاصة في العمل التلفزيوني الذي يعتمد على الصورة المرئية والاحتفاظ بالمشاهد لأطول فترة ممكنة، فالحبكة تشكل البناء المعماري الذي تبنى عليه القصة وهي خطة البطل عبر المواقف المختلفة للوصول إلى الهدف بحيث تواجه الشخصية الرئيسة مشكلة تتطور إلى صراع مع قوى أخرى مضادة، هذه القوى تعقد الموقف وتوجه الصراع نحو الأزمة التي تحل عن طريق البطل في النهاية.

ولبناء الحبكة يتطلب أربعة أجزاء مترابطة: (15)

أ- البنية التأسيسية Establishment وهو تأسيس للبيئة وللإطار الجماعي الذي ستدور فيه الأحداث حيث يتم تقديم الشخصية الرئيسة التي تواجه موقفا أو مشكلة تتطور إلى صراع مع قوى أخرى.

ب- تعميق الصراع من خلال أفعال ومواقف الشخصيات التي تجمعها الأحداث وهنا تتم المواجهة بين ما تريده الشخصية الرئيسة وبين ما يواجهها من عقبات ومعوقات أمام الوصول إلى غايتها.

ج- تكثيف الصراع Intensification من خلال مواجهات درامية تتصاعد حتى يصل الصراع إلى ذروة أزمته Climax

د- الحل Résolution حيث تصل إلى نهاية العمل الدرامي ونهاية صراع البطل مع القوى الموجهة له.

ولتصعيد الحبكة في العمل الدرامي يلجأ المؤلف إلى وسائل التأثيرات الدرامية:
التشويق :Suspenseهو إثارة توقع الجمهور لنتيجة ما وهو عنصر أساسي لأي تكوين درامي يهدف إلى التأثير في المتلقي ويتم التشويق بأن يعرف المتفرج كل المعلومات عن حركة الشخصيات وخططها ضد بعضها البعض ويظل مترقبا متشوقا تحت سؤال هل تنجح

هذه الشخصية أم تلك في تنفيذ خطتها وهل تنجح تلك الشخصية في كشف أبعاد الخطة المحاكة ضدها أم لا، ونحن يمكننا أن نستجيب للتشويق إذا ما اندمجنا عاطفيا مع أبطال العمل الدرامي.

المفارقة :The Dramaticironyهي من أهم العناصر التي يتولد منها الصراع وهي أن يعلم كل من الشخصيات المشاركة في العمل الدرامي بعض المعلومات عن زميله بينما لا يعلم جزءا آخر أما المتلقي فهو يعلم الكل، فالمفارقة كقاعدة هي: ضع جمهورك في الموضع الأفضل.

المفاجأة :Surpriseإذا كان التشويق يقوم على إثارة حاسة التوقع لدى المتلقي فإن المفاجأة تعمل على صدمته ويتم ذلك بحجب بعض المعلومات عنه ثم مفاجأته بها، فالمفاجأة ترتبط بإثارة شعور الدهشة والتعجب أو الفزع أحيانا عند المتلقي.

ومنه فإن بناء الحبكة يعتمد على وجود البطل والهدف ووجود عقبات تعترض سبيل هذا البطل ليجتازها حتى يصل إلى أهدافه، وبناء الحبكة يجعل المؤلف يحلل شخصياته ودوافعها وسلوكياتها ويتساءل الجمهور لماذا تم هذا وكيف ستتعامل الشخصيات مع هذا الموقف وبهذا يمكن القول بأن الحبكة هي تطور للفكرة بمعنى وماذا سيحدث بعد ولماذا.

ج- الحوار: يعد الحوار عنصر هام من عناصر العمل الدرامي خاصة عندما يتناسق مع المواقف المرئية وتصرفات الأشخاص، فاللغة وسيلة حيوية أساسية من وسائل التعبير الإنساني إلى جانب الأصوات المطلقة والإيماءات والحركات وتعبيرات الوجه والعينين واليدين والرجلين، فهي وسيلة للتعبير عما يجيش بداخل الإنسان من أفكار وعواطف.(16)

كما يرى محمود درويش أن الحوار في أي عمل درامي يمكن أن يقوم بوظيفتين، الأولى: أن يخبر، والثانية: أن يثير العواطف والأحاسيس، فالحوار بين الشخصيات يجب أن يحتوي على معلومات ويحرك القصة للأمام والحوار المؤثر يمكن أن يقوم بالآتي:(17)

-أن يعطي رؤية متبصرة عن الشخصية.

-يصور الصراع ويوضحه.

-يركز على فكرة العمل الدرامي،.

كما أوضح PeterE. Mayeux وظائف الحوار كما يلي:[18]

-يميز كل شخصية عن غيرها من الشخصيات.

-يعبر عن علاقات الشخصية مع الشخصيات الأخرى.

-يمد الجمهور بالمعلومات الضرورية التي يجب على الجمهور أن يعرفها ليفهم الأحداث وينهمك فيها.

-يربط الكلمات التي تقولها كل شخصية بالأفعال ويدفع حركة تطور الأحداث في الحبكة لأن الحوار يكشف عن التغيرات في إدراك الشخصيات واتجاهاتها.

-يكشف الحوار عن فكرة العمل، فكل حوار يكتب، يمد برؤية متعمقة للفكرة التي يريد الكاتب توصيلها.

-يثري المشهد فاختيار الكلمات يمكن أن يوضح البيئة الدرامية التي تجري فيها الأحداث.

-يخلق الريتم أو الإيقاع Tempo الذي يريده الكاتب الدرامي للأحداث فالحوار أداة أساسية للتحكم في إدراك الجمهور لجو العمل الدرامي.

-يقدم الحوار بديلا لاستخدام لغة صريحة ومباشرة مثل الإيماءات والتلميحات وعكس المعنى.

-يوضح طبيعة الشخصية ودوافعها ويكشف عن مشاعرها وطموحها واهتمامها.

كما يستلزم الحوار الجيد في العمل الدرامي توفره على عدة شروط أساسية كالتالي:[19]

-ملاءمة الحوار للشخصية: فلا يجب أن يسمح الكاتب للشخصية بأن تقول شيئا لا يتناسب مع طبيعتها كما صورها للجمهور، فالشخصية السوية نستطيع أن ندرك معالمها النفسية من خلال لغتها وأسلوبها والشخصية المريضة نفسيا تنعكس تصرفاتها وسلوكها في أقوالها وأفعالها، فمن خلال جملة أو فقرة أو كلمة خاطفة قد تكشف الشخصية عن فكرها وانتمائها.

-تناغم الإيقاع: نحن في حياتنا اليومية كل منا له إيقاعه البطيء والمتوسط والسريع الذي نحسه بأذاننا، فالكاتب بناءا على تصوره للمواقف والشخصيات

يستطيع أن يدرك بحسه الفني متى يزيد في سرعة الكلام ومتى يخفض منها أو يبطئ.

-يجب أن يكون الحوار مباشرا دون تنميق أو زخارف: فالحوار الواضح يزيد من فهم المشاهد للموضوع ويغريه بتتبعه لذا يجب استخدام الكلمات السهلة الفهم وسريعة الوصول إلى المشاهد.

نستنتج مما سبق، أن الحوار أساس العمل الدرامي، فهو يخبر عما يحصل بين الشخصيات وما يحدث في العمل الدرامي من أحداث بالإضافة إلى المكان والزمان والمشاهد حتى يساعد الجمهور في معرفة ما يحدث في هذه الدراما أو تلك.

د- الشخصيات: تعد الشخصية طبقا لنظرية الدراما الحديثة المحرك الأول للفعل ومن خلالها يتحدد الحوار ومن مواقفها وأفعالها تتطور الدراما،[20] وهناك نوعين من الشخصيات:

الشخصية الرئيسة: هي الشخصية الأساسية التي تخدم أهدافها العمل الدرامي وهي العنصر المحرك الرئيسي للأحداث وعادة ما يطلق عليها الشخصية المحورية، فهي تدفع العمل الدرامي إلى الأمام وتؤثر في كل من حولها من شخصيات،[21] وعادة ما يسند إليها أدوار البطولة.

الشخصية الثانوية: فهي تساعد على إظهار شخصية البطل وتساعد الجمهور على معرفة الكثير من تفاصيل الصراع.

كما فرق الباحثون بين الشخصية الدرامية والشخصية اللادرامية أي بين الأفراد الذين نراهم في الأعمال الدرامية والأفراد الذين نلقاهم في الحياة اليومية، فالشخصية الدرامية بوجه عام هي شخصية فيها مزيد من التوتر فقد تكون أكثر حساسية أو أكثر جاذبية أو أكثر لفتا للانتباه وهي تنسج شبكة من العلاقات تقوي الحبكة وتضع إيقاع العمل الدرامي وتتوافق مع أحداثه ومن هذه العلاقات:

-علاقة الشخصية مع نفسها،

-علاقة الشخصية مع الشخصيات الأخرى،

-علاقة الشخصية مع المكان،

-علاقة الشخصية مع الزمان،

-علاقة الشخصية مع الحدث وهذه العلاقة بالتحديد هي أساس النسيج الخاص بالعمل الدرامي لأنه ما من حدث يقع بالطريقة التي وقع بها إلا وكان نتيجة لوجود شخص معين أو أشخاص معينين.[22]

إن كل شخصية درامية يجب أن يكون لديها مجموعة فريدة من القيم والمعتقدات والأهداف التي تؤمن بها وتتحدث عنها وتتصرف طبقا لها، كما تتضح سمات الشخصية في استجابتها للمواقف التي تمر بها، كل هذا يجب أن يعرفه الجمهور ويجب أن توضح له أهداف كل شخصية حتى نصل إلى الصراع الذي يدفع بالحبكة إلى الذروة.[23]

ومنه يحاول الكاتب الدرامي رسم الشخصية بإتقان ويؤسس بنيانها النفسي والاجتماعي وينشئ الروابط مع الشخصيات الأخرى في إطار هذا البنيان وبما يتوافق مع مسار الحدث الذي يريده وبما يخدم الإيقاع العام للنص.

كما يحتاج المؤلف الدرامي إلى معرفة أهمية ووظيفة الشخصيات في العمل الدرامي، فبالنسبة للعديد من أفراد الجمهور تعد الشخصيات أكثر ما يتذكره الجمهور ويهتم بها فمن السهل أن ننجذب إلى الشخصيات في الأعمال الدرامية بسبب رغبتنا الطبيعية في مشاركتها انتصاراتها وانكساراتها، أن نحبها أو نكرهها، أن نقبلها أو نرفضها، كما أن تطور الشخصيات يساعد في تطوير القصة وتطوير الأحداث ودفعها للأمام والعكس بالعكس بمعنى أن الأحداث قد تساهم في تطوير الشخصيات.

كما اهتم معظم كتاب الدراما بإبراز ثلاثة أبعاد للشخصية الدرامية تتمثل فيما يلي:

البعد المادي أو الكيان الجسمي :Physicalهو الكيان الخاص بكيفية تركيب جسم الشخصية فهو يقوم على الجنس الذي تنتمي إليه الشخصية، ذكر أم أنثى، طويل أو قصير، بدين أم نحيف، أنيق أم مهمل في مظهره، هل هناك تشوهات خلقية أو إصابات ظاهرة نتيجة حوادث عارضة، هل هو مصاب بأمراض وراثية وكل ما يتصل بحالة الإنسان العضوية وهيئته العامة، وتبدو أهمية هذا البعد في أنه كثيرا ما يساهم المظهر الخارجي للشخصية وأبعادها الجسمانية في الإيحاء بكيفية تصرفها في مواقف معينة.[24]

البعد الاجتماعي :Socialوهو الذي يحدد أوصاف الشخصية ووضعها في المجتمع، فالبيئة التي يحيى فيها الإنسان لها أثرها الواضح على مجرى حياته بل كثيرا ما تشكل نظرته إلى العالم المحيط به فيما بعد، فالبيئة التي تؤمن بالخرافات تجعل أهلها يتمسكون بالخرافات مهما ابتعدوا عنها أو وصلوا إلى أرفع المراحل التعليمية أو الاجتماعية ومع هذا لا يجب أن نغفل الفروق الحقيقية بين من يعيشون في هذه البيئة.(25)

ويتضمن هذا البعد العمل ونوعه وظروفه والدخل المادي وساعات العمل والتعليم ومقداره ونوعه والكفاءات والاستعدادات والحياة العائلية وسلوك الوالدين ومعيشتهما، هل هما معا أم منفصلين، بالإضافة إلى أنواع الهوايات وقراءات الشخصية وثقافتها والمكانة في المجتمع والمشاركة السياسية.

البعد النفسي :Psychologicalوهو الذي يحدد فيه الكاتب الجوانب النفسية للشخصية وهو ثمرة للبعدين السابقين في الاستعداد والسلوك والرغبات والفكر ومن خلاله نتعرف على الدوافع وما ينشأ عنها من انفعال أو هدوء، انطواء أو انبساط، حب أو نفور، وما يتصل بذلك كله من عقد نفسية محتملة الحدوث.

والأبعاد الثلاثة السابقة ليست منفصلة عن بعضها ولا يجوز تحديد كل منها بمعزل عن الآخر لأنها متداخلة، ومن انصهارها معا تتضح معالم الشخصية وبقدر نجاح المؤلف في صهر هذه الأبعاد بقدر ما تكون الشخصية ناجحة متماسكة.

ثالثا: واقع الدراما التركية في الجزائر

إن اللافت للإنتباه في السنوات الأخيرة هو انتشار الدراما التركية المدبلجة للغة العربية بحيث بدأت في العرض على القنوات العربية ابتداءا من سنة 2007 خصوصا على قناة " أم بي سي"، التي حققت نسب مشاهدة عالية ومازالت تحقق نسبا لا بأس بها، وأصبحث الفضائيات العربية تتسابق لبث دراما تركية جديدة للإستحواذ على أكبر قدر ممكن من الجمهور فلقد تم في البداية بث 23 مسلسلا وحاليا تضاعف العدد خاصة مع الاعتماد على الأفلام التركية أيضا، فالنجاح الواسع الذي لقيته لدى الجماهير ساهم في انتشارها بحيث عكف العديد من المستثمرين إلى إنشاء أستوديوهات خاصة بالدبلجة للغة العربية واللهجة السورية واللبنانية ولعل أكثرها باللهجة السورية التي لقيت نجاحا واسعا مع انتشار الدراما السورية في السنوات الأخيرة واقترنت بالدراما التركية.

وتعد الدراما التلفزيونية التركية من بين الدراما التي تحرص العائلة الجزائرية على مشاهدتها، وذلك لأن الدراما التركية تحاول تقديم قصصا مشوقة وأحداثا جذابة، كما تبرز شخصيات قد تتعاطف معها أو تكرهها أو تحبها أو تتوحد معها أو تنفر منها، ولكن في جميع الأحوال تحرص على متابعتها ومعرفة ما يجري فيها، فقد تتفرغ تماما عند المشاهدة أو تصاب بالضيق عندما يعوقها عائق عن متابعة الأعمال الدرامية التي تفضلها، بالإضافة إلى الأماكن الجميلة والمناظر الخلابة التي تميز مواقع تصوير الأحداث. وفي الحقيقة ليست هذه هي المرة الأولى التي يتضح فيها اعجاب المشاهدين بهذا النوع من الدراما التلفزيونية، فقد سبق ذلك ما حصل مع المسلسلات المكسيكية.[26]

وهذا ما جعل الفضائيات الجزائرية تهتم بعرض الدراما التركية حتى تحافظ على جمهورها، خاصة وأن الجمهور الجزائري متتبع وفي للمسلسلات التركية سواء عبر الفضائيات العربية أو الوطنية، خاصة بالنسبة للفتيات والنساء، بحيث تبين لنا من خلال الملاحظة أن هناك العديد من النساء يتركن أشغال البيت جانبا ويتفرغن للتسمر أمام شاشة التلفزيون لمتابعة حلقات "نور ومهند" و"عمار" و"ايزل" و"سنوات الضياع"...الخ، ولا يملللن من إعادة مشاهدة مسلسلات تركية قد شاهدنها من قبل مثل"عاصي"..الخ، وظهور المعارضين لبث هذه الدراما بعد ما انتشرت عبر وسائل الإعلام مشاكل البيوت العربية بسبب الدراما التركية.

ويرجع هذا الاقبال الجماهيري على الدراما التركية إلى تحقيق بعدا العمل الفني فيها، وتتمثل في التشابه مع الواقع العربي من جهة، والذهاب بهذا الواقع إلى مستوى الحلم.[27]

بالإضافة إلى البساطة في التمثيل من طرف الممثلين والممثلات، عاديون في ملامحهم الخارجية، لا يستخدمون الماكياج الثقيل، أما الأماكن التي تدور فيها الأحداث، تجمع بين الشقق العادية التي تسكن فيها أبناء الطبقة المتوسطة، والقصور الفاخرة، وأحيانا منازل متواضعة للفقراء، كما تتميز الدراما التركية من حيث التصوير الخارجي باستخدام الكاميرات الخفيفة وأدوات الإضاءة المحمولة التي تركز على المناظر الطبيعية الساحرة، والمواقع الحديثة والتقليدية في تركيا، أما عن الواقع الدرامي فأغلب المسلسلات التركية تدور في عالم من القضايا

الاجتماعية (والسياسية أحيانا)، والقصة تتجسد من خلال شخصيات درامية وشبكة من العلاقات، وهي تضم الأغنياء والفقراء، والأخيار والأشرار، ودائما هناك أجيال تمتد من الأجداد إلى الأحفاد، ليستطيع المتلقي من خلال هذا النوع أن يتوحد أو يتعاطف مع الشخصية التي تنال اعجابه ويستمر في مشاهدتها، ويتم في النهاية التأكيد على أن الخير سوف ينتصر على الشر، وهذه روح التفاؤل هي الأقرب لقلب المتفرج، لأنها تؤكد على أنه إذا كان في الواقع ظلم فادح، فإن الفن يحمل امكانية تحقيق نوع من العدالة التي تساعد الإنسان على الاستمرار في النضال مع الحياة، ومن حيث المستوى التقني، فعملية الدوبلاج متقنة، واللهجة العامية أضفت مصداقية لما يراه المشاهد.

فيما يلي أهم مميزات الدراما التركية:

_تقارب وتشابه العادات والتقاليد بين المجتمع التركي والعربي.

-القصة المحبوكة المتشابكة التي تتناول العلاقات الانسانية وتعقيداتها المرتبطة بالفروق الطبقية ومشاكل البطالة والفقر وسلطة المال والأحفاد وكذا الارتباط العائلي والحب والرومانسية والتعاون بين الأصدقاء الموجودة في المجتمع التركي.

-الأداء الطبيعي للممثلين مما يضفي المصداقية للعمل.

-تضمين القيم الانسانية في المسلسلات، كالبطولة والشجاعة والحب والتكافل.

-عرض هذه المسلسلات على فضائيات تحظى بنسب مشاهدة مرتفعة.

-الحرفية العالية والمهنية الجيدة التي تمت بها عملية الدوبلاج.

-استخدام اللهجة السورية السهلة والخفيفة، والتي ارتبطت في أذهان الجمهور بأعمال عديدة ناجحة من الدراما السورية، فاعتادها المشاهدون ولم تعد غريبة عن وعيهم.[28]

وعلى الرغم من ذلك، تبقى الدراما التركية بعيدة كل البعد عن القيم الدينية الأصيلة، وتعمل على هدم بعض تقاليد وعادات المجتمع الجزائري المحافظ، من خلال عدم الاحتشام في لباس الممثلين والممثلات، وممارستهم لبعض السلوكيات لا يمكن القبول بها في إطار الثقافة العربية بصفة عامة، والثقافة الجزائرية بصفة خاصة.

الهوامش:

-[1]عبد الرحيم درويش، الدراما في الراديو والتلفزيون:المدخل الاجتماعي للدراما، مكتبة نانسي دمياط،مصر، 2005، ص20.

-[2]ماجدة مراد، شخصياتنا المعاصرة بين الواقع والدراما التلفزيونية، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2004، ص94.

-[3]عبد الرحيم درويش، الدراما في الراديو والتلفزيون:المدخل الاجتماعي للدراما، نفس المرجع، ص21.

[4]-Phyllis Hartnoll, The Oxford Companion to The Theatre, University Press, Oxford, 1991, p.227

-[5] Magde Whaba, Dictionary of Literary Terms, Libraries du Lebanon, Beirut, 1989, p.121

-[6]محمد فريد عزت، قاموس المصطلحات الإعلامية، دار الشروق، جدة، 1984، ص118.

-[7]حسين رامز محمد رضا، الدراما بين النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1972،ص28.

-[8]زغلولة سالم، صورة المرأة العربية في الدراما المتلفزة، دار ارام، الأردن، 1997، ص21.

-[9] محمد عناني، فن الكوميديا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص12.

-[10]عبد الرحيم درويش، مرجع سبق ذكره، ص36.

[11]- Alan Wutze, John Rosenbaum, Television Production, 4th Ed, Me Grow Hill Inc, New York, 1995, p.54

-[12] ماجدة مراد، شخصياتنا المعاصرة بين الواقع والدراما التلفزيونية، نفس المرجع، ص103.

-[13]عبد الرحيم درويش، مرجع سبق ذكره، ص ص:36- 37.

[14]- Rosemary Horthmann, Writing for Radio, 3rded, A & Black, London, 1997, p.35

-[15]ماجدة مراد، مرجع سبق ذكره، ص ص:106-107.

-[16] المرجع السابق، ص108.

[17]- Peter E Mayeux, Writing for The Electronic Media, 2ed, Wsb Brown & Bench Mark, Madison, 1994, p.359

[18]- Ibid, p.p.: 370 -379

-[19]ماجدة مراد، مرجع سبق ذكره، ص ص: 109- 110.

[20]_ Robert l. Hilliard, Writing for Television and Radio, 4th Ed, W ads Worth Publishing Company, California, 1984, p.305

-[21]لاجوس ايجري، فن كتابة المسرحية، تر: دريني خشبة، الانجلو، القاهرة، دت، ص211.

-[22]عماد نداف، محمد نداف، الدراما التلفزيونية:التجربة السورية نموذجا، دار الجديدة، دمشق، 1994، ص37.

[23]- Petter E. Mayeux, op.cit, p.p.: 367-370

[24]- Ronald Days, Screen Writing for Television and Film, Brown& Benchmark Publishers, California, 1993, p.102

-[25]شكري عبدالوهاب، النص المسرحي:دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة المسرحية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية،1997، ص55.

_[26]عبد العزيز بن حمد الحسن، المسلسلات التركية المدبلجة والمشاهدون العرب(التجربة والنتيجة)، مجلة الإذاعات العربية، العدد2010،05، ص 87.
http://WWW.ASBU.net/revue.05/form.htm(2014/05/20)

[27] _www. Alwafd.org (29/10/2014)

_[28]وسام فاضل، التعرض للمسلسلات التركية المدبلجة ورأي الجمهور بالمحتوى، مجلة الباحث الاعلامي، العدد8، مارس 2010، ص12.

قائمة المراجع:

أ. الكتب:

.1ايجري لاجوس، فن كتابة المسرحية، تر: دريني خشبة، الانجلو، القاهرة، دت

.2درويش عبد الرحيم، الدراما في الراديو والتلفزيون: المدخل الاجتماعي للدراما،مكتبة نانسي دمياط، مصر، 2005.

.3مراد ماجدة، شخصياتنا المعاصرة بين الواقع والدراما التلفزيونية، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2004.

.عناني محمد، فن الكوميديا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998 .4

.5رضا حسين رامز محمد، الدراما بين النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972.

.6نداف عماد، محمد نداف، الدراما التلفزيونية: التجربة السورية نموذجا، دار الجديدة، دمشق،1994.

.7زغلولة سالم، صورة المرأة العربية في الدراما المتلفزة، دار ارام، الأردن، 1997

.8شكري عبدالوهاب، النص المسرحي: دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة المسرحية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، 1997

ب. القواميس والمعاجم:

.9محمد فريد عزت، قاموس المصطلحات الإعلامية، دار الشروق، جدة، 1984.

ج. المجلات:

.10وسام فاضل، التعرض للمسلسلات التركية المدبلجة ورأي الجمهور بالمحتوى، مجلة الباحث الاعلامي، العدد8، مارس 2010، ص12.

د. المواقع الالكترونية:

11. بن حمد عبد العزيز حسن، المسلسلات التركية المدبلجة والمشاهدون العرب(التجربة والنتيجة)، مجلة الإذاعات العربية، العدد2010،05.

http://WWW.ASBU.net/revue.05/form.htm(2014/05/20)

www. Alwafd.org (29/10/2014)

-المراجع باللغة الأجنبية:

1) Ouvrage

11. Days Ronald, Screen Writing for Television and Film, Brown & Benchmork Publishers,California,1993

12. E.mayeux Peter, Writing for The Electronic Media, 2Ed, Wsb Brown & Benchmark, Madison, 1994

13. Hillard Robert, Writing for Television and Radio, 4th Ed, w ads Worth Publishing Company, California, 1984

14. Horthmann Rosemary, Writing for Radio, 3rdEd, A & black, London, 1997

15. Wutze Alan, john Rosenbaum, Television Production, 4th Ed, Me grow Hill Inc, New York

2) Dictionnaires et Encyclopédies:

16. Hartnoll Phyllis, The Oxford Companion to the Theatre, University Press, Oxford, 1991.

17. Whaba Magde, Dictionary of Literary Terms, Library du Lebanon, Beirut, 1989.

التويتر من يستخدمه ولأي غرض
دراسة نظرية – ميدانية

أ.ة بن عمار هاجر
جامعة الجزائر

مقدمة:

لقد أدى التطور المتسارع لوسائل الإعلام والاتصال إلى إحداث ثورة حقيقية وتغيرات جوهرية مست جميع مجالات الحياة، وبدأت آثار هذه التغيرات على مستوى الجماعات والأفراد ليس على المستوى المحلي فقط بل تعدى ذلك إلى المستوى العالمي، محدثة ظواهر جديدة وتأثيرات مباشرة على مختلف التنظيمات والبنى الاجتماعية، وقد ساهم في كل ذلك ما بات يعرف بشبكات التواصل الاجتماعي، والتي هي فضاء اجتماعي يقدم خدمات معينة لمستخدم هذا الفضاء وتسمح له بإنشاء حساب خاص، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي الكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات، الهوايات.. . أو جمعه مع أصدقائه وأفراد عائلته.

تعتبر شبكة التويتر إحدى شبكات التواصل الاجتماعي التي اكتسبت شهرة كبيرة، لسماحها للمشاركين بالتعبير عن آرائهم بالصوت والصورة ومشاركة الملفات ومقاطع الفيديو والوصول إلى جميع المشتركين في شتى أنحاء العالم وتعد شبكة التواصل الاجتماعي للمعلمين والمتعلمين وسيلة للتفاعل الاجتماعي، وفرصة لإنشاء صفحات على الشبكة وطرح الموضوعات وإضافة التعليقات عليها. كل ما سبق جعلنا نتساءل الأسئلة التالية:

- ما هو التويتر ؟
- من يستخدمه ؟
- ولأي سبب ؟
- أي هوية يستخدمها مستخدمو التويتر ؟
- ما هو سبب اختيار هاته الهوية؟

كل هذه التساؤلات قادتنا إلى الإشكال التالي: من يستخدم التويتر ولماذا يستخدمه، وفي محاولة منا للإجابة على هذه الإشكالية سوف نتطرق للعناصر التالية: مفهوم التويتر، مستخدمي التويتر، أغراض استخدامه، والهوية المستخدمة من طرف مستخدمي التويتر.

منهج البحث وأداته:

سنعتمد في موضوعنا على المنهج الوصفي التحليلي الذي تقول عنه **دلال القاضي ومحمود البياتي** انه "يهدف إلى جمع بيانات ومعلومات كافية ودقيقة عن الظاهرة، ومن ثم دراسة وتحليل ما تم جمعه بطريقة موضوعية وصولا إلى العوامل المؤثرة في تلك الظاهرة"[1]، والذي يعتمد على عدة أساليب اخترنا منها أسلوب المسح الذي هو محاولة منظمة لجمع البيانات وتحليلها وتفسيرها من اجل تعميم النتائج عن طريق وصف وتشخيص ظاهرة ما كما هي في الواقع الراهن، وتقول **دلال القاضي ومحمود البياتي** انه يرتكز على الوصف الدقيق والتفصيلي للظاهرة وصفا كميا أو نوعيا، والمسح نوعان شامل ومسح بالعينة وسنعتمد في هذا البحث على المسح بالعينة نظرا لاتساع وشمول مجتمع البحث.

أما عن أداة البحث فيعتبر الاستبيان الأداة الأمثل لهذه الدراسة فهو حسب **احمد بن مرسلي**: "يساعد على جمع معلومات من المبحوثين لا يستطيع الباحث ملاحظتها بنفسه في ميدان البحث، ويقول **إبراهيم البيومي غانم**: انه يأخذ شكل استمارة يحتوي عددا من الأسئلة المصممة بطريقة منظمة حول موضوع معين وتوجه إلى مجموعة أو عينة من الأفراد ليجيبوا عنها، ويدونوا إجاباتهم بأنفسهم، وقد يدون الباحث الميداني تلك الإجابات لهذا المنهج بأسلوبه وأداته بنفسه مع الالتزام بنص ما يقوله المبحوث"[2]. يتم صياغة الاستبيان وفق أغراض البحث وهو يهدف إلى التعرف على حقائق معينة، أو وجهة نظر اتجاه المبحوثين ويعتبر من أكثر الأدوات استخداما في بحوث الإعلام وقد يكون مقننا أو غير مقنن.

وسنستخدم تحديدا الاستمارة الالكترونية التي تملأ ذاتيا من طرف المبحوثين وتعتبر الأمثل كوننا سندرس مجتمعا الكترونيا افتراضيا إذا صح التعبير. وقد امتدت مدة نشر الاستمارة من 21-05-2015 إلى 26-02-2016.

اختيارنا لهذا المنهج بأسلوبه وأداته البحثية العلمية يرجع لملاءمتها لموضوع الدراسة ولتسهيل العمل وتيسير الوصول إلى المعلومات الصحيحة والكافية.

مجتمع البحث:

مجتمع البحث نظريا يعني "جميع المفردات التي لها صفة أو صفات مشتركة، وجميع هذه المفردات خاصة للدراسة أو للبحث من قبل الباحث" [3] وهذا حسب **دلال القاضي ومحمود البياتي**، ويعرفه **احمد بن مرسلي** بأنه "جميع المفردات ذات العلاقة بالمشكلة المدروسة، أو هو جمع محدود أو غير محدود من المفردات التي تنتمي إلى الظاهرة المبحوثة " [4] أما إجرائيا فمجتمع البحث الذي اخترناه للدراسة هو كل مستخدمي موقع التويتر بغض النظر عن جنسهم، أعمارهم، مستوياتهم الدراسية، مهنهم، جنسيتهم.. ..

عينة البحث:

العينة هي"مجموعة جزئية من المجتمع" [5] تكون ممثلة له من حيث الخصائص وهي أنواع احتمالية وغير احتمالية.

أما عن العينة المختارة للدراسة فقد اخترنا عينة عشوائية والتي تعتمد على مبدأ الاختيار العشوائي للمفردات بحيث يكون لجميع وحدات المجتمع تحت المعاينة نفس الفرصة أو الاحتمال في الاختيار. وقد بلغ عدد مفردات العينة 183 مفردة متباينة حيث تراوحت أعمارهم من 13 سنة إلى 30 سنة فما فوق، وانقسموا بين ذكور وإناث، وتعددت مهنهم ومستوياتهم الدراسية. فقد بلغ عدد الذكور 96 ذكرا، و87 أنثى كما هو موضح في الجدول التالي:

جنس مستخدمي التويتر	التكرار	النسبة المئوية
إناث	87	48
ذكور	96	52
المجموع	183	100

I. <u>مفهوم التويتر:</u>

يعرفه "**جروسك وهولوتسك**» :" **Grosseck, Holotescu**أنه المدونات الصغيرة، أوشكل جديد من المدونات، والتي تسمح للمستخدمين بنشر نص مختصر على

الإنترنت، وعادة ما تكون من 140-200 حرفا وكذلك الصور والملفات الأخرى. تمكن من التفاعل في الوقت الحقيقي بين المستخدمين، وذلك باستخدام مختلف الأجهزة والتقنيات من خلال موقع تويتر. »[6]

وعرفه "**وقاص الشريف**" * هو «موقع شبكة اجتماعية يقدم خدمة التدوين المصغر ويمكنك متابعة من تود ويتابعك من يريد دون تحديد لعدد معين، ويسمح تويتر لمستخدميه بإرسال تحديثات Tweets) تغريدات) عن حالتهم بحد أقصى 140 حرف للرسالة الواحدة. وذلك مباشرة عن طريق موقع تويتر أو عن طريق إرسال رسالة نصية قصيرة SMS أو برامج المحادثة الفورية أو عبر التطبيقات وتطبيقات الهواتف المحمولة التي يقدمها المطورون مثل الفيس بوك وTwitBird وTwitterrific وTwhirl وtwitterfox وغيرها »[7].

كلمة تويتر مشتقة من الكلمة الانجليزية tweet والتي تعني تغريد العصفور لذلك اتخذ من العصفور رمزا له، وسميت التحديثات والمنشورات على هذا الموقع ب tweets بمعنى التغريدات. يمكن تعريفه على انه موقع الكتروني للتواصل الاجتماعي يمكن الدخول إليه مجانا، يتيح لمستخدميه إنشاء حساب خاص، ومتابعة الصفحات والأشخاص الذين يهمونه ويتلقى بدوره المتابعة من غيره، ومنه الوصول إلى المعلومات وإرسال الرسائل الخاصة في أي وقت.

و قد أنشأ هذا الموقع من طرف "**جاك دورسي " Jack Dirsey**في 13 جويلية 2006 كمشروع تطوير بحثي « أجرته شركة Odeo الأميركية في مدينة سان فرانسيسكو ، وبعد ذلك أطلقته الشركة رسميا للمستخدمين بشكل عام في أكتوبر 2006. وبعد ذلك بدأ الموقع في الانتشار كخدمة جديدة على الساحة في عام 2007 من حيث تقديم التدوينات المصغرة، وفي أبريل 2007 قامت شركة Odeo بفصل الخدمة عن الشركة وتكوين شركة جديدة باسم [8] « .Twitter

من خلال دراستنا يمكننا القول أن التويتر هو عبارة عن موقع اجتماعي، برنامج محادثة، ومدونة في آن واحد. فمن خلال الجدول الأدنى نلاحظ أن 40 % من المستخدمين يعتبرونه موقعا اجتماعيا، ويعتبره 12.5 % برنامج محادثة، ومدونة بالنسبة لـ 10 %.

ماذا يمثل التويتر لمستخدميه	التكرار	النسبة المئوية
برنامج محادثة	23	12,5
برنامج محادثة، موقع اجتماعي	30	16
برنامج محادثة, مدونة	1	0,5
برنامج محادثة, موقع اجتماعي, مدونة	12	6,5
لا شيء	1	0,5
مدونة	18	10
مصدر للأخبار	1	0,5
مصدر للأخبار، مدونة	1	0,5
مضيعة للوقت	1	0,5
موقع اجتماعي	73	40
موقع اجتماعي, مدونة	14	8
موقع اجتماعي, مدونة, مصدر للأخبار	3	2
موقع اجتماعي, مدونة, موقع إخباري، تثقيفي	1	0,5
موقع اجتماعي, مصدر للأخبار	1	0,5
موقع إخباري، تثقيفي	1	0,5
موقع تسلية	2	1
المجموع	183	100

يتميز عن غيره من المواقع بقصر التغريدات, التفاعل والتواصل, سرعة الوصول إلى المعلومة وهو ما اتفق عليه 23 % من المستخدمين، وكانت باقي النسب موزعة على نفس هاته الميزات كما هو ممثل في الجدول الآتي:

النسبة المئوية	التكرار	مميزات التويتر بالنسبة لمستخدميه
15	27	التفاعل والتواصل
5	9	التفاعل والتواصل, سرعة الوصول إلى المعلومة
0,5	1	تغريدات مميزة
15	27	سرعة الوصول إلى المعلومة
19	35	قصر التغريدات
3	6	قصر التغريدات, التفاعل والتواصل
23	42	قصر التغريدات, التفاعل والتواصل, سرعة الوصول إلى المعلومة
0,5	1	قصر التغريدات, التفاعل والتواصل, سرعة الوصول إلى المعلومة, الآنية، خدمة الرسائل القصيرة
0,5	1	قصر التغريدات, التفاعل والتواصل, سرعة الوصول إلى المعلومة, الآنية، خدمة الرسائل القصيرة، مصدرا للأخبار
0,5	1	قصر التغريدات, التفاعل والتواصل, سرعة الوصول إلى المعلومة, مصدر للأخبار، الترويج
16	29	قصر التغريدات, سرعة الوصول إلى المعلومة
0,5	1	لا شيء
0,5	1	لا يمكن إخفاء التغريدات
0,5	1	سهل وبسيط
0,5	1	يحتوي على حسابات المشاهير أكثر من غيره من مواقع التواصل الاجتماعي
100	183	المجموع

II. **مستخدمو التويتر:**

يعرف التويتر انتشارا كبيرا في وقتنا الراهن خاصة مع التطور التكنولوجي وما رافقه من تطوير في التطبيقات وفي الموقع نفسه، وهذا ما وسع في شريحة مستخدميه، هؤلاء الذين يمثل أغلبيتهم الرجال، فقد كشفت الدراسات أن الرجال يستخدمون التويتر أكثر من النساء، وأن فئة الشباب هي الأكثر استخداما له وقد تراوحت أعمارهم بين 18- 35 سنة.

استخدام التويتر لا يقتصر على فئات أو شخصيات معينة فنجد فيه العلماء، الأدباء، أصحاب الأعمال، السياسيون، الفنانون والمشاهير إضافة إلى أشخاص قد

يكونون غير معروفين من طرف الآخرين.

ذكر موقع "tech news"أنه وفقا للبيانات الصادرة في جويلية 2013 عن جي بي مورجان الذي يقوم بها المحلل Doug Anmuth، قالت أن تويتر لديه مستخدمين من كل أطياف العمر، وأن الفئة الأكثر استخداما له تتراوح أعمارهم بين 13 و44، وأكبر فئة عمرية تستخدم تويتر تتراوح أعمارهم بين 25 و34، وأشار التقرير إلى أن الفئة التي تتراوح أعمارهم بين 13 و17 تشكل نسبة 10.1 %، والذين يتراوح عمرهم ما بين 18 و24 يشكلون 18.2 % من قاعدة مستخدمي تويتر. »[9] وحسب إحصائيات قام بها موقع statisticbrain والصادرة في 01-01-2014 بلغ «إجمالي عدد مستخدمي تويتر المسجلين والنشطين 645,750,000، وأن عدد المستخدمين النشطين شهريا 115 مليون شخص، وبلغ عدد التغريدات في الثانية 9,100، وأن نسبة مستخدمي التويتر الذين يستخدمون هواتفهم لنشر التحديثات 43 % » [10]، وقد وجدت دراسة قام بها موقع التويتر أن من يستخدم التويتر عبر الأجهزة الذكية فانه يميل إلى البقاء على الشبكة أكثر من المستخدم العادي وانه اقل رغبة بالانتقال لاستخدام التويتر عبر الحواسب الشخصية، ووجدت أن مستخدمي التويتر على الأجهزة الذكية يكونون اصغر في العمر تتراوح أعمارهم بين 18 و24 سنة، أما من حيث التفاعل فإنهم يتفاعلون طوال اليوم حتى إن كانوا خارج المنزل أو يقومون بنشاطات معينة وبنسبة اكبر من غيرهم. ويقول تقرير الإعلام الاجتماعي العربي الصادر في ماي 2011 أن « 30-40 مليون مستخدم فقط يتميز بالنشاط، ما يعني أن معظم المعلومات الموجودة على تويتر تنتجها أقلية، في حين تستخدم الأغلبية التويتر لاستهلاك الأخبار باعتباره مصدرا للأخبار أكثر منه أداة للتدوين المصغر»[11].

لقد احتلت دول مجلس التعاون الخليجي وعلى رأسها السعودية الصدارة فيما يخص استخدام التويتر ونشر التحديثات أو عدد التغريدات بالإضافة إلى مصر، وبذلك شهدت اللغة العربية انتشارا على التويتر، وباتت اللغة السادسة الأكثر استخداما على الموقع علما أن الرياض تحتل المرتبة العاشرة عالميا من حيث كونها الأكثر نشرا للتغريدات.

و قد وجدنا من خلال دراستنا أن مستخدمي التويتر تتراوح أعمارهم ما بين 13 إلى 30 سنة فما فوق، وكانت النسبة الأكبر من المستخدمين أعمارهم 20-30 سنة سواء كانوا إناثا أم ذكورا، وقد توزعت نسب الفئات العمرية كالتالي: 24 % تتراوح أعمارهم ما بين 13-19 سنة وهم ما يمثلون 44 شخص، في حين 45 % منهم أعمارهم بين 20-30 سنة ما يعادل 82 مفردة، أما الأشخاص الذين أعمارهم 30 سنة فما فوق فقد بلغو 57 مفردة أي 31 %. مثلما نلاحظ في الجدول الأدنى:

أعمار مستخدمي التويتر	التكرار	النسبة المئوية
13-19	**44**	**24**
20-30	**82**	**45**
30سنة فما فوق	**57**	**31**
المجموع	**183**	**100**

كما وجدنا أن هؤلاء المستخدمين يملكون مستويات دراسية مختلفة حيث كانت النسبة الأعلى من العينة ذات مستوى جامعي حيث بلغت هاته النسبة 51 % فقد تكررت 93 مرة، لتليها فئة ذوي المستوى الثانوي بنسبة 30 % وتكرار بلغ 55 مرة، وتقاربت نسب المستوى المتوسط والدراسات العليا فكانت هاته الأخيرة ذات تكرار بالغ 18 مفردة أي 10 % من العينة، في حين بلغت نسبة ذوي المستوى المتوسط 8 % فقد تكررت 15 مرة، لتكون أدنى نسبة لذوي المستوى الابتدائي والمقدرة بـ 1% وتعادل مفردتين. وهو ما توضحه النتائج المدونة في الجدول التالي:

المستوى الدراسي لمستخدمي التويتر	التكرار	النسبة المئوية
ابتدائي	**2**	**1**
متوسط	**15**	**8**
ثانوي	**55**	**30**
جامعي	**93**	**51**
دراسات عليا	**18**	**10**
المجموع	**183**	**100**

كما أنهم يمارسون مهن مختلفة، لكن الأغلبية طلبة، أساتذة، إعلاميون، فنانون، وعاطلون عن العمل حيث لاحظنا أن نسبة الطلبة بلغت 33 %، في حين قدرت نسبة العاطلين عن العمل بـ 19 %، 11 % أساتذة، 5 % فنانين، و3 % إعلاميين. وهو ما نلاحظه من خلال الجدول التالي:

مهن مستخدمي التويتر	التكرار	النسبة المئوية
أخصائي نفساني	1	0,5
أستاذ	20	11
إعلامي	6	3
بناء	1	0,5
تسويق، مبيعات، تجارة	6	3
حارس	2	1
حلاقة وتجميل	3	2
خياطة وتصميم أزياء	3	2
رياضي	3	2
طالب	61	33
طباخة	1	0,5
طبيب	4	2
طيران	1	0,5
عارضة	1	0,5
عسكري	3	2
فنان	9	5
قابلة	1	0,5
كهرباء سيارات	1	0,5
عاطلين عن العمل	34	19
محامي	2	1
محلل سياسي	1	0,5
مخبري	1	0,5
مدربة تنمية الذات	1	0,5
ممرضة	1	0,5
مهندس حاسوب	3	2
مهندس مدني	1	0,5
مهندس معماري	1	0,5
موظف	10	5
نادل مطعم	1	0,5
المجموع	183	100

وقد تعرفوا على التويتر من خلال تصفح الانترنت، الأصدقاء والزملاء، وسائل الإعلام، والعائلة، كل بنسبة مختلفة فمثلا 20 % من المستخدمين تعرفوا عليه من خلال تصفح الانترنت، بينما تعرف عليه 18 % من خلال الأصدقاء والزملاء، و17 % من خلال وسائل الإعلام؛ وغيرها مثلما يتضح في الجدول الأدنى:

النسبة المئوية	التكرار	كيفية تعرف مستخدمي التويتر على هذا الموقع
18	**34**	**الأصدقاء أو الزملاء**
10	**18**	**الأصدقاء أو الزملاء, تصفح الأنترنت**
2	**4**	**الأصدقاء أو الزملاء, وسائل الاعلام**
8	**14**	**الأصدقاء أو الزملاء, وسائل الاعلام, تصفح الأنترنت**
10	**19**	**العائلة**
4	**7**	**العائلة, الأصدقاء أو الزملاء**
0,5	**1**	**العائلة, الأصدقاء أو الزملاء, تصفح الأنترنت**
1,5	**3**	**العائلة, الأصدقاء أو الزملاء, وسائل الاعلام, تصفح الأنترنت**
20	**36**	**تصفح الأنترنت**
17	**31**	**وسائل الاعلام**
9	**16**	**وسائل الاعلام, تصفح الأنترنت**
100	**183**	**المجموع**

III.أسباب استخدام التويتر:

تختلف أسباب استخدام التويتر من شخص إلى آخر ومن شريحة عمرية إلى أخرى كل حسب أهدافه وخلفيته ومستواه الثقافي، الاجتماعي.. .، لكنها في الغالب تتلخص فيما يلي:

1- الحصول على معلومات لحظية: من خلال حسابات القنوات الإخبارية والصحف، الشخصيات المعروفة والمشهورة التي تعمل على نشر آخر مستجداتها فور حصولها كما يمكن أن تكون هذه المعلومات من طرف شخص حضر حدثا أو شيئا مهما ينشر عنه فور حدوثه، فالمعلومات اللحظية دائما تكون ذات قيمة عالية كونها تحدث فوريا.

2- 140 حرفا فقط: التغريد يجب ألا تزيد حروفه عن 140 حرفا، وهذه الميزة تعتبر سببا للبعض في استخدام التويتر، فليس الجميع يحب الثرثرة، فهناك من

يحب معرفة المعلومة بشكل مختصر حتى لا يشعر بالملل وتسهل عليه القراءة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان من يغرد هذه 140 حرفا تعتبر حافزا له للإبداع وانتقاء كلماته وإثراء ثقافته.

3- إعادة التغريد: بمجرد أن تعجبك تغريدة يمكنك الضغط على إعادة التغريد ونشرها على حسابك الخاص، مما يتيح لها الانتشار الأسرع، وهذا الأمر مفيد أكثر في الجانب التسويقي.

4- إيجاد وظيفة: العديد من الشركات وأصحاب الأعمال، يقومون بالنشر على التويتر ويطلبون موظفين، لذا من خلال متابعة حسابات الشركات وعرض الخدمات والمؤهلات على هذه الشركات، يستطيع المستخدم العثور على الوظيفة التي تناسبه.

5- القوة: التويتر أعطى سلطة للشعب، وهذا ما يتجسد في الثورات التي برزت في السنوات الأخيرة، فقد أصبح لديهم القدرة على قيادة المعركة، وتكوين آراء عامة حول قضايا معينة.

6- يمكن الوصول إلى التويتر من أي مكان تقريبا خاصة مع التطورات التكنولوجية، حيث يمكن للشخص التواصل عبر التويتر من خلال الهواتف الذكية الحواسيب الشخصية، الكمبيوتر المحمول.. .، دون التخلي عن أي تطبيق أو ميزة من ميزاته.

7- سهل وبسيط الاستخدام لا يحتاج الفرد أن يكون عبقريا في الإعلام الآلي حتى يستخدمه، خاصة وانه يستخدم واجهة بسيطة وفعالة دون أي تعقيدات أو تشعبات على عكس المواقع الاجتماعية الأخرى.

8- البقاء على اتصال دائم مع أفراد العائلة، الأصدقاء، وأصحاب الاهتمامات المشتركة وذلك من خلال إرسال رسائل نصية قصيرة ((sms، RSS، ومختلف التطبيقات.

9- نشر الروابط، الفيديوهات، الصور.

10- التواصل مع الشخصيات المشهورة والمهمة مباشرة عبر حساباتهم على التويتر لمعرفة آخر أخبارهم.

11- وسيلة للتعبير عن الرأي وحشد التأييد والاحتجاج.

12- المؤازرة والمواساة في الأزمات.

13- تقديم الدعم والتبرعات للمؤسسات الخيرية وذات النفع العام.

14- المساعدة وتقديم الخدمات الاجتماعية والإنسانية للآخرين مثل التبرع بالدم، البحث عن المفقودين.. ..

و هذا ما أكدته نتائج دراستنا ونلاحظه من خلال الجدول التالي:

أسباب اختيار التويتر	التكرار	النسبة المئوية
التسلية والترفيه, البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمامات المشتركة من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر, الحصول على معلومات فورية, قصر التغريدة حيث لا تتجاوز **140**حرفا, إعادة التغريد, إمكانية الوصول إليه من أي مكان ومن خلال أي وسيلة اتصال حديثة, سهولة وبساطة الاستخدام, التواصل المباشر مع الشخصيات الهامة والمشهورة, نشر الصور، الفيديوهات، والروابط	3	2
التواصل المباشر مع الشخصيات الهامة والمشهورة	10	5
إعادة التغريد	2	1
البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمامات المشتركة من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر	10	5
الترويح لنفسي ولعملي	3	2
التسلية والترفيه	13	7
التعرف على أشخاص من أماكن وثقافات مختلفة	3	2
الحصول على معلومات فورية	13	7
القوة والمكانة الاجتماعية	2	1
المعلومات أكثر موضوعية والمواضيع أكثر جدية	1	0,5
إيجاد وظيفة	5	3
سهولة وبساطة الاستخدام	4	2
فضاء للتصريح بآرائي	1	1
لأتجسس على معارفي	1	0,5
متابعة أهم الصفحات التي تهمني	2	1
نشر الصور، الفيديوهات، والروابط	3	2
التسلية، التواصل من خلال الرسائل، الحصول على المعلومات، قصر التغريدات، إعادة التغريد، إيجاد وظيفة، القوة والمكانة الاجتماعية ، إمكانية الوصول إليه، سهل وبسيط، التواصل مع المشاهير، نشر الصور، الفيديوهات والروابط	77	42
التسلية والترفيه، البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات، إيجاد وظيفة، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستخدام	1	0,5
البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمامات المشتركة من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات، قصر التغريدة حيث لا تتجاوز **140** حرفا، إعادة التغريد، القوة والمكانة	3	2
الحصول على المعلومات، قص التغريدة، إعادة التغريد، القوة والمكانة، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستعمال، التواصل مع الشخصيات المشهورة، نشر الصور، الفيديوهات والروابط	1	0,5

0,5	1	البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، وأصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، إمكانية الوصول إليه، التواصل مع الشخصيات المشهورة
5	10	التسلية والترفيه، البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات، إعادة التغريد، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستخدام، التواصل مع الشخصيات المشهورة، نشر الصور، الفيديوهات والروابط
0,5	1	التسلية والترفيه، البقاء على اتصال دائم مع الأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات، قصر التغريدة حيث لا تتجاوز 140 حرفا، إعادة التغريد، إيجاد وظيفة، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستخدام، التواصل مع الشخصيات المشهورة، نشر الصور، الفيديوهات والروابط، الترويج لأعمالي
0,5	1	التسلية والترفيه، البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات الفورية، قصر التغريدة حيث لا تتجاوز 140 حرفا، إعادة التغريد، إيجاد وظيفة، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستخدام، التواصل المباشر مع الشخصيات المشهورة، نشر الصور، الفيديوهات والروابط
1	2	التسلية والترفيه، البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات الفورية، إعادة التغريد، سهولة وبساطة الاستخدام، التواصل المباشر مع الشخصيات المشهورة، نشر الصور، الفيديوهات والروابط
1	1	التسلية والترفيه، البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات الفورية، إعادة التغريد، إيجاد وظيفة، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستخدام، التواصل المباشر مع الشخصيات المشهورة، نشر الصور، الفيديوهات والروابط
0,5	1	التسلية والترفيه، البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات الفورية، قصر التغريدة، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستخدام، التواصل المباشر مع الشخصيات المشهورة، نشر الصور، الفيديوهات والروابط
0,5	1	البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، إمكانية الوصول إليه، التواصل المباشر مع الشخصيات المشهورة، نشر الصور والفيديوهات ن نشر الصور، الفيديوهات والروابط
0,5	1	البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات الفورية، قصر التغريدات حيث لا تتجاوز 140 حرفا، القوة والمكانة، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستعمال، التواصل المباشر مع الشخصيات المشهورة، نشر الصور، الفيديوهات والروابط
0,5	1	البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات الفورية، قصر التغريدة حيث لا تتجاوز 140 حرفا، إعادة التغريد، القوة والمكانة، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستعمال، التواصل المباشر مع الشخصيات المشهورة، نشر الصور، الفيديوهات والروابط
0,5	1	البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات الفورية، قصر التغريدة حيث لا تتجاوز 140 حرفا، إعادة التغريد، إيجاد وظيفة، القوة والمكانة، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستعمال، التواصل المباشر مع الشخصيات المشهورة، نشر الصور، الفيديوهات والروابط
0,5	1	البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها

التويتر، الحصول على المعلومات الفورية، إعادة التغريد، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستعمال، التواصل المباشر مع الشخصيات المشهورة		
البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات الفورية، إعادة التغريد، القوة والمكانة، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستعمال	1	0,5
البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات الفورية، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستعمال، نشر الصور، الفيديوهات والروابط	1	0,5
التسلية والترفيه، البقاء على اتصال دائم بالأصدقاء، العائلة، أصحاب الاهتمام المشترك من خلال خدمة الرسائل التي يوفرها التويتر، الحصول على المعلومات الفورية، إعادة التغريد، إيجاد وظيفة، القوة والمكانة، إمكانية الوصول إليه، سهولة وبساطة الاستخدام، التواصل المباشر مع الشخصيات المشهورة، نشر الصور، الفيديوهات والروابط	1	0,5
المجموع	183	100

IV. الهوية المستخدمة من طرف مستخدمي التويتر:

من خلال دراستنا توصلنا إلى أن الهوية الأكثر استخداما هي الهوية الحقيقية، وهي المستخدمة من طرف 56 % من المستخدمين، مقابل 44% يستخدمون هويات افتراضية، وهو ما يؤكده الجدول التالي:

الهوية المستخدمة من طرف مستخدمي التويتر	التكرار	النسبة المئوية
هوية افتراضية	81	44
هوية حقيقية	102	56
المجموع	183	100

و كانت ابرز أسباب اختيار الهوية الحقيقية هو كونها تمثل من يكونون وتعبر عن أفكارهم وتسهل على معارفهم الوصول إليهم، كما أنهم لا يحبذون تقمص شخصية غير شخصياتهم والتظاهر والخداع وقد اتفق على هذا السبب 57 % من المستخدمين أي ما يعادل 58 تكرارا، واتفق 21 % منهم على أن اختيار الهوية الحقيقية كان بسبب مهنتهم ومكانتهم التي تفرض ذلك، ليكون ثالث ابرز الأسباب هو تسهيل التواصل وخلق العلاقات بـ 8 تكرارات الممثلة في نسبة 8 %، إضافة إلى أسباب أخرى كما هو موضح في الجدول الأدنى:

النسبة المئوية	التكرار	أسباب اختيار الهوية الحقيقية
2	2	المصداقية
3	3	دون سبب
2	2	رغبة وحرية شخصية
1	1	لأجعل من الموقع عالما حقيقيا وليس افتراضيا
3	3	لأنني استخدمه في المجال الأكاديمي العلمي
57	58	لأنها من أكون وتعبر عن أفكاري وتسهل على معارفي الوصول إلي، كما أنني لا أحبذ تقمص شخصية غير شخصيتي والتظاهر والخداع
8	8	لتسهيل التواصل وخلق العلاقات
1	1	للتواصل مع عائلتي ومعارفي
1	1	للتواصل مع الشخصيات المرموقة والمشهورة
1	1	من فتح لي الحساب اختارها
21	22	مهنتي ومكانتي تفرض ذلك
100	102	المجموع

أما أسباب اختيار الهوية الافتراضية فقد تمثلت في تفادي الإزعاج والمضايقات والمشاكل بالدرجة الأولى حيث اتفق عليها 20 % من المستخدمين، في حين اختارها 14 % منهم دون سبب معين، ليتقاسم سبب عدم الرغبة عن الكشف عن الهوية الحقيقية مع كونه عالما افتراضيا ويسمح باستعمال هوية افتراضية المرتبة الثالثة بنسبة تقارب 12.5 % و10 تكرارات لكل واحد منهما، فيما اختارها 9 % منهم لأسباب شخصية وعائلية. هذا ما يوضحه الجدول الآتي:

النسبة المئوية	التكرار	أسباب اختيار مستخدمي التويتر للهوية الافتراضية
5	4	الكل يستخدم هويات افتراضية
20	16	تفاديا للإزعاج والمضايقات والمشاكل
14	11	دون سبب
1	1	رغبة في التغيير فقط
2,5	2	رغبة وحرية شخصية
12,5	10	لا أحب الكشف عن هويتي الحقيقية
1	1	لا داعي لاستخدام الحقيقية فانا لا أتواصل مع احد
9	7	لأسباب شخصية وعائلية

12	10	لأنه عالم افتراضي ويسمح باستعمال هوية افتراضية
4	3	لأنه موقع للتسلية
2,5	2	لتسهيل التواصل وخلق العلاقات
7,5	6	لعدم الرضى عن هويتي الحقيقية التي لا تشجع احد على التواصل معي وتكوين العلاقات
1	1	للتواصل مع عائلتي ومعارفي
1	1	للتواصل مع من هم اكبر مني حيث معظم الكبار لا يتعاملون مع من هم اصغر سنا
1	1	للتواصل مع الشخصيات المرموقة والمشهورة
2,5	2	لمراقبة ومتابعة تحركات أفراد عائلتي ومعارفي
1	1	من فتح لي الحساب اختارها
2,5	2	مهنتي ومكانتي تفرض ذلك
100	81	المجموع

النتائج العامة:

-التويتر عبارة عن موقع اجتماعي، برنامج محادثة، ومدونة في آن واحد، يتميز بالتفاعل والتواصل، سرعة الوصول للمعلومة، قصر التغريدات.. ..

-اغلب مستخدمي التويتر من الذكور، والشريحة العمرية الأكثر استعمالا له هي التي ما بين 20- 30 سنة.

-تعرف مستخدمي التويتر على هذا الأخير من خلال تصفح الانترنت، الأصدقاء والزملاء، وسائل الإعلام، وأخيرا العائلة.

-ابرز أسباب استخدام التويتر: قصر التغريدات، الحصول على المعلومات، إعادة التغريد، سهولة وبساطة الاستخدام، إمكانية الوصول إليه من أي مكان وفي أي زمان، القوة والمكانة الاجتماعية، إيجاد وظيفة، البقاء على اتصال دائم بالعائلة، الأصدقاء وأصحاب الاهتمام المشترك، التواصل مع الشخصيات الهامة والمشهورة.. ..

-يستخدم مستخدمو التويتر هوياتهم الحقيقة أكثر من الافتراضية وذلك لكونها تمثل من يكونون وتعبر عن أفكارهم، وتسهل على معارفهم الوصول إليهم، تسهل عليهم التواصل وخلق العلاقات.. ..

خاتمة:

في الأخير نستنتج من كل ما سبق أن التويتر أصبح جزءا هاما في حياة الأفراد باختلافهم رجالا ونساء، وباختلاف أعمارهم مع التنويه أن الأكثر استخداما له هم الرجال، والشباب تحديدا بين عمر 20-30 سنة، وتختلف أسباب هذا الاستخدام من فرد إلى آخر كل حسب أهدافه، لكن في مجملها تتمثل هذه الأسباب في حب الاطلاع على المعلومات فور صدورها، البقاء على اتصال دائم بمتابعيهم، حرية التعبير، سهولة الاستخدام وغيرها من الأسباب.

رغم انتشار استخدام التويتر وارتفاع عدد مستخدميه في العالم ككل والعالم العربي خاصة، إلا أن الدراسات حول هذا الموضوع تبقى قليلة جدا، إذا لم نقل منعدمة وهذا مقارنة مع منافسه الفيس بوك الذي أجريت حوله العديد من الدراسات. لذا ارجوا أن أكون بهذه الورقة البحثية قد أزلت الغموض ولو عن جانب صغير من هذا الموضوع الذي يستحق بالفعل الدراسة نظرا لأهميته الكبيرة، وتأثيره واستخدامه الواسع.

الهوامش:

: دلال قاضي، محمود البياتي، منهجية وأساليب البحث العلمي وتحليل البيانات باستخدام البرنامج الإحصائي spss، ط1، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2008 ، ص 66.

: [2]أحمد بن مرسلي: الأسس العلمية لبحوث الإعلام والاتصال، ط 1، الجزائر: الورسم للنشر والتوزيع، 2013، ص 182.

: [3]دلال قاضي، محمود البياتي: المرجع السابق، ص 148.

: [4]احمد بن مرسلي: المرجع السابق، ص 141.

: [5]دلال قاضي، محمود البياتي: المرجع السابق، ص 149.

: [6]نوره بنت سعد بن احمد العتيبي، فاعلية شبكة التواصل الاجتماعي تويتر)التدوين المصغر (على التحصيل الدراسي وتنمية مهارات التعلم التعاوني لدى طالبات الصف الثاني ثانوي في مقرر الحاسب الآلي، المؤتمر الدولي الثالث للتعلم الالكتروني والتعلم عن بعد، الرياض، 2013، ص 6.

:*وقاص الشريف مهندس سعودي، متخصص بمجال التسويق الالكتروني ومهتم بالتقنية والشبكات الاجتماعية.

:[7]وقاص الشريف، ما هو تويتر وما هي استخداماته، http://www.wagas.me/?p=258 يوم: 28- 01 – 2014 الساعة: 14:40 .

ar.wikipedia.org/wiki/ :[8]تويتر يوم: 28-01-2014 الساعة: 15:15

: [9]تويتر الأكثر شعبية بين الشباب ولينكدين أكثر بين كبار السن، جريدة الفجر الالكترونية، (اقتباس بتصرف) http://new.elfagr.org/Detail.aspx?nwsId=476149&secid=16&vid=2# يوم 29-01-2014 الساعة 09:16.

http://www.statisticbrain.com/twitter-statistics :[10] يوم 29-01-2014 الساعة 9:04.

*المستخدم النشط هو الذي ينتج رسالة تويت واحدة على الأقل خلال أسبوعين.

: [11]فادي سالم، رشا مرتضى، الإعلام الاجتماعي والحراك المدني: تأثير فيسبوك وتويتر، تقرير الإعلام الاجتماعي العربي، الإصدار الثاني، الإمارات العربية المتحدة، كلية دبي للإدارة الحكومية، 2011، ص15.

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

الكتب:

- بن مرسلي أحمد، الأسس العلمية لبحوث الإعلام والاتصال، ط 1، الجزائر: الورسم للنشر والتوزيع، 2013.
- عبد الرزاق انتصار إبراهيم، الساموك صفد حسام، الإعلام الجديد: تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، ط 1، بغداد، جامعة بغداد، 2011.
- قاضي دلال، البياتي محمود، منهجية وأساليب البحث العلمي وتحليل البيانات باستخدام البرنامج الإحصائي spss، ط1، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2008.

المجلات:

- الحمامي الصادق، الإعلام الجديد مقاربة تواصلية، مجلة قضيتان للطرح والحوار، عدد 4، د.ب، 2006.
- بايوسف مسعودة، الهوية الافتراضية الخصائص والأبعاد: دراسة استكشافية على عينة من المشتركين في المجتمعات الافتراضية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص للملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، د.ب، د.ت.
- بن عيسى محمد المهدي، مستخدمي الانترنت في المجتمع الجزائري بين الهوية المستقلة والهوية المغتربة: دراسة لعينة من مستخدمي الانترنت بمدينة ورقلة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص للملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، د.ب، د.ت.
- زموري زينب، العلاقة العاطفية بين الجنسين باستخدام الوسائل الالكترونية بين المجتمع الافتراضي والمجتمع الحقيقي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص للملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، د.ب، د.ت.
- سالم فادي، مرتضى رشا، الإعلام الاجتماعي والحراك المدني: تأثير فيسبوك وتويتر، تقرير الإعلام الاجتماعي العربي، الإصدار الثاني، الإمارات العربية المتحدة: كلية دبي للإدارة الحكومية، 2011.
- شيخاني سميرة، الإعلام الجديد في عصر المعلومات، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد1+2، دمشق، 2010.
- مطاع بركات، الواقع الافتراضي: فرصه ومخاطره وتطوره، دراسة نظرية، مجلة دمشق المجلد 22، العدد 2، دمشق، 2006.
- نوره بنت سعد بن أحمد العتيبي، فاعلية شبكة التواصل الاجتماعي تويتر)التدوين المصغر (على التحصيل الدراسي وتنمية مهارات التعلم التعاوني لدى طالبات الصف الثاني ثانوي في مقرر الحاسب الآلي، المؤتمر الدولي الثالث للتعلم الالكتروني والتعلم عن بعد، الرياض، 2013.

المواقع الالكترونية:

محرك البحث: WWW.GOOGLE.FR

- /ar.wikipedia.org/wikiتويتر يوم: 28-01-2014 الساعة: 15:15.
- تويتر الأكثر شعبية بين الشباب ولينكدين أكثر بين كبار السن، جريدة الفجر الالكترونية، (اقتباس بتصرف) http://new.elfagr.org/Detail.aspx?nwsId=476149&secid=16&vid=2# يوم 29-01-2014 الساعة 09:16.
- http://www.statisticbrain.com/twitter-statistics يوم 29-01-2014 الساعة 9:04.
- وقاص الشريف، ما هو تويتر وما هي استخداماته، http://www.wagas.me/?p=258 يوم: 28- 01 – 2014 الساعة: 14:40 .

دور الفيس بوك في تدعيم الحوار بين المنظمة والجمهور
دراسة في إطار نظرية الاتصال الحواري
(الجزء الثاني)

حاتم علي حيدر الصالحي
اليمن/ جامعة صنعاء

عرض وتحليل نتائج الدراسة:

أ/ عرض وتحليل النتائج العامة في ضوء تساؤلات الدراسة:

1/ خصائص المنظمات المدروسة

جدول رقم (1) توزيع المنظمات وفقا لطبيعة نشاطها وملكيتها

خصائص المنظمات		ك	%
طبيعة نشاط المنظمات	ربحية	27	54
	غير ربحية	23	46
	الإجمالي	50	100
ملكية المنظمات	حكومية	18	36
	خاصة	23	46
	مختلطة	5	10
	أجنبية	4	8
	الإجمالي	50	100

يوضح الجدول رقم (1) التكرارات والنسب المئوية لخصائص المنظمات "عينة الدراسة"، وفقا لمتغيرين هما: طبيعة نشاط المنظمة، وملكية المنظمة، ويتضح من الجدول أن عدد المنظمات "عينة الدراسة" 50 منظمة، حيث يلاحظ تقارب نسبة ظهور المنظمات الربحية مع نسبة ظهور المنظمات غير الربحية ضمن العينة التي تم اختيارها بأسلوب العينة العمدية/الغرضية وفقا لشروط محددة تم ذكرها في الإجراءات المنهجية للدراسة؛ وهذا بدوره يوفر فرصة مناسبة للمقارنة بين النوعين من المنظمات في ظهور مؤشرات الاتصال الحواري وأبعاد التفاعلية على

صفحاتهما بالفيس بوك، حيث استخدمت العديد من الدراسات السابقة متغير "طبيعة النشاط " لدراسة الفروق بين المنظمات.

2/ اللغة المستخدمة

جدول رقم (2) لغة صفحات الفيس بوك للمنظمات

لغة صفحة الفيس بوك	ك	%
عربي فقط	47	94
إنجليزي فقط	1	2
عربي وإنجليزي	2	4
الإجمالي	50	100

من خلال بيانات الجدول رقم (2) يتضح أن غالبية صفحات الفيس بوك التابعة للمنظمات تستخدم (اللغة العربية فقط) بنسبة 94%، فيما نسبة ضعيفة جدا تستخدم (اللغتين العربية والإنجليزية معا) 4%، ومنظمة واحدة فقط تستخدم (اللغة الإنجليزية فقط)، واتضح للباحث أثناء التحليل أن صفحة الفيس بوك الوحيدة التي تستخدم اللغة الإنجليزية تتبع منظمة أجنبية، كما أن المنظمتين المستخدمتين لـ(اللغة العربية والإنجليزية معا) احداهما خاصة والثانية مختلطة، حيث تمتلك المنظمتان صفحتين منفصلتين عن بعضهما إحداهما باللغة العربية والثانية باللغة الإنجليزية، ويمكن تفسير استخدام المنظمات للغة الإنجليزية بمعدل منخفض في صفحات الفيس بوك بوجود توجه لدى المنظمات المدروسة نحو استخدام الفيس بوك في مخاطبة الجمهور المحلي، مقابل استخدام المواقع الإلكترونية في مخاطبة الجمهور المحلي والخارجي.

3/ المضامين المنشورة

جدول رقم (3) نوعية المضمون المنشور في صفحات الفيس بوك

نوعية المضامين	ك	%	الترتيب
منتجات أو خدمات المنظمة	48	96	1
معلومات التواصل بالمنظمة	46	92	2
أنشطة المنظمة وإنجازاتها	44	88	3
إعلانات وأنشطة ترويجية	37	74	4
أداء العاملين وإنجازاتهم	37	74	4
تاريخ المنظمة	32	64	5
رؤية المنظمة وفلسفتها	30	60	6
بيانات صحفية	28	56	7
أنشطة المسؤولية الاجتماعية	23	46	8
تهاني	19	38	9
روابط للمجال الصناعي أو الخدمي الذي تنتمي إليه المنظمة	8	16	10
تقارير سنوية	7	14	11

من خلال تفحص معطيات الجدول رقم (3) يتضح لنا تركيز غالبية المنظمات على ترويج ونشر معلومات حول منتجاتها وخدماتها، حيث تحتل مضامين منتجات وخدمات المنظمات المرتبة الأولى وتأتي معلومات التواصل بالمنظمة في المرتبة الثانية، فيما وردت التقارير السنوية في المرتبة الأخيرة. ويلاحظ من الجدول السابق تركيز المنظمات على عرض منتجاتها وخدماتها عبر صفحاتها بالفيس بوك، وتقديم وسائل التواصل مع المنظمات لتسهيل عملية الحصول على تلك المنتجات والخدمات، كما أظهرت النتائج ضعف اهتمام المنظمات بالتقارير السنوية والتي غالبا ما تهم المستثمرين وحملة الأسهم والموردين والموزعين، وهذه النتيجة تدعم نتيجة الجدول رقم (4) والذي كشف عن ضعف اهتمام المنظمات بالمستثمرين والموردين والموزعين، مقابل ارتفاع معدل الاهتمام بالعملاء. وتتفق هذه النتيجة مع ما خلصت إليه دراسة(خيرت عياد، 2006)[1] ودراسة(هبة أحمد، 2012)[2]، حيث تصدرت المضامين الخاصة بمنتجات وخدمات المؤسسات ومنظمات الأعمال المرتبة الأولى في قائمة مضامين

مواقع المؤسسات المصرية والإماراتية ومواقع الشركات الأمريكية الموجهة للجمهور المصري.

4/ الجماهير المستهدفة

جدول رقم (4) الجماهير المستهدفة من صفحات الفيس بوك للمنظمات

نوعية الجماهير	ك	%	الترتيب
العملاء	45	90	1
المجتمع المحلي	40	80	2
العاملون	34	68	3
المنظمات الحكومية	33	66	4
وسائل الإعلام	28	56	5
المانحون	13	26	6
الشركات	11	22	7
المستثمرون	10	20	8
الموزعون	6	12	9
الموردون	2	4	10
المنظمات الخارجية	2	4	10

من خلال تفحص معطيات الجدول رقم (4) يتضح لنا اهتمام المنظمات بالعملاء، حيث تصدر العملاء المرتبة الأولى في قائمة الجماهير المستهدفة من مضامين صفحات الفيس بوك، وجاء المجتمع المحلي في المرتبة الثانية ثم العاملون، فالمنظمات الحكومية، يليها وسائل الإعلام، فيما احتل الموردون والموزعون والمنظمات الخارجية المراتب الأخيرة بالترتيب، وتعكس هذه النتيجة اهتمام مرتفع من قبل المنظمات العاملة في اليمن بالعملاء الحاليين والمحتملين لخدماتها ومنتجاتها، وأعضاء المجتمع المحلي الذي تتواجد فيه تلك المنظمات، مقابل قلة الاهتمام بالموزعين والموردين، ما يعني أن الهدف من إنشاء صفحات الفيس بوك هو الترويج لخدمات ومنتجات المنظمات للعملاء الذين يشترون منتجاتها أو يطلبون خدماتها، وجذب عملاء جدد، وتحسين صورة المنظمات لدى العملاء والمجتمع المحلي الذي تستمد المنظمة بقائها واستمراريتها من تأييده لها ودعمه لقراراتها، إلى جانب الاهتمام بوسائل الإعلام باعتبارها الوسيط بين المنظمات

وجماهيرها في نقل أخبار وأنشطة المنظمات وتحسين صورتها لدى الجماهير. وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (أحمد فاروق، 2006)[3] ودراسة (أمل فوزي، 2004)[4] حيث تصدر العملاء قائمة الجماهير المستهدفة من المواقع الإلكترونية للمنظمات في الدراستين، فيما جاء الموزعون والموردون في المراتب الأخيرة، في المقابل تختلف هذه النتيجة مع نتائج دراسة [5](Kemna , 2013) التي وجدت أن نسبة كبيرة من المضامين في صفحات الشركات على موقع تويتر موجه للجمهور العام، فيما نسبة ضئيلة جدا موجه لوسائل الإعلام والعاملين.

5/ نوعية المادة المصورة

جدول رقم (5) نوعية المادة المصورة في صفحات الفيس بوك

نوعية الصور	ك	%	الترتيب
صور موضوعية	47	94	1
صور شخصية للمديرين أو العاملين	36	72	2
صور جماهير المنظمة	35	70	3
صور رسومية وتصاميم	28	56	4
صور مباني ومشاريع المنظمة	27	54	5
صور المنتجات والخدمات	26	52	6
صور تجهيزات ومعدات	25	50	7

توضح بيانات الجدول رقم (5) تصدر الصور الموضوعية - التي تعبر عن الموضوع المنشور -المرتبة الأولى في صفحات الفيس بوك، تلها الصور الشخصية للقيادات والعاملين بالمنظمات، ثم صور جماهير المنظمة، فيما جاءت صور التجهيزات والمعدات في المرتبة الأخيرة، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة (أحمد فاروق، 2014)[6]، حيث جاءت الصور الإخبارية "الموضوعية" في المرتبة الأولى في قائمة المواد المصورة المنشورة على صفحات الفيس بوك للمنظمات الحكومية الإماراتية.

6/ الاستراتيجيات الاتصالية

جدول رقم (6) الاستراتيجيات الاتصالية المستخدمة في الفيس بوك

الاستراتيجيات الاتصالية		ك	%	الترتيب	الوزن النسبي
الشفافية	وصف المنظمة	33	66	3	%64.3
	تاريخ المنظمة	32	64	4	
	رسالة المنظمة	26	52	5	
	نشر روابط المواقع الالكتروني أو موقع التواصل الأخرى	49	98	1	
	شعار المنظمة	48	96	2	
	الاعلان عن القائمين على المنظمة	5	10	6	
نشر المعلومات	نشر صور	48	96	1	%61.3
	نشر مقاطع فيديو	42	84	2	
	نشر أخبار المنظمة	32	64	3	
	بيانات صحفية	28	56	4	
	ملخصات الحملات	21	42	5	
	مطبوعات وتقارير	13	26	6	
الانغماس والتفاعل	عنوان البريد الالكتروني	42	84	1	%58.7
	أرقام هواتف المنظمة	38	76	2	
	الرد على تعليقات الجمهور	36	72	3	
	تقويم بالأحداث والفعاليات	-	-	-	
	الاعلان عن فروع المنظمة	25	50	5	
	الفرص المقدمة من المنظمة	35	70	4	

توضح بيانات الجدول رقم(6) بأن استراتيجية "**الشفافية**" تحتل المرتبة الأولى ضمن الاستراتيجيات الاتصالية المستخدمة عبر صفحات الفيس بوك للمنظمات وضمن هذه الاستراتيجية جاء نشر روابط الموقع الإلكتروني ومواقع التواصل الأخرى للمنظمة في الصدارة، يليه نشر شعار المنظمة ثم وصف المنظمة، ثم تاريخ المنظمة فرسالتها، وأخيرا الإعلان عن القائمين على المنظمة، وتأتي استراتيجية "**نشر المعلومات**" في المرتبة الثانية واهتمت المنظمات ضمن هذه الاستراتيجية بنشر الصور ومقاطع الفيديو والأخبار، فيما

جاءت استراتيجية **التفاعل "الانغماس"** في المرتبة الأخيرة وركزت المنظمات ضمن هذه الاستراتيجية على نشر عناوين البريد الإلكتروني وأرقام هواتف المنظمات ثم الرد على تعليقات زوار الصفحات. وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة (Waters et al , 2009)[7] التي أشارت أن استراتيجية الشفافية تأتي في المرتبة الأولى ضمن الاستراتيجيات الاتصالية التي تستخدمها المنظمات غير الربحية على صفحاتها بالفيس بوك كما كشفت عن وجود اهتمام عال من المنظمات بنشر عناوين البريد الإلكتروني وأرقام الهواتف، إلى جانب التعليقات، مقابل قلة الاهتمام بتقويم الأحداث والفعاليات. وهذه النتيجة تعكس استخدام المنظمات لصفحاتها بالفيس بوك بالدرجة الأولى كوسائل تعريفية لها لدى عملائها وجماهيرها المختلفة، حيث تركز المنظمات على نشر توصيف لها وملخص لتاريخها، كما تعرض أغلب المنظمات شعارها مكان الصورة الشخصية لصفحة الفيس بوك كوسيلة لتميزها عن غيرها من المنظمات، وهذه المعلومات التي تعكس شفافية المنظمات غالبا ما يتم نشرها مرة واحدة ولا تحتاج لتحديث باستمرار، على عكس استراتيجية نشر المعلومات المتضمنة نشر أخبار المنظمة وصور وبيانات صحفية وهي معلومات تحتاج لتحديث مستمر؛ لذا يمكن القول بأن المنظمات تهتم بنشر المعلومات التي لا تحتاج لتحديث مستمر مقابل ضعف اهتمامها بالمعلومات التي تحتاج لتحديث مستمر الى جانب قلة الاهتمام بالجوانب التفاعلية.

7/ مؤشرات الاتصال الحواري

أ/ مؤشر توفير معلومات مفيدة للجمهور

جدول رقم (7) مؤشر توفير معلومات مفيدة في صفحات الفيس بوك

مؤشر توفير معلومات مفيدة	ك	%	الوزن النسبي
وجود معلومات عن خدمات ومنتجات المنظمة	49	98	**%59**
معلومات عن التواصل بالمنظمة والانضمام لعضويتها	46	92	
وجود روابط إخبارية	33	66	
توفير معلومات عن المنظمة وتاريخها	32	64	
نشر بيانات صحفية	28	56	
توضيح رسالة المنظمة وأهدافها	26	52	
مشاركة المنظمة المدنية والمجتمعية	25	50	
مشاركة روابط مطبوعات المنظمة	25	50	
وجود روابط إلى المواقع الخارجية	24	48	
نشر تقارير مالية وسنوية	7	14	

تشير معطيات الجدول رقم (7) إلى تركيز المنظمات عينة الدراسة على تزويد الجماهير بالدرجة الأولى بمعلومات عن منتجاتها وخدماتها بنسبة 98%، يليه نشر معلومات تفيد الجماهير في التواصل مع المنظمات أو الانضمام إلى عضويتها بنسبة 92%، وجاءت الروابط الإخبارية في المرتبة الثالثة بنسبة 66%، ومن البيانات السابقة يمكن القول بأن المنظمة تهتم بنشر المعلومات التي تروج لخدماتها ومنتجاتها أكثر من اهتمامها بالمعلومات التي تهم جماهيرها كتوفير معلومات حول مشاركتها المدنية والمجتمعية والتي تهم أعضاء المجتمع المحلي، وتوفير معلومات مالية تهم المستثمرين والموردين والموزعين المرتبطين بالمنظمات الربحية والمانحين المرتبطين بالمنظمات غير الربحية.

ب/ مؤشر سهولة الاستخدام

جدول رقم (8) مؤشر سهولة استخدام صفحات الفيس بوك

سهولة الاستخدام	ك	%	الوزن النسبي
نشر صور	50	100	%51.5
إضافة علامات تبويب Tab جديدة	40	80	
نشر فيديوهات تعريفية وتوضيحية	37	74	
تعدد خيارات اللغة	2	4	
وجود محرك بحث خاص داخل الصفحة	0	0	

تشير بيانات الجدول رقم (8) إلى أن جميع صفحات الفيس بوك تقوم بنشر صور حول المنظمات ومنتجاتها وخدماتها والعاملين فيها، فيما 80% من صفحات الفيس بوك أضافت علامات تبويب جديدة إلى جانب العلامات التي يوفرها موقع الفيس بوك ومنها توفير علامات تبويب تتضمن تطبيقات تفاعلية أو اضافة رأي للزوار أو مسابقات، واهتمت 74% من صفحات الفيس بوك بنشر مقاطع فيديو حول المنظمة وأنشطتها، فيما نسبة ضعيفة جدا 4% استخدمت لغتين (العربية والإنجليزية)، ولا يوجد صفحة فيس بوك توفر خدمة "محرك بحث داخل الصفحة" يساعد على البحث في المعلومات التي تنشرها المنظمات في صفحة الفيس بوك الخاصة بها. وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة (Waters , 2011)[8] والتي وجدت أن نسبة كبيرة من المنظمات الصحية توفر صور عبر صفحاتها بالفيس بوك يليها توفير مقاطع فيديو، ثم إضافة علامات تبويب جديدة، فيما لم توفر أي منظمة على صفحتها بالفيس بوك محرك بحث داخلي.

ج/ مؤشر الحفاظ على الزوار

جدول رقم (9) مؤشر الحفاظ على الزوار في صفحات الفيس بوك

الحفاظ على الزوار	ك	%	الوزن النسبي
وجود روابط للموقع الالكتروني للمنظمة	49	98	%63
وجود الرمز/الشعار المميز للمنظمة في الصفحة	48	96	
وجود روابط للمواقع الاجتماعية الأخرى المنظمة	30	60	
نشر معلومات عامة ومتخصصة بنفس مجال المنظمة	24	48	
دعوة الجمهور للإعجاب بالصفحة أو المنشور	20	40	
قلة الإعلانات	18	36	

من خلال قراءة بيانات الجدول رقم (9) يتضح لنا أن 98% من صفحات الفيس بوك توفر روابط الموقع الإلكتروني للمنظمة، يليه نشر الشعار المميز للمنظمة بنسبة 96%، ثم نشر روابط المواقع الاجتماعية الأخرى (كـ تويتر – يوتيوب – وجوجل بلس – وغيرها) بنسبة 60%، ثم نشر معلومات متخصصة وعامة في مجال عمل المنظمة بنسبة 48%، ثم دعوة الجمهور للإعجاب بالصفحة أو المنشور بنسبة 40%، وأخيرا قلة الإعلانات المنشورة في صفحات الفيس بوك بنسبة 36%، وجاءت الدرجة الكلية لتوفر المؤشر متوسطة بوزن نسبي 63%.

د/ مؤشر معاودة الزيارة

جدول رقم (10) مؤشر معاودة الزيارة في صفحات الفيس بوك

تكرار زيارة الموقع " معاودة الزيارة"	ك	%	الوزن النسبي
وجود منشورات ترويجية وتخفيضات وعرض خدمات	43	86	**%32.25**
وجود معلومات محدثة باستمرار	39	78	
إمكانية طلب الخدمة أو السلعة من الصفحة مباشرة	15	30	
دعوة الزوار لمشاركة المنشور	14	28	
وجود دعوة صريحة لمعاودة الزيارة	10	20	
وجود دعوة للانضمام إلى مجموعات خاصة بالمنظمة أو مجموعة المصالح المرتبطة بها	7	14	
نشر لأسئلة المتكررة من الزوار والرد عليها	1	2	
عرض تقويم بالأنشطة والأحداث	0	0	

كشفت نتائج الجدول رقم (10) عن نسبة كبيرة من صفحات الفيس(86%) تهتم بنشر منشورات ترويجية وتخفيضات وعرض خدمات، يليها تحديث المنشورات باستمرار بنسبة 78%، ثم دعوة الزوار لمشاركة المنشور بنسبة 32%، يليها وجود دعوة صريحة لمعاودة زيارة الصفحة بنسبة 22%، ثم وجود إمكانية طلب الخدمة أو السلعة من الصفحة مباشرة بنسبة 18%، يليها دعوة الزوار للانضمام إلى مجموعات خاصة بالمنظمة أو مجموعات المصالح المرتبطة بها بنسبة 16%، ثم نشر الأسئلة المتكررة الواردة من الزوار والرد عليها بنسبة 6%، فيما لا يوجد أي صفحة توفر تقويم بالأنشطة والفعاليات والأحداث الخاصة بالمنظمة،

ويمكن تفسير تصدر المنشورات الترويجية على الوسائل الأخرى للحفاظ على الزوار بتوجه معظم المنظمات العاملة في اليمن نحو استخدام الفيس بوك كوسيلة تعريفية وترويجية بالمنتجات والخدمات التي تقدمها، حيث يمتاز الفيس بوك بإمكانية التفاعل ومناقشة الزوار عبر التعليقات والرد عليها أو عبر الدردشة والرسائل الخاصة مع القائمين على الصفحة وبالتالي إقناع الزوار بتلك الخدمات والمنتجات من خلال الدردشة والحوار أومن خلال توفير معلومات محدثة باستمرار عن تلك المنتجات والخدمات، وهذه النتيجة تختلف مع نتيجة دراسة (Muckensturm , 2013)[9] التي كشفت عن ضعف ترويج الفنادق لخدماتها، وتقديم عروضات وتخفيضات عبر صفحات الفيس بوك حيث حصلت على نسبة 10.6%.

هـ/ مؤشر الحلقات الحوارية التفاعلية

جدول رقم (11) مؤشر الحلقات الحوارية التفاعلية في صفحات الفيس بوك

الحلقات الحوارية التفاعلية	ك	%	الوزن النسبي
إتاحة الفرصة للجمهور بالرد على ما تنشره المنظمة	50	100	
مشاركة روابط الموقع الالكتروني والمواقع الاجتماعية الأخرى للمنظمة	49	98	
نشر عناوين البريد الالكتروني للمنظمة وبعض المسؤولين فيها	42	84	
نشر أرقام الهواتف للمنظمة وبعض المسؤولين فيها	38	76	**%62**
الرد على استفسارات وشكاوي الجمهور عبر التعليقات	36	72	
وجود منشورات تستطلع رأي الجمهور	18	36	
تزويد الجمهور بالمعلومات التي يطلبها	8	16	
إتاحة الفرصة للجمهور بالتصويت على القضايا	7	14	

تشير بيانات الجدول رقم (11)إلى أن جميع صفحات الفيس بوك تتيح الفرصة للجمهور بالرد على ما تنشره المنظمة من خلال التعليقات، وأن 98% منها تشارك روابط الموقع الإلكتروني والمواقع الاجتماعية الأخرى، وتأتي هذه النتيجة متوافقة مع ما توصلت إليه دراسة (Kemna , 2013)[10] التي أشارت الى اهتمام شركات التكنولوجيا الجديدة بنشر الروابط التي تحيل المستخدم الى وسائل الإعلام والمواقع الإلكترونية ومواقع الشبكات الاجتماعية الخاصة بالشركات، ويأتي في المرتبة الثالثة نشر عناوين البريد الإلكتروني للمنظمة وبعض المسؤولين فيها بنسبة

84%، ثم نشر أرقام الهواتف الخاصة بالمنظمة أو بعض المسؤولين فيها في المرتبة الرابعة بنسبة 76%، وفي المرتبة الخامسة يأتي الرد على استفسارات وشكاوى الجمهور بنسبة 72%، يليه في المرتبة السادسة وجود استطلاعات رأي بنسبة 36%، وفي المرتبة السابعة جاءت تزويد الجمهور بالمعلومات التي يطلبها بنسبة 16%، وأخيرا إتاحة الفرصة للجمهور بالتصويت على القضايا بنسبة 14%.

وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (Waters , 2011)[11] والتي وجدت أن أكثر من نصف المنظمات الصحية تستخدم الرد على الزوار عبر التعليقات كنوع من الحوار التفاعلي، وما يقارب نصف العينة تشارك روابط المواقع الاجتماعية الأخرى على صفحاتها بالفيس بوك، فيما 15% من المنظمات تشجع الزوار بالتصويت على بعض القضايا.

وبشكل عام يمكن القول بأن مؤشر "الحفاظ على الزوار" قد تصدر مؤشرات الاتصال الحواري حيث احتل المرتبة الأولى بوزن نسبي بلغ 63%، يليه في المرتبة الثانية مؤشر "الحلقات الحوارية التفاعلية" بوزن نسبي 62%، ويأتي مؤشر "توفير معلومات مفيدة للجمهور" في المرتبة الثالثة بوزن نسبي 59%، وفي المرتبة الرابعة جاء مؤشر "سهولة الاستخدام" بوزن نسبي بلغ 51.5%، فيما احتل مؤشر "معاودة الزيارة" المرتبة الأخيرة بوزن نسبي 32.25%. ومن خلال تفحص النتائج يتضح لنا توفر أربعة مؤشرات للاتصال الحواري بوزن نسبي أعلى من 50%، فيما يأتي مؤشر معاودة الزيارة في الدرجة المنخفضة وبوزن نسبي أقل من 50%، ولا يعني تأخر مؤشر سهولة استخدام واجهة الصفحة وجود تعقيدات في استخدام الفيس بوك، وإنما يعود تأخر هذا المؤشر لعدم توفر بعض بنود هذا المؤشر التي وضعتها الدراسات السابقة كمقياس لسهولة استخدام واجهة صفحات الفيس بوك وتم الاعتماد عليها في هذه الدراسة، ومنها إضافة محرك بحث داخلي يسهل على المستخدم التوصل لمنشورات أو معلومات محددة، وايضا قصور في إضافة ايقونات خاصة للفيديوهات، وللصور، ولإضافة الآراء، وأيقونات خاصة بالأحداث والمناسبات الخاصة للمنظمات.

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت اليه دراسة (Muckensturm , 2013)[12]، حيث أظهرت توفر مؤشرات الاتصال الحواري على صفحات الفيس بوك للقطاع

الفندقي بنسب تفوق 50%، ما عدا مؤشر معاودة الزيارة والذي ظهر بنسبة منخفضة 29.3%. كما تتسق مع نتائج دراسة (Kemna , 2013)[13]، التي كشفت عن استخدام شركات التكنولوجيا الجديدة عبر موقع تويتر لمؤشر توفير معلومات مفيدة بشكل جيد، مقابل انخفاض مؤشر معاودة الزيارة. وتختلف مع نتائج دراسة (Linvill , 2012)[14] والتي جاء فيها مؤشر توفير المعلومات المفيدة عبر تغريدات تويتر للمنظمات في المركز الأول بنسبة 83.5%، يليه معاودة الزيارة بنسبة 55.7%، ثم الحفاظ على الزوار بنسبة 52.2%، فيما جاء مؤشر الحلقات الحوارية في المرتبة الأخيرة بنسبة 29.6%. وقد يعود الاختلاف مع نتائج هذه الدراسة إلى اختلاف بعض السمات المميزة لموقع تويتر المستخدم في دراسة Linvill عن موقع الفيس بوك المستخدم في دراستنا.

ب / اختبارات الفروض :

<u>الفرض الأول:</u> توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المنظمات الربحية والمنظمات غير الربحية في ممارسة الاستراتيجيات الاتصالية على صفحاتها بالفيس بوك.

جدول رقم (13)

الفروق بين المنظمات الربحية وغير الربحية في استخدام الاستراتيجيات الاتصالية على صفحاتها بالفيس بوك

الاستراتيجيات الاتصالية	طبيعة نشاط المنظمات	المتوسط	قيمة ت	مستوى الدلالة
الشفافية	ربحية	4.15	1.695	0.097 غير دالة
	غير ربحية	3.48		
نشر المعلومات	ربحية	3.52	1.087-	0.283 غير دالة
	غير ربحية	3.91		
التفاعل والانغماس	ربحية	3.81	3.381	0.001 دالة
	غير ربحية	2.61		

درجة الحرية = 48

من خلال تفحص نتائج الجدول رقم (13) والذي يوضح الفروق المعنوية في متوسطات استخدام المنظمات الربحية وغير الربحية للاستراتيجيات الاتصالية على صفحاتها بالفيس بوك، يتضح لنا عدم وجود فروق معنوية دالة إحصائيا بين المنظمات الربحية وغير الربحية في ممارستها لاستراتيجيتي المكاشفة ونشر المعلومات على صفحاتها بالفيس بوك حيث بلغت قيمة ت = 1.695 في استراتيجية المكاشفة وهي غير دالة إذ أن مستوى معنوية أكبر من 0.05، وبلغت قيمة ت = -1.087 في استراتيجية نشر المعلومات، وهي قيمة غير دالة إذ أن مستوى معنوية أكبر من 0.05، فيما وجدت فروق معنوية دالة إحصائيا بين المنظمات الربحية وغير الربحية في ممارستها لاستراتيجية الانغماس "التفاعل" على صفحات الفيس بوك، حيث بلغت قيمة ت = 3.381، وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى معنوية أقل من 0.01، ودرجة ثقة 0.99، وجاءت الفروق في المتوسطات لصالح المنظمات الربحية إذ بلغ متوسطها الحسابي 3.81 مقابل متوسط أقل للمنظمات غير الربحية 2.61. ويمكن تفسير تفوق المنظمات الربحية على المنظمات غير الربحية في ممارسة استراتيجية التفاعل مع الجمهور باختلاف طبيعة أهداف النوعين من المنظمات، حيث تسعى المنظمات الربحية إلى إقناع الجمهور بشراء منتجاتها وطلب خدماتها، لذا فعملية الإقناع تتطلب نوعا من التفاعل والنقاش مع الجمهور لتحقيق هذا الهدف، على عكس المنظمات غير الربحية التي تسعى إلى إعلام الجمهور أكثر من إقناعه بما تقوم به من أنشطة. **وبناء على ما سبق نقبل بصحة الفرض الأول جزيئا** حيث كشف اختبار ت وجود فروق بين المنظمات الربحية وغير الربحية فيما يتعلق بممارسة استراتيجية التفاعل وانعدمت الفروق ذات الدلالة الإحصائية فيما يتعلق بممارسة المنظمات الربحية وغير الربحية لاستراتيجيتي الشفافية ونشر المعلومات.

<u>الفرض الثاني:</u> توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المنظمات الربحية وغير الربحية في درجة ظهور مؤشرات الاتصال الحواري على صفحاتها بالفيس بوك.

جدول رقم (14)

الفروق بين المنظمات الربحية وغير الربحية في درجة ظهور مؤشرات الاتصال الحواري على صفحاتها على الفيس بوك

مؤشرات الاتصال الحواري	طبيعة نشاط المنظمات	المتوسط الحسابي	قيمة ت	مستوى الدلالة
توفير معلومات مفيدة	ربحية	5.59	0.120-	0.905 غير دالة
	غير ربحية	5.65		
سهولة الاستخدام	ربحية	2.78	2.203	0.032** دالة
	غير ربحية	2.30		
الحفاظ على الزوار	ربحية	3.78	0.178-	0.860 غير دالة
	غير ربحية	3.83		
معاودة الزيارة	ربحية	2.81	1.501	0.140 غير دالة
	غير ربحية	2.30		
الحلقات الحوارية التفاعلية	ربحية	5.44	3.074	0.003** دالة
	غير ربحية	4.43		

درجة الحرية = 48

توضح بيانات الجدول رقم (14) الفروق المعنوية بين متوسطات المنظمات الربحية وغير الربحية في درجة ظهور مؤشرات الاتصال الحواري على صفحاتها بالفيس بوك، وتشير بيانات الجدول الى عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين المنظمات الربحية وغير الربحية في درجة ظهور مؤشر توفير معلومات مفيدة، ومؤشر معاودة الزيارة، ومؤشر الحفاظ على الزوار على صفحاتها بالفيس بوك حيث مستوى المعنوية لقيمة ت في كل مؤشر من المؤشرات الثلاثة السابقة أكبر من 0.05، فيما وجدت فروق معنوية دالة إحصائيا بين المنظمات الربحية وغير الربحية في درجة ظهور مؤشري (سهولة استخدام الموقع، والحلقات الحوارية التفاعلية) على صفحاتها بالفيس بوك حيث مستوى المعنوية في المؤشرين أقل من 0.05، وجاءت الفروق بين متوسطات المؤشرين لصالح المنظمات الربحية، وهذا يعني أن المنظمات الربحية أكثر اهتماما بالدخول في حوار وتفاعل مع الجمهور عبر صفحاتها في الفيس بوك، وتتسق هذه النتيجة مع نتيجة الجدول السابق رقم (13) والتي كشفت عن تفوق المنظمات الربحية على المنظمات غير الربحية بممارسة استراتيجية التفاعل والانغماس مع الجمهور، وتفسر النتيجة في ضوء هدف المنظمات الربحية التي تسعى لإقناع الجمهور بطلب منتجاتها

وخدماتها، فيما تسعى المنظمات غير الربحية إلى إعلام الجمهور بما تقوم به من أنشطة، ويتطلب الإقناع التفاعل والدخول في حوار مع الجمهور، فيما يتطلب الإعلام نشر وتوفير معلومات تهم الجماهير وتلبي احتياجاته.

وبناء على ما سبق نقبل بصحة الفرض الثاني جزيئا حيث كشف اختبار ت وجود فروق بين المنظمات الربحية وغير الربحية فيما يتعلق بظهور مؤشري سهولة الاستخدام والحلقات الحوارية التفاعلية، وانعدمت الفروق ذات الدلالة الإحصائية في ظهور مؤشرات توفير معلومات مفيدة، والحفاظ على الزوار، ومعاودة الزيارة، على صفحات المنظمات بموقع الفيس بوك.

ج/ مناقشة نتائج الدراسة في ضوء نظرية الاتصال الحواري:

نظرية الاتصال الحواري هي نظرية معيارية بمعني أنها تقدم معايير لما يجب أن تكون عليه ممارسة العلاقات العامة عبر الإنترنت، ووفقا للنظرية فإن شبكة الإنترنت قدمت فرصة لممارسي العلاقات العامة لبناء علاقات ديناميكية ومثمرة مع الجمهور، ومن أجل بناء هذه العلاقة فإنه ينبغي على ممارسي العلاقات العامة فهم كيفية توظيف الإنترنت لبناء العلاقة، وتضمينها مؤشرات حوارية تسهل بناء هذه العلاقة، هذه المؤشرات هي: سهولة الاستخدام، توفير معلومات مفيدة، والحفاظ على الزوار، وتشجيع الزوار على معاودة الزيارة، والحلقات الحوارية التفاعلية، وكل مؤشر من هذه المؤشرات يتضمن عدة وسائل تقيس المؤشر، وبتطبيق النظرية في هذه الدراسة فقد كشفت النتائج عن توافر مؤشرات الاتصال الحواري بدرجات متوسطة، باستثناء مؤشر معاودة الزيارة الذي جاء في الدرجة المنخفضة للمقياس، كما ورد مؤشر الحفاظ على الزوار في المرتبة الأولى بين مؤشرات الاتصال الحواري، يليه مؤشر الحلقات الحوارية التفاعلية، ثم مؤشر توفير معلومات مفيدة، ثم مؤشر سهولة استخدام واجهة الصفحة، وجاء مؤشر معاودة الزيارة في المرتبة الأخيرة. وإذا ما أخذنا في الاعتبار تقسيم تايلور وزملائه لمؤشرات الاتصال الحواري الى قسمين: القسم الأول: يتضمن المؤشرات التي تعكس الجوانب الفنية والمتعلقة بتصميم الموقع، وهي: سهولة الاستخدام، والحفاظ على الزوار، والقسم الثاني: يتضمن المؤشرات التي تعكس الجوانب الحوارية وهي: الحلقات الحوارية التفاعلية، ومعاودة الزيارة [15]، فإن نتائج هذه الدراسة تؤكد تفوق استخدام المنظمات للجوانب الفنية (57.25%)، على استخدامها للجوانب الحوارية (47.13%) عبر صفحاتها بالفيس بوك، كما تكشف

النتائج أن صفحات الفيس بوك الخاصة بالمنظمات لم تشجع الجمهور على معاودة الزيارة حيث برز هذا المؤشر بنسبة ضعيفة يقل وزنها النسبي عن 50%.

المفترحات:

بناء على النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، يقترح الباحث بالآتي:

1- أن تهتم المنظمات بتنويع مضامينها عبر صفحاتها على الفيس بوك بما يلبي احتياجات الجماهير المستهدفة كافة، حيث كشفت نتائج الدراسة عن تركيز المضامين المنشورة عبر صفحات الفيس بوك للمنظمات على استهداف العملاء والمجتمع المحلي وقلة الاهتمام بباقي الجماهير الأخرى.

2- ضرورة تفعيل المنظمات للأدوات التفاعلية في صفحاتها بالفيس بوك، حيث كشفت الدراسة عن ضعف الحوار والتفاعل مع الجمهور عبر هذه الصفحات، كما لاحظ الباحث توفر بعض الأدوات التفاعلية لكن لم يتم تفعيل تلك الأدوات أو استخدامها بشكل كاف.

3- ينبغي على المنظمات الاهتمام بالأدوات التي تجذب الزوار وتجعله، يعيد زيارة صفحة الفيس بوك أكثر من مرة، حيث أظهرت نتائج الدراسة التحليلية عن ظهور مؤشر "معاودة الزيارة" بنسبة ضعيفة في صفحات الفيس بوك الخاصة بالمنظمات، ومن تلك الأدوات الهامة التي ينبغي على المنظمات الأخذ بها: تحديث المعلومات باستمرار، وعرض تقويم بأنشطة وفعاليات المنظمة الماضية والمستقبلية، ودعوة الجمهور للمشاركة فيها.

4- ينبغي على الإدارات العليا بالمنظمة توفير الدعم المادي والمعنوي لاستخدام الوسائل الإلكترونية التفاعلية وإدراجها ضمن وسائل الإعلام والنشر في المنظمة، وأن تخصص لها ميزانية كافية باعتبارها وسائل مباشرة للعلاقة بين المنظمة وجمهورها ووسائل الإعلام الأخرى.

الهوامش:

(1) خيرت معوض عياد، (2008)، المسؤولية الإعلامية للعلاقات العامة عبر الإنترنت: دراسة على المؤسسات الربحية وغير الربحية في مصر والإمارات، المؤتمر العلمي الدولي الرابع عشر "الإعلام بين الحرية والمسؤولية، الجزء الثالث، (القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الإعلام)، ص 1359.

(2)هبة أحمد مرسي أحمد (2012)، استراتيجيات الاتصال في العلاقات العامة الدولية: دراسة على الموقع الإلكتروني للشركات الأميركية الموجهة للجمهور المصري، رسالة ماجستير، (جامعة القاهرة: كلية الإعلام، قسم العلاقات العامة والإعلان)، ص 112.

(3) أحمد فاروق، (2006)، دور المواقع الإلكترونية للمنظمات الربحية العربية في بناء العلاقة مع الجمهور، دراسة في وظائف الاتصال للعلاقات العامة، المؤتمر العلمي الثاني عشر: الإعلام وتحديث المجتمعات العربية، (القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الإعلام)، ص ص 34-35.

(4) أمل فوزي، (2004)، **مرجع سابق**، ص ص 261-262

(5) Kemna , T. , (2013) , **Op.Cit**. ,P. 27.

(6)خيرت عياد & أحمد فاروق (2015)، العلاقات العامة والاتصال المؤسسي عبر الإنترنت، ط1(القاهرة: الدار المصرية اللبنانية)، ص167.

(7) Waters , R.D. et al , (2009) , **Op.Cit**. ,PP.104-105.

(8) Waters ,R.D. et al ,(2011) , **Op. Cit**. , P.218.

(9) Muckensturm ,E.A. , (2013) , **Op, Cit**. , P.42.

(10) Kemna , T. , (2013) , **Op.Cit** , P.29

(11) Waters ,R.D. et al. (2011) , **Op.Cit**. , P.219.

(12) Muckensturm , E. A. , (2013) , **Op.Cit**, P. ii

(13) Kemna , T. , (2013) , **Op.Cit** , P.30

(14) Linvill, D.L. , McGee, S. E., & Hicks, L. K. , (2012), Colleges' and universities' use of twitter: A content analysis, Public Relations Review, Vol.38, No.4 ,P. 637.

(15) Kemna , T. , (2013) , **Op.Cit** , P.45.

المحور الرابع

المختصرات وأثرها على الفقه المالكي

أ.أحمد بلقندوز حبالي
أ.د: أحسن زقور
جامعة وهران1 أحمد بن بلة.

اتفق الفقهاء على أن الفقه متطور وغير جامد، فقد شهدت الساحة العلمية الكثير من المذاهب الفقهية، اشتهر منها أربعة، تمسك كل إقليم من الأقاليم الإسلامية بمذهب معين منها؛ حيث قلد المغاربة المذهب الذي يمثل مدرسة الأثر وهو المذهب المالكي، والذي مرت صناعة التأليف فيه بثلاث مراحل: مرحلة التأصيل، ومرحلة التفريع، ومرحلة التبسيط والاختصار والشرح.[1]

بدأت مرحلة التأصيل في زمن الإمام مالك؛ حيث ألف كتابه الموطأ، الذي وضع فيه أصول مذهبه، فهو كتاب جمع فيه بين الفقه والحديث، قال القاضي عياض: "أول من عمل الموطأ، عبد العزيز بن الماجشون، عمله كلاما بغير حديث، فلما رآه مالك، قال: ما أحسن ما عمل، ولو كنت أنا؛ لبدأت بالآثار، ثم شددت ذلك بالكلام، ثم عزم على تصنيف الموطأ."[2]

وبعد مرحلة التأصيل هذه، جاءت مرحلة التفريع والتوسع فيه؛ حيث بدأ الفقهاء في جمع فروع المذهب، فافتح علي بن زياد، الكتابة في هذه المرحلة، فألف كتابه: "خير من زنته"، ثم تبعه على هذا المنهج، تلميذه أسد بن الفرات، بكتابه المسمى: "الأسدية"، ثم دون سحنون المدونة، وكان مجهود هذين الأخيرين، تحت إشراف عبد الرحمان بن القاسم، وظهر في الأندلس كتاب الواضحة لعبد الملك بن حبيب، والمستخرجة أو العتبية لمحمد العتبي،[3] وظل التأليف في هذه القرون الأولى يسلك طريقة الابتكار، فبقي متماسكا كهلا قويا واستمر على ذلك إلى غاية القرن الرابع الهجري؛ حيث ظهرت طرق أخرى، متمثلة في الشرح، والجمع، والاختصار.[4]

وبعد مرحلة التفريع هذه، جاءت مرحلة التبسيط والاختصار ثم الشرح، وهذا يتزامن مع توسع ظاهرة التقليد ويظهر هذا التبسيط جليا في رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ويتجلى الاختصار في الاختصارات الكثيرة للمدونة، والتي فاقت شروحها، وذلك لأن المدونة كانت واضحة المسائل.[5]

وتعد ظاهرة الاختصار هذه، من أهم طرق التأليف في الفقه المالكي؛ حيث ظهرت مختصرات كثيرة عبر التاريخ ألفها أعلام مشهورون في المذهب، وعكف عليها الفقهاء الذين جاءو ا بعدهم حفظا وشرحا وتدريسا فغطى كل مختصر مرحلة زمنية معينة، تختلف مدتها من مختصر لآخر، فكان لهذه المختصرات أثرها السلبي والإيجابي على الفقه.

ولبيان ذلك، قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، حيث تناولت في المطلب الأول منه، ذكر أهم المختصرات الفقهية المالكية، وتناولت في المطلب الثاني: الأثر السلبي لهذه المختصرات (عيوب المختصرات)، وتناولت في المطلب الثالث الأثر الإيجابي لهذه المختصرات (فوائد المختصرات).

المطلب الأول: أهم المختصرات الفقهية المالكية.

بدأت ظاهرة الاختصار عند فقهاء المالكية في القرن الثالث الهجري، فتوالت مختصرات [6]في الفقه المالكي كثيرة ذكرها أهل التراجم في كتبهم، منها، مختصرات ابن عبد الحكم المتوفى سنة: 214هـ، (الكبير، الأوسط، الصغير)، نحا بالمختصر الكبير، اختصار كتب أشهب، والأوسط صنفان فالذي من رواية القراطيسي فيه زيادة الآثار؛ خلاف الذي من رواية محمد ابنه، وسعيد بن حسان، والأصغر قصره على علم الموطأ، والتي اعتنى العلماء بها شرحا وتعليقا[7] بلغت مسائل المختصر الكبير: ثماني عشرة ألف مسألة، ومسائل الأوسط أربعة آلاف، ومسائل الصغير: ألف ومائتا مسألة،[8] وعلى المختصر الكبير والأصغر نقول المالكيين من البغداديين في المدارسة، وإياهما شرح أبو بكر الأبهري؛ بل وغير واحد من العراقيين وأهل المشرق،[9] وألف أبو بكر محمد بن أبي يحيى زكريا الوقار المصري المتوفى سنة: 269 هـ، مختصرين في الفقه، الكبير منهما في سبعة عشر جزءا وكان أهل القيروان، يفضلون هذا المختصر على مختصر ابن عبد

الحكم،[10] وإلى هنا كانت ظاهرة الاختصار محدودة الأهمية؛ بالمقارنة بما سيأتي في القرون الموالية.

ثم اختصر المدونة الفضل بن سلمة بن جرير الجبني البجائي المتوفى سنة: 319هـ، كما اختصر الواضحة، وهو من أحسن كتب المالكية، واختصر الموازية،[11] وألف ابن الجلاب المتوفى سنة: 378هـ، مختصره المسمى بالتفريع، وهو كتاب مشهور معتمد في المذهب[12] واختصر ابن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة:386هـ المدونة،[13] ونال هذا المختصر الشهرة العالية وعول عليه أهل إفريقية في التفقه، وبعد ظهور هذا المختصر بفترة وجيزة ظهرت ثلاثة مختصرات للمدونة من تأليف خلف بن أبي القاسم المعروف البرادعي، المتوفى سنة:393 هـ،[14] أثار أحدها –وهو التهذيب-حفيظة ابن أبي زيد القيرواني فأمر مؤلفه بحرقه أو محوه، والذي كان اتبع فيه طريقة اختصار القيرواني؛ إلا أنه ساقه على نسق المدونة، وحذف ما زاده القيرواني؛[15] وقد لقي هذا الكتاب نجاحا منقطع النظير بالمغرب والأندلس، فأقبل عليه طلبة الفقه، دراسة وحفظا وكانت المناظرة في جميع حِلق هذه البلدان بكتاب التهذيب؛ وهذا رغم معاداة عدد من الفقهاء لصاحبه بسبب صحبته لسلاطين القيروان،[16] شغل دورا مهما قبل ظهور مختصر ابن الحاجب الفرعي، وقد انتقد عليه عبد الحق الإشبيلي أشياء أحالها في الاختصار عن معناها.[17]

وفي القرن الخامس، ظهر المختصر الثاني من مختصرات العراقيين، وهو كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب المتوفى بمصر سنة: 422هـ، وهو على صغر حجمه، يعتبر من خيار الكتب الفقهية في المذهب، وأكثرها فائدة،[18] كتب عليه الفقهاء شروحا من أشهرها شرح المازري، وابن بزيزة، وابن محرز، وأبو إسحاق التنسي.

وفي القرن السابع، ألف عبد الله، بن نجم بن شاس، المتوفى سنة: 610هـ، كتابه عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، اتبع فيه ترتيب كتاب الوجيز في الفقه لأبي حامد الغزالي، فعكف الناس بمصر عليه لحسنه، وكثرة فوائده،[19] وهذا التركيز على تجميع المسائل الفقهية دون الاهتمام بعلم أصول الفقه، صعب الإلمام بالفقه على الطلبة، فتولدت الحاجة إلى مزيد من الاختصار.[20]

وإلى غاية هذا الحد، كانت المختصرات تفهم بمجرد قراءتها، وربما احتاجت لبعض التوسعة والشرح؛ ثم أخذت هذه المختصرات تتجه نحو الإلغاز، الذي يصعب فيه حتى فك الألفاظ، ناهيك عن معرفة المعاني؛ حيث ألف عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن الحاجب المتوفى سنة: 646هـ، مختصره الفرعي، المعروف بجامع الأمهات، والذي اختصره من ستين ديوانا[21] حاول فيه تلخيص طرق المذهب وجمع الأقوال في كل مسألة؛ حتى جاء كما قال ابن خلدون: كالبرنامج للمذهب،[22] نسخ هذا المختصر ما تقدمه من الكتب الفقهية، وغطى مرحلة زمنية، إلى أن ظهر المختصر الخليلي، وظهرت عليه شروح كثيرة منها شرح ابن دقيق العيد، وشرح ابن عبد السلام، وابن هارون، وابن راشد، وشرح التوضيح لخليل.[23]

وفي القرن الثامن، ختمت هذه المختصرات، بظهور مختصر خليل المتوفى سنة: 749هـ، والذي أفرغ فيه كل ما كان يتوفر عليه من قدرات: فقها وأسلوبا ومنهجا والذي يعد مختصرا لكتاب التوضيح السابق الذكر، والذي بلغ فيه الاختصار أوجه؛ فكانت جل عباراته ألغازا[24]

نسخ هذا المختصر هو الآخر، ما قبله من الكتب والمختصرات الفقهية المالكية، فصار عامة أتباع المذهب عليه معتمدين، وإليه راجعين، وبقي صامدا لم ينسخ إلى وقتنا الحالي، طبع عدة طبعات لكثرة تداوله؛ بل وترجم إلى اللغة الفرنسية،[25] جمع فروعا كثيرة، قالوا: إنه حوى ما يربو عن مائة ألف مسألة منطوقا ومثلها مفهوما اقتصر على ذكر ما به الفتوى من الأقوال،[26] وصار عند المتأخرين إذا أطلق المختصر، فلا ينصرف إلا إليه؛ لأنه صار الكتاب المعتمد في المذهب.

حظي هذا المختصر بما لم يحظ به كتاب في المذهب بعد الموطأ والمدونة؛ إذ اعتبره العلامة الحجوي آخر الخطوات في التأليف الفقهي المالكي، حتى أن ما جاء بعده، لم يخرج عن محتواه، وذلك في قوله: "ولو اقتصرنا على ترجمة خليل، ولم نزد أحدا بعده، ما ظلمنا جل الباقي؛ لأن غالبهم تابعون له."[27]

وقال أحمد بابا التنبكتي: "لقد وضع الله تعالى القبول على مختصره وتوضيحه، من زمنه إلى الآن، فعكف الناس عليهما شرقا وغربا حتى لقد آل الحال في هذه

الأزمنة المتأخرة، إلى الاقتصار على المختصر في هذه البلاد المغربية، فقل أن ترى أحدا يعتني بابن الحاجب، فضلا عن المدونة."[28]

كثر تناوله من طرف الفقهاء، شرحا وتعليقا وتحشية، حتى قالوا إنها زادت على الستين، وهذا في زمن ابن غازي فكيف بما زيد بعده،[29] وذكر الحبشي في جامعه من التقاييد، والشروح، والطرر، والحواشي، مائتين وسبعة وخمسين.[30]

وإلى جانب هذه الشروح، والتقاييد، والحواشي المذكورة، عمد بعض الفقهاء إلى إعادة صياغة متن المختصر، كما فعل صاحب كتاب أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك؛ حيث قال في مقدمته: "وبعد: فهذا كتاب جليل، اقتطفته من ثمار مختصر الإمام خليل، في مذهب إمام أئمة دار التنزيل، اقتصرت فيه على أرجح الأقاويل؛ مبدلا غير المعتمد منه به، مع تقييد ما أطلقه وضده للتسهيل."[31]

إلى هذا الحد، توقفت صناعة التأليف الفقهي عن طريق المختصرات في المذهب المالكي؛ إلا أن المتتبع لطريقة التأليف هذه؛ يجدها قد أثرت على الفقه تأثيرا كبيرا؛ حيث كان ذلك التأثير بالسلب والإيجاب، شأنها كشأن جميع المناهج التي لا تتنزه عن العيوب، ولا تخلو من بعض الفوائد، وهذا ما سأبينه في المطلبين الآتيين.

المطلب الثاني: الأثر السلبي للمختصرات (عيوب المختصرات).

أشار كثير من العلماء، إلى إخلال المختصرات بالتعليم، وإفسادها للعلم.

قال ابن خلدون: "كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم، مخلة بالتعليم."[32]

وقال الحجوي: "فالرزية كل الرزية، في الاشتغال بالمختصرات."[33]

وقال أبو العباس أحمد القباب: "إن ابن بشير، وابن الحاجب، وابن شاس، أفسدوا الفقه."[34]

وطريقة إفسادهم، هي: أنهم كانوا يلزمون طريقة التأليف بالاختصار، فكتب ابن بشير كتابه التنبيه على مبادئ التوجيه، والذي كان مفقودا إلى غاية تحقيقه من طرف الدكتور محمد بلحسان، سنة: 1428هـ- 2007م، وكتب ابن الحاجب مختصراته الكثيرة، والتي أظهر فيها براعته العالية في التأليف، وكان من أبرزها

كتابه جامع الأمهات، المسمى بالمختصر الفرعي، وكتب ابن شاس، كتابه عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة.

والمتتبع لكتب العلماء، يجدهم يعدون عيوبا كثيرة للمختصرات، منها.

1-التعقيد والغموض:

أوغل بعض الفقهاء في الاختصار، حتى وصلوا إلى حد الإلغاز، المؤدي إلى التعقيد والغموض، فصار المقصود مبهما، فكثير من مسائل المختصرات يصعب فهمها حتى على الذين يحفظونها عن ظهر قلب، فتراهم يفتشون عن معانيها بمراجعة الكثير من الشروح، وسؤال المتمرسين في ذلك؛[35] وذلك لأن الاختصار يذهب عن العبارة متانة الصراحة، لتحل محلها مرونة الإجمال، والإبهام، والإبهام.[36]

قال الحطاب-بعد ذكره لفضائل مختصر خليل- : "إلا أنه لفرط الإيجاز، كاد يعد من جملة الألغاز".[37]

وقال الحجوي: "أما عدم فهم المختصر، فسببه هو المبالغة في الاختصار، حتى صار لغزا لا يفهم، ولو لعارف باللغة؛ إلا بالشرح، فهو أصعب من القرآن ألف مرة".[38]

لكن ابن دقيق العيد، أرجع سبب عدم فهم بعض ألفاظ المختصرات، إلى ضعف القرائح، فقال في رده على المعترضين على مختصر ابن الحاجب:"وإنما وضعت هذه المختصرات لقرائح غير قرائح، وسبيل هذه الطبقة، أن تطلب المبسوطات، التي تفردت في إيضاحها، وأبرزت معانيها سافرة عن نقابها، مشهورة بغررها وأوضاحها، والحكيم من يقر الأمور في نصابها، ويعطي كل طبقة ما لا يليق إلا بها".[39]

إلا أنه يرد على قول ابن دقيق العيد هذا، أن الغموض في بعض المسائل التي وردت في هذه المختصرات، وقع حتى لمؤلفيها أنفسهم.

فها هو ابن الحاجب، يقر بذلك، حين وصفه لمنهجه في كتابه جامع الأمهات: "لما كنت مشتغلا بوضع كتابي هذا كنت أجمع الأمهات، ثم أجمع ما اشتملت عليه

تلك الأمهات في كلام موجز، ثم أضعه في هذا الكتاب حتى كمل، ثم إني بعد ربما أحتاج في فهم بعض ما وضعته إلى فكر وتأمل".[40]

وكان ابن عرفة، يدرس من مختصره المشهور، تعريف الإجارة، فقال هي: "بيع منفعة ما أمكن نقله غير سفينة، ولا حيوان لا يعقل بعوض غير ناشئ عنها بعضه يتبعض كتبعيضها".[41]

فوجه إليه أحد تلامذته سؤالا مفاده: أن زيادة لفظ "يتبعض" في هذا التعريف تنافي الاختصار، فما وجهه؟ فتوقف يومين، وهو يتضرع إلى الله في فهمها، ثم أجاب بأنه لو أسقطها، لخرج النكاح المجعول صداقه منفعة ما يمكن نقله.[42]

وقد دفع هذا الغموض، إلى اختلاف الشراح في كثير من الأحيان، في تحديد المقصود من عبارة صاحب المختصر مثل اختلافهم في مقصود خليل في عبارته: "وفي تكفير مكره رجل ليجامع: قولان."[43]

حيث اختلف الشراح في ضبط لفظة: "مكره"على روايتين.

الأولى: منهم من قرأها بفتح الراء، (مكره، أي: الذي وقع عليه الإكراه).[44]

الثانية: منهم من قرأها بكسر الراء (مكره، أي: فاعل الإكراه).[45]

فاستدعاهم ذلك إلى الرجوع إلى المصادر التي اعتمدها خليل في اختصاره.

فاستند القائلون بالفتح، إلى ما جاء في التنبيهات، عند قول القاضي عياض:"واختلف في الرجل المكره على الوطء لغيره، فقيل عليه الكفارة، وهو قول عبد الملك، وأكثر أقوال أصحابنا: أنه لا كفارة عليه، ولا خلاف أن عليه القضاء."[46]

فقوله: "ولا خلاف أن عليه القضاء" يدل على أنه يقصد المكره؛ لأنه هو الذي يجب عليه القضاء؛ لا المكره، فإنه لا يجب عليه قضاء اتفاقا.

واستند القائلون بالكسر، إلى ما نقل ابن الحاجب فيه القولين، حين قال: "وفي مكره جماع الرجل قولان."[47]

فلهذا ومثله، قال ابن خلدون: "ثم فيه مع ذلك، شغل كبير على المتعلم، بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة الفهم بتزاحم المعاني عليها، وصعوبة استخراج المسائل

من بينها؛ لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة، فينقطع في فهمها حظ صالح عن الوقت."[48]

(2-الاختصار قد يؤدي إلى الإخلال بالأصل:

لاشك أن المبالغة في الاختصار، قد تؤدي بالمختصر للخروج عن المعنى المقصود، إلى آخر غير مراد، فيفوت الغرض من طلب العلم، وقد ضبطت مواضع كثيرة تؤكد هذا، منها.

قول خليل في مسألة من مسائل زكاة الدين: "إن كان عن كهبة أو أرش؛ لا عن مشترى للقنية وباعه لأجل فلكل."[49]

قال الحطاب، أثناء شرحه لهذه المسألة: "هذا الشرط لا محل له؛ لأن كلامه في دين القرض، أو دين عرض التجارة الذي للاحتكار، وهذا الذي ذكر؛ إنما هو في دين الفوائد، فلو قال: لا إن كان عن هبة أو أرش فيستقبل به حولا، ولا عن مشترى للقنية، لصح الكلام؛ واعلم أن المصنف حاول اختصار كلام ابن رشد في المقدمات، فلم يتيسر له الإتيان به على وجهه."[50]

وقال الحجوي: "والاختصار لا يسلم صاحبه من آفة الإفساد والتحريف، فقد اعترض عبد الحق الإشبيلي مواضع من مختصر ابن أبي زيد القيرواني، والبرادعي، أفسدها الاختصار". [51]

وقال أيضا في ترجمة الرهوني: "وسلك في التحقيق طريقا صريحا ومهيعا صحيحا، ينقل كلام المتقدمين الذي هو الأصل بلفظه، مما دل على نشاطه في الاطلاع، وثقوب حفظه؛ وبسبب ذلك، فضح أغلاطا كثيرة، وقعت لمن قبله في الاختصار والتلخيص، أفسدوا بهما كلام المتقدمين، وغيروا الفقه عن مواضعه".[52]

فلهذا كله، احتاط العلماء، فأمروا بأخذ العلم من كتب المتقدمين.

قال ابن رشد الجد-في أحد الروايات عن مالك-: "إن ابن أبي زيد، نقلها بالمعنى على ظاهرها، نقلا غير صحيح."[53]

ثم علق على هذا بقوله: "ولهذا وشبهه، رأى الفقهاء قراءة الأصول، أولى من قراءة المختصرات والفروع."[54]

وقال الشاطبي-في منهاج طرق أخذ العلم-: "أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم المراد، فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين، وأصل ذلك، التجربة والخبر".[55]

ورغم أن شدة الاختصار، توقع صاحبها في الخلل؛ إلا أن المختصرات لا تخلو من صواب، وعلى رأسها مختصر خليل، والذي يعتبر أكثر المؤلفات الفقهية صوابا.[56]

(3-تضييع الأوقات:

إن المتتبع لكيفية تأليف المختصرات، ثم جعل الشروح والتقييدات عليها، يلحظ استغراقها لزمن كبير جدا؛ فهي تأخذ وقتا كبيرا أثناء تأليفها، فقد أقام خليل مثلا في تأليف مختصره خمسا وعشرين سنة؛ بينما أتم البخاري، تحرير كتابه الجامع الصحيح، في ست عشرة سنة فقط.[57]

ثم تأخذ وقتا آخر لبسط وإيضاح هذا الاختصار من جديد، فيحتاج الكتاب المختصر إلى كتب أخرى، كل واحد يقوم على خدمته من جهة معينة، هذا في فك معنى الألفاظ، وهذا في تقدير الكلام، وآخر في إعراب الجمل ورد الضمائر وهكذا، فيؤدي هذا إلى الانصراف عن الغاية، إلى الوسيلة.

ثم يأتي دور الحواشي والتقييدات، لتوضيح وتفسير ما غمض في الشروح، ثم استدراك المسائل الناقصة، ومعلوم أن الفروع الفقهية؛ لا نهاية لها، فيلزم عن ذلك تسلسل الحواشي إلى ما لا نهاية.

وقد تنافس الفقهاء فعلا في تكثير الشروح والحواشي وتطويلها، وهذا مما يؤدي إلى ضياع وقت كبير في فهم المسألة الواحدة.[58]

ورغم أن المقصود من الاختصار، هو جمع مجلدات كثيرة في مجلد واحد، وتقليل مدة الزمن؛[59] إلا أنه يلاحظ على شروح المختصرات، وحواشيها، وتعليقاتها، وتقييداتها: تطويل أكثر من تطويل الأمهات، فيكونون بذلك قد عادوا لما قصدوا الفرار منه أول مرة، حتى أصبح بعضهم يختم المختصر الخليلي تدريسا في نحو أربعين سنة، ومع ذلك، فهو باق يدور في فلك تحرير وسرد الفروع.[60]

قال المقري: "أفنى كثير من طلبة العلم أعمارهم في فهم رموز هذه المختصرات، وحل ألغازها، ومقفلها، وفهم أمر،مجمل، ومطالعة تقييدات؛ زعموا أنها تستنهض النفوس". [61]

ولكن الواقع يشهد بالجمود والتقيلد؛ بحيث لو سئل هذا الطالب عن مسألة فقهية، فإنه يسرد المختصر الذي يحفظه عن ظهر قلب، فإن لم يجدها منصوصة توقف عن الإجابة، فأي استنهاض للهمم هذا؟

ومما زاد تضييعهم للأوقات، طرحهم للمسائل النادرة، التي تمر السنون، ولا يقع منها شيء؛ بل وذهبوا إلى المسائل الخيالية، والتي قد لا تحدث إطلاقا.

(4-تجريد الفقه عن أصوله:

عرقلت المختصرات مسايرة الفقه لتطور الزمن، وكان ذلك بعزلها للأصول عن الفروع، فصارت تجمع الفروع بلا أدلة، ففات الاطلاع على ما في الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، وعلة الحكم التي شرع لأجلها، وفهم أسرار الفقه وضاعت أفكار السلف، وكيفية استنباطهم ومداركهم، فأدى هذا كله إلى غياب الملكة الفقهية الصحيحة.[62]

قال ابن رشد الجد: "والعالم على الحقيقة، هو العالم بالأصول والفروع؛ لا من عني بحفظ الفروع، ولم يتحقق بمعرفة الأصول".[63]

وقال طاش كبرى زاده -في اندثار علم الخلاف في زمانه-:"وإلى الله المشتكى، من زمان صار الكلام فيه كلاما بلا أثر، والخلاف خلافا بلا ثمر، والأصول فضولا، والمعقول مغفولا". [64]

وقال الحجوي في فضل معرفة الأصول: "والفقيه الذي يستحق لقب فقيه، هو العارف بذلك، أما الذي يسرد آلافا من مسائله، غير عارف بأصلها، فإنما حاك نقال". [65]

فابتعد هؤلاء الفقهاء النقلة، عن الاستنباط، ولزموا التقليد، فتحجر الفقه، وعجز عن مسايرة المستجدات، حيث عم التقليد للمنقول عن الفقهاء؛ بل وصل الأمر إلى الاقتصار على ما ورد عند الفقيه الواحد في المختصر الواحد، وترك غيره من الكتب؛ حتى الأمهات منها، فهجر القرآن، وكتب الحديث، وكتب أصول الفقه،

فأصبح الفقيه عندهم لا يعرف حديثا واحدا من أحاديث الأحكام، وآيات الأحكام إذا حفظها، فهو لا يعرف كيفية الاستدلال بها؛ بل ولا يعرف معناها أصلا.

فقد حكي عن ناصر الدين اللقاني، أنه إذا عورض كلام خليل بكلام غيره، قال: "نحن أناس خليليون، إن ضل ضللنا، مبالغة في الحرص على متابعته".[66]

وقال أحمد السوداني: "فقد صار الناس من مصر إلى المحيط الغربي، خليليين؛ لا مالكية، إلى هنا انتهت الحالة".[67]

والأغرب من هذا كله، أن أهل القرون الأخيرة، افتعلوا للنحو أدلة على قواعده؛ رغم أن الضرورة لا تدعو إلى إقامة ذلك، فصار ضخما وصعبا؛ أما الفقه الذي لا يتأكد إلا بمعرفة أدلته، فعروه منها، وذهبوا إلى تضخيمه بكثرة الاختصار وإدراج المسائل النادرة، التي تمر الأعمار ولا تقع واحدة منها، وهي غالب ما زاده صاحب المختصر على ما في المدونة.[68]

وإذا تعطلت أصول الفقه، فهذا يعني أن التقليد قد انتشر، وامتزجت العقول بالبلادة، والنفوس بالدناءة، وعجز الفقهاء عن إيجاد حكم للنوازل المحدقة بهم.

وقد أنكر سعيد بن الحداد المتوفى سنة: 302هـ، هذه الوضعية، وثار عليها، فكان يقول: "إنما أدخل كثير من الناس إلى التقليد نقص العقول ودنا الهمم"كما كان يقول: "كيف يسع مثلي، ممن أتاه الله فهما أن يقلد أحدا من العلماء بلا حجة ظاهرة"[69]

(5-الإغراق في التكرار:

كانت طريقة التفقه عند أهل القرن الثامن، والتاسع، والعاشر، متعبة؛ وذلك لأنهم كانوا يفرضون على أنفسهم قراءة كتب كثيرة، كتهذيب البرادعي، الذي كان يلقب بالمدونة عندهم، ومختصر ابن الحاجب، وشروحه ومختصر خليل وشروحه، وهذا محض تكرار ممل، مضيع للعمر، ثم بعد هذه القرون، اقتصر الناس على مختصر خليل، وما يشتمل عليه من شروح، وحواش، وتقييدات،[70] والتي اهتمت بالاشتغال بإصلاح ما فسد عند سابقيها، وهذا غير الاشتغال بالعلم نفسه.[71]

وهذا التكرار لا يكون الملكة الفقهية، وإذا كونها؛ لا تكون إلا ناقصة، قال ابن خلدون: "فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات، إذا تم على سداده، ولم تعقبه آفة، فهي ملكة قاصرة عن الملكات، التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة؛ لكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التامة، وإذا اقتصر على التكرار، قصرت الملكة لقلته، كشأن هذه الموضوعات المختصرة؛ فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين، فأركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها."[72]

فالملاحظ مثلا لشروح مختصر خليل على كثرتها، يجدها تتشابه؛ بل وتكاد تتطابق فيما بينها؛ خالية من التأصيل والاستدلال، مكتفية بحك الألفاظ، تفسيرا وتأويلا فهي تركز على اللغة، أكثر مما تركز على أصول الفقه التي تدفع لتكوين الملكة الفقهية الصحيحة.

وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد من العيوب، كان الأمر طبيعيا أن يظهر بعض المنكرين على هذه الطريقة، المنددين بهذا المنهج العقيم، المحذرين من الاعتماد عليه، الداعين إلى الرجوع إلى الأمهات والأصول.

فكان أول من تصدى لهذا المنهج، الحافظ أبو بكر بن العربي توفي سنة: 543هـ، والذي أرجع سبب نضوب ماء العلم في الإسلام، ونقصان ملكة أهله، إلى انكباب الناس على تعاطي المختصرات الصعبة الفهم وإعراضهم عن كتب الأقدمين المبسوطة المعاني، الواضحة الأدلة، التي تحصل لمطالعها الملكة في أقرب مدة.[73]

وتابعه على هذا المنهج الفقيه المحدث عبد الحق الإشبيلي المتوفى سنة:581هـ، والذي انتقد مسلك البرادعي في اختصاره للمدونة، والفقيه اليزناسني الذي استشاره ابن شاس في وضع مختصره، فأشار عليه ألا يفعل؛ ولكنه لم يعمل بإشارته.[74] وأبو عبد الله المقري المتوفى سنة:756هـ، والمؤرخ ابن خلدون وغيرهم.

يقول المقري منددا بهذا المنهج: "ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغربية أربابها، ونسبوا ظواهر ما فيها إلى أمهاتها، ثم تركوا الرواية، فكثر التصحيف، وانقطعت سلسلة الاتصال، فصارت الفتاوى تنقل من كتب لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها، لعدم تصحيحها، وقلة الكشف عنها."[75]

ويصف ابن خلدون عيوب هذه الظاهرة فيقول: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها، ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، وصار ذلك مخلا بالبلاغة، وعسرا على الفهم."[76]

إلا أن هذه الصيحات التي أطلقها المحذرون من المختصرات، لم تجد آذانا صاغية، واستمر الناس على هذه الطريقة يتنافسون، فيقتنون المختصرات ويدرسونها، ويعملون بما ورد فيها، ويفتون بها الناس، ويعلمونها الطلاب؛ حتى ليروى أن هذه التقييدات والمختصرات، كان يبذل في سبيل الحصول عليها، أضعاف ما كان يبذل في سبيل اقتناء الأمهات. [77]

وهذا كله، تمسكا بوجود فوائد جمة فيها.

وبعد عرض بعض عيوب طريقة التأليف الفقهي عن طريق المختصرات، وجب بيان بعض فوائدها، وهو ما سيتناوله المطلب الموالي.

المطلب الثالث: الأثر الإيجابي للمختصرات (فوائد المختصرات).

عرض ابن عابدين في حاشيته المشهورة، مقارنة بين جهود كل من المتقدمين والمتأخرين في صناعة التأليف، في عبارة وجيزة، فقال: "وأنت ترى كتب المتأخرين تفوق على كتب المتقدمين في الضبط والاختصار، وجزالة الألفاظ وجمع المسائل لأن المتقدمين كان مصرف أذهانهم إلى استنباط المسائل، وتقويم الدلائل؛ فالعالم المتأخر، يصرف ذهنه إلى تنقيح ما قالوه وتبيين ما أجملوه، وتقييد ما أطلقوه، وجمع ما فرقوه، واختصار عباراتهم، وبيان ما استقر عليه الأمر من اختلافاتهم، وعلى كل؛ فالفضل للأوائل" [78]

وهذا مزيد من الإيضاح والذكر لبعض هذه الفوائد.

(1-إلغاء التكرار وحسن الترتيب:

كان الغالب على كتب الفقه المالكي، عدم الترتيب، وكثرة التكرار، مما أدى إلى الإعراض عنها، فكان هذا سببا لبداية الاختصار لأجل تنظيمها.

قال ابن شاس-في سبب تأليف كتابه عِقد الجواهر الثمينة-: "ولم أسمع من أحد منهم، ولا بلغني عنه، أنه كره منه سوى تكريره، وعدم ترتيبه، حتى اعتقد بعضهم أنه لا يمكن ترتيبه؛ بل يشق، ويتعذر." [79]

ثم ذكر المنهج الجديد الذي حمله كتابه، فقال: "فحذفت التكرار الذي عيبوا أئمة المذهب إذ لم يحذفوه، وحللت النظام الذي كرهوه، ثم نظمته على ما جنحوا إليه وألفوه." [80]

وقد كانت الكتب القديمة محتاجة لحسن الترتيب وإلغاء التكرار، فرتبتها المختصرات وحذفت المكرر فيها؛ لكن هذا التكرار الذي ألغته المختصرات، أعادته شروحها، وحواشيها، وتقييداتها، إلى الواجهة من جديد، فقد صارت شروح هذه المختصرات، وحواشيها، وتقاييدها، تعد بالعشرات.

(2-الاختصار لتسهيل الحفظ وسرعة الاستحضار:

لتسهيل عملية الإلمام بالعلوم، عمد بعض العلماء إلى اختصار الأمهات، فلعبت هذه المختصرات دورا كبيرا في تقليل الألفاظ، وهذا يدفع بدوره إلى تيسير الحفظ مع سرعة الاستحضار؛[81] وهذا مقصد حسن؛ لولا ما صاحب ذلك من المبالغة في الاختصار إلى حد الإلغاز.[82]

ولتوضيح ذلك، نقارن مثلا بين المدونة، ومختصر خليل، فالمدونة فيها نحو ثلاثة أسفار ضخام، ولا تحتاج ألفاظها في الغالب إلى شرح وبيان؛ بينما مختصر خليل؛ لا نتمكن من فهم بعض مسائله، وبعضها الآخر؛ لا نفهمه ونثق بما فهمناه؛ إلا بعد الاستعانة بأسفار كثيرة من شروحه، مستغرقين بذلك زمنا طويلا في فهم العبارات المغلقة، فيصير الأمر إلى استغراق زمن أطول.[83]

واعتبر ابن خلدون هذا، من عيوب التربية، وسوء التعليم؛ لأن ذلك يؤدي إلى الإخلال بتحصيل العلوم، بسب التخليط على المبتدئين، فقال: "وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان، فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه، وابن مالك في العربية، والخونجي في المنطق، وأمثالهم، وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل، وذلك لأن فيه تخليطا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه، وهو لم يستعد لقبولها بعد، وهو من سوء التعليم."[84]

وهذا الاختصار المسهل للحفظ، المسرع للاستحضار، يتجلى في طريقة تأليف رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أما مختصر خليل، فألفاظه الصعبة، وأسلوبه الغامض؛ لا يساعدان على حفظه، وسرعة الاستحضار منه إن تمت، فتتم مع الشك في المقصود من العبارة، فيدفع هذا إلى العودة إلى الاستعانة بالشروح الكثيرة، وهذا فيه من بذل الوقت مثل ما في الرجوع إلى الأمهات؛ بل ويزيد عليه في كثير من الأحيان.

(3 -**جمع المسائل:**

قصدت المختصرات إلى جمع أكبر عدد ممكن من المسائل التي كانت متفرقة على كتب كثيرة؛ لتصير بذلك محتواة في كتاب واحد، وقد جمع مختصر خليل مثلا فروعا كثيرة، لا تكاد توجد في غيره، ومع هذا لا يمكنه استقصاء الصور الخيالية.[85]

وجمع المسائل هذا أدى بكثير من الفقهاء إلى الجمود على التقليد، قال عليش: "إذ يجب علينا العمل براجح أو مشهور مذهبنا، وإن لم نعلم دليله، ولا قوته، ولا الاتفاق عليه، فإنه حجة علينا، ما دمنا في ربقة التقليد، ونظرنا في الأدلة والاتفاق، والاختلاف، فضول؛ إذ وظيفتنا محض التقليد، واتباع الراجح أو المشهور."[86]

ولما كانت الفروع كثيرة، ومتجددة؛ استحال حصرها، والإحاطة بها.

قال ابن عبد البر: "واعلم يا أخي، أن الفروع لا حد لها تنتهي إليه أبدا؛ فلذلك من رام أن يحيط بآراء الرجال، فقد رام ما لا سبيل له، ولا بغيره إليه؛ لأنه لا يزال يرد عليه ما لم يسمع، ولعله أن ينسى أول ذلك بآخره لكثرته."[87]

فيكون الواجب على الفقيه، تعلم أصول الفقه المجموعة المحصورة المعلومة؛ عوض محاولة جمع المسائل الفروعية غير المنتهية، والدليل على ذلك، أن كل فقيه يؤلف؛ إلا ويزيد في كتابه مسائل كثيرة عن سابقيه، تعد بالمئات؛ وهذا رغم تقارب الزمن بينهم، فكيف إذا تباعد الزمن؟؛ وزيادة على هذا، قد تعرض للفقيه نوازل؛ لا يجد لها نصا في الكتب الجامعة للمسائل عند من سبقه من الفقهاء، فيضطر للعودة إلى تعلم أصول الفقه.

وقد نبه ابن عبد البر إلى أن الحل الأمثل، يكون في ضرورة معرفة الاستنباط، فقال: "فيحتاج أن يرجع إلى الاستنباط الذي كان يفزع منه، ويجبن عنه؛ تورعا بزعمه أن غيره كان أدرى بطريق الاستنباط منه، فلذلك عول على حفظ قوله، ثم إن الأيام تضطره إلى الاستنباط، مع جهله بالأصول".[88]

(4-تعيين ما تكون به الفتوى.

قام بهذه المهمة علماء بارزون، اعتمد خليل في مختصره على أربعة منهم؛ حيث مشى على اختيار اللخمي وترجيح ابن يونس، واستظهار ابن رشد الجد، وقول المازري.[89]

قال الحجوي: "لكن في الحقيقة أن الذي أجهز عليه، (أي الفقه) هم الذين جعلوه (أي: مختصر خليل) ديوان دراسة للمبتدئين، والمتوسطين، وهو لا يصلح إلا للمحصلين، قال صاحبه في أوله: مبينا لما به الفتوى، ولم يقل جعلته لتعليم المبتدئين، فلا لوم عليه".[90]

وفائدة تعيين ما تكون به الفتوى هذه؛ لا تكون هي الأخرى إلا بمعرفة أصول الفقه، فكيف يستطيع الفقيه الترجيح بين الأقوال المختلفة؟ مع تعذر الترجيح بدون مرجح، وكيف يستطيع القول بقوة هذا القول، وضعف ذاك؛ إن لم يكن من أهل الأصول والاستنباط؛ بل وصار بعضهم يقول إن هذا القول ضعيف؛ لأن فلانا ضعفه، وهذا قوي؛ لأن فلانا قواه، وهذا راجح؛ لأن فلانا رجحه، وهذا مرجوح؛ لأن فلانا لم يرجحه، وهذا كله دون ذكر سند الترجيح المعتمد عليه، فيزيد المسألة غموضا على غموضها.

وقد يسأل سائل، أنه إذا كان للمختصرات بعض الفوائد، فلم لم يؤلف فيها أوائل أئمة المذهب.؟

أجاب ابن شاس عن ذلك، فقال: "ولم يترك أئمة المذهب سلوك هذا الطريق لاستهجانه لديهم، ولا لتعذره عليهم بل لأنهم قصدوا بتصانيفهم محاذاة سؤالات المدونة، إذ كانت ما بين شرح، وتلخيص، وتنكيت، وشبه ذلك على الكتاب المذكور، وهو كما قد علم سؤالات، لم يعتن بموردها بترتيبها".[91]

خاتمة:

بعد هذه الجولة السريعة في بطون الكتب؛ لتلمس ظواهر وخبايا ما جاءت به، مما يخدم هذا العنوان، يمكن القول أن ظاهرة الاختصار ظاهرة عامة، أتت على جميع العلوم العربية، ولم تستثن أحدا منها، وبرزت بشكل كبير في علم الفقه، وبخاصة الفقه المالكي، الذي ألفت فيه عشرات المختصرات، بدء من القرن الثالث الهجري، واستمرت حتى القرن الثامن الهجري، وقد أثرت هذه الظاهرة على الفقه المالكي إيجابا وسلبا.

فبين هذين النوعين من التأثير، يخلص الباحث إلى وجوب التخلص من هذه السلبيات، والاستفادة من الإيجابيات وتوظيفها في خدمة الفقه المالكي، ويكون ذلك بتسخيرها للطلبة المبتدئين، للاستفادة من تلخيصها، وترتيبها، وجمعها لمسائل الفقه، وتحذيرهم من العكوف عليها طول العمر، ومن قراءة المختصرات التي سلكت طريق الإلغاز والغموض؛ لأن هذا يعرقل مسيرة تطور الفقه، ومسايرته للمستجدات المطروحة عليه.

وفي نهايةهذا المطاف،أوصي بقراءة وتدريس متن رسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه المالكي، وذلك لتلخيصه وترتيبه وجمعه لكثير من المسائل الفقهية، مع تجنبه للتعقيد والإلغاز، ثم الدفع بعد ذلك مباشرة نحو التمكن من أصول الفقه، ومقاصد الشريعة للإعداد إلى نهضة فقهية تستوعب في تشريعها جميع مناحي الحياة.

الهوامش:

(1) المذهب المالكي بالغرب الإسلامي: نجم الدين الهنتاتي، مطابع سانباكت لحساب منشورات تبر الزمان، تونس، دون رقم الطبع، 2004م. ص189-190.

(2) ترتيب المدارك وتقريب المسالك: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ت: ابن تاويت الطنجي، وآخرون مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط1، 1981م-1983م. 76/2.

(3) المذهب المالكي بالغرب الإسلامي: ص195.

(4) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1416هـ-1995م. 181/2-182.

(5) المذهب المالكي بالغرب الإسلامي: ص218.

(6) "المختصر ما قل لفظه، وكثر معناه، ويقابله المطول: وهو ما كثر لفظه ومعناه، هذا أحد قولين، والآخر أنه تقليل اللفظ مطلقا أي: سواء كثر المعنى أم لا". حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، دار الفكر، دون بلد ورقم وتاريخ الطبع. 18/1-19.

[7] ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 3/365-366.

[8] الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، ت: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، دون رقم وتاريخ الطبع. 1/420.

[9] ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 3/364.

[10] شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424هـ- 2003م. 1/101.

[11] المصدر نفسه: 1/123.

[12] المصدر نفسه: 1/137.

[13] ترتيب المدارك: 6/217.

[14] الفكر السامي: 2/243.

[15] الديباج المذهب: 1/349.

[16] المصدر نفسه: 1/349.

[17] الفكر السامي: 2/243.

[18] المصدر نفسه: 2/236.

[19] الديباج المذهب: 1/443.

[20] المذهب المالكي بالغرب الإسلامي: ص224.

[21] شجرة النور: 1/241.

[22] ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر(تاريخ ابن خلدون): عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ- 1988م. ص570.

[23] الفكر السامي: 2/271.

[24] المصدر السابق: 2/457.

[25] الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، دون مكان الطبع، ط 15، 2002م. 2/315.

[26] الفكر السامي: 2/286.

[27] المصدر نفسه: 2/285.

[28] نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أحمد بابا بن أحمد التكروري التنبكتي السوداني، دار الكاتب، ليبيا، ط2، 2000م 1/171.

[29] الفكر السامي: 2/287.

[30] جامع الشروح والحواشي: عبد الله محمد الحبشي، المجمع الثقافي، الإمارات العربية، دون رقم الطبع، 1425هـ-2004م 3/1595-1619.

[31] أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك: أحمد بن محمد بن أحمد الدردير، مكتبة أيوب كانو، نيجيريا، دون رقم الطبع 2000م-1420هـ. ص5.

[32] تاريخ ابن خلدون: ص733.

[33] الفكر السامي: 2/182.

[34] المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقيا والأندلس والمغرب: أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، إشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، دون رقم الطبع، 1401هـ- 1981م. 11/142.

[35] الفكر السامي: 2/461.

[36] المصدر نفسه: 2/460.

[37]مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي،(الحطاب الرعيني المالكي)، دار الفكر، دون مكان الطبع، ط2، 1412هـ- 1992م.2/1.

[38]الفكر السامي: 461/2.

[39]طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، دون مكان الطبع، ط2، 1413هـ 235/9.

[40]الإفادات والإنشادات: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: محمد أبو الأجفان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 1403هـ- 1983م. ص163-164.

[41]المختصر الفقهي لابن عرفة: محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي، ت: حافظ عبد الرحمن محمد خير، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، دون مكان الطبع، ط1، 1435هـ-2014م. 159/8.

[42]الفكر السامي: 459/2.

[43]مختصر خليل: خليل بن إسحاق المالكي، تصحيح وتعليق أحمد نصر، دون دار ومكان ورقم الطبع، 1421هـ ص69.

[44]التاج والإكليل لمختصر خليل: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي دار الكتب العلمية، دون مكان الطبع، ط1، 1416هـ- 1994م. 366/3.

[45]منح الجليل شرح مختصر خليل: محمد بن أحمد بن محمد عليش، دار الفكر، بيروت، دون رقم الطبع، 1409هـ 1989م. 142/2.

[46]التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، ت: محمد الوثيق وعبد النعيم حميتي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1432هـ-2011م.309/1.

[47]جامع الأمهات: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي، ت: أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دون بلد الطبع، ط2، 1421هـ- 2000م. ص175.

[48]تاريخ ابن خلدون: 733/1.

[49]مختصر خليل: ص56.

[50]مواهب الجليل: 314/2.

[51]الفكر السامي: 182/2.

[52]المصدر نفسه: 353/2.

[53]البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ت: د محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1408هـ- 1988م. 407/3.

[54] المصدر نفسه: 407/3.

[55]الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (الشهير بالشاطبي)، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، دون مكان الطبع، ط1، 1417هـ- 1997م. 148/1.

[56]الفكر السامي: 287/2.

[57]المصدر نفسه: 286/2.

[58]المصدر نفسه: 271/2.

[59]المصدر نفسه: 459/2.

[60]المصدر نفسه: 460/2.

[61]نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب:أحمد بن محمد المقري التلمساني، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون رقم الطبع، 1388هـ 276/5-277.

[62]الفكر السامي: 460/2.

[63]مسائل أبي الوليد بن رشد (الجد): أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، ت: محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل بيروت، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط2، 1414هـ- 1993م. 932/2.

(64)مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: أحمد بن مصطفى (طاش كبرى زاده)، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1405هـ- 1985م.283/1.

(65)الفكر السامي: 460/2.

(66)نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أحمد بابا التنبكتي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1398هـ 1989م. ص 171.

(67)الفكر السامي: 288/2.

(68)الفكر السامي: 461/2.

(69)كتاب طبقات علماء إفريقية: الخشني، نشر الشيخ محمد بن أبي شنب، الجزائر، دون رقم الطبع، 1332هـ-1914م. ص149.

(70)الفكر السامي: 461/2.

(71)المصدر نفسه: 182/2.

(72)تاريخ ابن خلدون: ص733-734.

(73)الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد السلاوي، ت: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، المغرب، دون رقم وسنة الطبع. 67/8.

(74)النبوغ المغربي في الأدب العربي: عبد الله كنون، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط2، دون تاريخ الطبع، ص 193.

(75)نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ت: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، ط2، 1997م. 276/5.

(76)تاريخ ابن خلدون: 733/1.

(77)جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، دون رقم الطبع، 1966م. 152/1.

(78)رد المحتار على الدر المختار: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، دار الفكر بيروت، ط2، 1412هـ- 1992م. 28/1.

(79)عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة: أبو محمد جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المالكي، ت: حميد بن محمد لحمر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1423هـ- 2003م.3/1.

(80)المصدر نفسه: 4/1.

(81)الفكر السامي: 458/2.

(82)المصدر نفسه: 458/2.

(83)المصدر نفسه: 460/2.

(84)تاريخ ابن خلدون: ص733.

(85)الفكر السامي: 287/2.

(86)فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك (فتاوى ابن عليش): محمد بن أحمد بن محمد عليش، عناية علي بن نايف الشحود، دون دار وبلد وتاريخ الطبع.

(87)جامع بيان العلم: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ- 1994م. 1134/2.

(88)المصدر السابق: 1134/2.

(89)مختصر خليل: ص8.

(90)الفكر السامي: 287/2-288.

(91)عقد الجواهر الثمينة: 4/1.

مفهوم "الاتصال الإسلامي" بين التأصيل والتبعية: قراءة نقدية في أبرز التعاريف العربية.

د. مرزوقي بدر الدين
جامعة وهران 1، احمد بن بلة

مقدمة:

لقد أدت عملية التداخل بين مفاهيم شائعة مثل الإعلام والاتصال من جهة وما اصطلح على تسميته بـ"الإعلام الإسلامي" من جهة أخرى في معظم التعاريف الأكاديمية العربية إلى إعادة إنتاج أزمة ابستيمولوجية تجلت بصفة علنية وضمنية في ذلك الخلط بين الكثير من المفاهيم والمصطلحات نتيجة تداخل الكثير من المقاربات السيكولوجية والسوسيولوجية الإعلامية، والأدوار الجديدة المنوطة بتلك الوسائط الإعلامية والاتصالية سواء أن كانت هذه الأخيرة رسمية أو غير رسمية فردية أو جماعية، إدارية، إنتاجية أو خدمية أو حتى افتراضية، خاصة مع الثورة التكنولوجية المعاصرة على مستوى وسائل الاتصال الجماهيري.

سنحاول في هذه المقاربة الابستيمولوجية المتواضعة انتقاء عينة من التعاريف العربية المقدمة في مؤلفات كلاسيكية معاصرة منشورة على نطاق واسع وهذا تحقيقا لهدفين اثنين: أما الأول فيتمثل في الإحاطة بالوضع الراهن حسب الإمكانات المعرفية المتاحة، وهذا قد يمكننا من الولوج بشكل مباشر في استعراض بعض معالم مشكلة التعريف. هذا في حين يتمثل الهدف الثاني في محاولة استنباط أوجه التشابه والاختلاف بين هذه التعاريف والاجتهاد من خلال تحليلها النقدي المقارن ابتغاء التأصيل المنهجي قدر ما تسمح به إمكاناتنا المعرفية والميتودولوجية في المكان والزمان، خاصة مع شيوع ظاهرة استيراد واستهلاك المفاهيم والمناهج الغربية دون نقدها بشكل أصيل وخلاق من قبل معظم الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية في عالمنا العربي والإسلامي. والإشكالية المطروحة في هذا السياق الابستمولوجي هي كالتالي:

كيف يتموضع مفهوم الإعلام والاتصال وما يتفرع عنهما من مصطلحات، خاصة في إطار ما اصطلح على تسميته في حقل الاعلام العربي المتخصص ب"الإعلام الإسلامي"؟.

الكلمات المفتاحية: الإعلام، الاتصال، الاتصال الديني، الاتصال الإسلامي، الدعوة، الفكر المقاصدي، الإطار الدلالي، التفاعل الاجتماعي، العملية الاتصالية، الإطار المرجعي، التأثير، العالمية الإسلامية.

I. مفهوم الإعلام لغة واصطلاحا:

كلمة الإعلام (information مشتقة من "informatio" اللاتينية، وتعني "الإعلام" حيث يرتبط هذا المعنى في جذوره التاريخية بطبيعة المجتمع الروماني الذي لا يفصل بين المجال المعرفي والمجال التقني كاليونانيين، بل نجده يوظف "الإعلام" في خدمة الحياة اليومية للشعب وليس للخاصة أو الصفوة، أي النخبة. لهذا تفيد الكلمة اللاتينية "information" وجود مجموعتين من المعاني: الأولى تشمل عمليات التشكيل بمفهومها المادي-التقني، والثانية تشمل التصور والمفاهيم والفكر والتعليم، أي المعارف والتعليم [1].

أما اصطلاح الإعلام في اللغة العربية فهو بمعنى الإخبار والإنباء، فهو مصدر لفعل رباعي "أعلم" المشتق من "العلم". والعلم هو "إدراك الشيء على حقيقته"، وأعلمته وعلمته كانتا في الأصل ذات دلالة واحدة، إلا أن "الإعلام" حديثا صار يختص بالإخبار السريع في حين اختص التعليم بالعملية التربوية التي يهدف المعلم من خلالها إلى إحداث الأثر في نفس المتعلم تدريجيا.

كما جاء في لسان العرب المحيط لابن منظور ما يفيد الإخبار والإتقان بعد التعليم، حيث يقول:" استعلم لي خبر فلان وأعلمنيه حتى أعلمه، واستعلمني الخبر فأعلمته إياه، وعلم الأمر وتعلمه: أتقنه". يقول الفيلسوف الفارابي الملقب بالمعلم الثاني:" أعلمته الخبر على وزن أفعل وفعل، أخبر وخبر أنبأ ونبأ"[2].

أما التعريفات الاصطلاحية للإعلام فهناك العديد منها وقد جاءت متقاربة من حيث المعنى. ومن أقدم هذه التعاريف العلمية وأكثرها شيوعا –بصفة علنية أو ضمنية- في معاجم وكتب معظم الباحثين الاعلاميين العرب هو تعريف العلامة الألماني أوتو جروت (Otto Groth الذي يذهب إلى أن "الإعلام هو التعبير الموضوعي

عن عقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت"[3].فعلى سبيل المثال لا الحصر، تعرفه بعض أبرز القواميس العربية الخاصة بالمصطلحات الإعلامية بأنه:" تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والواضحة والمعلومات السليمة الصادقة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم ويتم تحقيق ذلك بواسطة أجهزة الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة..." [4].كما أن هناك من يعرف الإعلام بأنه:"هو تلك التي تبدأ بمعرفة المخبر الصحفي بمعلومات ذات أهمية، أي معلومات جديرة بالنشر والنقل ثم تتوالى مراحلها، تجمع المعلومات من مصادرها، نقلها، التعاطي -أي التعامل- معها وتحريرها، ثم نشرها وإطلاقها أو إرسالها عبر صحيفة أو وكالة أو إذاعة، أو محطة تلفزة إلى طرف معني بها ومهتم بوثائقها." [5]

يمكن القول أنه على الرغم من عدم اكتمال معظم مثل هذه التعريفات العربية إلا أنها تتفق على أن قوام الاتصال الإعلامي هي:"الأخبار والمعلومات والحقائق" باعتبارها بعض أبرز الملامح المحددة لمفهوم الإعلام، هذا في الوقت الذي تظل في معظمها رهينة الاشتقاق اللغوي كمرجعية وحيدة حيث يمكن تلخيص بعض معالم هذه الإشكالية الابستيمولوجية في نقطتين أساسيتين:

1) إن هذه التعريفات ونظيراتها هي بصفة جلية أو ضمنية متأثرة بالاشتقاق اللغوي، خاصة عندما تحصر الاتصال في مجرد نقل المعلومات من فرد إلى آخر، وما يترتب عنه من ظواهر كالشيوع والانتشار في المكان والزمان. ومن ثم يظل التعريف القائم على الاشتقاق اللغوي قاصرا، كونه يجعل من الاتصال ظاهرة ذو بعد واحد، أي أحادية الاتجاه من فرد إلى آخر أو آخرين.

2) إن الأخبار لا تعني الاتصال الإعلامي بل تمثل جزءا منه فقط، كما أن المعلومات أو المواد الخام، التي يتعاطاها الإعلامي في عملياته الاتصالية الإعلامية لا تخرج عن هذا المفهوم. ومن ثم نجد أن أكثر التعريفات تعبيرا عن مفهوم "الاتصال الإعلامي" وإن لم يستخدم هذا المصطلح صراحة هو تعريف الأستاذ سمير حسين الذي أورده الدكتور عاطف عدلي العبد في كتابه الموسوم بـ "المداخل الأساسية لدراسة علم الاتصال "حيث يعرفه على النحو التالي: "الإعلام (الاتصال

الإعلامي) هو كافة أوجه النشاط الاتصالية التي تهدف إلى تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور بطريقة موضوعية وبدون تحريف بما يؤدي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعي والإدراك والإحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتلقين للمادة الإعلامية بكافة الحقائق والمعلومات الموضوعية الصحيحة عن هذه القضايا والموضوعات، وبما يسهم في تنوير الرأي العام وتكوين الرأي الصائب لدى الجمهور في الوقائع والموضوعات والمشكلات المثارة والمطروحة" [6].

II.مفهوم الاتصال لغة واصطلاحا:

إن كلمة الاتصال من الناحية اللغوية مشتقة من الأصل اللاتيني « communis »بمعنى المشاركة وتكوين العلاقة، أو بمعنى شائع أو مألوف. هذا في حين يرى البعض الآخر أنها تعود إلى الأصل « « commonبمعنى عام أو مشترك، وأي من هذه المفاهيم يفيد أن الاتصال عملية تتضمن (المشاركة التفاهم) حول (فكرة، موضوع) من أجل تحقيق (هدف، برنامج)[7] باعتبارها تنطوي على عنصر القصد والتدبير.[8] وفي أبرز المعاجم العربية، عرفها صاحب الكليات العلامة الكفوي كالآتي: "الاتصال هو أن لأجزاء شيء حد مشترك تتلاقى عنده" [9]. كما عرفها صاحب مختار القاموس بأنها: "وصل الشيء بالشيء وصلا"[10] بمعنى نقل المعلومات والمعاني والأفكار والمشاعر بين شخص وآخر وبين مجموعة أشخاص لتحقيق هدف ما أو غرض معين.

أما المعنى المعجمي (الغربي) للكلمة فقد وردت بمعاني متعددة يمكن تلخيصها كالآتي:

- ✓ نقل الأفكار والمعلومات والآراء.
- ✓ خطوط المواصلات أو القنوات التي ترتبط بين مكان وآخر.
- ✓ التليفونات والتلغرافات والراديو (في المجال الهندسي).
- ✓ الأمراض المعدية (في المجال الطبي).
- ✓ العمليات التي تؤثر عن طريقها فرد أو مجموعة فيمن حولهم (في المجال الاجتماعي)
- ✓ نظم الاتصال (في المجال السياسي).[11]

فعلى سبيل المثال لا الحصر، يعرف قاموس أكسفورد(OXFORD DICTIONARY)الشهير الاتصال بأنه يعني: نقل وتوصيل، وتبادل الأفكار والمعلومات (بالكلام) وبالكتابة أو بالإشارات، بحيث يتم تبادل المعلومات والأفكار بين مرسل ومستقبل أو مرسل ومستقبلين بالإضافة إلى أنه يعني المشاركة في الرأي واتخاذ القرار أو بالاشتراك في تبادل المعلومات والمشاعر والاتجاهات، ومع هذا تستخدم كلمة الاتصال بمعاني متعددة تتدرج من التفاعل بين الأفراد إلى استخدام شبكات الاتصال التكنولوجية بل وحتى المواصلات المتقدمة. كما أن الاتصال يحدث عندما يتبادل الأفراد المعلومات والأفكار والمشاعر والأحاسيس فيما بينهم سواء أكان ذلك من خلال استخدام الألفاظ والكلمات (الاتصال اللفظي) أو عكس ذلك (الاتصال غير اللفظي أو الصامت، والذي يتضمن الإيحاءات، الإشارات، والمظهر وأوضاع الجسد). ويظل استخدام كلمة الاتصال وفق معاني ومدلولات مختلفة تندرج من التفاعل اللفظي وغير اللفظي ما بين الأفراد في المكان وفي الزمان إلى استخدام المواصلات وشبكات الاتصالات التكنولوجية السلكية منها واللاسلكية.

نحن نتفق مع تلك المقاربات النقدية العربية التي ترى أن هناك خلط –صريح أو ضمني- عند معظم الباحثين العرب في حقل علوم الإعلام والاتصال بين اصطلاحي الإعلام والاتصال بالمعنى الشامل حيث يمكن تلخيصها فيما يلي:

هناك من يترجم كلمة الاتصال ((communicationبالإعلام ((information، [12] وهناك من يستخدم مسمى "الإعلام" للدلالة عن النشاط الاتصالي[13] برمته. هناك من يدرج الخطبة والندوة والسينما والمسرح ضمن النشاط الإعلامي[14]، وهناك من يراه محاولة التأثير في الجماهير بإقناعهم وتعبئة مشاعرهم وتبصيرهم بالحقائق، أو أن من وظائفه التوجيه والتفسير والتسلية والإعلان[15]. هناك من يعبر عن الإعلام بالاتصال، وعن الاتصال بالإعلام، ويوظف الاصطلاحيين للدلالة على نفس المعنى على الرغم من تفضيله مصطلح الاتصال[16].باختصار، يفسر بعض الباحثين - استنادا إلى مصادر أجنبية- أن سبب هذا الخلط هو نتيجة ارتباط الاتصال بعناصر السيطرة كون هذه الأخيرة بدأت بالإمبراطوريات الكبرى وذوي المكانة السياسية والدينية. ففي مثل هذه المجتمعات القديمة حظي القادرون على القراءة والكتابة بحماية الحكام والكهنة حيث اعتبرت المهارة إحدى مصادر القوة

والنفوذ كون الاتصال كان يسري من أعلى إلى أسفل. وعليه نجد الهدف -كما يرى الأستاذ حسن حمدي- يرتبط بالفعل الاتصالي ويصبح بديلا له، أو دالا عليه، أو معبرا على أقل تقدير[17].

يرجع البعض الآخر هذا الخلط- ومنهم الباحث المتخصص إبراهيم إمام- إلى أن الاتصال يفيد المشاركة والتفاعل بين أطراف العملية الاتصالية في حين يقتصر الإعلام في تعبيره عن مفهوم العملية الاتصالية[18]. لكن هذه التفرقة رغم قربها من الواقع إلا أنها تفرق بين المفهومين باعتماد مدخل واحد يتمثل أساسا في مدى مشاركة المستقبل وفعاليته في الموقف الاتصالي. هذا في حين تنتقد الباحثة نعمات أحمد عثمان هذا التمييز مؤكدة أن الأهم في التفريق بين الاتصال والإعلام هو أن الاتصال "عملية شاملة أو أفعال ذات أهداف شاملة متنوعة، بينما الإعلام هو أحد هذه الأهداف أو أحد أنماط التأثير المراد إحداثه في المستقبل على النحو الذي نعرض له عند تعريفنا للإعلام كفرع من الاتصال بمعناه الشامل"[19]. على العموم يمكن القول أنه إذا كان مفهوم الإعلام يعني مجموع المعطيات والأخبار والمعلومات في شتى الميادين، فإن الاتصال يقتضي الحوار والنقاش في ظل وجود علاقات وأنظمة اتصالية. وإذا كان مفهوم الإعلام يعبر عادة عن شيء ثابت كأن يكون محتوى حالة أو وضعية، فإن الاتصال يترجم عمليا العلاقة (العلاقات) كعملية ديناميكية. ومن ثم فقد يوجد إعلام دون علاقة اتصالية ولكن من الاستحالة بمكان أن يوجد اتصال دون إعلام، فالاتصال أشمل، وهو أكثر شيوعا حاليا في التراث الأكاديمي المتخصص،[20] ونحن نتفق مع هذه المقاربة الإبستيمولوجية الموضوعية.

III. مفهوم الاتصال الديني:

يكاد يجمع معظم المهتمين بما أصطلح على تسميته خطأ في العالم العربي والإسلامي بـ "الإعلام الديني"، أن هذا النمط من الإعلام الجماهيري يتحدد من خلال التعريف الغربي الشائع في أدبيات الإعلام العربية الذي صاغه العلامة الألماني أوتوغروت ((Otto Grothفي بداية القرن المنصرم وهو ذلك "التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم في نفس الوقت". ويؤكد الكثير من المختصين في علوم الإعلام والاتصال في العالم العربي والإسلامي أن هذه العملية الإعلامية المعقدة تتم عبر تزويد هذه الجماهير بالحقائق والمعلومات

الصحيحة والثابتة والأخبار الصادقة التي تساعدهم على تكوين رأي عام صائب في واقعة من الوقائع أو حادثة من الحوادث أو مشكلة من المشكلات[21].

لا ريب أنه إذا تمعنا في أبعاد العملية الإعلامية الدينية من خلال توظيف العناصر الخمسة للنموذج الاتصالي الشهير الذي أعدها هارولد لازويل ((H.Lasswellوتبناه معظم الباحثين لاحقا، خاصة العرب منهم (دون نقد) وهو: المرسل، الرسالة، المستقبل، الوسيلة والأثر، فإننا سنجد بالإسقاط أن معظم التعاريف ترى أن الدين (كل دين) سماويا كان أم وضعيا يتضمن جانبا عقائديا وآخر دعويا مكملا له، والدعوة عمل إعلامي اتصالي بامتياز بكل ما تحمل هذه العبارة من معانى ودلالات دينية في أذهان أساتذة وخبراء الإعلام والاتصال الجماهيري. ومن ثم يمكن تعريف الإعلام الديني على ضوء مرجعية "نموذج لازويل" كالتالي:

"تزويد الجماهير بحقائق الدين، المستمدة من الكتب المقدسة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة، بواسطة القائم أو القائمين بالاتصال لديهم خلفية دينية أكثر أو أقل موسوعية في موضوع الرسالة التي يتناولونها، وذلك بغية تكوين رأي صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته". وقياسا مع الفارق يؤكد الكثير من الباحثين في ما أصطلح على تسميته في أدبيات علوم الإعلام والاتصال في العالم الغربي والإسلامي بالإعلام الديني في تعريفهم على ضوء العالمية الإسلامية أنه "عملية تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي، المستمدة من الكتاب وسنة رسوله وإجماع صحابته وتابعيه واجتهاد علمائه الشرعيين على اختلاف مذاهبهم الفقهية"[22]. كما أنه " تبيان الحق وتزيينه للناس، بكل الطرق والأساليب والوسائل العلمية المشروعة، مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه بالطرق المشروعة، بقصد جلب العقول إلى الحق، وإشراك الناس في ناولي خير الإسلام وهديه وإبعادهم عن الباطل أو إقامة الحجة عليهم"[23].

يذهب معظم الباحثين المهتمين بالحقل الديني السياسي إلى أن الإعلام الديني (الاتصال الديني) في إطار المستجدات العولمة الإعلامية هو تعبير عام يشير إلى المؤسسات الإعلامية المسموعة والمقروءة والمرئية والنتية (نسبة إلى شبكات

التواصل الاجتماعي) تقوم بإنتاج وبث وتوزيع مواد إعلامية بعضها مرئي ومسموع ومكتوب وأخرى تتصل بالثورة المعلوماتية والاتصالية الجديدة، سواء من أخبار وتحقيقات وخطابات ومقالات ومقابلات وحوارات وندوات ورسومات وكاريكاتير وبرامج متلفزة أو مسموعة كالأفلام والمسرحيات والمسلسلات والأشرطة الوثائقية تفسر وتبرر أو تنتقد بشكل أكثر أو أقل بساطة العقائد والشرائع والقيم والممارسات والمذاهب والتاريخ الديني والحضاري المرتبطة سواء بالأديان السماوية الكبرى (اليهودية، المسيحية، الإسلام) أو الأديان الوضعية على اختلاف مللها ونحلها، والموجهة لفئات عمرية مختلفة سواء أكانت داخل مجالها الحيوي أم خارجه[24].

IV. مفهوم الاتصال الإسلامي:

تشير بعض الدراسات السوسيولوجية الإعلامية النقدية إلى أن معظم الإنتاج العلمي الأكاديمي العربي حول ما اصطلح على تسميته بالإعلام الإسلامي ورغم كثرته نسبيا (وجود حوالي أكثر من أربعمائة كتاب متخصص وأطروحة جامعية عربية) لم يرتق بعد (إلا ما ندر منه) إلى مستوى التأصيل العلمي والتجديد من حيث التعاريف. فلا ريب أن أبرز تلك العوائق الإبستمولوجية تتجلى معالمها على مستوى التعاريف المختلفة على النحو التالي:

1. عدم ذكر في معظمها تعريفا خاصا بهذا الحقل الإعلامي يميزه عن غيره من الحقول العلمية والمعرفية وإنما انصب التركيز على التعريف العام للإعلام، وخصائصه ووظائفه العامة كما هو حال كتاب أصول الإعلام الإسلامي للباحث المعروف إبراهيم إمام أو كتاب مسؤولية الإعلام الإسلامي لزميله الباحث محمد سيد محمد، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

2. اعتماد بعضها على ما سلف من تعاريف سابقة بعد إحصائها أو الإكتفاء بذكرها، دون تبني أحدها كما هو حال البعض الآخر، مثل ماجاء في كتاب وسائل الإعلام الإسلامي في وحدة الأمة لمصطفى الغلاييني، أو كتاب أساليب القرآن الكريم في الرد على الحملات الإعلامية للباحث نعيم رزق.

3. تقديم بعضهم استقراءا تاريخيا للإعلام بالتركيز على حقبة معنية أو بعض الحقبات التاريخية أسوة بمن سبقوهم دون إيراد تعريف لهم (هذا إن وجد)، أو الاجتهاد في صياغة التعريف كمحاولة إبستمولوجية في حقول علوم الإعلام

والاتصال على العموم والإعلام الإسلامي على وجه الخصوص (إلا ما ندر)، والشاذ لا يقاس عليه ومن أمثلة هذا القصور المنهجي ماورد في كتاب أضواء على الإعلام في صدر الإسلام للباحث محمد عجاج الخطيب، أو في كتاب الجوانب الإعلامية في خطب النبي صلى الله عليه وسلم لزميله محمد إبراهيم محمد، أوكتاب منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية للباحث سليم عبد الله حجازي.

سنعتمد في عملية التحليل الإبستمولوجي لبعض أبرز التعاريف وفق تسلسها الزمني ثم إبداء بعض الملاحظات المنهجية من خلال إبراز أوجه الاختلاف والتشابه بينها محاولة منا ابتغاء التأصيل المنهجي لاحقا في دراسة مستقلة وهذا قدر ما تسمح به إمكانياتنا المعرفية والميتودولوجية في المكان والزمان.

- يعرف المفكر الإسلامي محمد قطب الإعلام الإسلامي بأنه: "عرض جميع المواد الإعلامية من وجهة النظر الإسلامية".[25]

- ويعرفه الباحث زين الدين الركابي بأنه: "إعلاء كلمة الله في كل عصر بكافة وسائل الاتصال المناسبة لكل عصر والتي لا تتناقض مع مقاصد الشريعة الإسلامية".[26]

- ويعرفه الباحث محي الدين عبد الحليم بأنه: "تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة، بواسطة قائم بالاتصال، لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسائل التي يتناولها، وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها، ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته". [27]

- ويعرفه الباحث عمارة نجيب بأنه: "بيان الحق وتزيينه للناس بكل الطرق والأساليب والوسائل العلمية المشروعة، مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه بالطرق المشروعة، بقصد جلب العقول إلى الحق وإشراك الناس في نوال خير الإسلام وهديه وإبعادهم عن الباطل أو إقامة الحجة عليهم" [28].

- ويعرفه الباحث محمد منير حجاب بأنه: "جهد فني وعلمي مدروس ومخطط ومستمر وصادق من قبل قائم بالاتصال، هيئة كانت أم جماعة أم فردا، لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي تناولها، ويستهدف الاتصال

بالجمهور العام وهيئاته النوعية وأفراده، بكافة إمكانيات وسائل الإعلام والإقناع، وذلك بغرض تكوين رأي صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته ومعاملاته".[29]

- ويعرفه الباحث سيد محمد ساداتي الشنقيطي بأنه: "حمل مضامين الوحي الإلهي ووقائع الحياة البشرية المحكومة بشرع الله الى الناس كافة، بأساليب ووسائل تتفق في سموها وحسنها ونقائها وتنوعها مع المضامين الحقة التي تعرض من خلالها، وهو محكوم غاية ووسيلة بمقاصد الشرع الحنيف وأحكامه". [30]

- ويعرفه أيضا: "فن إيصال الحق للناس بقصد اعتناقه والتزامه أيضا، وفن كشف الباطل ودحضه بقصد اجتنابه، فهو بناء وتحصين"[31].

- ويعرفه محمود كرم سليمان بأنه: "عملية الاتصال التي تشمل جميع أنشطة الإعلام في المجتمع الإسلامي، وتؤدي جميع وظائفه المثلى الإخبارية والإرشادية والترويحية على المستوى الوطني والدولي والعالمي، وتلتزم بالإسلام بكل أهدافه في وسائلها وفيها يصدر عنها من رسائل ومواد إعلامية وثقافية وترويحية، وتعتمد على الإعلاميين الملتزمين بالإسلام قولا وعملا وتستخدم جميع وسائل وأجهزة الإعلام المتخصصة العامة".[32]

- ويعرفه الباحث هشام نغيمش بأنه: "نشاط اتصالي يريد به القيام بالاتصال نقل معلومات عن الدين الإسلامي بهدف توعية المسلمين وتوجيههم وإرشادهم وتبصيرهم بأمور دينهم وحثهم على التمسك بتعاليم الدين الإسلامي، لتكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويعمل بها". [33]

- ويعرفه الباحث المتخصص في الإعلام (الاتصال الاسلامي) منتصر حاتم حسين بأنه: "كل قول أو ممارسة إعلامية، منضبطة بضوابط الشريعة، دون أن يكون هناك نص ديني يأمر بها مباشرة."[34]

من الناحية المنطقية(علم المنطق)، يلاحظ على هذه التعريفات أنه في معظمها تفتقر بشكل أو بآخر وبدرجة قد تزيد أو تنقص إلى بعض الشروط المنطقية التي ينبغي أن تتوفر في أي تعريف علمي. فالتعريف هو "القول الشارح" كما يقول المناطقة العرب، ومعناه توضيح مفهوم اللفظ أو توضيح معنى شيئ حتى يصبح واضحا في ذهن من يجهل معناه. وعليه هناك من المناطقة من اتفقوا على مجموعة من الشروط أو القواعد التي ينبغي مراعاتها في كل تعريف وهي كالتالي:

1. يجب أن ينصب التعريف على جوهر الشيئ موضوع التعريف.
2. يجب أن يكون التعريف بذكر الجنس والفصل.
3. التعريف ينبغي أن يكون مساويا للشيئ المعرف.
4. لا يمكن أن يعرف الشيئ بنفسه.
5. يستحسن أن يكون التعريف ظاهرا في ألفاظ موجبة لا في ألفاظ معدومة أو سالبة.
6. التعريف يجب أن يكون واضحا لا لبس فيه.
7. يجب أن يكون التعريف جامعا مانعا (جامعا، أي شاملا ومانعا، أي مستبعدا).
8. وأخيرا وليس آخرا، يستحسن أن يكون التعريف مختصرا ومركزا[35]

بالنسبة للتعاريف السابقة على سبيل المثال لا الحصر هناك ظاهرة الإطالة والتوسع الطاغية على معظمها ومن مظاهرها كالتالي:

1- التوسعة في تفضيل جوانب أخرى للإعلام مثل خصائصه ووظائفه وميزات القائمين عليه سواء أكانوا أفرادا أو جماعات أو مؤسسات إعلامية عامة أو خاصة، متخصصة، ومثل هذا التفضيل في التعريف يمكن أن يخل بأصالته. لهذا يستحسن إحالته إلى حقله المناسب وأهل الاختصاص هم أدرى بذلك من غيرهم.

2- التوسعة في المفهوم حيث يجعل بعضهم من مصطلح الإعلام أو الاتصال يتماها مع مفهوم الدعوى، فالإعلام عندهم دعوة والدعوة إعلام بامتياز. هذا في حين أن هناك من يرى أن الدعوة هي جزء حيوي من الاتصال الإسلامي وليس كله.

3- التوسعة في العبارات الإنشائية (الأدبية) بدل استخدام مفاهيم من جنسه وفصله فيصبح التعريف جامعا مانعا. وغياب مثل هذه المفاهيم الشارحة تضعف الجانب العلمي للتعريف.

4- التوسعة في القيود: وكأن هؤلاء الباحثين وبقصد الحفاظ على الشخصية المستقلة للإعلام الإسلامي يرومون إلى أنه من الممكن أن نتبنى أي تعريف سابق للإعلام شريطة تقييده بمراعاة الضوابط الشرعية علما بأن بعض هذه الضوابط تتغير بتغير الزمان والمكان والأشخاص.

5- وعليه نستنتج أن التعاريف السابقة بعضها قاصر(ناقص) وبعضها يكتنفه لبس نتيجة الخلط بين المفاهيم ويمكن تلخيصها إجمالا كالتالي:

1) تعتبر تعاريف جزئية (حصرية) حيث حصرت وظيفة الإعلام الإسلامي في عملية التزويد بحقائق الدين الإسلامي، وتأييد العقيدة الإسلامية علما بأن هاتين الخاصيتين الحيويتين لا تعتبران رسالة الإسلام الوحيدة بل أن الأنشطة الإعلامية في المجتمع الإسلامي تشمل جميع وظائف وأهداف الإعلام المحددة من مواد إعلامية وثقافية وترويحية (إعلام تسلية). بمعنى آخر لا يشترط فيما يعرض من مواد إعلامية جماهيرية أن يكون دينيا أو دعويا فقط بشرط ألا تصادم قواعد الاسلام وأصوله الإجتهادية.

2) لا تميز معظم التعاريف السابقة بين الإعلام الإسلامي وبين الدعوة الإسلامية، وبينه وبين التعليم الديني، بل إن بعضها يراه مصطلحا بديلا مرادفا لمصطلح الدعوة، ومن المقرر علميا على الأقل في حقل علوم الإعلام والاتصال أن الاعلام نشاط مستقل في المجتمع له وسائله، ووظائفه وأهدافه المميزة له عن غيره.

3) حصرت بعض التعاريف الوسائل التي يوظفها الإعلام الإسلامي في الوسائل الدينية المتخصصة أو العامة كإذاعات القرءان الكريم أو الوعظ والإرشاد والتوجيه أو خطبة الجمعة. هذا في حين أن جميع وسائل الإعلام الجماهيري تتبع النشاط الإعلامي في المجتمع الأمر الذي يجعل الإعلام الإسلامي يستفيد من جميع وسائل وأجهزة الإعلام المتخصصة والعامة في المجتمع الإسلامي أو خارجه في تحقيق أهدافه الاستراتيجية[36].

و رغم الملاحظات المسجلة يمكن أن نستنبط مجموعة من المشتركات تتقاسمها أغلب التعريفات السابقة ذات الصلة بالإعلام الإسلامي حيث يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

-1العمل على تزويد الناس بالمعلومات والأخبار والوقائع الصحيحة مع تدعيمها بالأرقام و الإحصائيات بعيدا عن الأساليب الدعائية المعروفة عند المتخصصين في الاتصال الجماهيري.

-2العمل على نقل هذه المعلومات والوقائع المتنوعة من مصادرها الأصلية وإن تعذر الأمر، اللجوء إلى مصادر إعلامية أخرى ومقارنتها توخيا للصدق والأمانة كغاية قصوى.

-3 العمل على التحلي بالموضوعية والمهنية في عرض هذه المعلومات والأخبار والوقائع عبر النقد الذاتي البناء، والتكوين المهني المستمرين.

-4 العمل على تنمية الوعي الإسلامي وتعزيز مقوماته، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الجماهير بما يخدم العالمية الإسلامية الثانية ثقافيا وحضاريا.

ومن ثم يمكن استقراء مجموعة من الخصائص الحيوية تكون قد أشرطت بصفة علنية أو ضمنية عينة التعاريف السابقة على نحو التالي:

-1**إرادية:** فهي تنم عن فعل إرادي، أي فعل مقصود يكون مسبوقا بتدبير محكم.

-2**مقاصدية**: باعتبارها فعل اجتهادي، تتمفصل معالمه عبر خطة علمية هادفة، يقصد من ورائها تحقيق غاية مثلى والتي هي بمثابة الإطار التبريري العام الذي يشرط مختلف المبررات الفقهية (الشهود الثقافي والحضاري مثلا).

-3**مثالية/ واقعية:** وتتمثل في استغلال عقلاني للأفكار والوسائل المادية واستثمارها كما و نوعا في إطار تركيبة حضارية متكيفة مع المستجدات بشكل أصيل ومبدع تحت مسمى "إيجاد المفقود وتطوير الموجود".

-**4دينامكية**: وتتمثل في العمل الدؤوب الذي يعيد إنتاج العملية الإعلامية والدعوية دون ملل أو كلل ذلك أن العمل الإرادي حيوي بطبيعة مبرراته ودوافعه النفسية والاجتماعية.

-5***نمذجة حضارية***: والتي هي بمثابة التعبير العيني الملموس لثقافة إسلامية ترسم معالمها على مخطط " تعبوي" و"جيوستراتيجي" يصبو إلى العالمية الإسلامية الثانية.

خاتمة:

أخيرا وليس آخرا يمكن القول أن مصدر هذا التعدد في التعاريف يكمن في تنوع نظرات الباحثين وتصوراتهم المنهجية التي تتأثر بصفة مباشرة أو غير مباشرة بتخصصاتهم العلمية وانتماءاتهم الإيديولوجية، أو بالتعريف الذي اعتمدوه عن غيرهم في المكان والزمان. كما أن هناك أكثر من رأي للباحث قد أبداه بعضهم حول طبيعة العلاقة بين الدعوة والاعلام (بمعنى الاتصال)، هذا في الوقت الذي ينظر البعض الآخر لهذه العلاقة من جانب جزئي وليس على وجه العموم. هناك من يرى في هذا التعدد على مستوى التعاريف يكمن في إشكالية تحديد العلاقة بين الإعلام والدعوة وفق الاصطلاح العام من جهة، والدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي وقف الاصطلاح الخاص من جهة أخرى، وهذه إحدى المفارقات

الإبستيمولوجية الكبرى التي لا زالت تتخبط فيها الكثير من التعاريف العربية في علوم الإعلام والاتصال.

(وللحديث بقية)

الهوامش:

1 برو سرج وفيليب بروتون، ثورة الاتصال، ترجمة هالة عبد الرؤوف مراد، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1993، ص 8.

2 الشنقيطي سيد محمد، مدخل إلى الإعلام، سلسلة دراسات في الإعلام الإسلامي والرأي العام، دار عالم الكتب، الرياض، ص ص 5-7.

3 حمزة عبد اللطيف، الإعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكر العربي، القاهرة، 1967، ص 23.

4 عزت محمد فريد، قاموس المصطلحات الإعلامية، دار الشروق، جدة، 1984، ص 169.

5 ذبيان سامي، الصحافة اليومية والإعلام، دار المسيرة الطبعة الثانية، بيروت، 1987، ص 35.

6 العبد عاطف عدلي، المداخل الأساسية لدراسة علم الاتصال، كلية الإعلام، طبعة تجريبية، القاهرة، 1988، الجزء الأول، ص7-8.

7 محمد سيد فهمي، تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 26 (بتصرف).

8 سمير محمد حسن، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، عالم الكتب، القاهرة، 1984، ص 23.

9 الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1936، بيروت، ص 39.

10 الطاهر أحمد الراوي، مختار القاموس، رتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1979، ص 679.

11 شلبي كرم، معجم المصطلحات الإعلامية، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، بيروت، 1989، ص 121.

12 شلبي كرم، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وانظر أيضا: عزت محمد فريد. المرجع نفسه، (مادة الاعلام).

يوسف حنان،الإعلام والسياسة: مقاربة ارتباطيه، دار الأطلس للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، 2006، ص 77.

أبو الحمائم عزام، الإعلام الثقافي، جدليات وتحديات، دار أسامة، ط1، عمان، 2009، ص 164.

13 الشال انشراح، مدخل في علم الاجتماع الإعلامي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985.

14 حمزة عبد اللطيف، المرجع نفسه، ص 16-25.

15 المسلم إبراهيم عبد الله، الإعلام الإقليمي: دراسة نظرية ميدانية، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص 19-20، وص 28 وص 38-39.

16 محمود بدر المذكور في: العبد عاطف العدلي، المرجع نفسه، ص 6-7.

17 حمدي حسن، مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، ص 72.

18 إمام إبراهيم، الإعلام والاتصال بالجماهير، المكتبة الأنكلومصرية، القاهرة، 1969، ص 127-128.

19 محمد جابر سامية ونعمات أحمد عثمان، الاتصال والإعلام: تكنولوجيا المعلومات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص. 403

20 أنظر على سبيل المثال: دليو فضيل، التكنولوجيا الجديدة للإعلام والاتصال: المفهوم، الاستعمالات، الآفاق، دار الثقافة، الطبعة الأولى،عمان،2010، ص 24-25.

21 مجي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخفاجي، بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط2، 1984،ص ص 143-182.

22 أنظر على سبيل المثال: مجي الدين عبد الحليم، المرجع نفسه، ص 147، وللإستزادة راجع، ص ص 144-147.

23 تيسير قباني، مقومات رجل الإعلام الإسلامي، دار عمار، ط1، عمان، ص ص 17-22.

24 مجي الدين عبد الحليم، المرجع نفسه، ص ص 143-182.

نبيل عبد الفتاح، الثلاثية الغامضة، الإعلام الديني والإرهاب وإشكالية الإصلاح، http://www.acvseg.org/4779.

الأربعاء: 23أفريل 2014، التصفح يوم الاثنين 20 أفريل 2015، الساعة التاسعة مساءا.

25-قطب محمد، الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، ص 160

26-الركابي زين الدين، النظرية الإسلامية في الإعلام نقلا عن مصطفى الغلاييني في كتابه مكانة وسائل الإعلام الإسلامي في وحدة الامة، ص 46

27-عبد الحليم مجي الدين الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي بالقاهرة ومكتبة الرفاعي بالرياض، ط2 1984، ص147. وانظر أيضا: مجي الدين عبد الحليم، الإعلام الإسلامي: الأصول والقواعد والأهداف، مؤسسة إقرأ الخيرية 1992، ص 54.

28-عمار نجيب، الاعلام في ضوء الإسلام، ص 17-18 (تبنته سهيلة زين العابدين في كتابها الإعلام في العالم الإسلامي: الواقع.. المستقبل)، ص13.

29-حجاب، محمد منير، مبادئ الإعلام الاسلامي، ص135 وانظر أيضا: محمد منير حجاب، الإعلام الإسلامي: المبادئ، النظرية، التطبيق، ص25

30-الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم، ص 18.

31-الشنقيطي، سيد محمد ساداتي، مكانة وسائل الإعلام الجماهيرية في تحقيق وحدة الامة، دار عالم الكتب، ط1، 1418 هجرية / 1997 م، الرياض، ص 22.

32-سليمان محمود كرم، التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، ص 43.

33-نغيمش، هاشم: الاعلام الإسلامي في تلفزيون العراق، أطروحة دكتوراه، تخصص إعلام جماهيري،بغداد، ب. ت ص80.

34-منتصر حاتم حسين،إيديولوجيات الإعلام الإسلامي، دارأسامة، الطبعة الأولى، عمان 2011،ص38.

35- للإستزادة حول هذا الموضوع، راجع على سبيل المثال فضل الله مهدي، مدخل إلى علم المنطق (المنطق التقليدي)، دار الطليعة، ط3، (ط1، 1977)، بيروت، 1985، ص ص 73-82، وانظر أيضا: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال، دار القلم، ط7، 1425ه/2004م، ص ص 384-393.

36- للإستزادة حول بعض هذه الانتقادات، راجع على سبيل المثال: الزيدي، طه أحمد، المرجعية الإعلامية في الإسلام: تأصيل وتشكيل، دار الفجر ببغداد ودار النفائس بعمان، ط1430،1 ه/2010م، ص42-60. وانظر أيضا: منتصر حاتم حسين، أيديولوجيات الإعلام الإسلامي، دار أسامة،ط1، عمان، 2011، ص36-44.

الجريمة المنظمة
دراسة في المفهوم، الأسباب والآثار

أ.ة سلطاني سارة
جامعة وهران 2 محمد بن أحمد

مقدمة:

إن التقدم الذي عرفته المجتمعات والحضارات أعطى للجرائم صورا وأبعادا مختلفة سواء فيما يتعلق بالأشخاص المرتكبين لها أو من حيث الأساليب، تزامن معها سن تشريعات تتناسب وهذه الصور الجديدة للإجرام في محاولة منها للوقاية منها ومكافحتها، ومن أبرز صور هذه الجرائم المستحدثة نسبيا نجد "الجريمة المنظمة".

ويجب الإشارة إلى أن ظاهرة الإجرام المنظم ليست من الظواهر الإجرامية الحديثة والجديدة على المجتمع الدولي، لأنها في الواقع ظاهرة إجرامية لها بعض الجذور القديمة مثل جريمة قطع الطريق وجريمة القرصنة[1]، وكانت التشريعات القديمة تطبق عليها عقوبات تصل إلى حد الإعدام في مكان القبض على الجاني طبقا لنص المادة 23 من قانون حمورابي[2].

إن النشأة التاريخية للجريمة المنظمة ترجع بصورة أساسية إلى فكرة التشكيل العصابي المنظم، حيث ثبت أن أقدم صور الجريمة المنظمة هي القرصنة البحرية، وقد عرفت في العصور القديمة والعصور الوسطى وحتى القرن الثامن عشر وفترة من القرن التاسع عشر، حيث أن سفن القراصنة كانت تجوب البحار، وتستولي على ما تعثر من السفن التجارية، وقد تعددت العصابات التي كانت التي تمارس القرصنة بالنظر للأرباح الكبيرة التي كانت تحققها، وقد اشتد التنافس بين هذه العصابات في السيطرة على الأسطح المائية نتيجة لتعارض مصالحها، وعلى إثر ذلك تم توزيع تلك المسطحات بينهم، فأصبح لكل قرصان منطقة عمل خاصة به، ونظرا لتزايد قوتهم ونفوذهم فقد شملت مناطق سيطرتهم الموانئ البحرية في مناطق كثيرة من العالم[3].

ويظهر مما سبق أن الأهداف التي كانت القرصنة البحرية تسعى إلى تحقيقها هي عبارة عن أهداف اقتصادية بحتة، دون أن تسعى إلى تحقيق أهداف ذات صبغة سياسية، إذ كانت سفن القرصنة تجوب البحار لنهب وسلب السفن التجارية وما بها من بضائع وأموال، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى خطف الأشخاص والتهديد بالقضاء عليهم، فالمنافع المادية إذن كانت هي المسيطرة على القرصنة البحرية في هذه الحقبة[4].

وقد عرفت القرصنة البحرية صورا وأشكالا عديدة في العصور الحديثة حيث نجد:

أ- القرصنة بهدف السلب والنهب

يسعى القراصنة عن طريق نهب وسلب الممتلكات إلى تحقيق الربح والكسب المادي، وقد وقعت مثل هذه العمليات في بحار الشرق الأقصى وتحديدا في بحار الصين، وقد أعلنت حينها الصحف ووكالات الأنباء عن حوادث كثيرة في هذا الشأن، ومنها على سبيل المثال ما جاء في صحيفة الفيجارو الفرنسية بتاريخ 27-12-1965 من أن حوالي مائة قرصان هاجموا باخرة يونانية محملة بمادة الكوبرا عندما كانت في طريقها من الفلبين إلى أوروبا[5].

ب- القرصنة بغية الانتقام

لم يكتف القراصنة بالسلب والنهب وإنما امتد نشاطهم إلى حد إغراق السفن وما تحتويه من بضائع وأموال، وقد عبرت عن ذلك لجنة القانون الدولي في تعليقها على مسودة قانون البحار لسنة 1952 حول الدوافع في جريمة القرصنة إذ تقول: " إن النية في السرقة غير مشترطة إذ أن أعمال القرصنة قد ترتكب بدافع الشعور بالكراهية والانتقام وليس فقط بدافع الرغبة في تحقيق مكاسب معينة"[6].

ج- القرصنة ذات الشكل السياسي

مع مرور الوقت تطورت دوافع القرصنة وتطورت معها أهدافها في الوقت ذاته فلم تكتف بتحقيق مكاسب مادية بل تعدت ذلك إلى تحقيق أغراض سياسية، كالمطالبة بالإفراج عن المعتقلين السياسيين، أو المطالبة بالاعتراف بحق شعب معين في تقرير مصيره، أو إبداء المعارضة لنظام سياسي معين[7].

واعتبر القراصنة لعدة قرون أعداء مشتركين ضد البشرية وضد قانون الشعوب، مما ترتب عنه انعقاد الاختصاص القانوني لأي دولة من الدول بمحاكمة القرصان حتى ولو لم يرتكب جرائمه في مياهها الإقليمية أو ضد إحدى سفنها أو أحد رعاياها، وفيما بين إعلان باريس 1852 واتفاقية جنيف 1958 عقدت دول العالم اتفاقيات ومعاهدات للتعاون في مواجهة العنف في أعالي البحار[8].

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلادي ظهرت عصابات المافيا، وقد تكونت هذه العصابات من مجموعة الألبان المهاجرين والفارين من الغزو التركي، واستقروا في جزيرة صقلية وكلابري حاملين أسلحتهم وكونوا مع مضي الوقت عصابات مسلحة فرضت سيطرتها على أهالي الجزيرة، واضعين قوانين تنص على حماية الضعفاء مقابل إتاوة معينة...، وسميت هذه العصابات باسم المافيا وتعني باللغة الإيطالية كلمة " العائلة "[9]، فهناك المافيا الأمريكية والمافيا الصينية والمافيا اليابانية والمافيا الروسية، وقيل إن إيطاليا هي التي أمدت العالم بهذا المصطلح[10].

وهناك عدة روايات حول نشأة المافيا، فقد قيل أنها ظهرت عام 1282 عندما احتلت فرنسا صقلية، مما دفع شخصا يدعى " جان بوسيدا " إلى تولي زعامة عصابة سرية لمقاومة الاحتلال تحت شعار " إيطاليا تتمنى الموت لفرنسا "، ومن مجموعة حروف الشعار نجد كلمة " مافيا "[11].

وأما الرواية الثانية فتقول أن المافيا ظهرت ما بين 1820 و1848، " حين قرر ملاك الأراضي الصقليون أن يحافظوا على النظام في بلادهم لأن سلطة الدولة كانت شبه منهارة، وأن زمام الأمن أخذ يفلت من الأيدي ولهذه الغاية جندوا أعدادا كبيرة من جنود مسرحين، ورجال شرطة متعاقدين وكذلك عددا من عتاة المجرمين المعروفين، ليرهبوا به الفلاحين، الذين عانوا من بغي الأرستقراطيين وقد اتسع نطاق هذا الجيش خاصة بعد عام 1860 حين توسعت المملكة البورجوازية في بسط نفوذها وأصبحت مدينة باليرمو المقر الرئيسي لها" [12].

أما الرواية الثالثة فهي التي رواها الرئيس الأسبق لعائلة " بونانو" في نيويورك " جوزف بونانو" في كتابه " رجل الشرف" حيث أنه " في العام 1282 في أسبوع الآلام كانت الصلوات المسائية في العاصمة باليرمو تقام في الكنائس، وكان عملاء المالية يرابطون لاعتقال المتخلفين عن دفع الضريبة وفيما كانت حسناء صقلية

متوجهة مع والدتها إلى الكنيسة هاجمها جندي فرنسي بحجة مساعدة عملاء المالية وجرها إلى خلف الكنيسة واعتدى عليها فما كان من والدتها إلا أن راحت تصرخ " "Mafia" "Mafiaوتعني ابنتي ابنتي حيث أصبحت بعد ذلك هذه الكلمة رمزا لمقاومة الطغيان" [13].

وقد اتخذ اسم المافيا بعد تحرير صقلية كستار للمنظمات الإجرامية بغية تحقيق أعمال غير مشروعة كالقتل والسرقة والفساد والكسب المادي وغيرها من الأعمال الأخرى[14].

وفي جنوب إيطاليا تفرعت عن المافيا مجموعة أخرى من عصابات الجريمة المنظمة في وسط وشمال إيطاليا مقرها نابلي وميلانو تسمى " كامورا " وأخرى مقرها في كالابريا تسمى " ندرانجيتا ".

ومع تنامي ظاهرة الهجرة للولايات المتحدة الأمريكية في القرن الثامن عشر ازداد نفوذ هذه المنظمات الإجرامية وهاجرت مجموعات من الإيطاليين الذين استقروا أولا في الساحل الشرقي للولايات المتحدة خصوصا نيويورك ثم امتدوا إلى الوسط الأمريكي في شيكاغو وغيرها، ومع الوقت شكلوا عصابات للجريمة المنظمة سميت بالعائلات " لاكوسترا نوسترا " وأرست هذه العصابات الأسس التقليدية للجريمة المنظمة[15]، والجدير بالذكر أنه لم يقتصر وجود الجريمة المنظمة في إيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث توجد في اليابان كذلك عصابات الياكوزا إلى جانب كارتل المخدرات الكولومبي.. . الخ.

المبحث الأول: ماهية الجريمة المنظمة وخصائصها

لا يوجد أي تعريف جامع ومانع للجريمة المنظمة إذ مازال يكتنف هذا المصطلح الغموض وعدم الوضوح، فهو يخفي أنواعا متعددة من الأفعال الإجرامية وأشكالا مختلفة من المنظمات الإجرامية[16]، كما وأنه لا يمكن إعطاء تعريف للجريمة المنظمة ما لم يتم تحديد وبيان خصائصها والتي تميزها عن غيرها من الجرائم.

المطلب الأول: مفهوم الجريمة المنظمة

تعتبر الجريمة المنظمة من بين الأنماط الحديثة للإجرام إلى جانب الجرائم التقليدية التي تنص عليها التشريعات الجنائية في الدول المختلفة، فقد ظهرت

كنتيجة للمتغيرات الكبيرة التي أفرزتها الظروف والمعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية العالمية.

ومن ثم يجب تحديد مفهوم الجريمة المنظمة لغة، ومن ثم بيان موقف الفقه المتباين من هذا المصطلح وكذا موقف التشريعات منها، بالإضافة إلى الاتفاقيات الدولية وكذا المنظمات والهيئات الدولية التي تعرضت بالدراسة لهذه الجريمة.

الفرع الأول: التعريف اللغوي والفقهي للجريمة المنظمة

يتوجب علينا بيان هذا المصطلح وتحديده لغويا أولا، ثم تأصيله من الناحية الفقهية ثانيا وذلك على التوالي.

أولا: تعريف الجريمة المنظمة لغة

المنظمة لغة مأخوذة من التنظيم ويقصد به التأليف وضم شيء إلى شيء آخر، ونظم اللؤلؤ ينظمه نظما ونظاما، ونظمه ألفه وجمعه في سلك فانتظم، كما يقال نظم من لؤلؤ، وكذلك يقال التنظيم وهو يعني ما تناسقت أجزاؤه على نسق واحد[17].

ثانيا: التعريفات الفقهية للجريمة المنظمة

يعرف علماء الاجتماع الجريمة المنظمة بأنها "الجريمة التي جاءت بها الحضارة المادية لكي تمكن الإنسان المجرم من تحقيق أهدافه الإجرامية بطريقة متقدمة لا يتمكن القانون من ملاحقته بفضل ما أحاط به نفسه من وسائل يخفي بها أغراضه الإجرامية. ولابد لتحقيق هذه الغاية من تعاون مجموعة من المجرمين"[18].

ويؤخذ على هذا التعريف أنه يجعل من الجريمة المنظمة نتاج للحضارة المادية والتطور والتقدم الذي عرفته الإنسانية، في حين أن الجذور التاريخية للجريمة المنظمة وكما أسلفنا الذكر ترجع إلى "القرصنة البحرية" في القرون الوسطى.

ويعرفها البعض الآخر بأنها "سلوك تنتهجه منظمات إجرامية محترفة جيدة التشكيل، تضم في عضويتها مجموعة من الأعضاء أو العملاء الذين تختلف صورتهم عن الأنماط الإجرامية التقليدية، وتستغل هذه المنظمات الجرائم الخطيرة كوسيلة لتحقيق أرباحها وبسط نفوذها وتأثيرها الاقتصادي واستغلالها للأفراد "[19].

كما قدم علماء الإجرام تعريفات حول الجريمة المنظمة من بينهم كوسون ((Cussonالذي يرى بأن الجريمة المنظمة يقصد بها "منظمة إجرامية تشكل شبكة مستقلة من مجموعة من المجرمين القادرين على ارتكاب جرائم القتل، واستمرار بقاء هذه الشبكة مرهون بارتباط أعضائها بالسكان وبالدولة بعلاقات تتنوع بين الحماية، والترويع، والرشوة "[20].

ويعاب على هذا التعريف أنه حصر الجرائم التي تقوم بها الجماعات المنظمة في جرائم القتل في حين أنه يمكن لهذه الجماعات الإجرامية ارتكاب الجرائم بكافة أنواعها دون أن تتحدد بجريمة معينة.

كما يعرفها الفقيه قاسين (Gassin)[21] بأنها: " تلك الجريمة التي يتميز التخطيط لها وارتكابها بالتنظيم المنهجي، والتي تمنح لمرتكبيها وسائل العيش" ويرى أنه يتعين التمييز بين أربعة أنواع من الجريمة المنظمة:

.1الجريمة المنظمة التي تتسم بالطابع الوحشي أو العنيف (كالخطف، الابتزاز، السطو، القتل...الخ).

.2الجريمة المنظمة التي تتسم بالذكاء (كالاحتيال، النصب، الغش المعلوماتي، التزييف، التزوير، السرقة المنظمة للسيارات...الخ).

.3الجريمة المنظمة التي تستغل ضعف الغير (كالدعارة، الاتجار في المخدرات، الألعاب غير المشروعة.. .الخ).

.4الجريمة المنظمة التي تباشر الجرائم الاقتصادية أو جرائم ذوي الياقات البيضاء.

غير أن هذا التعريف هو الآخر منتقد على أساس أنه أشار إلى خاصيتين للجريمة المنظمة وأغفل الخصائص الأخرى التي يتحتم أن تتوافر في هذا النوع من الجرائم والتي سوف يأتي بيانها لاحقا.

وهناك من يرى أن الجريمة المنظمة تقوم على تنظيم مؤسسي له بناء هرمي ومستويات للقيادة وقاعدة للتنفيذ، وأدوار ومهام ثابتة، وفرص للترقي في إطار التنظيم الوظيفي، ودستور داخلي صارم يضمن الولاء والنظام داخل هذا التنظيم، ثم والأهم من ذلك كله الاستمرارية وعدم التوقيت والعرضية، وإنما

تظل المنظمة قائمة مادمت تحقق نجاحا ولم تفلح أجهزة الأمن أو منظمة منافسة في القضاء عليها[22].

ويعرف فقهاء القانون الجريمة المنظمة على أنها: " ممارسة جماعة منظمة لنشاط إجرامي بقصد تحقيق كسب مادي"، وعلى الرغم من أن هذا التعريف واسع وفضفاض وغير محدد، إلا أنه على الرغم من قصره فهو يشمل تقريبا جميع الجرائم التي يشترك فيها عدد من الأفراد لكل منهم دور محدد، سعيا إلى تحقيق أهداف هذا التنظيم بطريقة متقدمة يصعب على القانون متابعتها بفضل حداثة الوسائل التي يتم اللجوء إليها لإخفاء أغراضهم الإجرامية[23].

وهناك من يعرفها بأنها: "فعل من أفعال تنظيم هيكلي متدرج، وتتمتع بصفة الاستمرارية، يعمل أعضاؤها وفق نظام داخلي يحدد دور كل منهم ويكفل ولاءهم وإطاعتهم لأوامر رؤسائهم، ويكون الغرض من هذا الفعل أو تلك الأفعال غالبا الحصول على الربح، وتستخدم الجماعة الإجرامية التهديد أو العنف أو الرشوة لتحقيق أهدافها، ويمكن أن يمتد نشاطه الإجرامي عبر عدة دول "[24].

ويركز هذا التعريف على بعض خصائص الجريمة المنظمة كالبناء التنظيمي المتدرج والاستمرارية، تحقيق الربح، امتداد النشاط عبر عدة دول، إلا أنه يتجاهل العناصر الأخرى كالتخطيط والذي يعتبر من أهم خصائص الجريمة المنظمة مما يجعل هذا التعريف منتقد.

وعليه لكي تكون الجريمة جريمة منظمة وفقا للاتجاه السائد فإنه يشترط توافر الشروط التالية:

يجب أن يكون السلوك الإجرامي المكون للجريمة على درجة من التعقيد والتشعب، وفق أسلوب قائم على التنظيم والتخطيط الدقيق، وأن يتم تنفيذه على نطاق واسع، وأن تنطوي وسيلة تنفيذه على درجة من العنف، أو على نوع من الحيلة تختلف بذلك عن الوسائل التي تعتمدها الجريمة العادية، يتولد عنه التهديد بخطر يحدق بكافة المستويات سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، أما فيما يتعلق بالجناة فإن هذه التنظيمات الإجرامية تتكون من جماعة يتجاوز عددها المألوف عادة في المساهمة الجنائية العادية، ويشترط أن يتخذ الجاني فيها الإجرام حرفة تعد مصدر رزق له، كما يشترط فيهم زيادة على

ذلك أن يكونوا على درجة كبيرة من التنظيم وقدرة على التخطيط الدقيق، ويجب أن تتلاقى إرادة هؤلاء في ارتكاب الجريمة أو الجرائم محل التنظيم[25].

الفرع الثاني: موقف التشريعات والجهود الدولية في تعريف الجريمة المنظمة

إن الجريمة المنظمة وبالنظر لخطورتها توجب علينا التعرف على موقف التشريعات المقارنة من تعريف هذه الجريمة، وكذا بيان أهم الجهود الدولية المبذولة في إعطاء تعريف دقيق لها.

أولا: موقف التشريعات من تعريف الجريمة المنظمة

اقتنعت الدول بخطورة الإجرام المنظم فلجأت إلى تطبيق تشريعات جنائية صارمة، فهناك من الدول من عمدت إلى وضع نظام قانوني مستقل يحكم الجريمة المنظمة، وهناك من الدول من اكتفت بتطبيق مبادئ القانون الجنائي ومفاهيمه التقليدية مثل قواعد الاشتراك الجنائي أو الظروف المشددة، غير أن الدول التي تعرضت إلى هذا النوع الخطير من الإجرام المنظم تباينت تشريعاتها حول تعريفها للجريمة المنظمة.

.1موقف التشريع الأمريكي من تعريف الجريمة المنظمة

عرفت اللجنة التي شكلها الرئيس الأمريكي في شأن الجريمة المنظمة والتي أصدرت تقريرها في 31 مارس 1988 على أن الجريمة المنظمة: " جماعة مستمرة من الأشخاص الذين يستخدمون الإجرام والعنف والإرادة المتعمدة للإفساد والحصول على منافع مادية والاحتفاظ بالسطوة"[26].

كما عرفها القانون الفدرالي الأمريكي لسنة 1968 كما يلي: " الجريمة المنظمة تعني النشاطات غير القانونية لأعضاء شراكة عالية التنظيم والانضباط في توريد سلع وخدمات ممنوعة بما فيها القمار والدعارة وممارسة الربا والاتجار في المخدرات وساحات العمل ونشاطات أخرى غير قانونية يقوم بها أعضاء هذه المنظمات"[27].

ويعرفها القانون الاتحادي للرقابة على الجريمة المنظمة لسنة 1970 بأنها: " مشروع إجرامي له نوع من الديمومة يمارس أنشطة إجرامية عدة، ويقوم عليه عدد من الأشخاص متفقين أو متعاونين، على الاستثمار المخطط والحصول على الربح من خلال السوق غير المشروعة"[28].

ويعاب على التعريفات المشار إليها أعلاه أنها لا تشير إلى جميع العناصر التي ينبغي أن تتوافر في الجريمة المنظمة فكل تعريف يشير إلى بعض الخصائص وهذا ما يجعلها منتقدة.

في حين يعرفها القانون الفدرالي الخاص لسنة 1970 لمواجهة الجريمة المنظمة وأطلق عليه قانون "ريكو"، والذي يركز على أنشطة الجماعات الإجرامية المنظمة التي تقوم أساسا على الابتزاز والعنف لتحقيق أغراضها الخاصة، وقد ورد بالأعمال التحضيرية لهذا القانون تعريف الجريمة المنظمة بأنها: " جماعة تمارس أنشطتها خارج رقابة الشعب وحكومته ولا تقوم بارتكاب جرائمها بالحال وإنما لعدة سنوات وفقا لتخطيط مسبق، دقيق ومعقد، وتسعى إلى السيطرة على مجال معين من الأنشطة بأكمله بقصد الحصول على أكبر قدر من إمكانياتها في إعداد وتقديم السلع والخدمات غير المشروعة إلى جانب اندماجها في المشروعات الاقتصادية العادية "[29].

من خلال استقراء هذا التعريف نجده يأخذ بعين الاعتبار بعض العناصر التي أغفلت التعريفات الأخرى الإشارة إليها حيث أنه يحصر الجريمة المنظمة في عناصر أساسية تتمثل في وجود نشاط إجرامي منظم، يقوم على جرائم الابتزاز والعنف، اعتماده على التخطيط، وأن تكون الجرائم المرتكبة لها تأثير على النشاطات التجارية.

.2موقف المشرع الجزائري من تعريف الجريمة المنظمة

إن المشرع الجزائري وإدراكا منه لخطورة الجريمة المنظمة وآثارها السلبية قد صادق وبتحفظ على اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية المعتمدة من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في 15 نوفمبر 2000 بموجب المرسوم الرئاسي رقم 02-55 المؤرخ في 05 فبراير 2002[30].

وبالرجوع إلى المادة الثانية الفقرة " أ " نجدها قد عرفت الجريمة المنظمة بأنها: " الجريمة التي ترتكب من قبل جماعة محددة البنية، مؤلفة من ثلاثة أشخاص أو أكثر، موجودة لفترة من الزمن وتقوم معا بفعل مدبر بهدف ارتكاب واحدة أو أكثر من الجرائم الخطيرة أو الجرائم المقررة وفقا لهذه الاتفاقية من أجل الحصول بشكل مباشر أو غير مباشر على منفعة مالية أو منفعة مادية أخرى".

وقد عرفت هذه المادة الجريمة المنظمة من خلال الإشارة إلى العناصر التي يجب أن تتوافر فيها.

.3موقف المشرع الفرنسي من الجريمة المنظمة

لم يتعرض المشرع الفرنسي للجريمة المنظمة إلا من خلال الجرائم التقليدية مثل تأسيس عصابة أشرار حيث نجد العناصر المكونة لجريمة تكوين جمعية أشرار تنطبق على معايير الجريمة المنظمة[31]، ولقد بذلت محاولات لتعديل القانون للوصول إلى تعريف الجريمة المنظمة إلا أنها رفضت بحجة غموض مصطلح المنظمة الإجرامية ومخالفته لمبدأ الشرعية[32].

ثانيا: الجهود الدولية المبذولة لتعريف الجريمة المنظمة

تعرضت الساحة الدولية بما فيها الاتفاقيات والهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية للجريمة المنظمة كما عقدت حولها العديد من المؤتمرات، وهي الأخرى تباينت مواقفها حول إعطاء تعريف دولي موحد للجريمة المنظمة وبيان ذلك ما يلي:

.1مؤتمرات منظمة الأمم المتحدة لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين

تعتبر هذه المنظمة أول من تطرق لموضوع الجريمة المنظمة كخطر يهدد المجتمع الدولي بدءا من المؤتمر الخامس الذي عقد في جنيف في سبتمبر سنة 1975 حتى مؤتمرها العاشر الذي عقد في فيينا في أفريل سنة 2000.

وقد عرفها المؤتمر الخامس لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين على أن: "الجريمة المنظمة هي الجريمة التي تتضمن نشاطا إجراميا معقدا وعلى نطاق واسع، تنفذه مجموعة من الأشخاص على درجة من التنظيم، ويهدف إلى تحقيق ثراء للمشتركين فيها على حساب المجتمع وأفراده، وهي غالبا ما تتم عن طريق الإهمال التام للقانون وتتضمن جرائم ضد الأشخاص وتكون مرتبطة في معظم الأحيان بالفساد السياسي"[33].

وجاء في المؤتمر الثامن للأمم المتحدة لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين والذي عقد في هافانا (كوبا) في الفترة من 27 آب إلى 7 أيلول سنة 1990 أنه درجت العادة على استخدام مصطلح الجريمة المنظمة للإشارة إلى: " الأنشطة الإجرامية الواسعة النطاق والمعقدة التي تضطلع بها جمعيات ذات تنظيم قد يكون محكما

وقد لا يكون، وتستهدف إقامة أو تمويل أو استغلال أسواق غير مشروعة على حساب المجتمع، وتنفيذ هذه العمليات بازدراء للقانون وقلوب متحجرة، وتشمل في كثير من الأحيان جرائم ضد الأشخاص بما في ذلك التهديد والإكراه عن طريق التخويف والعنف الجسدي، كما ترتبط بإفساد الشخصيات العامة والسياسية بواسطة الرشوة والتآمر، وكثيرا ما تجاوز أنشطة الإجرام المنظم الحدود الوطنية الدولة إلى دولة أخرى "[34].

كما أن المؤتمر الوزاري العالمي المعني بالجريمة المنظمة عبر الوطنية الذي عقد في الفترة ما بين 21-23 نوفمبر 1994 بمدينة نابولي بإيطاليا بناء على توصية من لجنة الأمم المتحدة لمنع الجريمة والعدالة الجنائية وتنفيذا لقرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي رقم 29/1993 لمواجهة المشاكل والأخطار التي تطرحها الجريمة المنظمة عبر الحدود في مختلف مناطق العالم[35] أشار إلى تعريف الجريمة المنظمة عن طريق ذكر أمثلة للأنشطة الإجرامية التي تندرج تحتها[36] مثل الاتجار الدولي بالسيارات المسروقة، الاتجار بالمواد النووية، تهريب المهاجرين بطرق غير مشروعة، غسل الأموال المتحصلة من الجرائم، إفساد الموظفين العموميين، الاتجار بالنساء والأطفال، الاتجار في أعضاء الجسم، الاتجار في الأجنة، التعاون مع المنظمات الإرهابية في خلق بيئة تساعد المنظمات الإجرامية على ممارسة نشاطها الإجرامي، بث الرعب في أفئدة موظفي العدالة الجنائية في مقابل مساعدة المنظمات الإرهابية ماديا، سرقة المقتنيات الفنية والآثار، تهريب المعادن النفيسة، فرض الأتاوات، الخطف، الابتزاز، القتل[37].

وفي عام 1995 وفي المؤتمر التاسع للأمم المتحدة لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين وبناء على توصية نابولي لسنة 1994 المتضمنة إبرام اتفاقية لمكافحة الجريمة المنظمة، دعى المؤتمر إعطاء أولوية لهذا الموضوع وقد قدم مشروع هذه الاتفاقية في نهاية 1996 من حكومة بولونيا وأيدته الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، ونوقش هذا المشروع خلال اجتماعات عقدت في باليرمو بإيطاليا وفيينا بالنمسا إلى أن صدرت اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية[38].

.2تعريف الانتربول للجريمة المنظمة

جاء في الندوة الدولية حول الجريمة المنظمة التي عقدت بمقر الانتربول في فرنسا في ماي 1988 أن الجريمة المنظمة هي: " أية جماعة من الأشخاص تقوم بحكم تشكيلها بارتكاب أفعال غير مشروعة بصورة مستمرة، وتهدف أساسا إلى تحقيق الربح، دون التقيد بالحدود الوطنية"[39].

انتقد هذا التعريف على أساس أنه لم يتعرض إلى أهم عناصر الجريمة المنظمة وهو البناء التنظيمي للجماعة الإجرامية، ولم يتضمن ذكر العنف كوسيلة تستخدمها هذه الجماعات في تحقيق أغراضها، كما لم يشر إلى كون الأرباح المتحصلة هي أرباح محضورة.

وعلى أساس هذه الانتقادات أعطت منظمة الشرطة الدولية تعريفا للجريمة المنظمة على أنها: "الأنشطة الصادرة عن التنظيمات أو الجماعات ذات التشكيل الخاص والتي تهدف إلى تحقيق الربح بالطرق غير المشروعة، وتستخدم ذلك النشاط الصادر عن التهديد والرشوة لتحقيق الأهداف المعتبرة"[40].

.3تعريف الاتحاد الأوروبي للجريمة المنظمة

أعطى الاتحاد الأوروبي في سنة 1998 تعريفا للجريمة المنظمة بأنها: "جماعة مشكلة من أكثر من شخصين لها هيكل تنظيمي، دائمة في الزمان وتعمل بشكل منظم على ارتكاب جرائم يعاقب على أي منها بعقوبة سالبة للحرية حدها الأقصى أربع سنوات على الأقل أو بعقوبة أشد جسامة، سواء أكانت تلك الجرائم غاية في ذاتها أو وسيلة لتحقيق الربح، وتستخدم عند اللزوم حق التأثير على رجال السلطة العامة"[41].

إن ما يميز هذا التعريف أنه أعطى معيارا للجريمة المنظمة وهو معيار جسامة الجريمة، وكذا تجريم المساهمة في هذه التنظيمات الجماعية.

.4اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لسنة 2000 أو ما تعرف باتفاقية باليرمو

حددت هذه الاتفاقية في مادتها الثانية الفقرة " أ " مفهوم الجريمة المنظمة بأنها: " الجريمة التي ترتكبها جماعة محددة البنية أي جماعة غير مشكلة عشوائيا لغرض الارتكاب الفوري للجرم، ولا يلزم أن يكون لأعضائها أدوارا محددة رسميا أو أن

تكون عضويتهم مستمرة أو أن تكون بنيتها متطورة وهذه الجماعة مكونة من ثلاثة أشخاص فأكثر ومستمرة لفترة من الزمن وتقوم هذه الجماعة بالتخطيط والتدبير لارتكاب جريمة خطيرة أو جريمة من الجرائم المقررة وفقا للاتفاقية من أجل الحصول بشكل مباشر على منفعة مالية مادية أخرى"[42].

ومن خلال هذا التعريف يتبين أن ما يميز الجريمة المنظمة هو ارتكابها من قبل جماعة محددة البنية تتوافر فيها الصفات التالية[43]:

.1جماعة لا يقل عددها عن ثلاثة أشخاص[44].

.2الجماعات المحدودة البنية لابد لها من رئيس يتولى قيادتها وقانون يحكم عملها.

.3تقسم الجماعة بالتنظيم.

.4التخطيط.

.5الاستمرارية.

.6تحقيق الربح.

.7النشاط الإجرامي للجماعة الإجرامية المنظمة وهو وارد على سبيل المثال لا الحصر حتى تستطيع الاتفاقية أن تواجه أنشطة إجرامية أخرى تتولد عن التقدم والتطور.

المطلب الثاني: خصائص الجريمة المنظمة

تمتاز الجريمة المنظمة بمجموعة من السمات والخصائص تميزها عن أنماط الجرائم الأخرى ويمكن استنباطها إجمالا من التعريفات السابق الإشارة إليها وهي تتمثل فيما يلي:

الفرع الأول: التنظيم والبناء الهرمي

ويعتبر من أهم خصائص الجريمة المنظمة، فالتنظيم الذي يعتبر قاعدة نجاح الجريمة المنظمة هو كيان أشبه ما يكون بكيان الدول والحكومات، ويتخذ شكلا هرميا يوجد في أعلى قمته زعيم التنظيم، ثم يليه طبقة المساعدين ثم الإداريين والخبراء الذين يتولون التخطيط، ووضع السياسات والاستراتجيات العلمية المحكمة، وفي قاعدة الهرم نجد طبقة تنفيذية تتولى تطبيق الخطط الإجرامية على أرض الواقع، ويمتاز هذا التنظيم بالديمومة، له دستور خاضع له ونظام يحكم

علاقات المنتمين إليه وشؤونهم ويضمن حقوقهم من لحظة الانضمام إلى نهاية الخدمة أو الفصل، وكذلك يحدد نظام العقوبات والمكافآت[45].

غير أنه ليس هناك معيار محدد لمعرفة درجة التنظيم المطلوب توافرها في المنظمة الإجرامية، وعليه قد تكون منظمة إجرامية بسيطة، وقد تكون منظمة إجرامية معقدة، وعلى درجة عالية من التنظيم تكون فيه الأدوار موزعة بين أعضاء المنظمة الإجرامية بناء على تركيب هرمي دقيق[46]، وتعتبر عصابة الكوزا نوسترا ذات المنشأ الإيطالي وبالتحديد في شبه جزيرة صقلية من أهم المنظمات الإجرامية الأشهر في العالم حيث تخضع لنظام دقيق منشأه الأساسي العائلة[47].

ويترأس منظمة الجريمة المنظمة في غالبية منظماتها قائد واحد، ويتكون البناء التنظيمي من أبنية فرعية ورتب متسلسلة، وتنوع وتباين هرمي في السلطة، وعامة فإن تنظيمات الجريمة المنظمة مكونة من عائلات متعددة، كل عائلة أو وحدة يترأسها قائد ذو شرعية تنظيمية مدعوم من موقعه التنظيمي ومكانته التنظيمية أما العضويات الجديدة والخلافات والصراعات فتحل من خلال القادة الأكثر تأثيرا في عائلاتهم[48].

الفرع الثاني: التخطيط والاستمرارية

يعتبر التخطيط أهم ميزة في الجرائم المنظمة فلا تعد الجريمة جريمة منظمة ما لم تعتمد على التخطيط إذ يحتاج هذا الأخير إلى فئة من المحترفين يتمتعون بمؤهلات شخصية وخبرة ودراية تمكنهم من سد جميع الثغرات القانونية والاقتصادية التي يمكن أن تؤدي إلى اكتشاف الجريمة قبل ارتكابها وأثناء تنفيذها، ويعتبر التخطيط من ثوابت العمل داخل المنظمة الإجرامية حيث تستعين المنظمات الإجرامية في التخطيط لجرائمها بأشخاص ذوي كفاءة، والممارسين لجميع الميادين كرجال القانون والأطباء والمحاسبين، ولذلك يطلق على هذه الجرائم مصطلح "جرائم الذكاء"[49].

أما الاستمرارية فيقصد بها امتداد حياة المنظمة واستمرارها في تحقيق أهدافها بغض النظر عن انتهاء حياة أو عضوية أي فرد فيها، فإذا ما تعرض أحد الأعضاء للقتل أو السجن أو الخروج من التنظيم لأي ظرف فإن هناك من يحل محله طالما توافرت فيه الشروط التي سبق الإشارة إليها، دون أن يؤثر ذلك على التنظيم أو

يعني انتهاء التنظيم وانهياره[50]، وبعبارة أخرى فإن بقاء المنظمة وممارستها لمختلف أنشطتها الإجرامية لا يتأثر بزوال أي عضو من أعضائها[51].

الفرع الثالث: السرية والتعقيد داخل التنظيم الإجرامي

إن الصفة المميزة لعمل المنظمات الإجرامية هي السرية إذ أن أهم ما تسعى إليه هذه المنظمات هو البقاء والاستمرارية وممارسة أنشطتها بعيدا عن رقابة القانون، إذ يلتزم بالسرية جميع أعضاء التنظيم الإجرامي ومن يخالف ذلك من أعضاء التنظيم توقع عليه أقصى العقوبات والتي تصل إلى حد القتل[52]، كما أن كافة جوانب العمل الإجرامي يجب أن تحاط بالسرية سواء عند التخطيط أو التنفيذ أو أسماء المشاركين وأماكن تواجدهم، واختبائهم، وكل مل يتعلق بهم ضمانا لنجاح خطط المنظمة الإجرامية.

من أهداف التنظيم والتخطيط هو وضع أساليب دقيقة ومعقدة، لتكون إستراتيجية ومنهجا لنشاطهم يتميزن به عن غيرهم، فجرائم التنظيم البسيطة لا تعتمد على فريق يتولى التخطيط ولا تتطلب تنظيما على درجة عالية لنجاح جرائمها، وبالتالي لا يجد رجال الأمن صعوبة في كشفها والسيطرة عليها، غير أن اتباع أسلوب التعقيد هو سمة مميزة للجريمة المنظمة ففريق المخططين بينهم خبرات ومؤهلات عالية في علم الجريمة والقانون وبقية العلوم ذات العلاقة بنشاطهم، وزعماء الجريمة المنظمة يتولون تأهيل تلك الخبرات لكونهم على علم بثغرات القانون وعلى اطلاع بأساليب رجال الأمن، وفي المقابل يخططون للجريمة المنظمة فيأتون من خلال الثغرات القانونية ويتجنبون المواجهة مع رجال الأمن، ويظهرون في خططهم مشروعية أساليبهم الإجرامية[53].

الفرع الرابع: القوة والعنف والإجرام لتحقيق كسب مادي غير مشروع

إن من الأهداف الرئيسية في الجريمة المنظمة هي القوة والتحكم، والتي يمكن أن تتحقق من خلال النشاطات والأفعال الإجرامية لنمط واحد أو عدد من الأنماط الإجرامية، ويصاحب جرائم العنف استعمال غير قانوني لوسائل القسر المادي أو البدني في الإضرار بشخص أو بشيء أو ابتغاء غايات شخصية أو اجتماعية أو سياسية، ومن أمثلتها جرائم القتل، والاغتصاب، والخطف، والسطو المسلح،

وقطع الطريق، وهتك العرض بالقوة أو التهديد والسرقة بالإكراه، والتخريب والشغب الاجتماعي والاغتيال[54].

وعادة ما تلجأ عصابات الإجرام المنظم إلى الأفعال العنيفة سواء في مجال القيام بأنشطتها الرامية للحصول على الأموال، مثل قطع الطرق والسطو المسلح أو تهريب المخدرات عبر الحدود ونقاط التفتيش، حيث لا تتوانى في استعمال السلاح ضد رجال الأمن أو الجمارك أو غيرهم من عناصر القوة العمومية، كما يمارس العنف بين عناصرها المختلفين على تقاسم المال أو النفوذ، وبينها وبين العصابات الموازية لها مثل تصفية الحسابات والصراع من أجل المصالح والتسلط[55].

ومن ثم يستوي أن يكون العنف المستعمل من قبل العصابات الإجرامية المنظمة عنفا ماديا، أو عنفا معنويا كالتهديد والترويع كاختطاف الأطفال مثلا مقابل الحصول على فدية أو بغرض الابتزاز.

ومن أهداف عصابات الإجرام المنظم تحقيق الكسب المادي غير المشروع بكافة الطرق والأساليب حيث تلجأ إلى الانغماس في الأعمال الشرعية، وتعتمد على النشاطات القانونية بهدف تغطية الأعمال غير القانونية التي تقوم بها، لأن الأرباح الضخمة المتحصلة من نشاطاتها غير المشروعة لا تكون قابلة للاستخدام مادامت علاقتها بمصدرها غير المشروع مازالت قائمة، ولهذا فإنها تقوم بغسيل الأموال المتحصلة من مصدر غير مشروع كالأرباح الناتجة عن مبيعات المخدرات[56].

المبحث الثاني: أسباب نشوء الجريمة المنظمة وآثارها

إن الجريمة المنظمة لم تنشأ من العدم وإنما كانت خلاصة لمجموعة من العوامل والأسباب سواء الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية التي لعبت دورا مهما في بلورة هذا النوع من الإجرام المعاصر والحديث نسبيا والذي نجم عنه مجموعة من الآثار ترتب عنها تهديد الاستقرار الوطني والدولي على حد سواء.

المطلب الأول: أسباب نشوء الجريمة المنظمة

إن التطور الذي يشهده العالم في وقتنا الحالي لعب دورا مهما في تطور الجريمة المنظمة، وقد ساعدها على هذا التطور عوامل وأحداث معينة طغت على المستوى الدولي في جميع الميادين، ويمكن حصر أسباب نشوء الجريمة المنظمة وعوامل انتشارها في ما يلي:

الفرع الأول: العوامل الاقتصادية والاجتماعية

إن أحد أهم عوامل انتشار الجريمة المنظمة هو العولمة السائدة في العلاقات الدولية بما يعطي مزيدا من المجال لاتساع نطاق هذا النوع من الجريمة بشكل يتجاوز الرقابة والمراقبة الداخلية والدولية[57]، خاصة في المجال الاقتصادي حيث أضحى النظام الاقتصادي العالمي اليوم نظاما واحدا يخضع لأسس علمية مشتركة، وتديره مؤسسات عابرة للقارات ذات تأثير على الاقتصاديات المحلية، وأصبحت الأسواق التجارية والمالية العالمية خارجة على سيطرة دول العالم، بما في ذلك أكبرها وأغناها، وبدأ التحكم التقليدي للدول في النشاط الاقتصادي يتراجع، في ظل عولمة الاقتصاد، وأمام البروز المذهل للشركات العالمية[58].

ولقد استفادت المنظمات الإجرامية كثيرا من عولمة الاقتصاد وطورت أنشطتها اللامشروعة و"المشروعة" داخل دواليب الحياة الاقتصادية، من خلال الاستثمارات الضخمة التي تقوم بها، ولعب دور الشركات الشرعية، مما جعلها تتعايش مع الدولة، من خلال انسجامها في الأسواق الشرعية، بالموازاة مع المحافظة على أنشطتها اللامشروعة التقليدية[59].

كما أن حاجة البلدان النامية والفقيرة إلى رؤوس الأموال، بحيث تدفعها الحاجة إلى تشجيع الاستثمارات الأجنبية، إذ تضع لها شروط يسيرة، وهذا دون البحث في مصدر هذه الأموال وذلك لاعتقادها بأن ذلك يساهم في تنفيذ خططها في التنمية والازدهار الاقتصادي.

كما وأن من بين أهم الأسباب التي تؤدي إلى نشوء ظاهرة الجريمة المنظمة الفقر والحاجة، إذ لا يخفى على أحد أن الفقر والعوز والحاجة يعتبر أرضا خصبة تنشأ فيها الجرائم عموما بسرعة وسهولة، ذلك لأن الميل إلى النزاهة والاستقامة سلوك فطري وميول طبيعي ما لم يواجه الإنسان أحد الأسباب القوية التي تجبره مكرها لسلوك مغاير يلتمس فيه حلا لمشكلته، والفقر هنا أحد أقوى المشاكل التي يلتمس الفقراء فيها نهاية لآلامهم وضعفهم أمام ذل الفقر والحاجة[60].

كما تلعب التحولات الاجتماعية دورا مهما في نشوء هذه الظاهرة وانتشارها حيث أن الدراسات والإحصاءات الاجتماعية بينت أن نسبة الجريمة تزداد في المجتمعات التي توجد بها الطبقية والفوارق الاجتماعية، ولأن المجتمع الفقير المجاور

للمجتمعات الغنية المترفة يجد نفسه أمام ضغوط نفسية واجتماعية واقتصادية لا يستطيع أن يواجهها بالسلوك المشروع، ويندفع بسرعة وتلقائية إلى ارتكاب الجريمة بحثا عن الكسب السريع الذي يمكن أفراد المجتمع الفقير من تلبية حاجاتهم الضرورية بطرق غير مشروعة[61].

الفرع الثاني: التطور التكنولوجي

يلعب التطور التكنولوجي دورا مهما في انتشار الجريمة المنظمة وتطورها حيث أضحت تكنولوجيات الإعلام والاتصال ملازمة ومصاحبة للرأسمالية والاقتصاد العالمي، مما أعطى سرعة كبيرة لحركة رؤوس الأموال، وسهولة الربط بين الأسواق العالمية في إطار نظام تبادل يشتغل دون انقطاع، وكذلك الظهور القوي للعالم الافتراضي المتنقل بواسطة المعاملات المالية التي تتم بين مختلف الفاعلين في الأسواق[62].

وقد استغلت هذه الوضعية الجديدة في المنظومة العالمية للمال من طرف المنظمات والأشخاص الذين يمارسون الأنشطة الإجرامية العابرة للأوطان، وأضحى الإجرام المنظم من الفاعلين الأساسيين في قطاع الإجرام المعلوماتي، خاصة في ميادين الغش المالي وتطوير التحويلات الإلكترونية للأموال، ولعب دور الوسيط في إبرام عقود تمس بالغير، وسلب الأموال والابتزاز وتحويل وإعادة بيع المعلومات السرية[63].

كما ساعدت شبكة الانترنت إلى حد بعيد أعضاء عصابات المافيا في تطوير وتحسين عملياتهم على مستوى العالم، من حيث إنها هملت على إلغاء حاجز الزمان والمكان أمامهم، فصارت عملياتهم أكثر تطورا، إلى درجة أن هذه العصابات أقامت مواقع على شبكة الإنترنت لتفادي وتجنب تطبيق القانون[64].

ولهذا يرى البعض بأن غالبية الممارسات التي لها صلة بالجريمة المنظمة هي من أنواع الجرائم التي أفرزتها التقدم العلمي والتكنولوجي، فمثلا أصبح التحكم في إدارة العملية الإجرامية يتم بيسر وسهولة من مكان بعيد عن مكان الجريمة بسبب توفر تقنيات الاتصال الحديثة من الهاتف النقال والانترنت والحاسبات المتطورة والسريعة وسهولة الاستخدام وأصبحت لا تحدها الحدود الجغرافية[65].

الفرع الثالث: العوامل الجيوسياسية والسياسية والقانونية

إن الفقه عامة متفق على أن نشوء الجريمة المنظمة يرجع إلى عوامل وأسباب جيوسياسية ويقصد بهذه الأخيرة العلم الذي يهتم بدراسة العلاقة بين الأرض والسياسة[66]، وعلى هذا الأساس فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وخاصة بداية من سبعينيات القرن الماضي ظهرت أقاليم جديدة في رهانات مزاحمة سلطوية أمام المشهد الجيوسياسي كشف بعضها عن محاولات ناجحة تخص تجمعات إقليمية من نمط جديد، وأخرى عن اتجاه عام نحو لامركزية الدول خاصة في أوروبا، وإذا كانت الدول القومية ((Les Etats nations)قد أقامت هياكل بين الحكومات بهدف إدارة هذه الرهانات التي أصبحت كونية ولفائدة الجميع، فإنها لم تستطع تجنب ظهور منظمات جديدة متجاوزة للأطر الوطنية مثل المنظمات غير الحكومية، أو شبكات الإرهاب أو شبكات الإجرام المنظم، ولم تعد الدول وحدها الموجهة للدور الجيوسياسي، لذا كانت مضطرة لأخذ هذه الكيانات الجديدة في الحسبان، حتى ولو حاولت إزالتها كما هو الحال في شبكات الإجرام المنظم والإرهاب[67].

قامت الجماعات الإجرامية المنظمة باستغلال ماكر للأوضاع الجيوسياسية والاقتصادية الجديدة، وكذلك لحالة التردد والضعف السياسي في الدولة، وتطورت تبعا لإهمال السلطة القائمة وتفشي الرشوة في أوساط ممثلي النظام وسلبية وخوف المواطنين، وساعدت سلطة المال وسهولة التحويلات المالية بين الدول وصعوبة المراقبة في تشكيل جماعات إجرامية منظمة جديدة تجاوز نشاطها الحدود، وأصبح لدى الظاهرة الإجرامية قابلية "التعولم" والتنظيم داخل قطاعات الأنشطة "النظيفة" والبحث على نوع من التأثير السياسي، فمثلا تقوم كارتلات المخدرات بأداء دور الدولة كالتخطيط السياسي ووضع الإستراتيجيات الاقتصادية والمالية قي ميادين الزراعة والتسويق والتوزيع ورسكلة المداخيل وتحديد الإستراتيجيات الاجتماعية المتطورة[68].

أما فيما يتعلق بالعوامل السياسية فيمكن إيراد بعضها فيما يلي:

-انعدام الاستقرار السياسي في الدولة يعد من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور هذه الجريمة، وما ينجم عنها من انتشار الحروب والصراعات الداخلية.

-التدخل الأجنبي في مصالح الدول ومحاولة تحقيق مطامحها وأغراضها السياسية عن طريق المافيا والعصابات الإجرامية.

من الأسباب التي أدت إلى نشوء هذه الظاهرة وانتشارها الفراغ التشريعي وعدم كفاية النصوص التقليدية في قانون العقوبات لمكافحة الجريمة المنظمة وذلك بالنظر إلى الطبيعة الخاصة لهذه الجريمة وخطورتها، علاوة على ذلك يرى بعض الفقه أن الجريمة المنظمة تزداد في الدول التي تمر بمراحل انتقالية في نظمها الاقتصادية من النظام الاقتصادي الموجه إلى النظام الحر، وما يتطلبه هذا التحول من وجود تنظيم قانوني ملائم، فتستغل المنظمات الإجرامية هذا النقص والفراغ في ارتكاب جرائمها الاقتصادية غير المشروعة[69].

ولاشك أن الجرائم الاقتصادية هي الأكثر خطورة في مجال الجريمة المنظمة، وذلك تبعا لكونها هدفا أساسيا لهذا النوع من الإجرام، ويتسع مجال هذا التأثير وحدود هذا الخطر في الدول الأكثر تقدما، في وقت يستفيد هؤلاء المجرمون من تعدد التشريعات الجنائية واختلافها، حيث يسهل لهم العثور على ثغرات قانونية تكفل لهم الحماية القانونية، وهذا الاختلاف أحد أهم عوامل القصور في تلك التشريعات، فمن المعروف أن كل دولة تضع من التشريعات والإجراءات الجنائية ما يناسب مجتمعها، ولكن في مجال الإجرام المنظم يختلف الأمر، لكون الجريمة المنظمة لا تمارس بالضرورة في حدود الدولة الواحدة، فهي جريمة عابرة للحدود والقارات، وبالتالي برز للمجتمع الدولي ضرورة مراجعة تشريعاتها وإعادة صياغتها بشكل يضمن الاتفاق أو التشابه مع تشريعات الدول الأخرى في مجال الإجرام المنظم، وكذلك اعتماد التعاون وتبادل المعلومات في مجال التحقيق والوقاية والضبط والمكافحة[70].

الفرع السادس: العوامل الأخلاقية

لقد أفرزت المتغيرات الحضارية التي عرفتها الساحة الدولية مجتمعات بثقافات جديدة توارت أمامها ثقافات قديمة وقيم أخلاقية أصيلة كانت تحضى باحترام المجتمع وتقديره، والخلل كما هو معلوم يكمن في تكوين شخصية المجرم وهو في الإجرام المنظم خلل أخلاقي، ناتج عن سيطرة بعض المفاهيم المستجدة على سلوك الأفراد، فبرزت في المجتمع أخلاقيات جديدة كان من أبرزها تنامي روح الفردية على حساب التكامل الاجتماعي والأنانية بدلا من الإيثار فأصبح جمع المال بأي

وسيلة سلوكا يدفع إلى الكسب السريع الذي يضمن ويحقق لمرتكب هذه السلوكيات طموحهم غير المشروع في الثروة والقوة المادية[71].

المطلب الثاني: آثار الجريمة المنظمة

لقد جعلت الأساليب والوسائل والتقنيات المتطورة للجريمة المنظمة امتدادات وجذور هائلة وخطيرة أصبحت تشكل تهديدا مباشرا للأمن والسلم الدوليين من جهة، وأضحت تؤثر على الدولة والمجتمع من جهة أخرى فتنوعت صورها وأشكالها وباتت ظاهرة لا يستهان بها من خلال تنظيمها وأهدافها بل ولنوعية الجرائم التي ترتكبها هذه التنظيمات الإجرامية والتي أضحت تؤثر في جميع جوانب الحياة سواء الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والأمنية، والبيئية.

ومن أهم الآثار المترتبة على الجريمة المنظمة ما يلي:

الفرع الأول: الآثار السياسية والإدارية

تهدد الجماعات الإجرامية النظام السياسي والإداري في الدولة عن طريق رشوة وإفساد بعض الموظفين العموميين ورجال السياسة، وذلك بغرض الحصول على تسهيلات لأنشطتها غير المشروعة أو للإفلات من تطبيق القانون، بل إن الجماعات الإجرامية في بعض الدول لم تقف عند هذه الحد وإنما سعت إلى التأثير في الانتخابات[72] وهذا ما يهدد مباشرة سيادة الدولة على أراضيها ويقوض هيبتها ويفقدها المصداقية والثقة الشعبية[73].

كما تؤدي الجريمة المنظمة إلى إفساد الجهاز القضائي عن طريق رشوة القضاة ورجال إنفاذ القانون بغرض تسهيل أنشطة الجريمة المنظمة أو السكوت عنها، أو توقيف المتابعة القضائية في مواجهتها، أو حتى تخفيف العقوبات المطبقة على مرتكبيها[74]، وفي حالة تعذر ذلك تلجأ إلى التصفية الجسدية أحيانا.

كما أن الفساد الإداري يؤدي بدوره إلى المساس بهيبة الدولة وكرامة الوظيفة العامة، ويؤدي إلى فقدان الثقة بالموظف العام الذي يمثلها[75].

الفرع الثاني: الآثار الاقتصادية

يترتب على الجريمة المنظمة خسائر تمس بالناحية الاقتصادية لا تعد ولا تحصى ويمكن إيراد أهمها في ما يلي:

تفسد الكيان الاقتصادي للدولة والنظام المصرفي وغير المصرفي الذي تستخدمه الجماعات الإجرامية في غسيل الأموال عن طريق الرشوة مما يؤدي إلى عدم الثقة بالمؤسسات المالية وإلى عدم الثقة بالقوانين واللوائح، كما تدمر الحرية الاقتصادية وجهاز الثمن والمنافسة المشروعة إذ هي على استعداد لتحمل أي ثمن في سبيل استخدام أموالها القذرة استخداما مشروعا حتى ولو تمثل في شراء أصول شركات خاسرة أو ذات دخل منخفض مادام هذا يسمح لها بالدخول في المجتمع التجاري المشروع[76]، ذلك أن جماعات الإجرام المنظم أضحت لا تكتفي بإخفاء ثرواتها ومكاسبها غير المشروعة بل إن هذه العصابات تسعى جاهدة للتواجد بشكل مشروع من خلال الدخول في أنشطة اقتصادية متنوعة لا تعتمد فيها على العنف وتحقق من خلالها العديد من المزايا[77].

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن من أهم الآثار الاقتصادية للجريمة المنظمة هي الآثار المترتبة على تبييض الأموال المتحصلة منها حيث تؤدي عمليات تبييض الأموال التي تقوم بها المنظمات الإجرامية إلى حرمان الدولة المحولة منها هذه الأموال محل التبييض من استغلالها في تنمية اقتصادها والقضاء على البطالة فيها، أما بالنسبة للدولة المحولة إليها فإنها تقلل الثقة لدى المتعاملين مع تلك المشروعات مما يهدد النظام المالي والمشروعات الاقتصادية، بل إن تبييض الأموال عن طريق شراء التحف والذهب.. . الخ يعمل على زيادة الاستهلاك ونقص الادخار دون حدوث نمو مماثل في الإنتاج مما يؤدي إلى التضخم وعجز الميزان التجاري بين الدولة وغيرها من الدول، كما أن لجوء مبيضي الأموال إلى التهرب الضريبي يؤدي إلى نقص موارد الدولة مما يؤدي بهذه الأخيرة إلى الاقتراض لسد العجز، كما يؤدي هروب الأموال محل التبييض إلى نقص الادخار العام[78]، وفي الأخير تلجأ العصابات الإجرامية إلى إعادة استثمار العوائد غير المشروعة في أعمال الفساد والتأثير السلبي على القطاعات الشرعية للمجتمع[79].

ويقدر صندوق النقد الدولي أن ما يقرب من 500 بليون دولار تتداولها الأيدي في عالم الإجرام من مكاسب غير مشروعة، وقد كان هذا الرقم منذ 10 سنوات 85 بليون دولار، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على المكاسب الطائلة التي تحققها الجريمة المنظمة[80] مما يساعدها على توفير رأس المال اللازم لعملها والقيام

بالاستثمارات وتدعيم قوتها ونفوذها وتحقيق مزيد من الثروة والأمن[81]، وهو ما يدعم بقاء المنظمة.

الفرع الثالث: الآثار الاجتماعية

إن مخاطر الإجرام المنظم لا تشمل الدولة فحسب وإنما تتعداه لتشمل الأفراد كذلك إذ تعمل على انتهاك حقوقهم وحرياتهم بصورة مباشرة، ومن أهم هذه الآثار نجد:

من أهم الآثار المترتبة عن الجريمة المنظمة اختلال التوازن الاجتماعي حيث أن الأموال الطائلة التي تجنيها التنظيمات الإجرامية بطرق غير شرعية يؤدي إلى ثراء هذه الطبقة على حساب الطبقة الضعيفة مما ينجم عنه اتساع الفجوة بينهما ويؤدي إلى سوء توزيع الدخل.

كما أنها تؤدي عموما إلى انتشار الجرائم في المجتمع كالسرقات وجرائم الفساد وجرائم المخدرات سعيا وراء الكسب المادي السهل والسريع في آن واحد، ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى انخفاض قيمة العمل لدى بعض قطاعات المجتمع.

تشكل الجريمة المنظمة خطرا كبيرا على الأمن عند استخدام العنف ضد الأفراد في ممارسة أنشطتها مثل الاختطاف والاتجار بالنساء والأطفال مما يثير الخوف ويقلل الأمن الذي يتمتع به المواطنون، وينظر إلى الخوف من الجريمة كمشكلة في حد ذاتها بسبب الطريقة التي تحد بها من أسلوب الحياة، كما وأنها تشكل عائقا أمام حرية الأفراد في التنقل[82].

وإن الجريمة المنظمة أصبحت عابرة للحدود والقارات والأجواء والمياه الإقليمية، بعدما كانت سمة إجرامية لمجتمع ما دون الآخر، فأصبحت اليوم تشكل جزءا من الثقافة الإجرامية لشعوب الأرض، فكما أصبح تبادل الثقافات المجتمعية سمة عصرية للقرية الكونية فإن تبادل الثقافات الإجرامية يشكل جزءا من هذا النقل الثقافي المعاصر، وهذا التنقل للأفكار يشكل تناقضا في المجتمع وحسن الأخلاق السائدة فيه، كاعتبار الإباحية أو تعاطي المخدرات شيئا مألوفا وبالتالي يتزايد لدى أفراد هذه الفئة الطلب على المواد غير المشروعة وغير الأخلاقية التي تقوم التنظيمات الإجرامية بتوفيرها في السوق السوداء مما يعرض الناحية الثقافية في المجتمع للخطر[83].

كما يترتب على هذا النوع من الإجرام المنظم آثار بيئية خطيرة حينما تقوم المنظمات الإجرامية بتصريف النفايات النووية فتدمر الأحياء المائية وتمتد إلى النباتات ومن ثم إلى الإنسان، كما تعمل الجريمة المنظمة على إعاقة التنمية خاصة في البلدان النامية ذلك أن ملاحقة الجرائم التقليدية العادية لا تحتاج إلى أموال طائلة، في حين تتطلب الجرائم المنظمة أموالا طائلة بسبب كثرة أنماطهم وتحركاتهم بحيث تصعب مكافحة وملاحقة المجرمين المحترفين في حين أن الدولة بحاجة إلى هذه الأموال لمشاريعها التنموية[84]، وفي الأخير يترتب على هذا النوع من الجرائم أضرار صحية ذلك أن الاتجار غير المشروع بالمخدرات يعتبر مصدر خسائر لكثير من البلدان، فهو يتجه إلى إعاقة العديد من أفراد المجتمع بصورة دائمة وذلك بسبب إدمان هذه المخدرات[85]، ومن ثم فإن استهلاك هذه الأخيرة يترك آثار سلبية على صحة الإنسان، ناهيك عن الجرائم المرتكبة بسبب استهلاك المخدرات، بالإضافة للأعباء المالية الضخمة الموجهة للرعاية الصحية ومعالجة المدمنين[86].

خاتمة:

وهكذا نجد أن الجريمة المنظمة بآثارها السلبية الوخيمة على النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا يمكن بأي حال من الأحوال مواجهتها ومكافحتها بالرغم من وجود منظومة قانونية تعمل على القضاء على هذا النوع من الإجرام الخطير الذي بات يهدد أمن المجتمعات واستقرارها، ما لم تتضافر جهود الدول أجمع حتى يكون الوقاية منها ومكافحتها بأكثر فاعلية.

الهوامش:

1-فائزة يونس الباشا، نقلا عن: أديبة محمد الصالح، " الجريمة المنظمة، دراسة قانونية مقارنة"، منشورات مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية، بدون طبعة، 2009، ص.32.

2- بهجت عبد الله قائد، " مفهوم القرصنة البحرية وأشكالها في العصور القديمة والحديثة "، أبحاث الندوة العلمية بعنوان القرصنة البحرية وأمن الملاحة العربية، في الفترة من 23 و25 ديسمبر 1985، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، الطبعة الأولى، 1989، ص.32.

3- أحمد جلال عز الدين، " الملامح العامة للجريمة المنظمة (تطبيق على التهريب الدولي للمخدرات)"، المجلة العربية للدراسات الأمنية، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1414، ص.148.

4-بهجت عبد الله قائد، المرجع السابق، ص.33.

5- المصدر نفسه، ص.32 وما بعدها.

6- المصدر نفسه، المرجع السابق، ص.33.

7- المصدر نفسه، المرجع السابق، ص.34.

8- أحمد جلال عز الدين، المرجع السابق، ص.149.

9- المصدر نفسه، نفس الصفحة.

10- أديبة محمد الصالح، المرجع السابق، ص.33.

11- مختار سعد، " نشأة الجريمة المنظمة عبر الوطنية وطرق مكافحتها "، أعمال عن الندوة الإقليمية حول " الجريمة المنظمة عبر الوطنية"، يومي 28 و29 مارس 2007، القاهرة، مصر، ص.107، وأنظر أديبة محمد الصالح، المرجع السابق، ص.33.

12- أديبة محمد الصالح، المرجع السابق، ص.33.

13- مختار سعد، المرجع السابق، ص.107.

14- مختار سعد، نفس الصفحة.

15- أحمد جلال عز الدين، المرجع السابق، ص.149.

16- Christopher Blakesley, "les systèmes de la justice criminelle face au défi du crime organisé", rapport général du colloque préparatoire de l'A.I.D.P su les systèmes pénaux à l'épreuve du crime organisé, section 2, R.I.D.P, 1998, p.35.

17- المعجم الوسيط، دار إحياء التراث، بيروت، 1960، ص.941.

18- محمد فتحي عيد، " الجريمة المنظمة والفساد"، أبحاث المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد، الجزء الثاني، الرياض، 2003، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ص.283.

19- إمام حسنين خليل، " التعاون القضائي الدولي لمواجهة الجريمة المنظمة دراسة مقارنة بين الاتفاقيات الدولية لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية والقانون الإماراتي" ص.14. أنظر الموقعwww.ecssr.com أطلع عليه يوم 2016/03/13.

20- أحمد فاروق زاهر، " الجريمة المنظمة، ماهيتها، خصائصها، أركانها"، الندوة العلمية العلاقة بين جرائم الاحتيال والإجرام المنظم، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المنصورة، أيام 18، 19، 20 جوان 2007، ص.8.

21- المصدر نفسه، ص.8 وما بعدها.

22- محمد مسفر عبد الخالق الشمراني، " الجريمة المنظمة وسياسية المكافحة في التشريع الإسلامي والقانون الجنائي (دراسة مقارنة بين أساليب الوقاية والمكافحة في التشريع الجنائي الإسلامي والأنظمة الجنائية المعاصرة لجريمة تهريب المخدرات)، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 2001، ص.29.

23- إمام حسنين خليل، المرجع السابق، ص.16.

24- أديبة محمد صالح، المرجع السابق، ص.15.

25- مايا خاطر، " الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية وسبل مكافحتها "، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 27، العدد الثالث، 2011، ص.512 وما بعدها.

26- محمد الأمين البشري، المرجع السابق، ص.80. ويرى الباحث أن مؤشرات العلاقة بين الفساد والجريمة المنظمة ظهرت لأول مرة انطلاقا من هذا التعريف.

27- محمد مسفر عبد الخالق الشمراني، المرجع السابق، ص.30 وما بعدها.

28- إمام حسنين خليل، المرجع السابق، ص.17.

29- شريف سيد كامل نقلا عن جهاد محمد البريزات، " الجريمة المنظمة " دراسة تحليلية"، الطبعة الثانية، دار الثقافة، 2010، ص.37.

30- الجريدة الرسمية العدد 61.

31- شبلي مختار، " الجهاز العالمي لمكافحة الجريمة المنظمة"، دار هومة، بدون سنة الطبع، ص.40.

32- جهاد محمد البريزات، المرجع السابق، ص.38.

33- أديبة محمد صالح، المرجع السابق، ص.20، وأنظر شبلي مختار، المرجع السابق، ص.45.

34- أديبة محمد صالح، المرجع السابق، ص.20 وما بعدها.

35- محمد فتحي عيد، " الإجرام المعاصر"، الطبعة الأولى، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1999، ص.123.

36- جهاد محمد البريزات، المرجع السابق، ص.35

37- محمد فتحي عيد، "الإجرام المعاصر"، المرجع السابق، ص.125.

38- جهاد محمد البريزات، ص.35 وما بعدها.

39- جهاد محمد البريزات، المرجع السابق، ص.34.

40- محمد إبراهيم زيد، " الجريمة المنظمة تعريفها أنماطها جوانبها"، أبحاث حلقة علمية حول الجريمة المنظمة وأساليب مكافحتها، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1999، ص.33.

41- جهاد محمد البريزات، المرجع السابق، ص.35.

42- حددت الاتفاقية الجريمة الخطيرة بأنها: " الجريمة التي يعاقب عليها القانون بعقوبة سالبة للحرية لا تقل مدتها عن أربع سنوات "، وبمفهوم المخالفة يستثنى من الجرائم الخطيرة التي ترتكبها التنظيمات الإجرامية الجنح والمخالفات.

كما حددت الاتفاقية بعض الجرائم التي تضفي عليها صفة الجريمة المنظمة إذا ارتكبتها الجماعة المحددة البنية وهذه الجرائم هي:

.1الاتفاق مع جماعة إجرامية منظمة على ارتكاب جريمة خطيرة.

.2قيام شخص ليس عضوا في جماعة إجرامية منظمة بالضلوع في الأنشطة الإجرامية للجماعة الإجرامية المنظمة مع علمه بذلك.

.3تنظيم ارتكاب جريمة خطيرة تقوم بها جماعة إجرامية منظمة أو الإيعاز لها بارتكاب الجريمة أو مساعدتها على ارتكاب الجريمة الخطيرة أو تحريضها على ارتكابها أو تسهيل ارتكابها للجريمة أو إسداء المشورة إليها في ارتكاب هذه الجريمة.

4- غسل إيرادات الجريمة

5- جرائم الفساد

6- جرائم إعاقة سير العدالة سواء ارتكبت بالترهيب أو بالقوة أو بالترغيب بعرض مزية غير مستحقة أو منحها أو الوعد بها.

43- محمد فتحي عيد، " الفساد والجريمة المنظمة"، المرجع السابق، ص.692 وما بعدها.

44- ويرى الباحث أن تحديد الحد الأدنى لأعضاء التنظيمات الإجرامية مسألة متعلقة بالإثبات إذ يرى أنه من السهل إثبات أن عدد أعضاء الجماعة ثلاثة فأكثر لكن من الصعب إثبات أن الجماعة تضم الآلاف ومن ثم ينطبق تعريف الإجرام المنظم الصغيرة ومؤسسات الجريمة المنظمة. أنظر محمد فتحي عيد، " الفساد والجريمة المنظمة"، المرجع السابق، ص.692.

45- محمد مسفر عبد الخالق الشمراني، المرجع السابق، ص.35 وما بعدها.

46- مسفر بن حسن القحطاني، " الجريمة المنظمة بين الفقه الإسلامي والتشريعات العربية المعاصرة"، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 25، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ص.85.

47- شبلي مختار، المرجع السابق، ص.48.

48- ذياب البداينة، " المنظور الاقتصادي والتقني والجريمة المنظمة"، أبحاث حلقة علمية حول الجريمة المنظمة وأساليب مكافحتها، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1999، ص.201.

49- أمير فرج يوسف، " الجريمة المنظمة وعلاقتها بالاتجار بالبشر وتهريب المهاجرين غير الشرعيين والجهود الدولية والمحلية لمكافحتها"، الطبعة الأولى، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية، مصر،2015، ص.22 وما بعدها.

50- مايا خاطر، المرجع السابق، ص.514.

51- مسفر بن حسن القحطاني، المرجع السابق، ص.86.

52- المصدر نفسه، ص.88.

53- محمد مسفر عبد الخالق الشمراني، المرجع السابق، ص.37

54- محمد فتحي عيد، الإجرام المعاصر، المرجع السابق، ص.46.

55- شبلي مختار، المرجع السابق، ص.58.

56- مايا خاطر، المرجع السابق، ص.516.

57- أديبة محمد الصالح، المرجع السابق، ص.36.

58- مختار حسين شبيلي، " التعاون الدولي لمكافحة الجريمة المنظمة "،الطبعة الأولى، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2013، ص.60.

59- وكمثال على ذلك تقوم اليوم المنظمة الإجرامية الكامورا ببسط نفوذها على السوق الإيطالية والسوق العالمية كمؤسسة رائدة، حيث تحققت حديثا محكمة نابولي بإيطاليا من انتشار وتفرع هذه المنظمة في أمريكا الشمالية والجنوبية وإفريقي: لقد صارت الكامورا نموذجا في سرعة التأقلم، وهكذا أصبحت الظاهرة القديمة اليوم شركة قابضة حديثة. أنظر مختار حسين شبيلي، المرجع السابق، ص.61 وما بعدها.

60- محمد مسفر عبد الخالق الشمراني، المرجع السابق، ص.63.

61- المصدر نفسه، ص.65.

62- مختار حسين شبيلي، المرجع السابق، ص.62.

63- المصدر نفسه، ص.63.

64- المصدر نفسه، ص.63 وما بعدها.

65- أديبة محمد صالح، المرجع السابق، ص.36.

66- الجيوسياسية وهي مصطلح تقليدي ينطبق في المقام الأول على تأثير الجغرافيا على السياسية وأول من صاغ هذا المصطلح العالم السويدي " كجلين "، وهو العلم الذي يهتم بدراسة تأثير الأرض على السياسة في مقابل مسعى السياسة للاستفادة من هذه المميزات وفق منظور مستقبلي، وهذا المصطلح مشتق من كلمتين جيو وهي باليونانية تعني الأرض وكلمة السياسة. ارجع إلى الموقع الإلكتروني www.wikipedia.org اطلع عليه بتاريخ 19-03-2016.

67- ألكسندر دوفاي، " الجغرافيا السياسية "، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 2007، ص.131 وما بعدها.

68- شبلي مختار، المرجع السابق، ص.74 وما بعدها، مختار حسين شبيلي، المرجع السابق، ص.58. وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام دور نهاية الحرب الباردة وسقوط جدار برلين وانهيار الكتلة الشرقية الاشتراكية، وعلى رأسها الاتحاد السوفييتي في ظهور المافيات الروسية التي يناهز عددها اليوم المئة منظمة دولية. أنظر شبلي مختار، المرجع السابق، ص.74.

69- أديبة محمد الصالح، المرجع السابق، ص.ص.37.

70- محمد مسفر عبد الخالق الشمراني، المرجع السابق، ص.68.

71- المصدر نفسه، ص.60.

72- أديبة محمد الصالح، المرجع السابق، ص.67 وما بعدها.

73- مختار حسين شبيلي، المرجع السابق، ص.134.

74- المصدر نفسه، ص.135.

75- أديبة محمد الصالح، المرجع السابق، ص.68.

76- محمد عبد الحميد أحمد، " الآثار الاقتصادية والاجتماعية للجريمة المنظمة عبر الدول ومحاولات مواجهتها إقليميا ودوليا "، أبحاث حلقة علمية حول الجريمة المنظمة وأساليب مكافحتها، أيام 14-18 نوفمبر 1998، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1999ص.104.

77- محمود شريف بسيوني، " الجريمة المنظمة عبر الوطنية ماهيتها ووسائل مكافحتها دوليا وعربيا "، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، 2004، ص.28.

78- محمد عبد الحميد أحمد، المرجع السابق، ص.99.100.101.

79- محمود شريف بسيوني، المرجع السابق، ص.27.

80- أديبة محمد الصالح، المرجع السابق، ص.66 وما بعدها.

81- محمود شريف بسيوني، المرجع السابق، ص.26.

82- محمد مسفر عبد الخالق الشمراني، المرجع السابق، ص.135، وأنظر محمد عبد الحميد أحمد، المرجع السابق، ص.103.

83- أديبة محمد الصالح، المرجع السابق، ص.66.

84- المصدر نفسه، ص.68 وما بعدها.

85-محمد مسفر عبد الخالق الشمراني، المرجع السابق، ص.141.

86 -مختار حسين شبيلي، المرجع السابق، ص.141 وما بعدها.

الشركات العسكرية والأمنية الخاصة:
الوجه الآخر لعودة المرتزقة

د. بوسماحة نصر الدين
جامعة وهران 2 محمد بن أحمد

مقدمة

من الحقائق البارزة في تاريخ البشرية، كثرة الحروب والصراعات باعتبارها حقيقة حتمية عجز البشر عن منعها والحد منها، رغم كل المحاولات التي بذلت عبر التاريخ، سواء في سبيل الحد منها أو تأطيرها والتعامل مع مخلفاتها. ومن ذلك، كل ما بدل في إطار وضع قواعد قانونية تحدد كيفية إدارة الحروب للحد من آثارها والتخفيف منها، والتي يشكل خلاصتها وثمرتها القانون الدولي الإنساني. هذا القانون بدوره لم يعرف الركود، وظل في فترة وجيزة من تقنينه يتعامل مع الكثير من المسائل التي تثير إشكالات قانونية صعبة تعيق تطبيق قواعده وأحكامه، منها ما أثير من جدل انطلاقا من نهاية القرن العشرين حول الدور الذي أصبحت تؤديه الشركات العسكرية خلال النزاعات المسلحة.

أعاد تدخل الشركات العسكرية في النزاعات المسلحة شبح الاستعانة بالمرتزقة ضد الشعوب المستعمرة في المنتصف الثاني من القرن العشرين، حيث برز اتجاه معارض لدور هذه الشركات، واعتبرها مجرد غطاء قانوني لشرعنة نشاط المرتزقة، في حين طالب اتجاه مؤيد لنشاط هذه الشركات بوضع نظام قانوني دقيق يحكم نشاطها على أساس أن الخدمات التي تقدمها هذه الشركات لا تتعارض مع القانون الدولي.

وبين الاتجاه الأول والثاني لا يزال المركز القانوني للمتعاقدين مع هذه الشركات محل جدل، وما يترتب عن ذلك من تبعات قانونية من حيث تطبيق أحكام القانون الدولي الإنساني. إجابة لا يمكن الوصول إليها دون تحديد دقيق لمفهوم المرتزقة وتحديد طبيعة المهام والخدمات التي تؤديها الشركات العسكرية، حتى يتسنى التأكد من مدى انطباق تعريف المرتزقة على المتعاقدين مع تلك الشركات.

أولا: المرتزقة عبر التاريخ

"جيوش الظلام" "جنود المصائب" "كلاب الحرب" بعض من التسميات التي شاع استخدامها لنعت ووصف المرتزقة، كفيلة لوحدها بإعطاء فكرة عن الإجماع الحاصل على مختلف المستويات والأوساط الرسمية وغير الرسمية، بشأن الموقف الرافض للاستعانة بالمرتزقة واستخدامهم مهما كانت المقاصد. فتاريخهم الأسود وجرائهم البشعة في حق الشعوب أضفت عليهم سمعة بالغة السوء لا يمكن تطهيرها، لحد أن أشهر الكتاب وصفا بالخبث السياسي، صاحب مبدأ الغاية تبرر الوسيلة "مكيافيللي" أدانهم بأقوى العبارات في كتابه الأمير، إذ لم يتردد مكيافيللي في تحميل قوات المرتزقة مسؤولية سقوط إيطاليا في أيدي الفرنسيين، واصفا إياها بالجبانة في مواجهة الأعداء.

حيث يرى مكيافيللي في الفصل الثاني عشر من كتاب الأمير المتعلق بالأنواع المختلفة للجندية وجنود المرتزقة أن "أسلحة المأجورين والحلفاء بلا فائدة وخطيرة، وكل من يقيم دولته على أسلحة قوات مأجورة لن يستطيع التأكد من قوة وثبات ولايته. لأنها قوات مفككة ولها مطامعها الخاصة، وغير منظمة ولا عهد لها، وهي تبدو قوية أمام الأصدقاء، لكنها جبانة عند مواجهة الأعداء... وهم ينهبونك وقت السلم، وينهبك العدو في وقت الحرب. وسبب ذلك أنهم لا يجدون دافعا يدفعهم للبقاء في الميدان سوى الأجور الزهيدة التي لا تجعلهم على استعداد للموت من أجلك"[1].

قد لا نجد نفس الحكم المستنكر لمهنة المرتزقة على مر العصور، لكن ما لا شك فيه أن الأمر يتعلق بواحدة من أقدم المهن في التاريخ على اختلاف الوثائق التي تؤرخ لها. فقد سبق لفراعنة مصر في عز حكمهم وازدهار تجارتهم أن لجؤوا للمرتزقة في محاربة أعدائهم، وبالأخص جيرانهم من الفينيقيين والأمازيغ، حيث بلغ عدد الجنود المرتزقة في مرحلة من مراحل حكم الفراعنة حوالي 30000 مقاتل، كما استعان بهم كل من الإغريق والرومان والقرطاجيون، حيث بلغ تعدادهم أرقاما مذهلة مثل ما حصل في عهد الإمبراطورية الرومانية التي وصل فيها تعداد الجنود المرتزقة من الأجانب 400000 مقاتل في مرحلة تاريخية معينة[2]، رغم ما عرف عن الرومان بتفضيلهم الاعتماد على جيش روماني خالص التكوين، لدرجة أن كاتون القديم ((Caton l'ancienكاد يشكل استثناء عندما حاول في حربه ضد

التيرديتان ((Turdétansأن يقلب ضدهم مرتزقة السلتيبار ((Celtibèresويعيد تجنيدهم لصالحه[3].

أما الحديث عن تراجع دور المرتزقة بعد تأسيس الدولة القومية في أوروبا، التي أخذت على عاتقها مهمة الوظيفة الأمنية على المستويين الوطني والدولي، قائمة على مؤسسات وطنية تعتمد مبدئيا على توظيف وتجنيد مواطني الدولة4، لا يعكس تماما حقيقة الأمر، بقدر ما أنها نقلت عملية اللجوء إلى المرتزقة من طابعها العلني المتعارف عليه إلى حد ما – دون أن يحظى بالشرعية – إلى طابع الصفقات السياسية والاتفاقات السرية التي ينكرها جميع الأطراف. إذ أن نشاط المرتزقة ظل مزدهرا، ولم تتوقف الاستعانة بهم لأداء مهامهم القذرة في مختلف القارات.

الشواهد والأدلة التاريخية على استعانة القوات الاستعمارية في سياساتها التوسعية بالمرتزقة كثيرة، حيث شكلوا قوة مهمة في إخضاع الكثير من الأقاليم للسيطرة الاستعمارية وإطالتها، كما كان ضررهم بالغا في التصدي لحركات التحرر الوطني انطلاقا من ستينيات القرن 20، ليبرز دورهم بشكل أكبر في تدبير الانقلابات وإثارة الفوضى بعد استقلال عدد كبير من الدول الإفريقية[5].

وقد انعكس اهتمام المجتمع الدولي بالتزايد المقلق للجوء إلى المرتزقة من خلال اعتماد ثلاثة نصوص رئيسية، النص الأول بمناسبة اعتماد البروتوكول الأول الملحق باتفاقية جنيف عام 1977، وفي نفس السنة اعتمدت الوثيقة الثانية التي خصصت بأكملها للمرتزقة وهي اتفاقية منظمة الوحدة الإفريقية للقضاء على المرتزقة، أما الوثيقة الثالثة فتتمثل في اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة تجنيد واستخدام وتمويل وتدريب المرتزقة لعام 1989.

ثانيا: تعريف المرتزقة طبقا للوثائق الثلاث

اكتفى البروتوكول الأول لاتفاقية جنيف بمادة واحدة لتحديد موقف القانون الدولي الإنساني من المرتزقة، وذلك في المادة 47 منه ضمن القسم الثاني المخصص للوضع القانوني للمقاتل وأسير الحرب. وقد جاءت المادة 47 [6] بموقف صريح يحمل رفضا قاطعا لإضفاء أية شرعية على عمل المرتزقة من خلال نفي صفة المقاتل عنهم، أيا كان دورهم في العمليات القتالية وبصرف النظر عن الجهة

التي استعانت بهم. لتتضمن الفقرة الثانية من نفس المادة تعريفا للمرتزقة يشتمل على توفر مجموعة من العناصر التراكمية لتحديد مفهوم المرتزقة، وتمييزهم عن بقية فئات المقاتلين الذين يتمتعون بحماية القانون الدولي الإنساني[7].

ويكون التركيز في تعريف المادة 47 أكثر على صفة الأجنبي بالنسبة للشخص الذي يقدم خدمات عسكرية بشكل فعلي ومباشر لأحد طرفي النزاع لقاء تحفيزات مادية مرتفعة مقارنة بما يتلقاه المقاتلون من ذوي نفس الرتب والوظائف المماثلة في القوات المسلحة، إلى جانب ضرورة توفر باقي العناصر مثل عدم الانتماء لأي من القوات المسلحة كما هو الشأن بالنسبة لعناصر اللفيف الأجنبي بالنسبة للجيش الفرنسي. وألا يكون في مهمة رسمية لدولة غير طرف في النزاع باعتباره عضوا في قواتها المسلحة. مع الإشارة إلى أنه كان يقصد بشكل غير مباشر في تلك الفترة، أن تجنيد المرتزقة يكون خصيصا لتدبير أعمال عنف يكون الغرض منها الإطاحة بحكومة أو تقويض نظام دستوري لدولة ما أو تقويض سلامتها الإقليمية[8].

تمثل اتفاقية منظمة الوحدة الإفريقية للقضاء على أعمال المرتزقة في إفريقيا عام 1977 تتويجا لجهود رؤساء الدول والحكومات في منظمة الوحدة الإفريقية الذين وجهوا نداء في اجتماع أديس أبيبا سنة 1971 لدول العالم من أجل تبني تشريعات تمنع تجنيد واستخدام المرتزقة بالنظر إلى ما وصفوه باعتداءات المرتزقة في إفريقيا[9]. الأساس الذي قامت عليه هذه الاتفاقية هو ربط استخدام المرتزقة بإعاقة حق تقرير المصير، حيث أكدت في ديباجتها على "التهديد الخطير الذي تمثله أنشطة المرتزقة بالنسبة إلى استقلال وسيادة وأمن ووحدة الأراضي والتنمية المنسقة للدول الأعضاء[10]".

وقد اعتمدت الاتفاقية الإفريقية على تعريف مقارب لما ورد في المادة 47 من البروتوكول الأول لاتفاقيات جنيف، حيث ركزت في المادة 1 فقرة 1 [11] على نفس العناصر التراكمية المشار إليها في التعريف السابق. غير أن نفس المادة لم تكتف بتعريف المرتزقة، بل أكدت في فقرتها الثانية أيضا على الطابع الإجرامي لأفعال المرتزقة أيا كانت الجهة المسؤولة عنها، سواء شخص طبيعي أو شخص معنوي باعتبارها أفعال تهدف إلى مقاومة حق تقرير المصير أو الاستقرار أو وحدة الأراضي لدولة أخرى باستعمال العنف المسلح[12]. ودعت بموجب ذلك الدول الأطراف إلى

تطبيق أقصى العقوبات على الأشخاص المتورطين في جريمة الارتزاق، والتي يمكن أن تصل إلى حد تطبيق عقوبة الإعدام[13].

وجه لهذه الاتفاقية انتقاد بسبب ربطها استخدام المرتزقة بمقاومة حق تقرير المصير أو الاستقرار أو وحدة الأراضي للدول دون الحالات الأخرى، وذلك بالنظر إلى لجوء بعض الحكومات الإفريقية إلى خدمات المرتزقة من أجل إخماد حركات التمرد المسلحة التي تعتبرها غير مشروعة[14]. وبالنظر إلى الطابع الإقليمي للاتفاقية الذي يقتصر على الدول الإفريقية، واستمرار عملية اللجوء إلى المرتزقة في إفريقيا، وكذلك في آسيا وأمريكا اللاتينية كان لا بد من مواصلة الجهود الدولية باعتماد اتفاقية دولية مفتوحة لكل الدول، وهو ما تحقق في 04 ديسمبر 1989 من خلال اعتماد اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة تجنيد واستخدام وتمويل وتدريب المرتزقة[15].

قيمة اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة تجنيد واستخدام وتمويل وتدريب المرتزقة تتمثل في أنها أول وثيقة ذات طابع عالمي، تمنع جميع الأنشطة ذات العلاقة بدور المرتزقة في النزاعات المسلحة، وتفرض على الدول الأعضاء التزامات قانونية من أجل الحد من أنشطتهم ومنعها. من حيث المبدأ حافظت اتفاقية الأمم المتحدة على نفس التوجه في تعريف المرتزقة لما ورد في المادة 47 من البوتوكول الإضافي والمادة 1 من الاتفاقية الإفريقية، باستثناء عدم ذكرها لعنصر واحد من العناصر التراكمية، إذ ورد في المادة 1 فقرة 1 [16] ذكر لخمسة عناصر باستثناء القيام بدور مباشر في الاعتداءات العسكرية، وهو ما يتفق مع الهدف الأساسي من الاتفاقية - حسب عنوانها - التي وضعت لمناهضة جميع أشكال اللجوء إلى المرتزقة، سواء شاركوا في الأعمال القتالية أو كان دورهم مقتصرا على عمليات الدعم والإسناد، إلى جانب المنع الذي يطال الخدمات التي تقدم للمرتزقة أنفسهم كالتدريب أو التمويل.

يمكن تفسير هذا التوجه بالتوسع في مفهوم المرتزقة ليطال أكبر قدر ممكن من الأنشطة ذات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة بالعمليات القتالية، بعدم كفاية الوثيقتين السابقتين في حصر مفهوم المرتزقة والحد من أنشطتهم. أما اعتبار أن إلغاء شرط المشاركة المباشرة في العمليات القتالية سبب لامتناع الكثير من الدول

عن المصادقة على الاتفاقية خشية من أن يلحق بالمرتزقة العسكريين الذي توفدهم دولتهم لتقديم مساعدات تقنية – دون المشاركة في العمليات القتالية – بناء على اتفاقيات تعاون مبرمة مع أحد أطراف النزاع ويمكن أن يقعوا في الأسر لدى الطرف الثاني [17] غير صحيح، بالنظر إلى وجود الفقرة هـ التي تستثني صراحة العسكريين الذين توفدهم دولة غير طرف في النزاع بصفة رسمية.

إذ تشير آخر الإحصائيات حول المركز الحالي للاتفاقية بالنظر لعدد الدول المصادقة والموقوفة بتاريخ 07 مارس 2016 أن عدد الدول الأعضاء بلغ 34 دولة صادقت على الاتفاقية، وهو عدد قليل مقارنة بالطابع العالمي للاتفاقية. وإذا أخذنا بعين الاعتبار غياب الدول الكبرى وأهم القوى العسكرية المتورطة في النزاعات المسلحة، يمكن القول أن انعدام المصادقة راجع بالدرجة الأولى إلى انعدام الإرادة السياسية أكثر من أنها تحفظات قانونية [18].

إن نقص اهتمام الدول بالمصادقة على اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة تجنيد واستخدام وتمويل وتدريب المرتزقة، أعاق بشكل واضح جهود الأمم المتحدة للحد من الظاهرة، وعليه جعلت من البحث في أسباب عزوف الدول عن المصادقة واحدة من النقاط التي يجب البحث فيها ضمن ولاية المقررة الخاصة شايستا شاميم بخصوص تناولها لموضوع استخدام المرتزقة كوسيلة لانتهاك حقوق الإنسان وإعاقة ممارسة حق الشعوب في تقرير المصير. إذ ورد في موجز تقريرها فرضية وضع تعريف جديد للمرتزقة الذي يمكن أن يساعد على تجاوز ما سمته معضلة عزوف الدول، وبالتالي تشجيعها على الانضمام مع الأخذ بعين الاعتبار آراء الدول التي سبق لها وأن صادقت في وضع التعريف الجديد[19].

وقد تعززت فكرة وضع إطار قانوني جديد لتعريف ظاهرة الارتزاق والحد منها أكثر نتيجة التطورات التي ميزت النزاعات المسلحة في السنوات الأخيرة، والتي أفقدت النصوص الموجودة فعاليتها. بالأخص تنامي دور الشركات العسكرية التي أصبحت تشارك في العمليات العسكرية بشكل مباشر أو غير مباشر وما يترتب عن ذلك من اختلاف حول المركز القانوني للعناصر المنتمية إليها (ليسوا من العسكريين ولا يمكن اعتبارهم مدنيين) في ظل الانتقادات الكثيرة الموجهة إليهم بسبب تورطهم في الكثير من التجاوزات أثناء النزاعات المسلحة وإفلاتهم من

العقاب[20]. إذ لم يتردد البعض في وصف هذه الشركات بالوجه الجديد لعودة المرتزقة أو شرعنة لأعمالهم القذرة [21].

ثالثا: بروز الشركات العسكرية والأمنية الخاصة

من جملة الظواهر التي أفرزها الغزو الأمريكي لكل من أفغانستان والعراق مطلع القرن الواحد والعشرين، الاعتماد غير المسبوق على خدمات الشركات العسكرية (متعددة الجنسيات) [22]. وقد تعدى الاهتمام بهذه الشركات طبيعة الدور المسنود إليها، ليشمل أيضا الإطار القانوني للتعاقد مع هذه الشركات، دورها بالنظر إلى اختصاص الدول التقليدي والحصري في إعلان الحروب وخوضها، النمو البارز لرقم أعمال هذه الشركات وكذلك المركز القانوني للمتعهدين أو المنتسبين إليها وغيرها من المسائل التي أصبح يثيرها اللجوء المكثف لهذا النوع من الشركات [23].

غير أن أكثر ما أثار الجدل بخصوص دور هذه الشركات العسكرية كثرة التجاوزات والانتهاكات لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني المنسوبة إليها، في ظل انعدام أية متابعة قضائية للأشخاص المتورطين [24]، ما يعني تكريسا لظاهرة الإفلات من العقاب، التي أصبحت تشكل واحدة من تحديات المجتمع الدولي [25]، وقد تبنت في هذا الصدد هيئة الأمم المتحدة جملة من المشاريع والمبادرات من أجل وضع حد لظاهرة الإفلات من العقاب.

تحرك له ما يبرره بالنظر إلى توسع نشاط هذه الشركات على الأرض والذي فاق 100 بلد عبر العالم وفي كل القارات، وبتعداد بشري فاق في بعض الحالات القوات النظامية المنتشرة في نفس المنطقة. في هذا السياق مثلت هجمات 11 سبتمبر 2001 فرصة لا تعوض لتنمية نشاط هذه الشركات، خاصة بعد إعلان الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الحرب على أفغانستان في 2001 والعراق في 2003 بحجة مكافحة الإرهاب، حيث بلغ تعداد المنتسبين للشركات الأمنية في أفغانستان سنة 2012 أكثر من (113000) من الأفغانيين والأجانب مقابل (90000) من القوات النظامية [26] بينما تشير إحصائية أخرى ما بين 2007 – 2008 أن قوات ما سمي بالتحالف الدولي ضد الإرهاب بلغت حوالي (200000) جندي في منطقة الشرق الأوسط، مقابل عدد المنتسبين للشركات الأمنية في

العراق وحده الذي بلغ (149000) متعاقد [27] (ما بين مواطنين عراقيين وأجانب). وإذا تعذر تقديم إحصائيات دقيقة بخصوص الحجم الحقيقي لرقم أعمال هذه الشركات على المستوى الدولي، فإن بعض الخبراء يقدرونه ما بين 100 مليار إلى 200 مليار دولار أمريكي، في حين تتحدث أرقام وزارة الخارجية الفرنسية عن ما يقارب 400 مليار دولار، وحوالي مليون شخص منتسب لهذه الشركات، بالنسبة لمجموع حوالي 1500 شركة تنشط على مستوى العالمي [28].

تتعاقد هذه الشركات إما مباشرة مع الدول أو الشركات متعددة الجنسيات أو المنظمات الحكومية أو المنظمات غير الحكومية. بمعنى أنه لا يوجد قائمة حصرية للجهات التي يمكنها أن تلجأ إلى خدمات هذه الشركات، وهي عقود تندرج ضمن إطار عقود الشراكة بين القطاعين العام والخاص الذي اقتحم كل المجالات بما فيها الأمنية والعسكرية. توقع هذه العقود وفقا للمبادئ التي تحكم عقود التجارة الدولية، بعيدا عن الصفقات السرية التي كانت تطبع تدخل المرتزقة إلى تاريخ غير بعيد[29] (النصف الثاني من القرن العشرين). نتيجة لذلك، لا تتردد هذه الشركات في تبني سياسة إشهارية واسعة لخدماتها، واستحداث مصالح خاصة بالعلاقات العامة مثلها في ذلك مثل باقي الشركات متعددة الجنسيات الناشطة في المجال الصناعي أو الزراعي أو التجاري وغيرها.

المثال الخاص بشركة بلاك ووتر Black Water الأمريكية أبلغ تعبيرا عن هذه الوضعية، فبعد جملة الفضائح التي تورطت فيها في العراق وتضرر سمعتها، لجأت إلى تغيير تسميتها إلى أكاديمي Academi وتبني سياسة إشهارية واسعة أساسها الاحترام الصارم لدليل خاص بالقواعد السلوكية والأخلاقية القائم على احترام القانون الدولي والقوانين الوطنية، إلى جانب حصولها على شهادات للمطابقة والجودة مثل شهادة إيزو ISO العالمية، حسب الوثيقة المنشورة في موقعها الإلكتروني[30] والذي يبرز كذلك حجم انتشار الشركة على المستوى العالمي.

رابعا: خدمات الشركات العسكرية والأمنية الخاصة

تتباين بحسب الممارسة العملية الشركات العسكرية والأمنية الخاصة من حيث نوعية الخدمات التي تعرضها في السوق الدولية، من الاستشارة الأمنية وحراسة الأماكن والشخصيات مرورا بخدمات النقل وأشغال الصيانة وكذلك

الهندسة المدنية إلى غاية مرافقة الجيوش النظامية وتقديم خدمات ظلت لفترة زمنية قريبة من اختصاص وحدات الجيوش نفسها. ويجب الإشارة في هذا المجال أن الشركات الأمريكية والبريطانية هي الأكثر جرأة في هذا المجال من حيث الطابع العسكري للخدمات المعروضة[31]، والتي تحصرها بعض الدراسات في 5 مجالات، هي:[32]

– 1التدريب: هذا النوع من الخدمات تعرضه مختلف الشركات العسكرية بالنظر إلى قلة المخاطر المرتبطة به وكثرة الطلب عليه. الولايات المتحدة الأمريكية نفسها تلجأ إلى هذا النوع من الخدمة التي تقدمها الشركات العسكرية في تدريب قواتها المسلحة على الأراضي الأمريكية، كما تعمل على تشجيع الشركات العسكرية الأمريكية ودعمها في توقيع عقود مع الكثير من الدول لتكون بمثابة درع لها في التمركز في مناطق معينة وتنفيذ سياستها. مثال ذلك، العقود الموقعة من قبل شركة أكاديمي (بلاك ووتر سابقا) في أذربيجان لتدريب قوات البحرية الأذربيجانية، وهو ما يمنح للولايات المتحدة الأمريكية فرصة للتموقع بكل هدوء ما بين روسيا وإيران. إضافة إلى العقد الموقع سنة 2011 مع دولة الإمارات بقيمة 500 مليون دولار لتدريب قوة عسكرية بديلة مشكلة حصريا من الأجانب [33]. كما ساعدت الولايات المتحدة الأمريكية شركة (MPRI[34] على توقيع عقد بقيمة 2،1 مليار دولار مع الحكومة الأفغانية لتدريب الجيش الأفغاني، خصص منها قيمة 140 مليون دولار لوضع وصياغة العقيدة القتالية للجيش الأفغاني[35].

- 2الاستشارات في المسائل العسكرية: خدمة تعرضها الشركات العسكرية على غرار مكاتب الاستشارات المتخصصة، مراكز البحوث والجامعات بحسب مجالات التخصص [36]. تتمحور الاستشارات غالبا في مجال هيكلة القوات المسلحة، وكذلك التخطيط الاستراتيجي والعملياتي[37]. وفي هذا المجال أيضا نجد كل من العراق وأفغانستان في مقدمة الدول الموقعة على هذا النوع من العقود إلى جانب عدد آخر من الدول.

- 3الحماية والأمن: تتعدد الجهات التي تطلب هذه الخدمة، فنجد إلى جانب الدول كذلك المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية والشركات متعددة الجنسيات، وأي جهة تحتاج إلى الحماية والأمن يمكنها أن تتعاقد مع الشركات

العسكرية في هذا المجال. وتتنوع هذه الخدمة ما بين حماية الشخصيات السياسية والعسكرية إلى حماية المباني الحكومية ومقرات البعثات الدبلوماسية والبنايات الخاصة إلى جانب المنشآت النفطية ومقرات المؤسسات الاقتصادية وغيرها من المناطق التي تكتسي أهمية خاصة. في هذا الإطار أسندت لشركات عسكرية أمريكية (مقربة من التيار المحافظ في الحزب الجمهوري) مسؤولية توفير الحماية لشخصيات هامة، حيث تولت شركة بلاك ووتر مسؤولية توفير الحماية للحاكم المدني للعراق بول بريمر عقب الغزو الأمريكي للبلاد، كما تولت شركة دينكورب Dyncorp مسؤولية حماية الرئيس الأفغاني حامد كرزاي. تفيد إحصائية بأن عدد المتعاقدين الناشطين في مجال الحماية الخاصة في العراق بلغ حوالي 48000 متعاقد [38]. كذلك وقع الاتحاد الأوروبي مع شركة أرجيس Argus المجرية لحماية مقرات الاتحاد والموظفين في ليبيا بعد الإطاحة بنظام القذافي [39]، وفي نفس السياق أسندت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وسويسرا مسؤولية حماية مقراتها الدبلوماسية لشركات عسكرية أمنية.

كما وجدت الشركات العسكرية فرصتها في توسيع نشاطها في هذا المجال من خلال عرض خدماتها في مرافقة السفن التجارية لحمايتها من القرصنة نتيجة تنامي الظاهرة في السنوات الأخيرة، والتي عجزت الأمم المتحدة والدول الكبرى في التصدي لها. في هذا الإطار وقعت الشركة الفرنسية سيكوباكس Secopex عقدا مع الحكومة الصومالية لإنشاء فرقة لحرس السواحل، كما وقعت الحكومة اليمنية عقدا مع شركة خليج عدن يتم من خلالها تنسيق الجهود مع الجيش اليمني في مجال مكافحة القرصنة [40]. إضافة إلى عدد كبير من الشركات العسكرية التي توفر وحدات مسلحة أو غير مسلحة على متن السفن، مهمتها منع صعود القراصنة على متنها وتحويل وجهتها.

- 4الدعم اللوجستي: يمثل الدعم اللوجستي واحدة من أولى الخدمات التي تنازلت عنها الكثير من القوات المسلحة لفائدة الشركات الخاصة، مثل خدمات النقل، الإطعام، نقل الوحدات وصيانة المنشآت العسكرية. في هذا الإطار استفادت شركة كيلوج براون وروث Kellog Brown & Root وهي واحدة من الفروع الدولية للعملاق البترولي هاليبرتون [41]، سنة 2003 من عقد بقيمة 4،3 مليار دولار لتقديم الدعم اللوجستي لقوات التحالف في أفغانستان[42].

– 5الدعم العملياتي والتكتيكي: أكثر الخدمات المقدمة جلبا للانتقاد بسبب طابعها العسكري المحض، وواحدة من النقاط التي يتم التركيز عليها من أجل وصف المنتسبين لهذه الشركات العسكرية بالمرتزقة، إذ تتولى الشركات في هذا الإطار شحن ونقل الأسلحة للوحدات القتالية، صيانة منظومات إطلاق الصواريخ والقاذفات على متن الطائرات والسفن الحربية [43].

بالعودة إلى الممارسة العملية، نلمس بوضوح أن مجال تدخل الشركات العسكرية لا يقتصر على الحالات المذكورة سابقا، وإنما يشمل خدمات أخرى، بعضها ذات صلة مباشرة بالعمليات القتالية ويصعب فصلها عنها. فقد لجأت الدول في الكثير من الحالات إلى الشركات العسكرية لمواجهة مخلفات الكوارث الطبيعية مثل تعاقد الولايات المتحدة الأمريكية سنة 2005 مع شركات مثل كيلوج براون وبلاك ووتر للمساهمة في إعادة بناء وتأمين مدينة أورليون الجديدة Nouvelle Orléans بعد كارثة إعصار كاترينا Katrina وهي عقود حددت بحوالي 1،5 مليار دولار. كما عهد للشركات العسكرية بخدمات في فترات ما بعد النزاع، تعد من قبيل إجراءات العدالة الانتقالية مثل نزع السلاح وإدماج المسلحين كما هو الشأن بالنسبة للمليشيات الموالية للرئيس الليبيري تشارلز تايلور Charles Taylor [44]. كذلك وقعت الأمم المتحدة عقدا مع شركة أرمور جروب إنتناشيونل Armorgroup International Inc لنزع الألغام جنوب السودان.

لكن أخطر مما تقدم، هو تدخل الشركات العسكرية في مجال الاستعلامات، الإشراف على السجون (الاستجواب والتحقيق مع المعتقلين) إلى جانب المشاركة المباشرة في العمليات القتالية وما تسميه الولايات المتحدة الأمريكية بحربها على الإرهاب. وليس من الغريب أن يتم التركيز في هذا الشأن على حربي أفغانستان والعراق، باعتبارهما تمثلان مختبرا حقيقيا للوقوف على حجم التجاوزات التي قامت بها الشركات العسكرية.

إن الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها عراب ما أسمته حربا على الإرهاب، اعتمدت بشكل غير مسبوق على الشركات العسكرية، وأسندت لها مهاما لم تتقبلها حتى بعض الدول الغربية الحليفة [45]. إذ حملت الولايات المتحدة الأمريكية معها إلى كل من أفغانستان والعراق تجربتها الليبرالية جدا في خصخصة قطاعات

هي من صميم النطاق السيادي للدولة، إذ تعتمد الولايات المتحدة الأمريكية في مجال الاستعلامات بدرجة كبيرة على شركات متخصصة، تربطها عقود تحاط بالكثير من السرية مع الوكالات الأمنية للبلاد، حيث تقدر الإحصائيات قيمة هذه العقود بحوالي 34 مليار دولار فقط في مجال الاستعلامات [46].

أسندت لشركات خاصة في كل من أفغانستان والعراق، مهام تعقب وجمع المعلومات والتحضير لعمليات عسكرية ضد عناصر من طالبان والقاعدة، كما كشفت التحقيقات بخصوص التجاوزات التي ارتكبت في السجون في حق المعتقلين أن عناصر الشركات العسكرية كانوا يشرفون بأنفسهم على عمليات التحقيق وتعذيب المعتقلين، مثل سجني باغرام في أفغانستان وأبو غريب في العراق، في ظل غياب أدنى التقارير عن السجون السرية التي أنشأتها وكالة الاستخبارات الأمريكية في مناطق مختلفة من العالم. ويستوقفنا في هذا الموضوع تصريح الجنرال الأمريكية جانيس كاربينسكي karpinski Janis المسؤولة الأولى عن إدارة سجن أبو غريب بالعراق، التي أكدت وجود متعاقدين إسرائيليين مع شركات خاصة في سجن أبو غريب قاموا بالتحقيق مع السجناء، بحكم خبرتهم ودرايتهم بشؤون المنطقة، كونهم من الموظفين السابقين في الأجهزة الأمنية الإسرائيلية [47]. في أفغانستان أثير الإشكال القانوني بشكل أكثر دقة، حول الجهة المختصة بمحاكمة المتعاقدين مع الشركات العسكرية عن التجاوزات التي يقومون بها، هل القضاء العسكري أم القضاء المدني؟ وذلك بخصوص حادثة قيام المدعو دافيد باسارو David Passaro متعاقد لفائدة وكالة الاستخبارات الأمريكية باغتيال معتقل أفغاني تحت التعذيب سنة 2003 ولم يحاكم أمام القضاء العسكري، كما اقتصر الشأن في فضيحة أبو غريب على محاكمة بعض العسكريين من ذوي الرتب الدنيا، رغم أن التحقيقات وعمليات التعذيب كان يشرف عليها المتعاقدون مع الشركات العسكرية [48].

خامسا: المركز القانوني للمتعاقدين مع الشركات العسكرية والأمنية الخاصة

بالنظر إلى اتساع مجال نشاط الشركات العسكرية وصعوبة فصلها عن العمليات القتالية في الكثير من الحالات - إن لم تكن متورطة بشكل مباشر فيها – فإنه من المشروع التساؤل عن المركز القانوني للمتعاقدين، إما اكتسابهم صفة المقاتل أو اعتبارهم مدنيين في ظل الاتهامات القوية الموجهة إليهم بكونهم مرتزقة.

وما يزيد من تعقيد الموضوع هو قصور تعريف المرتزقة الوارد في المادة 47 من البروتوكول الإضافي الأول إلى جانب تعريفي الاتفاقية الإفريقية واتفاقية الأمم المتحدة كما هو مبين أعلاه.

وفي هذا الصدد يحدد الأستاذ دافيد شيرر David Shearer صعوبات تطبيق تعريف المادة 47 لوصف المتعاقدين بالمرتزقة في النقاط التالية:

- تؤكد الفقرة أ من تعريف المادة 47 على أن تجنيد المرتزقة يكون خصيصا محليا أو خارجيا للمشاركة في نزاع مسلح، وهو شرط أساسي في تعريف المرتزقة يصعب إثباته بالنسبة للمتعاقدين مع الشركات العسكرية الذين تربطهم في الغالب عقود طويلة المدة لا تتعلق بنزاع محدد.
- الشرط الثاني في الفقرة ب يؤكد على ضرورة مشاركتهم المباشرة في العمليات القتالية، وهو أمر يختلف باختلاف الخدمة التي تكلف الشركة بتقديمها، البعض منها ليست له أية علاقة بالعمليات القتالية وبعض الخدمات تطرح إشكالا بين من يعتبرها جزءا من العمليات القتالية ومن لا يعتبرها كذلك والبعض الآخر لا يثير أي خلاف حول صلتها المباشرة بالعمليات القتالية.
- صعوبة إثبات أن الحافز وراء المشاركة في العمليات القتالية هو تحقيق مغنم شخصي يبدله أحد الأطراف للمتعاقد، لتعلق الأمر بعنصر معنوي أكثر منه مادي، رغم أن الممارسة العملية تثبت أن الأجور التي يتقاضاها المتعاقدون هي أضعاف ما يتلقاه نظراؤهم من ذوي نفس الرتب والمهام في الجيوش النظامية والمؤسسات الأمنية الحكومية.
- التحاق أي مقاتل كان بأحد أطراف النزاع (يصبح جزءا من القوات المسلحة لأحد الأطراف) يجنبه وصف المرتزق طبقا لنص المادة 47 من هذا الباب لجأت شركة ساندلاين Sandline في عقدها الموقع مع حكومة غينيا الجديدة إلى تسمية المتعاقدين بـ"الدرك الخاص" ما يعني إلحاقهم بحكومة غينيا الجديدة وتفادي إطلاق صفة المرتزقة عليهم [49].

لا مجال للشك أن هذه الصعوبات تثار بقوة من الناحية العملية من أجل إطلاق وصف المرتزقة على المتعاقدين مع الشركات العسكرية، إضافة إلى كون التعريف يعتمد على قيام العناصر التراكمية، أي أن تجتمع كل الشروط المذكورة في المتعاقد حتى يوصف بالمرتزق وإلا أفلت من هذا الوصف.

إلا أن صعوبة تطبيق تعريف المادة 47 أو تعريفي الاتفاقية الإفريقية واتفاقية الأمم المتحدة على المتعاقدين في الشركات العسكرية، لا تعني مشروعية مطلقة للأدوار التي يقومون بها في نظر القانون الدولي والقوانين الوطنية بقدر ما أنها تعكس قصور التعريفات المذكورة والتي طالبت اللجان المتخصصة في إطار الأمم المتحدة بضرورة مراجعتها لتأخذ بعين الاعتبار الظروف القائمة والتطورات الحاصلة في هذا المجال، وبالأخص تنامي دور الشركات العسكرية. إذ لا يمكن نفي تورط هذه الشركات في العمليات القتالية بشكل مباشر أو غير مباشر في الكثير من الحالات، وآدائهم لمهام وأدوار شبيهة تماما بما عرف به المرتزقة تاريخيا.

وأمام حقيقة الانتشار الواسع للشركات العسكرية وكثرة اللجوء إليها رغم ما يحيط بها من شبهات، ارتفعت المطالب بضرورة توضيح الالتزامات القانونية المترتبة على هذه الشركات بموجب القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني، إلى جانب بعض المبادرات المحلية لدول سنت تشريعات وطنية في هذا المجال (الأمر يتعلق بدول أوروبية بالدرجة الأولى). وفي هذا الإطار أطلقت مبادرة مشتركة بين الحكومة السويسرية واللجنة الدولية للصليب الأحمر عام 2006، تهدف إلى تحديد التزامات الدول والشركات العسكرية وموظفيها بموجب القانون الدولي أثناء النزاعات المسلحة. وقد كلف بالأمر مجموعة من الخبراء الحكوميين لـ 17 دولة - ينتمون أساسا لدول تعد رائدة في إنشاء هذا النوع من الشركات أو دول تنشط فيها بكثافة [50] - قاموا باستشارة واسعة لمختصين من قطاعات وجهات ذات صلة مباشرة بالموضوع، كالمجتمع المدني وممثلين عن قطاع الشركات العسكرية [51].

توجت المبادرة باعتماد وثيقة مونترو Montreux المؤرخة في 17 سبتمبر 2008 والتي حملت عنوان "وثيقة مونترو بشأن الالتزامات القانونية الدولية والممارسات السليمة للدول ذات الصلة بعمليات الشركات العسكرية أثناء النزاع المسلح". ما يلاحظ على هذه الوثيقة أنها لم تعالج موضوع المركز القانوني للمتعاقدين مع الشركات العسكرية، واكتفت بوضع قواعد لما أسمته الممارسات السليمة من أجل التخفيف من حدة الانتقادات نتيجة المبالغة في اللجوء إلى خدمات هذه الشركات وما تسببت فيه من تجاوزات خطيرة. وهو توجه تعبر عنه

الفقرة 7 من مقدمة نفس الوثيقة التي أكدت فيما يشبه التحفظ على "أن هذه الوثيقة ينبغي ألا تفسر على أنها تقر استخدام الشركات العسكرية في أي ظرف خاص، بل على أنها تسعى إلى التذكير بالالتزامات القانونية وإلى التوصية باعتماد الممارسات السليمة إذا كان قرار التعاقد مع هذه الشركات قد اتخذ". بتعبير أدق، أن ما تضمنته الوثيقة لا يعدو كونه مجرد مبادئ توجيهية أو استرشادية لا تحمل أي طابع ملزم، يمكن للدول أن تلتزم بها بحسن نية أو لا تلتزم بها، خاصة أن التعاقد مع الشركات العسكرية يخضع لاعتبارات سياسية واقتصادية وتجارية لا دخل للوثيقة فيها.

أما عن المبادئ التي تضمنتها وثيقة مونترو فهي مقسمة إلى جزأين، الجزء الأول يخص الالتزامات القانونية الدولية ذات الصلة بالشركات العسكرية، وجزء ثان خصص للممارسات السليمة المتعلقة بهذه الشركات وهي بدورها مقسمة إلى ثلاثة فئات، الفئة الأولى تخص الممارسات السليمة للدول المتعاقدة والفئة الثانية تخص الممارسات السليمة لدول الإقليم والفئة الثالثة تتضمن الممارسات السليمة لدول المنشأ.

الهوامش

[1] - نيكولا مكيافيللي، كتاب الأمير، ترجمة أكرم أيمن، مكتبة ابن سينا، القاهرة، مصر، ص 66.

[2] - Luc Mampaey et Mehdi Mekdour «La guerre en sous-traitance..L'urgence d'un cadre régulateur pour les sociétés militaires et de sécurité privées» p 06. Les rapports du GRIP 2010/2.

[3] -Anthony-Marc Sanz, «La République romaine et le mercenariat au temps des Guerres Puniques» p 171. In Mélanges de la Casa de Velázquez, consulté le 13 février 2016. URL: http://mcv.revues.org/3892

[4] -Luc Mampaey et Mehdi Mekdour, op.cit., p. 06.

[5] -Ibid., p. 06.

-[6] **المادة 47**: المرتزقة

[1] لا يجوز للمرتزق التمتع بوضع المقاتل أو أسير الحرب.

[2] المرتزق هو أي شخص:

أ) يجرى تجنيده خصيصا محليا أو في الخارج، ليقاتل في نزاع مسلح،

ب) يشارك فعلا ومباشرة في الأعمال العدائية،

ج) يحفزه أساسا إلى الاشتراك في الأعمال العدائية، الرغبة في تحقيق مغنم شخصي، ويبذل له فعلا من قبل طرف في النزاع أو نيابة عنه وعد بتعويض مادي يتجاوز بإفراط ما يوعد به المقاتلون ذوو الرتب والوظائف المماثلة في القوات المسلحة لذلك الطرف أو ما يدفع لهم،

د) وليس من رعايا طرف في النزاع ولا متوطنا بإقليم يسيطر عليه أحد أطراف النزاع،

ه) ليس عضوا في القوات المسلحة لأحد أطراف النزاع،

و) وليس موفدا في مهمة رسمية من قبل دولة ليست طرفا في النزاع بوصفه عضوا في قواتها المسلحة.

[7] استخدام المرتزقة كوسيلة لانتهاك حقوق الإنسان وإعاقة ممارسة حق الشعوب في تقرير المصير، مذكرة من الأمين العام، ص 05. الوثيقة رقم A/70/330 مؤرخة في 19 أوت 2015.

[8] نفس المرجع.

[9] -Michel PELCHAT. Rapport au nom de la commission des Affaires étrangères, de la défense et des forces armées (1) sur le projet de loi relatif à la répression de l'activité de mercenaire. N ° 142 Sénat session ordinaire de 2002-2003, p 09.

-0[1]الفقرة 1 من ديباجة اتفاقية منظمة الوحدة الإفريقية للقضاء على أعمال المرتزقة في إفريقيا المعتمدة بليبروفيل (الغابون) في 03 جويلية 1977.

-1[1]المادة الأولى: تعريف

– 1المرتزق هو الشخص الذي:

أ – يتم تخصيصا تجنيده محليا أو في الخارج للاشتراك في القتال في نزاع مسلح،

ب – ويقوم بالفعل بدور مباشر في الاعتداءات العسكرية.

ج – ويكون دافعه أساسا من وراء الاشتراك في الاعتداءات الرغبة في تحقيق كسب شخصي وأن يكون قد تلقى بالفعل وعدا من أحد أطراف النزاع أو من ينوب عن هذا الطرف بالحصول على مقابل مادي.

د – وألا يكون من رعايا أحد أطراف النزاع أو من المقيمين في أراضي يسيطر عليها أحد أطراف النزاع.

هـ - وألا يكون من أفراد القوات المسلحة لأحد أطراف النزاع.

و – وألا يكون مبعوثا في مهمة رسمية من قبل دولة أخرى ليست طرفا في النزاع بوصفه أحد أفراد القوات المسلحة للدولة المذكورة..."

-2[1]صادقت الجزائر على هذه الاتفاقية الإفريقية بموجب المرسوم الرئاسي رقم 07 – 179 المؤرخ في 20 جمادى الأولى عام 1428 الموافق 06 يونيو 2007، الجريدة الرسمية العدد 39.

-3[1]المادة 07 من الاتفاقية الإفريقية.

-[1]4 Luc Mampaey et Mehdi Mekdour , op.cit., p 08.

-5[1]دخلت الاتفاقية حيز التنفيذ سنة 2001 بعد إيداع وثيقة التصديق رقم 12 طبقا للمادة 19 من الاتفاقية.

-6[1]المادة 1

لأغراض تطبيق هذه الاتفاقية:

» -1المرتزق» هو أي شخص:

أ- يجند خصيصا محليا أو في الخارج، للقتال في نزاع مسلح.

ب- ويكون دافعه الأساسي للاشتراك في الأعمال العدائية هو الرغبة في تحقيق مغنم شخصي، ويذل له فعلامن قبل طرف في النزاع أو باسم هذ ا الطرف وعد بمكافأة مادية تزيد كثيراعلى ما يوعد به المقاتلون ذوو الرتب والوظائف المماثلة في القوات المسلحة لذلك الطرف أو ما يدفع لهم.

ج- ولا يكون من رعايا طرف في النزاع ولا من المقيمين في إقليم خاضع لسيطرة طرف في النزاع.

د - وليس من أفراد القوات المسلحة لطرف في النزاع.

هـ- ولم توفده دولة ليست طرفا في النزاع في مهمة رسمية بصفته من أفراد قواتها المسلحة.

- [17]Luc Mampaey et Mehdi Mekdour , op.cit, p 08.

-8[1]ينبغي الإشارة أيضا إلى أن الاتفاقية دخلت حيز التنفيذ في تاريخ 20 أكتوبر 2001 بعد مرور 12 سنة من التوقيع عليها، أي بعد إيداع صك التصديق رقم 22 حسب نص المادة 19 من الاتفاقية.

-9[1]تقرير المقررة الخاصة شايستا شاميم، استخدام المرتزقة كوسيلة لانتهاك حقوق الإنسان وإعاقة ممارسة حق الشعوب في تقرير المصير، لجنة حقوق الإنسان، الدورة الحادية والستون، البند 05 من جدول الأعمال. المجلس الاقتصادي والاجتماعي.E/CN.4/2005/14 le 08 décembre 2004

-0[2]تقرير المقررة الخاصة شايستا شاميم، المرجع السابق، ص 13.

[2]1 -Marie-Ève Lapointe «le droit international humanitaire, à la merci des entreprises militaires et de sécurité privées? ». Revue québécoise de droit international. 24.1 (2011), p 84.

-[22]ظهور الشركات العسكرية الأمنية ليس مرتبطا بفترة انتهاء الحرب الباردة التي شكلت في حقيقتها منعطفا خلف أوضاعا شجعت اللجوء إلى تلك الشركات، وإنما يعود إلى سنوات قليلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى هذا النوع من الشركات في حربها ضد الفيتنام إذ تمت الاستعانة بشركات مثل Vinnell, Pacific Architects & Engineers et Halliburton التي أسندت لها مهام معينة، غير أن أهم شركة عسكرية أمنية تعود إلى هذه الفترة هي Watchguard international البريطانية التي أسست في 1967 وأصبحت أداة غير مباشرة في يد الحكومة البريطانية للتدخل في مناطق معينة. لمزيد من التفاصيل انظر ماري آف لابوانت، المرجع السابق، ص 85.

[23] -Georges-Henri Bricet des Vallons «Armées et sociétés militaires privées en Irak: de l'amalgame à la symbiose»,. Sécurité globale 2009/2 (N° 8), p 36.

[24]نذكر في هذا الإطار حادثة قيام منتسبين لشركة بلاك ووتر الأمريكية بقتل مدنيين في مدينة الفلوجة العراقية، وعجز الحكومة المحلية عن متابعتهم القضائية بسبب استفادتهم من الحصانة، وهي حالة واحدة إلى جانب حالات أخرى في نفس

المدينة التي اتهمت فيها الشركة بالمساهمة في الهجوم عليها رفقة الجيش الأمريكي. حيث نتج عن كثرة التجاوزات احتقان كبير وعداء من قبل السكان المحليين كرسته عملية قتل أربعة من منتسبي شركة بلاك ووتر الأمريكية والتنكيل بهم بتاريخ 2004/03/31، في صور تناقلتها جل وسائل الإعلام العالمية وترتب عنها إطلاق الجيش الأمريكي لمعركة الفلوجة الأولى. وقد نتج عن كثرة التجاوزات المنسوبة لهذه الشركة أن تم وقف التعامل معها ومطالبتها من قبل الحكومة العراقية بمغادرة البلاد. هذا لا ينفي استمرار الكثير من الشركات العسكرية الأمنية العمل في العراق في إطار عقود موقعة مع عدة جهات، عراقية وأجنبية، ويكفي بأن نشير أن عدد الأجانب العاملين في هذا النوع من الشركات بلغ سنة 2009 حوالي 48000 شخص.

[25] -Marie-Ève Lapointe ? op.cit., p 88.

- [26]Pascal De Gendt «Les sociétés militaires privées, une nouvelle superpuissance ». Analyses & Études Monde et Droits de l'Homme. 2013/05. Siréas asbl, p. 05.

[27] -Adam Baczko, Gilles Dorronsoro et Arthur Quesnay «Les Sociétés Militaires Privées». In CICDE / RED. 30/01/2014, p 01.

[28] -Rapport d'information N° 4350 le 14/02/2012, présenté par MM. CHRISTIAN MÉNARD ET JEAN-CLAUDE VIOLLET, déposé en application de l'article 145 du Règlement par la commission de la défense nationale et des forces armées «sur les sociétés militaires privées». Assemblée Nationale, p 09.

[29] -Yacine Hichem TEKFA «Le Mercenariat moderne et la privatisation de la guerre». Géostratégiques N° 9 - Octobre 2005, p 167.

[30] -Certificate Number: 111159.01. ISO 9001:2008. www.academi.com

[31] -Philippe Chapleau, « De Bob Denard aux sociétés militaires privées à la française ». Cultures & Conflits [En ligne], 52 | hiver 2003, mis en ligne le 03 juillet 2004, consulté le 25 mars 2016, p 08.
URL: http://conflits.revues.org/977.

[32] Luc Mampaey et Mehdi Mekdour , op.cit., p 09.

[33] -Rapport d'information N° 4350, p 14.

[34] -Military Professional Resources Inc.

[35] -Rapport d'information N° 4350, p 13.

[36] -Adam Baczko, Gilles Dorronsoro et Arthur Quesnay, op.cit., p 01.

[37] -Luc Mampaey et Mehdi Mekdour , op.cit., p 09.

[38] -Luc Mampaey et Mehdi Mekdour , op.cit., p 09.

[39] -Rapport d'information N° 4350, p 11.

[40] -Catheline Remy «Les sociétés militaires privées dans la lutte contre la piraterie», Pyramides, 21 | 2011, 119-138.

[41]يعد نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني من أكبر المساهمين فيها، وهو أبرز شخصية فيما عرف بصقور الإدارة الأمريكية الذين خططوا وقرروا غزو كل من أفغانستان والعراق.

[42] -Luc Mampaey et Mehdi Mekdour , op.cit, p 09.

[43] -Ibid, p 09.

[44] -Ibid, p 10.

[45] -Olivier Hubac, Luc Viellard « Politique d'externalisation: l'enjeu des sociétés d'appui stratégique », Sécurité globale 2009/2 (N° 8), p 31.
DOI 10.3917/secug.008.0015

[46] -Georges-Henri Bricet des Vallons, « Armées et sociétés militaires privées en Irak: de l'amalgame à la symbiose», Sécurité globale 2009/2 (N° 8), p 47.
DOI 10.3917/secug.008.0035

-[47]عادل القاضي " خصخصة الحروب: الشركات الغربية المرتزقة وحروبها القذرة" www.altagreer.ws
تاريخ التصفح: 2016/04/03.

[48] -Adam Baczko, Gilles Dorronsoro et Arthur Quesnay, op.cit., p 01.

[49] -Christopher Kinsey, « Le droit international et le contrôle des mercenaires et des compagnies militaires privées », p 11. Cultures & Conflits [En ligne], 52 | hiver 2003, mis en ligne le 03 juillet 2004, consulté le 02 février 2016. URL: http://conflits.revues.org/981

[50] -أستراليا وأفغانستان وألمانيا أنغولا وأوكرانيا وبولاندا وجنوب أفريقيا والسويد وسويسرا وسيراليون والصين والعراق وفرنسا وكندا والمملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وأيرلندا الشمالية والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية.

[51] -A/63/467–S/2008/636. 06 Octobre 2008.

مأزق خطاب الإسلام السياسي-دراسة تحليلية-

د. الهواري بركة
جامعة وهران 2

مقدمة:

إن من يرى ويتابع المشهد الإعلامي (التلفزيون على وجه الخصوص) سيلاحظ أن موضوع "التطرف الديني" أو "الغلو الديني" في العالم العربي-الإسلامي خاصة، وفي العالم كله عامة، أصبح موضوعا دسما ومطلوبا، تتناوله الفضائيات التلفزيونية عبر الكرة الأرضية بالجدال والمناقشة والتحليل والتفسير، بل بالسجال الحاد والطرح الإيديولوجي الصراعي.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى ظاهرة الحديث عن "تنظيم القاعدة" وفروعها في العالم، وعن "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" والتي يرمز إليها بـ "داعش" و"إنجازاتها" الإرهابية والدموية اللاإنسانية من حرق وتقتيل وذبح واغتصاب وخطف، وتفجير بالأحزمة الناسفة، وتفخيخ للسيارات وتفجيرها أيضا...وغير ذلك كثير، و"بوكوحرام" وأفعالها التي لا تقل عن "داعش" من حيث الدموية والإجرام.

لكن المشكلة المحيرة هنا، والتي تدفع إلى الوقوف والتأمل، والملاحظة الدقيقة والعلمية، هي أن كل هذه التنظيمات الإسلاموية المذكورة وغيرها تتمرجع ثم تبرر ما تقوم به من أفعال أو ما تقوله من خطابات بالآيات القرآنية، وبالأحاديث النبوية، وبعض محطات التاريخ الإسلامي، وبنصوص بعض علماء وفقهاء الفكر الإسلامي الكلاسيكي، والعلوم الإسلامية، الخاضعة للانتقاء والاختيار الإيديولوجي طبعا.

وأمام هذه الصورة المأساوية والمشهد القاتم كان لابد، ومن الضروري أن أقف لحظة تأمل وتفكير حول هذه الظاهرة.

أقول الظاهرة، وبالمعنى الدلالي العلمي لأنها قابلة للدراسة العلمية، في إطار العلوم الاجتماعية، أو علوم الإنسان، والطرح المعرفي-الموضوعي البعيد عن كل

سجال إيديولوجي ونقاش عقيم، وحوار الصم الكم كما يقال عادة. لكن وفي هذا الصدد لابد من الإشارة إلى أن تلك التنظيمات الإسلاموية ترتبط ارتباطا أساسيا ومفهوم "الإسلام السياسي" أولا، وبمفهوم "الإرهاب" ثانيا. فبالنسبة لمفهوم "الإسلام السياسي" هي كذلك لأنها تقدم مشروع مجتمع يقوم على مفهوم "الحاكمية" أي حكم الله، وليس حكم البشر، حكم الشريعة الإسلامية، وليس حكم القانون الوضعي، التداخل بين الدين والسياسة، وليس الفصل بينها.

ومهما حاول أن يختفي مناضلوه وراء الدين فتنظيمهم سياسي بغطاء إيديولوجي ديني.

وأما بالنسبة لمفهوم "الإرهاب" فلأنها اتخذت من العنف السياسي، واستعمال السلاح بشتى أنواعه المختلفة وسيلة من أجل الوصول إلى الحكم، وإلى امتلاك السلطة، وبالتالي إقامة شريعة "الدولة الإسلامية".

وبمعنى آخر، فإن هناك علاقة أساسية، ومترابطة، ومتشابكة بين المفهومين، "الإسلام السياسي" و"الإرهاب" وقل إنهما يشكلان الوجهان للعملة الواحدة. وبالعودة إلى العلاقة العلمية والمنهجية بين الظاهرة المشار إليها سابقا، والدراسة العلمية، فلقد عثرنا على كثير من البحوث، والدراسات والمقالات، والكتب والمراجع...التي تناولت أو التي دارت حول موضوع "الإسلام السياسي"، وقد صدرت عن عدد كبير من الباحثين السوسيولوجيين (سوسيولوجيا السياسة، وسوسيولوجيا الدين) وعلماء السياسةPolitologues، والأنثروبولوجيين، وعلماء النفس، والمحللين النفسايين...إلخ.

وهذا ما يجعل الظاهرة تتوزع على عدة تخصصات وحقول معرفية مختلفة تحكمها أطر نظرية، ومطارحات فكرية، ومقاربات منهجية مختلفة ومتعددة.

وللوقوف على الموضوع المطروح، فإننا نعتقد أن "الإسلام السياسي" كخطاب، فإنه يشكل "مأزقا"، وهو كذلك فإن المسألة ستتطب البحث عن الأسباب العميقة والأساسية لكونه كذلك.

فهو وبهذا الشكل "مأزقا" لأنه يبغي الإصرار على تناول النصوص الدينية تناولا يخضع –وفقط- للتفسير أو التأويل الأحادي القطعي، والحرفي الظاهري.. من جهة، ورفض قبول الآخر، وعدم الاعتراف بشرعية الاختلاف بين الناس، وبين

الأسر، وبين الشعوب، وبين أفراد الإنسانية جمعاء، وبين الملل والنحل، والأفكار والثقافات، والقراءات والتأويلات، والتفسيرات والفهوم... من جهة ثانية، والدعوة إلى الجهاد أو الحرب المقدسة، والقتال "بالسيف" كل من لا يؤمن بمفاهيمهم، وتفسيراتهم وتأويلاتهم، ومخالفتهم في ذلك، وإن صلى وصام من جهة ثالثة.

وعليه، ولما كان الأمر كذلك، فإننا نعتقد أن هذه الدراسة يجب أن تخضع لتحليل بنية النصوص الواردة وتفكيكها للموضوع المطروح، ثم القيام بنقدها وتجاوزها. أي إنها دراسة تحليلية نقدية لمأزق خطاب الإسلام السياسي.

ترى ماهي الأسباب الأساسية أو الجوهرية والعميقة التي يمكن من خلالها تحديد مظاهر مأزق خطاب الإسلام السياسي؟

1- المطارحات الفكرية والمقاربات المنهجية:

إن كل من يتناول مثل هذه الموضوعات المثيرة للجدل والنقاش، سيجد نفسه –ضرورة- أمام مطارحات فكرية، ومقاربات منهجية كثيرة ومتعددة، ويكون هذا – وبطبيعة الحال- مرده إلى مسائل أو إشكاليات قراءة النصوص والخطابات انطلاقا من مواقف معرفية ترتبط بطبيعة الأسئلة التي تصوغها تلك القراءة.

أ- المطارحة والمقاربة الاقتصادية والاجتماعية:

وانطلاقا من هذا التصور يمكن القول أن الظاهرة الإسلاموية في العالم العربي-الإسلامي لترتبط ارتباطا عضويا ووثيقا وظاهرة إخفاق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في فترة تاريخية معينة. ويأتي خطاب الإسلام السياسي كتعبير إيديولوجي ديني وسياسي عن ذلك الإخفاق. ولعل ما يمكن الوقوف عليه من خلال هذا النص لدليل على ذلك.

"فكلما أحكمت الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قبضتها على رقابهم، ازدادوا استعدادا لقبول الحجة التي تخاطبهم بكل ثقة فتقول: "أرأيتم إلى أين يؤدي بكم حكم البشر؟ إن كل مصائبكم ترجع إلى ابتعادكم عن طريق الله. فلماذا لا تسيرون في هذا الطريق إن كنتم تريدون حقا أن تنتشلوا أنفسكم من هذه الهاوية؟"[1].

وبالفعل وبحسب هذا المنطق وهذا الخطاب المقدم على لسان الحركة الإسلاموية في مصر، فإن خطاب الإسلام السياسي قد ارتبط بالمشاكل والأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي مست الطبقات والفئات السفلى من المجتمع، وعدم قدرتها على مواجهة غلاء المعيشة، وارتفاع الأسعار، وزيادة الضرائب، ورفع الدعم على بعض السلع الاستهلاكية، وتفاقم أزمة السكن...إلخ.

وأمام هذا الوضع المتردي يفسر خطاب الإسلام السياسي هذه الإشكالية بابتعاد السلطة السياسية أو الحكومة القائمة من جهة، وفئات وطبقات المجتمع كله من جهة ثانية عن العلاقة التي تحقق "خلاص" الجميع من ذلك عن طريق إقامة شرع الله وحكمه من خلال بناء الدولة الإسلامية و"فلسفة" "الحاكمية".

وفي نفس السياق وبنفس المقاربة والتوجه والمطارحة الفكرية فإننا قد عثرنا على خطاب مارك كوت M.Cote الذي يشير إلى التالي:

"إن إذكاء الفوارق الاجتماعية في بلد سعى إلى بسط المساواة خلال خمس عشرة سنة هو الذي تسبب في أعمال العنف والشغب التي حدثت في قسنطينة سنة 1984 وفي 1988 بالجزائر، وفي مدن أخرى وصعود الحركة الإسلاموية"[2].

وهنا أيضا نلاحظ أن مارك كوت يؤكد على أن المسألة الاجتماعية والطبقية المرتبطة بطبيعة الاقتصاد والتنمية الوطنية هما السبب في طبيعة الاحتجاج والغضب الاجتماعي الذي اندلع في فترة الثمانينيات تزامنا مع انهيار أسعار البترول آن ذاك.

وكل هذا كان سببا رئيسيا وأساسيا في ظهور الحركة الإسلاموية وانتشار خطاب الإسلام السياسي كإيديولوجيا قصد تفسير الوضع القائم انطلاقا من مفهوم الشريعة الإسلامية وتصورهم لمضمونها وجوهرها.

ومما يؤكد هذا الفهم فإن علي الكنز لا يبتعد كثيرا عن هذه المطارحة وهذه المقاربة بحيث نجده يقول ما يلي:

"...إن الإسلام السياسي يؤدلج ويعكس الأسباب والنتائج وهذا ما يسمى بالمغالطة، بحيث يقدم فشل التجارب الوطنية والتنموية على أساس عدم تطبيق

الشريعة الإسلامية، والحقيقة هي أن فشل التنمية الوطنية والتجارب الوطنية هو السبب في ظهور الأصولية المنادية بتطبيق الشريعة"[3].

وبنفس المعنى والدلالة فإن علي الكنز يوضح المسألة عندما اعتبر أن القضية الاقتصادية والاجتماعية هي التي يمكن أن تفسر بواسطتها ظهور الحركة الإسلاموية وتطورها التاريخي في الجزائر المعاصرة.

ب- المطارحة والمقاربة الثقافية:

إن البحوث العلمية في علم السياسة التي أجراها فرانسوا بورجا François Burgat أوصلته إلى نتيجة يراها هو في غاية الأهمية بمكان فيما يتعلق بدراسة قضايا العالم العربي-الإسلامي عامة والمغرب العربي خاصة. هذه النتيجة تتعلق أساسا بأن الإسلام السياسي كحركة يطرح نفسه بديلا تاريخيا لأنظمة الحكم الوطنية التي وصلت إلى السلطة بعد الاستقلال من جهة، ومن جهة ثانية فإن الحركة الإسلاموية هي وليدة الارتباط العميق بالعالم الدلالي للثقافة التقليدية والشعبية داخل مجتمع من مجتمعات العالم العربي-الإسلامي أساسا. وبمعنى آخر، فإن مطارحة بورجا ومقاربته تعتمد على فهم القيم الثقافية المحلية والنابعة من التجربة التاريخية للمجتمعات المغاربية محل الدراسة.

لذلك نجده يؤكد على مفهوم الشمال الأوروبي-الغربي والجنوب الشمال إفريقي مشرقا ومغربا، ومنه فلقد جاءت دراسته التي اعتمد فيها الجانب الميداني تحت عنوان الإسلاموية في الدول المغاربية (صوت الجنوب).

وفي هذا الصدد فإن بورجا نجده يقول عن دور الإسلام السياسي بأنه "بمثابة المرحلة الثالثة في محاولة الابتعاد عن الغرب، وتبدأ هذه المرحلة الثالثة في التعبير عن ذاتها على تلك الأرضية (أي المجال الثقافي) التي انعكس عليها التأثير الأجنبي على مدى أطول ما حدث في المجالات الأخرى. فالمد الإسلامي من الخليج إلى المحيط –وفيما أبعد من ذلك في الأراضي التي انتشر فيها التوسع الغربي- تعبير إذن عن إدانة لطبيعة العلاقة الثقافية التي كانت سائدة أثناء المرحلة الاستعمارية"[4].

إن بورجا وهو يتحدث هكذا فإنه يعتقد جازما ومن خلال دراساته التاريخية لهذه المجتمعات المغاربية، وتنظيره في مجال العلوم السياسية، وكذلك بحوثه

الميدانية يكون قد توصل إلى أن حركات الإسلام السياسي داخل هذه المجتمعات هي وليدة وتعبير عن رد فعل تجاه سيطرة القيم الثقافية الغربية التي أصبحت سائدة وغالبة أمام القيم الثقافية التقليدية لتلك البلدان والمجتمعات.

ولعل ما يفسر هذا الفهم وهذا التصور هو ما نجده في مضمون خطاب الإسلام السياسي وإيديولوجيته من رفض حاسم وقاطع لكل ما يتعلق بالثقافة الغربية-الأوروبية أساسا، فهو يطرح حاكمية الله ضد الديمقراطية، والشريعة الإسلامية ضد العلمانية، والقانون الرباني ضد القانون الوضعي، والدولة الدينية ضد الدولة المدنية...وهكذا. وللوقوف على ما يبرز فاعلية خطاب الإسلام السياسي في هذا المضمون نقف عند النص التالي:

"لا ينبغي لمن يريد التعبير عن رفضه للغرب أن يتحدث بلغته أو يلجأ إلى أسلوبه أو إطاره المرجعي، كيف يمكن إذن التعبير عن الانفصال عنه؟، أو كيف يمكن إشباع رغبة إبراز الهوية الخاصة دون استخدام لغة تختلف عن لغته، ودون استخدام مجموعة رموز وشفرات تتسم –ولو ظاهريا- بالاختلاف عن رموز الغرب وشفراته؟"[5].

وانطلاقا من طبيعة هذا الخطاب يمكن القول أن إخفاق الحداثة في العالم العربي-الإسلامي مرده إلى ذلك، فلقد رأينا وشاهدنا وسمعنا في السنوات الأخيرة صعودا لافتا وظاهرا، وقويا للحركات الإسلاموية، وتمظهر وبروز خطابها السياسي وانتشاره.

ج- المطارحة والمقاربة السياسية:

إن المطارحة الفكرية والمقاربة المنهجية التي انطلق منها، واشتغل عليها أوليفييه روا لترتبط بحقل علم السياسة وبمنظوره وأبحاثه التي تميزه عن علم الإسلاميات الاستشراقي الكلاسيكي، لذلك فهو يعتبر أن "الاهتمام بالعلاقة بين الدين والسياسة أدت إلى إيجاد شبكة للقراءة ولترجمة وتفسير الحقل السياسي للمجتمعات الإسلامية"[6].

ولتوضيح هذه الفكرة أكثر يعتمد روا على ما يعتبره الحرص العلمي والمعرفي على البحث الموضوعي الذي يبعد الباحث عن الأفكار المسبقة والمهاترات الإيديولوجية والسجال العقيم. وليتم ذلك يبدأ بتحديد مقاربة الاستشراق

الأوروبي الكلاسيكي فيقول: "إن مقاربة الإسلام في الطرح الغربي، تتم بواسطة علماء الإسلاميات الاستشراقي، الذين كانوا يدرسون موضوع الدين الإسلامي، أي تلك النصوص الأساسية والمتمثلة في (القرآن والحديث)، وفترة النبي والعربية الكلاسيكية، وتاريخ العالم الإسلامي وبحسب هذا التصور، فإن الدين هو العامل الأساسي المفسر لكل الميادين (التاريخ، علم الاجتماع، الفن، الحياة السياسية)" [7].

وبمعنى آخر، فإن الاستشراق الغربي يعتمد أساسا في مقاربته المنهجية ومطارحته الفكرية على قراءة النصوص الدينية، وما جاء فيها من معاني ودلالات وفهوم يفسير من خلالها العلاقة العضوية والترابطية بين هذه النصوص وطبيعة خطاب وفعل الحركات الإسلاموية.

أي أن الاستشراق الكلاسيكي الغربي يعتقد "أن الإسلام قد أخلط منذ البداية بين الدين والسياسة، أو بين الدائرة السياسية والدائرة المعرفية والدائرة المعيارية والدائرة الاقتصادية والدائرية الدينية"[8].

وبمعنى أكثر وضوحا يمكن القول أنه قد "...خلط بين جميع مناحي الحياة منذ الأصل إلى درجة أن المؤمنين بصفتهم فاعلين اجتماعيين، قد طبقوا هذا الخلط حتى يومنا هذا أو فرضوه، ثم يقولون بأن الدارس المحلل يخون الموضوعية إذا ما حاول أن يميز بين مختلف هذه الجوانب التي يجرنا الواقع المعاش على رؤيتها بشكل كلي دون أي تمييز.." [9].

وهذا ما تعتبره الأدبيات والمرجعيات العلمية في العلوم السياسية وفي علم الاجتماع السياسي التداخل بين الدين والسياسة، وبين الدين والفن، وبين الدين والاقتصاد، وبين الدين والعلم وهكذا.

وتجاوزا لهذه المطارحة المتعلقة بالاستشراق الغربي الكلاسيكي، فإن روا ربط مطارحته ومقاربته بمنعرج تاريخي عرفه العالم الإسلامي عندما انتصرت الثورة الإيرانية، وأصبحت موضوعا وظاهرة بحاجة إلى الدراسة العلمية النظرية والميدانية حتى فهم العلاقة بين مفهوم الثورة وخطاب الإسلام السياسي، وفاعلية الفاعلين الاجتماعيين كنخبة قامت بتفجير هذه الثورة.

وفي هذا الصدد يقول:

"تعود مقاربة "علم السياسة" إلى سنوات 1980، بعد أن انتصرت الثورة الإيرانية وظهر ما يعتبر الإسلام الراديكالي في المجال السياسي، والذي أدى إلى موضوع "الإسلاموية" الذي أصبح يشير إلى تلك الحركات التي تستخدم الدين كإيديولوجيا سياسية. ولذلك، ومن هنا بات الأمر ضرورة استعمال مفهوم الإسلاموية"[10].

وبهذا الفهم وهذا التصور فإن المطارحة الفكرية والمقاربة المنهجية السياسية تفسر كل شيء بالسياسة، لأنها تعتقد أن الحركات الإسلاموية، ومن خلال خطابها الديني-السياسي الشعبوي، وكتاباتها، وخطبها المسجدية، وإعلامها وكتبها، وصحفها، ومجلاتها، ومواقعها الاجتماعية... كلها تهدف الوصول إلى السلطة والبقاء الأبدي فيها.

وبعد، فإن تلك المطارحات الفكرية والمقاربات المنهجية المختلفة، تبقى محدودة وذات بعد واحد، إذا اكتفت بمنظور اقتصادي-اجتماعي فقط، أو ثقافي أو سياسي...إلخ.

ومن جهتنا تجدر الإشارة إلى أن نصرح بالميل إلى تعددية نظرية ومطارحة فكرية، ومقاربة منهجية بحكم تعددية أبعاد ظاهرة الإسلام السياسي بين ما هو اقتصادي-اجتماعي فعلا، وماهو هوياتي-ثقافي، وماهو سياسي-اجتماعي، وما هو أنثروبولوجي..إلخ.

غير أننا وفي هذا الإطار فلقد أعطينا مسألة تأويل النصوص الدينية، وضرورة الحديث عن العوامل النظرية كالقرآن والسنة، والعلماء التقليديين للفكر الإسلامي، والتاريخي الإسلامي..أهمية أكبر لتقف على جانب لم يعط له القدر الكافي من الاهتمام داخل الأدبيات العلمية المرتبطة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية. ولعل هذا ما يجعلنا نفهم طبيعة خطاب الإسلام السياسي وطبيعة مأزقه التاريخي.

2- إشكاليات مأزق خطاب الإسلام السياسي:

ويمكن تلخيص هذه الإشكاليات في:

أ- إشكالية التأويل:

إن الولوج إلى مثل هذه الإشكالية، يدفع بنا إلى ضبط مفهوم التأويل، أو التأويلية، أو الهيرمينوطيقا ضبطا وتحديدا علميا هو كالتالي: يقول قاتيمو: "كل تجربة في الحقيقة هي تجربة تأويلية"[11].

ومعنى ذلك أن الحياة كلها، أو الأحداث كلها، أو الوقائع كلها تخضع لمبدأ التأويل أو بالأحرى لتأويلات كثيرة، متنوعة، ومختلفة. وبهذا الفهم يمكن القول أن التأويل "...هو في الحقيقة، "تأويلات" (بالجمع) على سبيل التتابع (تأويل يؤول إلى تأويل) والتساوق (تأويل يضاهي تأويل) والتي تؤول إلى حالة عدمية بالمعنى الذي يستحيل فيه القبض على المعنى أو الحديث بمنطق النعت لأن الإشارة لا تقع سوى على واقع منقلب أو حدث متألب"[12].

وجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أن "مصطلح الهيرمينوطيقا مصطلح قديم بدأ استخدامه في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس)"[13]. أي أن التأويل كفن وكمقاربة منهجية ارتبط في البداية بإشكالية القراءة لفهم الكتب اللاهوتية والنصوص الدينية المقدسة في مواجهة القراءة الدوغمائية والأحادية كسيطرة الكنيسة ورجال الدين آنذاك.

كذلك وفي هذا الإطار فإننا سنجد فلهالم دلتاي، وبتصوره الحديث لفن التأويل ما معناه: "ينبغي أن نفهم النصوص انطلاقا من النصوص نفسها وليس اعتبارا من المذهب الذي تنتمي إليه؛ بحيث لا يوجه المذهب النص وإنما يستقل هذا الأخير بحقيقته عن كل توجه سجنه ضمن إطاره الخاص، وعليه، فإن الفهم لا يستند في هذا الإطار على التفسير اللاهوتي في معالجة النصوص وإنما بالتطبيق المنهجي لقواعد التأويل من لغة ونحو ومنطق وترجمة وهو ما نسميه بالتأويل المطبق"[14].

وفضلا عن تلك القواعد المعتمدة في عملية قراءة النصوص وتأويلها، فإن هناك قواعد أخرى لا يمكن إغفالها مثل قراءة النص في إطار ظروفه التاريخية،

وأطره الاجتماعية. وبتطور المعرفة في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، فإن فن التأويل يكون قد اتسع كمفهوم "...في تطبيقاته الحديثة، وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعا شمل كافة العلوم الإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفولكلور"[15]. ويضيف، وفي هذا الصدد غدامير مفهومه للتأويل عندما يحدد طبيعة قراءة النصوص – وبأنها قراءة قصدية ومتجاوزة مما يريد أن يصل إليه المؤلف. "...لتصبح قراءة الآثار الفنية والنصوص لا تنصب فقط على رؤى ومقاصد المؤلف وإنما تقيم أيضا الأثر من خلال قدرته المعيارية ودوافعه التي تحفز الأفراد على إبداع أنماط حياتية جديدة، والانفتاح الحيوي على الأثر"[16].

وإذن وبهذا التصور فإنه يمكن القول أن التأويل هنا، هو قراءة على قراءة أخرى، أو بمعنى أكثر وضوحا تأويل على تأويل.

وهذا الشكل من التأويل هو الذي دفع قاتيمو إلى اعتبار الهيرمينوطيقا فكرا عدميا في علاقته بمفهوم الحقيقة.

وإذا كان مفهوم التأويلية أو الهيرمينوطيقا قد لعب دورا فاعلا في مجال قراءة وفهم النصوص الدينية المقدسة قديما، وكذلك النصوص في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية حديثا، وذلك في فضاء الثقافة الأوروبية الغربية، فإننا وفي نفس السياق سنحاول أن نتعرف على فعل التأويلية أو الهيرومينوطيقا داخل فضاء الثقافة العربية-الإسلامية.

وعليه، فإن نصر حامد أبو زيد هو الذي يرجع إليه الفضل –بحسب اعتقادنا- في مسألة الاجتهاد محاولا من خلال ذلك إعمال وبذل الجهد الفكري والثقافي والنظري والمنهجي في محاولة إخضاعه النصوص الدينية الإسلامية، والنصوص الأدبية في مجال النقد الأدبي، وكذا النصوص الفكرية والاجتماعية واللغوية، للقراءة الهيرمينوطيقية وآلية التأويل.

غير أن هذا المفكر يشير إلى مسألة العلاقة بين التأويلية أو الهيرمينوطيقا كقراءة منهجية والنصوص المشار إليها آنفا. خاصة النصوص الدينية في فضاء الثقافة العربية-الإسلامية، وبأنها علاقة متوترة، متنافرة، وشائكة، ويمكن تحديد ذلك في التالي:

"هناك في تراثنا القديم، وعلى مستوى تفسير النص الديني (القرآن) تلك التفرقة الحاسمة بين ما أطلق عليه "التفسير بالمأثور" وما أطلق عليه "تقسيير بالرأي" أو "التأويل" وذلك على أساس أن النوع الأول من التفسير يهدف إلى الوصول إلى معنى النص عن طريق تجميع الأدلة التاريخية واللغوية التي تساعد على فهم النص فهما "موضوعيا" أي كما فهمه المعاصرون لنزول هذا النص من خلال المعطيات اللغوية التي يتضمنها النص وتفهمها الجماعة. أما التفسير بالرأي أو "التأويل" فقد نظر إليه على أساس أنه تفسير "غير موضوعي"، لأن المفسر لا يبدأ من الحقائق التاريخية والمعطيات اللغوية، بل يبدأ بموقفه الراهن محاولا أن يجد في القرآن (النص) سندا لهذا الموقف، وقد أطلق على أصحاب الاتجاه الأول أهل السنة والسلف الصالح. ونظر إلى هذا الاتجاه –غالبا- نظرة إجلال واحترام وتقدير، بينما كانت النظرة إلى أصحاب الاتجاه الثاني –وهم الفلاسفة والمعتزلة والشيعة والمتصوفة- نظرة حذر وتوجس، وصلت في أحيان كثيرة إلى التكفير وحرق الكتب"[17].

إن النص السابق وما يحمل من الإشارة إلى الاتجاهين سالفي الذكر حول مسألة وطبيعة التأويل والتفسير للقضايا والإشكالات الدينية، لهو نص يفيد في معرفة الجذور التاريخية لهذا الاختلاف، وهذا الصراع الراهن، وتحديد طبيعة المشارب والمذاهب الدينية والفكرية.

وتجدر الإشارة إلى اعتبار هذا التقسيم، هو تقسيم تحكمه النزعة المذهبية، والصراع الإيديولوجي الحاد، وإن كان رهينا للفهم والتفسير والتأويل الديني-السياسي. ولما كان الأمر كذلك، فإن ذلك التصنيف هو الذي أدى لاحقا إلى اعتبار أن تيار أهل السنة والسلف الصالح إيديولوجيا هو الذي يحمل فكرة "التفسير الصحيح" للدين والإسلام، والنص القرآني، والحديث النبوي، وأقوال الصحابة...إلخ.

وكذا المسألة في تصور المذاهب الشيعية والصوفية.

وعليه، فإن الإشكالية هنا تكمن في اعتقاد كل مفسر أن أحقية التفسير فهم النص، وتأويل القرآن والسنة ترجع إلى فهمه هو وتفسيره هو وتأويله هو وفقط. وفي المقابل، فإن كل ما عداه هو تفسير ناقص، وتأويل مغرض، ولربما، بل أكيد

يمكن أن يكفر، ويصنف في قائمة الممنوع والمحظور. ولعل هذا ما يذكره نصر حامد أبو زيد في هذا السياق عندما يقول: "...إن التأويل هو الوجه الآخر للنص، وإذا كان مصطلح "التأويل" في الفكر الديني الرسمي قد تحول إلى مصطلح "مكروه" لحساب مصطلح "التفسير" فإن وراء مثل هذا التحويل محاولة مصادرة كل اتجاهات الفكر الديني "المعارضة سواء على مستوى الذات أم على مستوى الجدل الراهن في الثقافة"[18].

وهكذا فإن تفضيل التفسير –بالمعنى المشار إليه سلفا- وأولويته على حساب التأويل، والانتصار إلى تيار أهل السنة والجماعة، أو السلف الصالح، والسلفية الفكرية والحركية عموما، على غيرها من التيارات الأخرى أمر يؤدي –ضرورة- إلى الإقصاء، والتحيز والتمذهب والتخرب...إلخ.

وبالتالي الانخراط في صراع إيديولوجي تناحري لا نهائي، يؤدي بدوره إلى فعل العنف اللفظي المتبادل، والموقف المذهبي المتشدد، والخطاب المتطرف، وفي النهاية وبشكل حتمي إلى العنف المادي المسلح عند كل فرصة تسمح بذلك.

وبعيدا عن هذه المهاترات الإيديولوجية، والصراعات المذهبية، فإن هناك صورة يسردها علينا نصر حامد أبو زيد في شكل ما يجب أن تكون عليه إشكالية التفسير والتأويل، يقول: "...تكون عمليات التفسير والتأويل محكومة في الغالب بسياقين: أولهما السياق المعرفي الموضوعي الذي يكون ما يمكن أن نطلق عليه "الأفق المعرفي" للمفسر، وهو أفق ذاتي سوسيوتاريخي في نفس الوقت، والسياق الثاني هو سياق "النص" موضوع التأويل سواء كان النص هو القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف"[19].

لكن، وللأسف الشديد، فإن هناك ما يقابل هذه الصورة، صورة أخرى هي السائدة والمهيمنة، بل المسيطرة على حياتنا الفكرية والثقافية والدينية، وفي هذا المعنى والدلالة نجده يقول أيضا: "قامت الحركات السلفية في العالم الإسلامي على أساس أن الدين معطى جوهري ثابت المعنى، لا يقبل الاختلاف أو التعدد..." [20].

وهذا الفهم هو الذي يعتبره أركون ويسميه اصطلاحا "السياج الدوغمائي المغلق"، إنها النظرة الميتافيزيقية والأحادية التي تتسم بالانغلاق الفكري، والتصور

المطلق للإنسان، والهوية والمعنى والتاريخ بعيدا عن النسبية، وبعدي الزمان والمكان، والظروف الاجتماعية والتاريخية والسياسية...إلخ.

وفي هذ الصدد ولتوضيح الفكرة أكثر نجد أن مساهمة سمير أمين وهو يتحدث عن السياق ذاته حيث يقول: "...ترد "الهوية" المزعومة إلى بعدها الديني وتقتصر عليه، ويعتبر الدين عاملا فاصلا مطلقا يمنع المقارنة بين المجتمعات، فينكر تواجد بشر هو هو مهما اختلفت عقائده الدينية. إن العقل يفترض منطقا مخالفا: نبدأ بملاحظة ودراسة الواقع فنكشف أن ثمة تطورات حدثت فعلا هنا وهناك. ونكشف أن التأويلات الدينية نفسها صحبت هذه التطورات، ونستنتج من ذلك أن الأديان تتمتع بمرونة تسمح لها بهذا التكيف التاريخي"[21].

وبالنتيجة، لابد من الإشارة أو التنويه إلى أن إشكالية التأويل ترتبط ارتباطا وثيقا وعضويا وتاريخيا وقضية الاجتهاد التي مارسها المثقفون والمفكرون في الحضارة العربية الإسلامية، بينما بقي التفسير على ما هو عليه ومنذ زمن انحطاط وتراجع هذه الحضارة سمة من سمات "غلق باب الاجتهاد". وإن مورس وبشكل واسع من قبل كل تيارات الحركات الإسلاموية راهنا.

ب- إشكالية الاختلاف وشرعيته:

تشكل إشكالية ومسألة الاختلاف الوجه الآخر لإشكالية ومسألة التأويل التي تعرضنا لها سابقا، فاختلاف العقائد، والمذاهب، الملل، والآراء..هي نتيجة الاختلاف في التأويلات والقراءات الممكنة حول قضية من القضايا أو موضوع من الموضوعات، أو نص من النصوص.

و"هناك نوعان من الاختلاف: اختلاف داخل إطار إسلامي مثل اختلاف مذاهب الفقه والكلام فيما بينها، كل طرف مخالف هنا يتحرك داخل دائرة إسلامية، يحاول لخطابه أن يرتكز على شرعية فكرية دينية فيما يذهب إليه من آراء وفيما يتخذه من تأويلات"[22].

ونوع آخر من الاختلاف هو: "اختلاف مفكري الإسلام مع الأطراف المناقضة لهم، أي اختلاف بينهم وبين الذين هم خارج دائرة المعتقد المشترك"[23].

ولتوضيح المعنى والدلالة نقول إن مفهوم الاختلاف في فضاء الثقافة العربية-الإسلامية كان يتم على مستويين هما:

- مستوى أول كان يتم بين المفكرين والمثقفين والفقهاء والعلماء الذين ينتمون إلى نفس الفضاء الثقافي العربي-الإسلامي.
- ومستوى ثان كان يتم بين هؤلاء وغيرهم من المثقفين والعلماء الذين ينتمون إلى فضاء ثقافي آخر أساسه الاعتقاد المختلف.

وسواء كان الاختلاف من النوع الأول، أو من النوع الثاني، فإن كلاهما يدور حول الاختلاف الديني أساسا، رغم أن مظاهر وأشكال الاختلاف بين المجتمعات والأمم والشعوب والحضارات والقوميات...كثيرة كالاختلاف الثقافي واللغوي والتاريخي وحتى الجغرافي...إلخ.

ومرد الاختلاف، في حقيقة الأمر يعود إلى مسألتين أساسيتين هما:

- المسألة الأولى: وتعود إلى مسألة طبيعة مقاربة النص.
- المسألة الثانية: وتعود إلى مسألة تأويل النص.

ولما كانت القضية كذلك، وجب القول أن الاختلاف بين المذاهب والفرق والعلماء والمفكرين أمر طبيعي أن يكون هكذا، بل من الضروري أن يقع بينهم، لأن طبيعة الأشياء تفرض ذلك.

إن النص المقدس وإن فهم على أنه ذو طبيعة ثابتة، فإن الواقع متغير ومستجد ومتطور، وهذا معناه أن الاختلاف يصبح قضية شرعية طالما أن الأمر يعود في أصله إلى التأويل والقراءة المختلفة بحسب الظروف الاجتماعية والتاريخية والسياسية وكذلك الجغرافية والثقافية.

ف"الاختلاف حسب هذا القول أمر لابد وأن يقع حيثما وجد التعامل مع نص وخبر مقدسين، كلاهما يحمل ويتناول بلغة تتخذ سمة الإجمال والإشارة والرمز، فتتعدد التأويلات، ثم هناك قياس الوقائع المتجددة على النص الثابت المجمل العام، وكل هذا يؤدي إلى اختلاف في "القراءة"، فينتصب على رأس كل "قراءة" إمام يتحلق حوله أتباع؛ وهكذا تنشأ المذاهب وتختلف"[24].

غير أن الواقع قديما وحديثا ليس كذلك البتة، فالاختلاف في ظل فضاء الثقافة العربية-الإسلامية بقي منبوذا أو مرفوضا ومتهما بالانحراف والخروج والابتعاد عن جادة الطريق وطريق الاستقامة.

ولعل ما يثبت هذه الفكرة الخصومات والاتهامات المتبادلة والعنيفة بين الفرق والمذاهب والاتجاهات، واعتبار كل واحد منها هو وحده "الفرقة الناجية" "وأن خصومه ليسوا مجرد أناس قد اختلفوا معه كما اختلف هو بدوره معهم، بل هم المخالطون للنص، فلا حوار إذن"[25].

لكن هذا، الفهم أو هذا التوجه، لا يخرج عن كونه تداخلا بين استعمال سلطة النص المقدس، وسلطة صاحب التأويل والقراءة المختلفة، فالنص شيء وتأويله شيء آخر.

ولما كان الأمر هكذا في تصورنا واعتقادنا، فإننا نعتبر أن الحق في الاختلاف قضية مشروعة، لأنها تشكل حقا أساسيا من حقوق الإنسان، وأنها مسألة تعكس الجانب الطبيعي الذي يميز، وقد ميز تاريخ البشرية كله من حيث مظاهر الاختلاف في كل شيء.

غير أن القدماء من رجال الفقه والشريعة وعلم الكلام، فقد رفضوا الاختلاف الديني واعتبروه انحرافا وضلالا. وبقي الحال على ما هو عليه إلى اليوم وفي العصر الحديث أيضا، فإن الاختلاف سبيل إلى التفرقة، وإلى تشتيت أفكار الأمة، وإلى تجاوز تراث السلف الصالح.

وأمام هذه الوضعية المشار إليها آنفا سنعثر على أن هناك موقف في هذا الإطار يدعي امتلاك الحقيقة والتفسير "الصحيح" للنصوص، وأن كل من يخالفه في ذلك يدخل في دائرة البدعة والضلالة.

وهذا الموقف هو الذي يرفض كل حوار مخالفيه في الرأي، رغم أن الحوار هنا ضرورة ثقافية وحضارية ودينية بين كل الأطراف المختلفة. لكن..."هل يكون الحوار ممكنا...حين يعتبر طرف من الأطراف أن رأيه سلطة؟ هذا هو موقف المحتكرين للنطق باسم الدين منذ كانوا هؤلاء لا يرون أن ما يقولونه إنما هو "رأي في الدين"

ضمن آراء أخرى ممكنة، بل يقطعون بأن رأيهم هو الدين، فيتقمصون القداسة، والنطق باسمها، ويحيلون رأيهم إلى سلطة"[26].

وإذا كان النص السابق يشير إلى ماهي عليه الحالة الثقافية والفكرية، نقول فإن هذا هو الذي أدى في التاريخ القديم والحديث والمعاصر إلى ما يمكن أن نطلق عليه الصراع المذهبي، فعلى سبيل المثال لا الحصر، فلقد شهدت أفريقية التونسية صراعا مذهبيا عنيفا دام أربعة قرون تقريبا"[27]. وكان هذا نتيجة التعصب الفكري والديني والمذهبي والسياسي بين التيارات والفرق والاتجاهات والمذاهب...إلخ.

فلقد كانت "...محاولة الفاطميين فرض مذهبهم وإزالة كل ما عداه من المذاهب، وأثناء كل ذلك كان المالكية أصحاب المذهب الغالب، وأئمة الناس وزعمائهم ثابتين عاملين على فرض مذهبهم ونبذ كل ما عداه، فقاوموا الخوارج والطرقيين، وأرباب الاعتزال، والدعوة الفاطمية وأصحابها"[28]. ولم يكن هذا الصراع المذهبي والفكري والديني يقتصر على بلاد المشرق فحسب، بل كانت بلاد المغرب تعرفه هي أيضا، وقد شكلت الوجه الآخر لبلاد المشرق الإسلامي وما ظهر فيه من مذاهب وفرق وتيارات واتجاهات ونزعات فكرية ودينية وسياسية.

وجدير بالذكر الإشارة إلى أن هذا الصراع قد امتد في التاريخ إلى أن وصل إلينا اليوم، ويكفي أن ننظر إلى القنوات والفضائيات التلفزيونية لتسمع وتشاهد رجالا يقدمون خطابا كله دعوة إلى الصراع المذهبي والديني والسياسي، وكله رفض للآخر المختلف، معتمدين في ذلك النصوص السياسية مرة والنصوص الدينية مرات.

وأنظر كذلك إلى ما اصطلح على تسميتها جغرافيا وسياسيا بمنطقة الشرق الأوسط، وبلدان الخليج العربي، لنفهم ولنعرف أن الصراع هناك لا يبتعد كثيرا عن الصراع المذهبي والديني والسياسي بين المملكة العربية السعودية وحلفائها منتصرين للتيار السلفي الوهابي خاصة، والسني عامة، وإيران وحلفائها أيضا منتصرين للتيار الشيعي.

وأنظر كذلك إلى ما يحدث في العراق وسوريا، فإنه يدخل هو الآخر ضمن الصراع المذهبي والديني والسياسي بين المسلمين السن والمسلمين الشيعة. ولما كان والوضعية هكذا، فإننا قد وجدنا أنفسنا مدفوعين إلى طرح تساؤل أساسي، ومثير

للجدل هو: ما مفهوم التسامح؟ وإلى أي مدى يمكن العثور عليه في الثقافة العربية-الإسلامية".

وللإجابة على ذلك نقول: هو: "الاعتراف للفرد-المواطن بحقه في أن يعبر داخل الفضاء المدني عن كل الأفكار الدينية أو السياسية أو الفلسفية التي يريدها"[29].

والاعتراف هنا معناه ضد ونقيض العقاب أو السجن الذي قد يلحق الإنسان إذا كانت آراءه وأفكاره لا تقبل بها سلطة سياسية أو دينية أو قهر اجتماعي-ثقافي.

وللتسامح جذور تاريخية وأسباب جوهرية هي: "إن مفهوم "كوليرونس" هو وليد حركة الإصلاح الديني الأوروبي، وقد نشأ ليعبر عن تغير في الذهنية لإنتاج علاقة جديدة، وهي علاقة الاعتراف المتبادل بين القوى التي استمرت تتصارع طوال القرن السادس عشر، أي إبان الحروب الدينية الأوروبية، لقد حدث انشقاق داخل الدين الواحد، ثم حدث تجاوزه بالاعتراف بالحق في الاختلاف في الاعتقاد، ثم في حرية التفكير بوجه عام"[30].

وانطلاقا من هذا النص نفهم أن التسامح قد ارتبط بمفهوم الإصلاح الديني الذي شهدته أوروبا، وكذلك بصراع مجموع القوى الاجتماعية، والنخب الفكرية والسياسية والفلسفية والعلمية.

وبمعنى آخر، فإن التسامح كمفهوم نظري وفكري، وكفعل ممارستي هو وليد ثورة دينية، وثورة علمية، وثورة سياسية، وثورة فلسفية، وكلما ساهمت في عملية التغير الجذري للمجتمع الأوروبي والوصول به إلى غاية "قطع التدرج".

غير أنه، وفي المقابل وبكل أسف شديد، فإن "عالم الإسلام لا يزال يعاني من انعدام التسامح بالمعنى الحديث للكلمة، وما النقاشات العنيفة والمتكررة غالبا والدائرة حول مفهوم التجديف أو الكفر، أو انتهاك المقدسات، إلا أكبر دليل على ذلك..."[31].

وفي هذا، أنظر ماذا حدث لكثير من الكتب الفكرية، والأدبية، والفلسفية، وبعض الروايات والأفلام والمسرحيات...وهلم جرا.

فلقد حوكم طه حسين بعد صدور كتابه من الشعر الجاهلي، كما حوكم أيضا علي عبد الرازق بعد صدور كتابه الإسلام وأصول الحكم، وحوكم كذلك جلال صادق العظم على كتابه نقد الفكر الديني.

دون أن ننسى حيدر حيدر وروايته وليمة أعشاب البحر والضجة التي أثارتها آنذاك ونجيب محفوظ وروايته أولاد حارتنا والتي اتهم من خلالها بالكفر من قبل مشايخ جامع الأزهر...وهكذا.

وعليه، فإن "...ممارسة التسامح بشكل فعال وإيجابي ومسؤول عقليا يتطلب أولا تحقيق شرطين أساسيين: وجود دولة الحق والقانون، ووجود مجتمع مدني متماسك"[32].

لكن تحقيق هذين الشرطين ليسا بالأمر السهل أو الهين كما يعتقد، ذلك أن هذه العملية لا يمكن أن تتم بين عشية وضحاها.

والمعضلة الكبرى، هو أنه "لايزال أمام المجتمعات العربية أو الإسلامية مسار طويل لكي تقطعه قبل أن تصل إلى دولة الحق والقانون وتشكيل نسيج المجتمع المدني عن طريق تحقيق المساواة الفعلية –وليس فقط النظرية- بين جميع المواطنين دون استثناء"[33].

ولتحقيق ذلك وجب على كبار المثقفين والباحثين والمفكرين بذل جهود كبيرة ومتواصلة وحقيقية حتى تتمكن من الخروج من هذا المأزق والانسداد التاريخي الذي يعيشه العالم العربي-الإسلامي، وتعانيه الثقافة العربية- الإسلامية.

إن الوعي التاريخي يجعلنا ندرك المسافة بيننا وبين الغرب الأوروبي، لأن الغرب يقطع المسافة بخطى متسارعة وعملاقة، لذلك، "وفي الوقت الذي يتجاوز فيه العقل الأوروبي مرحلة الحداثة إلى ما بعد الحداثة، نجد العقل الأصولي المهيمن لا يزال مصرا على العودة بالمسلمين، كل المسلمين إلى الوراء. وهكذا، وبدلا من أن يساعد المسلمين على تدارك تأخرهم التاريخي واللحاق بركب الأمم المتحضرة، نجده، يلجم هذا التطور ويوقفه عند حده"[34].

وبعد، فلقد وجب هنا الحديث عن إشكالية الجهاد كمظهر من مظاهر مأزق خطاب الإسلام السياسي وذلك لتتضح الصورة، ويتم الفهم، فهما معرفيا وموضوعيا.

ج- إشكالية الجهاد:

سأحاول الوقوف، ومن خلال هذا البحث على إشكالية الجهاد، وما شكلته كموضوع أثار جدلا كبيرا وعميقا، ونقاشا حادا، وسجالا طويلا بين المثقفين، والمفكرين، والمهتمين بالفكر الإسلامي في قديما وحديثا، والمؤدلجين في مجال خطاب الإسلام السياسي، والباحثين في مجال علم الاجتماع السياسة، وعلم الاجتماع الأديان...إلخ.

ولكن، وبهذا الخصوص، سأتناول المسألة من زاوية محددة أقارن من خلالها بين مطارحتين، واحدة منها تقدم قراءة معينة لإشكالية الجهاد، والأخرى تقدم قراءة مختلفة ومتناقضة للقراءة الأولى. وذلك لنتمكن من فهم إشكالية التأويل كآلية وكقراءة للنصوص الدينية من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وعليه سأعتمد في ذلك "البيان" أو المرجع الذي كتبه أبو الأعلى المودودي في هذا الإطار والموسوم بـ: "الجهاد في سبيل الله، كما سأعتمد أيضا "البيان" أو المرجع الذي كتبه سيد قطب، والمعنون بـ: معالم في الطريق، من جهة كممثلين للقراءة الأولى المشار إليها أعلاه.

وفي المقابل والاتجاه المعاكس سأقدم موقف محمد سعيد رمضان البوطي، من خلال كتابه الشهير والمثير للجدل، الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ وكذلك كتاب فهمي هويدي تحت عنوان: مواطنون لا ذميون. كممثلين للقراءة الثانية من جهة أخرى.

وبهذا سنقف وبوضوح على المطارحتين، وعلى القراءتين، وبالتالي التأويليين، وذلك في ضوء الفهم المعرفي-الموضوعي للإشكالية المطروحة.

- الجهاد في خطاب أبو الأعلى المودودي:

يتعلق المودودي في تحديده لحقيقة الجهاد من فكرة أساسية مفادها: "...الحقيقة أن الإسلام ليس بنحلة كالنحل الرائجة وأن المسلمين ليسوا بأمة كأمم العالم، بل الأمر أن الإسلام فكرة انقلابية ومنهاج انقلابي يريد أن يهدم نظام

العالم الاجتماعي بأسره ويأتي بنيانه من القواعد ويؤسس بنيانه من جديد حسب فكرته ومنهاجه العملي"[35].

ويفهم من النص السابق وبكل جلاء ووضوح، أن المودودي يعتبر أن الإسلام منوط بعملية التعبير الشاملة، والجذرية لكل البناء الاجتماعي، بعد هدمه بالقوة، واستبداله ببناء اجتماعي جديد، هو الدولة الإسلامية، والمجتمع الإسلامي في منظور المودودي، وتتعلق عملية التغير تلك بالكفاح الانقلابي كوسيلة أساسية بغية الوصول إلى الهدف أو المبتغى.

"فالجهاد كلمة جامعة تشتمل جميع أنواع السعي وبذل الجهد، وإذا عرفت هذا فلا يعجبك إذا قلت: إن تغيير وجهات أنظار الناس وتبديل ميولهم ونزعاتهم وأحداث انقلاب عقلي وفكري بواسطة مرهفات الأقلام نوع من أنواع "الجهاد" كما أن الفضاء على نظم الحياة العنيفة الجائرة نجد السيوف وتأسيس نظام جديد على قواعد العدل والنصفة أيضا من أصناف الجهاد، وكذلك بذل الأموال وتحمل المشاق ومكابدة الشدائد أيضا فصول وأبواب مهمة من كتاب "الجهاد" العظيم"[36].

وهنا يقسم المودودي الجهاد إلى ثلاث أنواع أساسية هي:

-الجهاد بالعلم- والجهاد بالسيف، والجهاد بالمال، وكلها وسائل ضرورية يسعى الإسلام من خلالها الوصول إلى الهدف الذي جاء من أجله الجهاد، خاصة الجهاد بالسيف. وهو الانقلاب الجذري والهدم الشامل للمجتمع سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وفكريا، وأحداث تجديد لبنياته وقواعده.

وبطبيعة الحال، فإنه لا يمكن أن يتم أو ينجز إلا بمفعول فكرة الجهاد وفهمها ثم القيام بممارستها، وهذا بحسب ما يراه المودودي، وما فهمه من تلك النصوص الدينية التي تدل على ذلك، وما استطاع أن يؤوله في هذا الصدد.

وعليه، فإن الجهاد وبهذا المعنى والدلالة، هو ضرورة دينية وإسلامية، وفريضة واجبة على كل مسلم، فردا كان أو جماعة.

يقول المودودي ما يلي: "...إن الذي لا يلبي نداء الجهاد ولا يجاهد بماله ونفسه في سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة الدين الذي ارتضاه لنفسه وتوطيد نظام الحكم

المبني على قواعده، فهو في عداد الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم، فهو في ريبهم يترددون، وهذا هو المقياس الذي يقاس به صدق المرء في عقيدته وإخلاصه لها"[37].

وفي نفس السياق، وليس بعيدا عن هذا الطرح والتوجه نجد سيد قطب يقدم خطايا إيديولوجيا، يحاول من خلاله تحديد المهمة الأساسية والجوهرية التي يجب أن تقوم بها الحركة الإسلامية ضد الأنظمة السياسية العربية-الإسلامية القائمة، وذلك بالمقاومة الفكرية-الإيديولوجية من جهة، والمقاومة المسلحة (الجهاد) من جهة ثانية، وهذا قصد إقامة الدولة الإسلامية مخلصة البشرية والأمة الإسلامية من الضلالة والطاغوت.

يقول: "...تواجه الحركة الإسلامية هذا الواقع كله بما يكافئه..تواجهه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات، وتواجهه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها، تلك التي تحول بين جمهرة الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات، وتخضعهم بالقهر والتضليل وتعبدهم لغير ربهم الجليل..." [38].

ثم أنه يربط بين الإسلام كدين وكرسالة والجهاد كمفهوم وكممارسة من أجل هدف أسمى أرادته الإرادة الإلهية ونفذته إرادة نبوية.

وفي هذا الاتجاه يقول: "إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة "الإسلام" ذاته ودوره في هذه الأرض، وأهدافه العليا التي قررها الله، وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة، وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات"[39].

وفي البحث عما يبرر مفهوم الجهاد، وفعل القيام به، يقدم سيد قطب نصا من القرآن الكريم مفاده. "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله..." [40].

ولما كان سيد قطب يعتبر أن الجهاد ضرورة دينية وإسلامية إلزامية على المسلمين جميعا، فإنه يرفض أن يكون الجهاد أمرا عارضا ومؤقتا يرتبط ويتعلق بمسألة "الدفاع" أي دفاع المسلمين عن حدودهم ومصالحهم وأرضهم...إلخ. بل

يؤكد –وفي هذا الإطار- على رفض فكرة "الدفاع" واعتبارها تبريرا لضعف المسلمين وكسر شوكتهم، وارتباطهم أيضا بالفهم الاستشراقي الغربي-الأوروبي. لذلك نجده يعتمد تفسير وفهم وتأويل الآيات القرآنية التالية كمبرر قوي وفاعل في مسألة ضرورة الجهاد عند المسلمين، يقول: "فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما..." [41].

"...وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله..." [42].

"قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون".. [43].

ولمغادرة هذه النقطة هنا تجدر الإشارة أو الملاحظة إلى تبيان علامتين في حق خطاب أبو الأعلى المودودي، وخطاب سيد قطب.

1- إن من يعود إلى النصوص المعتمدة من قبلها بخصوص إشكالية الجهاد يكتشف أنها يقدمان النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية دون الاستناد أو ذكر أسباب النزول، أو الظروف السوسيولوجية والتاريخية والسياسية والحربية، ولربما حتى النفسية التي تتعلق وترتبط بهذه النصوص، وهذه الأحاديث، فالقراءة العلمية والتأويل المعرفي...يدفعان بالضرورة إلى القول أن النص –أي نص- لابد وأن يقرأ داخل إطاره الزماني والمكاني، وأن تأخذ بعين الاعتبار ظروفه الموضوعية وأسبابه التاريخية التي أنتجته، أو التي جاء في سياقها وإطارها.

2- إن المودودي وقطب لا يعتمدان في كتابتهما على أي مرجع أو مصدر معرفي ككتب التاريخ الإسلامي الكلاسيكية والحديثة، ومصادر العلوم الإسلامية ومراجع الفكر، وهذا ما يجعلني أرجح فرضية سيطرة الطرح الإيديولوجي على حساب الإسلامي مثلا الطرح المعرفي-الموضوعي، ولعل اعتمادها التنظير والأدلجة لصالح خطاب الإسلام السياسي، والحركة الإسلاموية في الباكستان ومصر، وفي كل العالم العربي-الإسلامي سبب في ذلك.

هذا ما يتعلق بالقراءة الأولى التي أشرنا إليها أعلاه.

وأما بالنسبة للقراءة الثانية فسنحاول الحديث عن ماورد في خطاب ونصوص محمد سعيد رمضان البوطي، وفهمي هويدي. ولنبدأ بمطارحة محمد سعيد رمضان البوطي، والتي نختار منها سؤالا إشكاليا في غاية الأهمية، هذا السؤال يقول: هل الجهاد القتالي لدرء الحرابة أم للقضاء على الكفر؟

وللإجابة على هذا السؤال يقول محمد سعيد رمضان البوطي مايلي: "ذهب الجمهور، وهم الحنفية والمالكية والحنابلة، إلى أن علة الجهاد القتالي هي درء الحرابة، وذهب الشافعي في الأظهر من قوليه إلى أن العلة هي الكفر، وهو مذهب ابن حزم أيضا"[44].

ويتبين من خلال هذا النص أن العلماء والمفكرين والفقهاء الكلاسيكيون قد انقسموا إلى تيارين أساسيين، تيار يعتبر أن الجهاد حرب مقدسة ضد الخارجين عن القانون، وصد عدوانهم، وتيار آخر قد اعتبر أن الجهاد دلالة على الفضاء على الكفر، أي أن الإسلام يحارب الذين لا يدخلون فيه ويغيرهم كفارا خارجين عن الملة والعقيدة والدين.

وقد اعتمد لكل اتجاه مجموعة من الأدلة من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، فبالنسبة للاتجاه الأول أو التيار الأول، أي الذي اعتبر أن الجهاد هو درء للحرابة راح يقدم الأدلة من القرآن الكريم كالتالي:

1- "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين"[45].

2- "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن نبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين، وأخرجوكم من دياركم، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون"[46].

وفي هذا المعنى والدلالة آيات ونصوص كثيرة، غير أننا سنكتفي بهذين النصين، وتعليقا عليهما طلبا للفهم والتوضيح يقول البوطي: "هذه الآيات (الآيتان) صريحة الدلالة على أن علة الجهاد القتالي للكافرين هي الحرابة... ومن ثم فهي الحجة الأولى لمذهب الجمهور"[47].

غير أن الاتجاه أو التيار الثاني، وعلى العكس من الاتجاه الأول فلقد قدم أدلة وبراهين يثبت من خلالها أحقية الجهاد تكمن في محاربة الكفار أساسا.

وقد اعتمد في هذا نصوصا من القرآن الكريم نشير منها إلى نصين فحسب.

1-"فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فإن نابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم"[48].

2- "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق، من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون"[49].

ويعلق في هذا الصدد البوطي على أصحاب هذا الاتجاه أو المذهب وبحسب اعتقادهم وتصورهم كما يلي:

"...إن كلا من الآيتين الأولى والثانية دل على أن مناط وجوب قتل الكافرين هو الكفر لا الحرابة، بدليل أنه جعل غاية هذا الحكم الإيمان والتوبة، كما دلت الآية الأولى، أو الخضوع للجزية كما دلت الآية الثانية"[50].

وبعد قراءة وتأويل ومناقشة وترجيح يخلص محمد سعيد رمضان البوطي إلى موقف صريح وواضح من الاتجاهين المتصارعين والمتناقضين متبينا لموقف الجمهور ومنتصرا لأدلتهم من القرآن والسنة.

وفي هذا المضمار يقول: "إذا(..) عدنا إلى الأدلة التي اعتمد عليها الجمهور من القرآن والسنة، فتأملنا فيها مرة أخرى علمنا أن الحق ما ذهب إليه الجمهور من أن الكفر يعالج بالدعوة والتبليغ والحوار، وأن الحرابة تعالج بالقتال. وما من آية نزلت في الجهاد القتالي إلا وترى فيها أو في الآيات التي تحيط بها من قبل أو من بعد، ما يبرز هذه العلة للقتال ألا وهي الحرابة أو القصد والتوثب للحرابة والقتال. سواء كانت مما نزل في أول عهد المسلمين بالهجرة إلى المدينة، أو في آخر حياة رسول الله وآخر عهد المسلمين بها"[51].

وعلق على منظور وتصور الشافعي عندما قال الآتي: "وأغلب الظن أنه لو امتد الأجل بالإمام الشافعي رضي الله عنه لصوب رأيه الآخر الذي نقله عنه أصحابه ووافق فيه الجمهور، وأركن مطمئنا إليه"[52].

وأما عن ابن حزم وأصحابه من الظاهرية، فلقد قال عنهم ما يلي: "...إن شأنهم من الجمود العنادي عند ظواهر ما يروق لهم من النصوص في الأحكام الفقهية،

كشأن الخوارج من جمودهم العتادي عندما يروق لهم من النصوص في المبادئ الاعتقادية. ومن ثم فإن النقاش لا يجدي مع أي من الفريقين"[53].

وهكذا، ومما سبق فإن محمد سعيد رمضان البوطي، ومن خلال النصوص المعتمدة أعلاه، يكون قد حسم رأيه في مسألة طبيعة الجهاد، خاصة إذا لاحظنا أنه قد قارن بين الكفر والحرابة، واعتبر أن الأول أهون من الثانية، وذلك عندما قال إن الكفر يعالج بالدعوة والتبليغ، وأن الحرابة تعالج بالقتال، ثم قارن مرة أخرى بين الظاهرية والخوارج، ووضعهما في ميزان واحد عندما ربط بينهما في نقطة مشتركة تمثلت في الفهم العنادي للقضايا، وجمود الفكر للمسائل.

وحسب السياق ذاته، وبنفس القراءة والتفسير والتأويل، فإن محمد سعيد رمضان البوطي يعرض علينا حديثا نبويا، هو محل جدال ونقاش وإثارة للاختلاف والخلاف بين المفكرين والعلماء والفقهاء، وكذلك الحركات الإسلاموية ودعاة الإسلام السياسي.

والحديث هنا هو: "عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله"[54].

وترتبط قراءة محمد سعيد رمضان البوطي وتأويله للحديث المشار إليه أعلاه بالمعنى الدلالي لكلمة (أقاتل) فهي هنا تختلف اختلافا جوهريا عن كلمة (أقتل) فالمعنى الأول يفيد رد الفعل وصد العدوان، وأما المعنى الثاني فيفيد الهجوم وفعل القتل والعدوان والحرابة وإعلان الحرب.

وفي هذا الصدد يقول: "لقد كان الحديث مشكلا حقا لو كان نصه هكذا: (أمرت أن أقتل الناس حتى..) إذ هو يتناقض عندئذ مع سائر الآيات والأحاديث الكثيرة الأخرى الدالة على النهي عن القسم والإكراه"[55].

ويضيف تأكيدا على ما يريد أن يصل إليه من معنى ودلالة الحديث بعيدا عن التأويل الذي يفيد معنى الجهاد أو الحرب المقدسة ضد الآخر، سواء كان داخل الفضاء العربي-الإسلامي أو خارجه.

ولذلك يشرح ويفسر ويؤول كالتالي: "وبيان ذلك أن حكمه (أقاتل) على وزن أفاعل لكل على المشاركة، فهي لا تصدق إلا تعبيرا عن مقاومة من طرفين، بل هي لا تصدق إلا تعبيرا عن مقاومة لبادئ سبق إلى قصد القتل، فالمقاوم للبادئ هو الذي يسمى مقاتلا. أما البادئ فهو أبعد ما يكون عن أن يسمي مقاتلا، بل هو في الحقيقة يسمى قاتلا بالتوجه والهجوم أو بالفعل والتنفيذ، إذ لا ينشأ معنى الاشتراك إلا لدى نهوض الثاني للمقاومة والدفاع"[56].

وأما فهمي هويدي، فمن جهته وقراءته للنصوص الدينية والقيام بتأويلها فلقد قدم هو الآخر حديث (أمرت أن أقاتل الناس...) موضحا موقفه من ذلك على الوجه التالي:

إن هذا الحديث "إذا فهم باعتباره دعوة إلى قتال كل أهل الأرض حتى ينطقوا بالشهادتين، فإن ذلك يعد ظلما للإسلام ما بعده ظلم، فضلا عن أن ذلك المعنى يهدم كل الدعائم التي أقامها القرآن ليؤسس تلك الجسور مع غير المسلمين.

وحقيقة الأمر أن المعطي بالناس هنا ليس كل البشر، وإنما هو جماعة من البشر..." [57].

أي قريش الذين كانوا يريدون، وبكل الطرق، وبكل قوة، الوقوف في وجه الرسالة الجديدة والدعوة المحمدية، والذين يجب فهم الجهاد بالمعنى الدلالي المشار إليه آنفا (أمرت أن أقاتل الناس...)، فقريش أو الناس هنا هم الفئة الباغية، والبادئة بالظلم والعدوان وإعلان الحرب.

ويشير فهمي هويدي أخيرا إلى صلب وجوهر المشكلة المطروحة بهذا الخصوص عندما قال: "...أن بعض الدعاة الإسلاميين في زماننا هذا تبنوا موقفا متشددا (...) اعتمد بالدرجة الأولى على تأويل نصوص الكتاب والسنة وتلك الاجتهادات الفقهية غير المنصفة"[58].

وبالفعل فإن ما نعيشه اليوم من صراعات، وحروب بين اتجاهات، وتيارات وأحزاب، ومذاهب، وطوائف...إلخ مرده أساسا إلى الخلاف في القراءة وإشكالياتها، والتأويل وآلياته، خاصة إذا تعلق الأمر بالنصوص الدينية المقدسة.

خاتمة:

لقد حاولت من خلال هذه الدراسة الوقوف على ما يمكن أن يشكل مظاهر وأسباب مأزق خطاب الإسلام السياسي، كما مر معنا أعلاه.

لذلك –ركزت- وفي هذا المقام- على ما اعتقده مقاربة منهجية تسمح بفهم وكشف محتوى النصوص المستخدمة في هذا العمل.

كما وأن هذه الدراسة أشارت وبكل وضوح إلى طبيعة مأزق خطاب الإسلام السياسي المعاصر من خلال تلك الطروحات التي تعلقت بإشكالية التأويل في الثقافة العربية الإسلامية التي تسمح بتعدد قراءات النصوص الدينية أو غيرها قراءات مختلفة ومتنوعة، وإن كانت متناقضة ومتصارعة.

وهنا لابد من التأكيد على الالتفات إلى ما يمكن أن نطلق عليه القراءة الثانية، التي لا يسلم منها أي نص، ومهما كانت طبيعته.

فمعنى النص القطعي المتداول والبعد الأحادي مسألة أصبحت في باب إعادة النظر لهذا التصور وهذا الزعم.

وعليه فـ:" كل تأويل، وإن ادعى تقمص النص الأولى ومعناه القطعي لا يتكلم أبدا عن الشيء نفسه بل عن الشيء وفي دوائره الدلالية المحتملة. كل تأويل قام على زعم قطعي إن هو إذن إلا اقتطاع أو فعل تحويل يمليه أو يدفع إليه التاريخ كنص مفتوح على الضرورة والمصلحة الوقتية، وعلى التخيلات والعقلنات الإيديولوجية"[59].

وأما ما يتعلق بإشكالية الاختلاف وشرعيته في الثقافية العربية-الإسلامية، فإن خطاب الإسلام السياسي، والمد السلفي-الوهابي، ومن خلال عرض مضمون فكرهما وإيديولوجيتهما، يتضح ذلك عندما نقف على هذا المعنى الذي أشار إليها سمير أمين، وعلى لسانهم وفي تصورهم عندما قال: "إن هناك "تراثا" عربيا إسلاميا يمكن الحديث عنه بصيغة المفرد، أي بعبارة أخرى، إن هناك فكرا عربيا إسلاميا موحدا"[60].

وهذا غير صحيح عندما تقرأ الواقع الاجتماعي والتاريخي والحضاري، وحتى الجغرافي للشعوب والأمم، وكذلك عندما يتبين لنا المعطى الثقافي والفكري الذي أشارت إليه كثير من الدراسات الأنتروبولوجية والسوسيولوجية. لذلك نقول هنا

أن الحقيقة هي الاختلاف، وضرورة شرعيته المرتبطة بحقيقة تاريخ الإنسانية جمعاء.

وأما ما ارتبط بإشكالية الجهاد في الإسلام، فلقد فهمنا من خلالها أن القضية أو المسألة تتعلق أساسا بطبيعة القراءة ومضمون التأويل للنصوص الدينية التي أشارت إلى هذا، سواء من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي.

وكان من الضروري الإشارة إلى تيارين أو اتجاهين متناقضين ومختلفين في القراءة والتأويل، ليتبين من خلال ذلك أهمية وفاعلية التأويل لكل منهما.

وبهذا يصبح التأويل لدى أصحاب اعتماد النص القطعي متجاوزا إلى اعتماد النص النسبي والقراءة الثانية للنصوص الدينية وغيرها.

فلقد عثرنا، وفي هذا الصدد على نص قد اعتمده محمد سعيد العشماوي، عندما ركز على أن الجهاد في حقيقته ومضمونه، جهاد أصغر، وجهاد أكبر، وأن الأول هو الذي يفيد دلالة القتال، وأن الثاني يفيد دلالة ضبط النفس ومجاهدتها. يقول "...إثر انتصار المؤمنين في معركة بدر، وعند عودة النبي محمد إلى المدينة قال لهم "عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر" يقصد بذلك أن الحرب مع العدو مهما اشتدت وغلظ أمرها وعلا أوارها -هي جهاد صغير لا يقاس بالجهاد الأكبر- ألا وهو مجاهدة النفس على الشدائد ومكايدة الذات على المكاره فالحرب مع العدو –ولو أدت إلى الاستشهاد أو العجز- هي جهاد أصغر؛ أما الجهاد الأكبر فهو فصل النفس عن الدنيا، ورفع الروح إلى أعلى الذرا وتصفية الذات من كدر العيش وعكر العلاقات، والتسامي بالخلق إلى معاني العفو والبذل والعطاء، وتنقية الضمير حيث يصبح شفيفا رهيفا عفيفا"[61].

وفي الأخير وفضلا عما تقدم لابد من الإشارة إلى بعض العلامات والدلالات التي تميز وبشكل أكثر وضوحا طبيعة مأزق خطاب الإسلام السياسي والتي يمكن أن تتخلص في الآتي:

1- إن من يعود ويقرأ مرجعيات خطاب الإسلام السياسي عامة، وخطاب السلفية الوهابية، فإنه سيكتشف أن هذه المرجعيات تشير إلى تفسير أو تأويل يعتبر "صحيحا" و"أصيلا" عن بقية التفاسير أو التأويلات الأخرى.

2- وجب على كل ممارسات للنشاط الفكري والمجتمعي الالتزام بمطارحة تيار الإسلام السياسي-السلفي الوهابي.

3- إن مشاكل هذا العصر لا تحل إلا بالعودة إلى هذا الفكر الذي كان له الفضل في حل مشاكل المجتمع الإسلامي الأول.

4- إن هذا الفكر هو أفضل فكر للإنسانية جمعاء.

5- إن العودة لهذا الفكر هي الشرط الضروري والكافي لاستعادة مجد العرب والمسلمين.

وبعد، ترى فهل تجاوز المأزق، أو الخروج منه أمر ممكن؟

يمكن ذلك، ولكن بإحداث ثورة ثقافية وفكرية أصيلة وجذرية، على مستوى الحياة السياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية.

الهوامش

1. فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص163-164.
2. هذا النص ذكره: لويس مارتيناز، الحرب الأهلية في الجزائر، ترجمة محمد يحتاتن، منشورات مدى، الجزائر، ص17.
3. علي الكنزن حول الأزمة، 5 دراسات حول الجزائر والعالم العربي، الدراسة (1) الإسلام والهوية، دار بوشان للنشر، الجزائر، 1990، ص65.
4. فرانسوا يورجا، الإسلام السياسي صوت الجنوب، ترجمة لورين زكري، تانسيفت، دار العالم الثالث، 1994، ص83.
5. نفس المرجع السابق، ص84.
6. Olivier Roy, Les islamologues ont-ils inventé l'islamisme, Dossier: A la recherche du monde musulman. Esprit. Aout, Spet, 2001, N°227, p118.
7. Ibid, P118.
8. محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم) ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2004، ص73.
9. نفس المرجع السابق، ص73.
10. Olivier Roy. Op.cit, p119.
11. جيان قاليمو، فيما وراء التأويل، دلالة الهيرمينوطيقا بالنسبة إلى الفلسفة، منشورات دوبوك الجامعية، باريس، بروكسل، 1977، ص14. ذكره محمد شوقي الزين في تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب: بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2002، ص18.
12. محمد شرفي الزين، نفس المرجع السابق، ص19.
13. نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب: بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، 2001، ص13.
14. محمد شرفي الزين، مرجع سبق ذكره، ص30-31.
15. نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص13.
16. محمد شوقي الزين، مرجع سابق ذكره، ص38.
17. نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص14-15.
    - أنظر في هذا الكتاب مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، وكتاب إشكاليات القراءة وآليات التأويل، وكتاب الخطاب والتأويل مثلا.
18. نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب: بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، 2008، ص219.
19. نصر حامد أبو زيد، الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب: بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2005، ص187.
20. نفس المرجع السابق، ص189.
21. سمير أمين، التمركز الأوروبي، نحو نظرية للثقافة، سلسلة صاد موفم للنشر، 1992، ص149.

22. علي أومليل، في شرعية الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب: بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2005، ص17.
23. نفس المرجع السابق، ص5.
24. نفس المرجع السابق، ص 83.
25. نفس المرجع السابق، ص84.
26. نفس المرجع السابق، ص145.
27. عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975، ص5.
28. نفس المرجع السابق، ص 240
29. محمد أركون، مرجع سابق ذكره، ص243.
30. علي أومليل، الإصلاحية العربية والدولة الوطنية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2005، ص104-105.
31. محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، مرجع سابق ذكره، ص244-245.
32. نفس المرجع السابق، ص 245.
33. نفس المرجع السابق، ص 252.
34. نفس المرجع السابق، ص 260.
35. أبو الأعلى المودودي، الجهاد في سبيل الله، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، بدون تاريخ، ص10.
36. نفس المرجع السابق، ص 13.
37. نفس المرجع السابق، ص 34.
38. سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، دار الثقافة، لبنان، بيروت، 1980، ص64.
39. نفس المرجع السابق، ص 66.
40. القرآن الكريم، الحج: 39-40
41. القرآن الكريم، النساء: 74-76.
42. القرآن الكريم، الأنفال: 38-40.
43. القرآن الكريم، التوبة: 29-32.
44. محمد سعيد رمضان البوطي، الجهاد في الإسلام: كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، 1993، ص94.
45. القرآن الكريم، البقرة: 2-190.
46. القرآن الكريم، الممتحنة: 60- 8 و9.
47. محمد سعيد رمضان البوطي، مرجع سابق ذكره، ص95.
48. القرآن الكريم، التوبة: 9-5.
49. القرآن الكريم، التوبة: 9-29.
50. محمد سعيد رمضان البوطي، مرجع سابق ذكره، ص96-97.
51. نفس المرجع السابق، ص 106.
52. نفس المرجع السابق، ص107.
53. نفس المرجع السابق، ص 107.
54. نفس المرجع السابق، ص 52.
55. نفس المرجع السابق، ص 58-59.
56. نفس المرجع السابق، ص 59
57. فهمي هويدي، مواطنون لاذميون...دار الشروق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1985، ص261.
58. نفس المرجع السابق، ص 08.
59. سالم حميش، حول طبائع النص القطعي في الإسلام، في دراسات عربية، العدد 2، السنة الرابعة والعشرون، كانون الأول، ديسمبر، 1978، ص31.
60. سمير أمين، التمركز الأوروبي: نحو نظرية للثقافة، مرجع سابق ذكره، ص150.
61. محمد سعيد العشماوي، الإسلام السياسي، موفم للنشر، سلسلة صاد، الجزائر، 1990، ص122.

المستخلصات

كتابات حول تمرد "شيز وويسكي"
خلال الجمهورية الأمريكية المبكرة: انتفاضة المزارعين

نورية علاوة
جامعة حسيبة بن بوعلي/ الشلف

لطالما عرفت ظاهرة احتجاج الفلاحين (المزارعين الريفيين) في أمريكا الشمالية الاستعمارية، بل واستمرت لسنوات عقب الثورة وبطريقة منتظمة، مستقطبة اهتمام الباحثين والمؤرخين الذين ركزوا انتباههم خاصة على آخر حركتين ثورتين، تمثلتا في تمرد شيز وويسكي، في محاولة لتفسير وفهم تلك الحركات التي عقبت شكاوي المزارعين في إطار سياسي مهم من صنع الأمة. وفي هذا الإطار، فقد حصدت أعمال ديفيد ستزامري وتوماس سلاوتر التي نشرت في سنوات الثمانينيات، مكانة هامة في حقل الدراسات الخاصة بالاحتجاجات في المناطق الريفية. وعليه، فكيف تطورت دراسات تمرد شيز وويسكي منذ ذلك الحين؟ في الوقت الذي اختلف فيه المؤرخون حول أسباب وتنظيم احتجاج أقلية من المزارعين، حيث تميل الأغلبية إلى نفي هذه الحركات عن تاريخ وخلفية الدولة أو السياق الحدودي.

ومن هنا انبثقت الأهمية السياسية لصغار المزارعين في بناء الدولة الجديدة. ولا تزال قضية خلافية بين المؤرخين حول تمرد شيز وويسكي في مدى مشاركة المزارعين في السوق. فهاتان الحركتان تتطلبان تحليلا في إطار اقتصادي واجتماعي أوسع، وأكثر ديناميكية من أجل التوصل إلى فهم أفضل لمساهمتها في تنمية الديمقراطية في الجمهورية المبكرة.

دور الأجهزة السمعية في تطوير مهارات التحدث

أ.ة نشوى كلكولة
جامعة وهران2

إن الاتصالات تلعب دورا مهما في تعلم المهارات الشفهية بالنسبة للمتعلمين وبشكل خاص طلاب السنة الثانية ليسانس، فالسمع هو من أصعب التقنيات في القدرة على التحكم في مهارة التعلم، بالإضافة لأهميته عند المتعلم الذي يتلقى تعليمات حول اللغة. إن أغلبية الطلاب يسعون إلى التحدث لغة بطلاقة ولكنهم يواجهون عدة صعوبات في الإلقاء مما يخلق نوعا من التحدي للأساتذة.

لإرضاء طلابهم وتمكينهم من التحدث بطلاقة يتبع المختصون إحدى الطرق المستعملة لرفع التحدي وهي استعمال بعض الأجهزة السمعية في الحصص التعليمية، وتحاول هذه الدراسة التركيز على أهمية استعمال هده الاجهزة لتعلم الطلاب مهارة التحدث وتأكيد وجهة نظر الأساتذة في استعمال الأجهزة المذكورة في الأقسام لتطوير القدرات السمعية للطلاب في متابعة مشوارهم الدراسي في كلية الآداب واللغات بجامعة متنوري (قسنطينة).

Revue des Sciences Humaines

Revue semestrielle éditée par la faculté des Sciences Humaines st sciences Islamiques
Université d'Oran 1 Ahmed Benbella- Algérie

N° 11 &12
Déc.2016/ Juin 2017

Directeur de publication
Professeur Faghrour Dahou

Rédacteur en chef
Professeur Sahbi Mohamed

Revue N° 11/12
Dépót Légal: 2012-2141
ISSN: 2253-0975
EDITIONS
DAR ELQODS EL ARABI
84 cooperative elhidaya belgaid – ORAN
Tel: 0556230762-0792339956 FAX: 041503206
quds_arabi@hotmail.fr
حقوق الطبع محفوظة

La revue publiera les contributions scientifiques des chercheurs en sciences humaines et notamment celles appartenant aux domaines suivants :

- Bibliothéconomie et sciences de l'information
- Histoire et archéologie
- Sciences de l'information et de la communication.

Les contenus scientifiques à publier dans la revue :

- Etudes scientifiques originales et inédites.
- Présentations et commentaires des livres.
- Etudes bibliographiques, historiques et philologiques des manuscrits.
- Rapports de colloques ou de symposiums ayant relation avec les thèmes de la revue.

Conditions de publication :

- Les auteurs doivent respecter les conditions scientifiques et méthodologiques nécessaires à la publication : Originalité de l'étude. Citer les sources. Article inédit.
- Les articles proposés sont soumis à l'expertise.
- Les articles publiés n'engagent que leurs auteurs et ne reflètent pas nécessairement les opinions de la Revue.
- Les articles ne doivent pas dépasser 20 pages. Un abstract dans une deuxième langue doit être joint à l'article.
- Les articles sont à envoyer à l'adresse électronique ci-dessous ou à déposer à l'adresse ci-dessous en format CD et en format papier.

Les articles sont à envoyer aux adresses suivantes :

Revuescienceshumaines_univoran@yahoo.fr
Ou
Revue des Sciences Humaines
Faculté des Sciences Humaines et de la Civilisation Islamique
Université d'Oran, Algérie
B.P. 1514, El Menouar 31000
Oran, Algérie
Tél : (+213) 0550432329
(+213) 0560172868

Sommaire

En guise d'avant-propos:
Mon père l'« archiviste » et les manuscrits de Qumran.
- Mohamed SAHBI……..……07

Les enjeux du Web invisible académique:
Spécificités et difficultés
- Bentenbi CHAIB DRAA TANI ……..……**12**

Writings on Shays and Whiskey Rebellions in the AmericanEarly Republic: A Heroic Agrarian Protest.
- Noria ALLAOUA. ……..**26**

The role of authentic listening materials in enhancing aural oral skills.
- Nachoua KELKOULA ……**36**

Absracts
Al mu'tazila au Maghreb central entre
Le débat intellectuel et la confrontation militaire
- Mohamed BEMMAAMAR……...……..**47**

La tentative de la préservation et
la restauration de Bordj Moussa à Bejaia
- **A**icha HANAFI……...……**47**

L'activité associative et son rôle dans le renforcement du mouvement national Algérien :
L'Union Littéraire Musulmane de Mostaganem (modèle).
- Houria DJILALI …….……**48**

Altahanaoui's Classification of knowledge from his encyclopedia " Index of terms of arts and sciences".
- Nassima SADOUKI ……**48**

Atteinte contre les livres et les bibliothèques: crime contre l'Humanité.
- Fatiha GOUMID / Djobran Khalil Nacer…….……**49**

Qualité de la performance dans les bibliothèques scolaires :
Une nécessité pour le succès du système éducatif en Algérie.

- Miloud LARBI BENHADJAR /Khalida Hanae SIDHOUM……..……**50**

Les archives des directions de l'éducation en Algérie : La nature des documents, leur gestion et conservation

Rahmouna BOUCHETA…….…….**51**

Les caractéristiques du livre pour enfant: Le fonds et la forme.

- Ahmed BENDAHO……**52**

De la récupération des documents au système de récupération des informations

- Farès CHACHA ……..……**53**

Les aspects de l'environnement numérique et leurs impacts sur les bibliothèques : approche théorique

- Meriem HAMZA ZREKAT…….……**54**

L'identité virtuelle entre l'«original self » et « pseudo self »

- Zohra GHOMCHI……...…….**55**

La conscience politique et l'information numérique : déchiffrage des concepts et leurs rôles.

- Rym Fatiha KADDOUR …….……**56**

The role of Facebook in the consolidation of dialogue between the organization and public

- Hateem Ali Haider ESSALHI …….**57**

Les Acronymes et leurs impacts sur la jurisprudence Malékite

- Ahmed BALGANDOUZ HEBALI …….……**58**

Le concept de « communication Islamique » entre authentification et dépendance.

- Badreddine MERZOUKI ……**59**

Le crime organisé: Etude du concept, causes et conséquences

- Sarah SOLTANI ……..……**59**

The private military and security companies: The other side of mercenaries 's return.

- Nassreddine BOUSMAHA……..……**60**

L'impasse du discours de l'Islam politique: Etude analytique et critique

- Houari BARKA……**61**

En guise d'avant-propos : Mon père l'« archiviste » et les manuscrits de Qumran. *

Mohamed SAHBI
Université d'Oran1

« L'Histoire n'est pas ce qui est arrivé dans le passé. Elle est une histoireécrite par les générations successives. »

Mon défunt père n'était pas archiviste de son état, mais quand il s'agissait de choses liées à l'histoire de la famille ou à ses propres pérégrinations, il s'empressait de sortir son vieux cartable noir datant de mes années d'écolier en étalant devant mes sœurs et moi des photos, des cartes, des lettres, des documents légaux et bien d'autres papiers qu'il a réussi à accumuler durant toute une vie. Chaque document avait une place dans l'« histoire » et une lecture appropriée.

Et comme tout « archiviste » averti, mon défunt père ne cessait de photographier les plus anciens de ses documents, afin, disait-il, qu'ils vivent le plus longtemps possible et être là quand il faut, c'est à dire, quand l'occasion de nous réunir se présente.

Ainsi mon père préservait ses « archives » et tenait à les communiquer à sa progéniture dans le but de tisser un lien entre le passé et le présent.

Les archives donc, et non seulement de ceux de mon père, sont l'ensemble des ressources documentaires qui permettront aux générations futures de connaître l'histoire des personnes et des institutions. Il peut s'agir de « *lettres, de photographies, de récits oraux, de documents relatifs aux conférences* » ou de tout autre matériau susceptible d'apporter un témoignage sur des activités ou des événements passés. Ainsi les « archives » ou les documents d'archives sont presque uniques, puisqu' elles suivent un processus d'accumulation de documents de tout genre. Les

* Cet article est paru dans le Quotidien d'Oran du 17 juin 2013. http://www.lequotidien-oran.com/?archive_date=2013-06-17&news=5183979.

archives signifient aussi le « lieu » où entreposer ces documents, c'est-à-dire le dépôt d'archives. Ce dernier est tout à fait distinct d'une bibliothèque à l'égard de sa fonction et de son organisation.

Plutôt que de voir dans la sauvegarde et la consultation des archives une occasion passionnante de documenter le passé et d'enrichir le présent, elles demeurent, encore chez nous, une tache secondaire et/ou harassante tant chez les « professionnels » des archives que chez nos « chercheurs » et « historiens ». Selon quelques recherches menées dans le domaine de l'utilisation des archives en Algérie ou au Maghreb, les archives (lieux et documents) et les utilisateurs, souffrent de beaucoup de lacunes, les uns n'attirent plus les autres, ou plus précisément, tous les deux ne fournissent pas assez d'efforts pour bien se connaitre. Le résultat : d'un côté, les salles de consultations des archives restent plus ou moins désertes ; d'un autre, la production scientifique est aléatoire. Et malgré tout ce que peut regorger les archives locales ou nationales comme documents anciens ou nouveaux, permettant la lecture ou l'écriture du paysage politique, culturel ou social du pays, l'information demeure dans la plupart du temps absente.

Le résultat, après cinquante années d'indépendance, l'Histoire de notre pays reste incomplète et imprécise. L'une des raisons principales, en plus de ce qui a été dit: les documents qui pourraient constituer nos archives font défaut, soit par leur absence totale ou partielle, soit par notre méconnaissance.

Les rôles que peuvent jouer les archives dans la vie d'un peuple ou d'une nation sont énormes. Elles peuvent aider à construire notre identité tout en nous rappelant notre passé. Elles fournissent des ressources utiles à la réalisation de publications et la mise en place d'activités et de manifestations diverses, sans oublier l'économie du temps et de l'énergie des personnes qui, dans le cadre de leur travail, ont besoin de trouver de l'information.

Le terme « archives » tire ses révérences du grec *archaios, Arkhe* « ancien », «gouvernement, bureau.. ». De ces deux mots grecs, les arabes du médiéval déclinèrent les vocables « arrakha-ettarikh » c'est à dire « écrire de l'histoire – et l'Histoire ». Les « archives » et l'« écriture », l'essence même des archives, se regagnent, dans la mesure où elles ont vu paraitre leur jour au même moment ou presque. Dans le giron du Pouvoir que les deux nouveaux nés se sont donnés la grande tache d'immortaliser

l'essentiel de la vie des hommes, en conservant les traces de leurs échanges.

Qu'ils soient Sumériens, Akkadiens, Babyloniens, Assyriens, Egyptiens ou musulmans durant les premières années du Khalifat, ils ont, chacun dans son périmètre et sa dimension, inventé la correspondance, le courrier, le *diwan*, les documents juridiques et les comptes, ou tout ce qui peut être considéré aujourd'hui comme archives.

Les tablettes d'argile, le papyrus, le parchemin et le papier étaient dans la plupart des cas les supports matériels appropriés, mais le temps et la complexité de la vie sociale et politique engendra un flux d'informations, dépassant de loin la capacité de ces supports. *« L'encombrement était donc la principale motivation de l'archivage : on ne pouvait pas « pousser les murs »*. [1]

Avec les technologies de l'information et de la communication, qui ne sont plus nouvelles dans notre ère, les « archives » suscitent dans les sociétés modernes un engouement extraordinaire, soit au niveau des personnes ou au niveau des institutions. Cela dans le but de « démocratiser » l'information et réécrire l'histoire selon les nouvelles donnés que peuvent secréter les documents entreposés au niveau des centres d'archives de par le monde. Et bien que cet enthousiasme soit louable en lui-même, il s'avère qu'un nombre important de lectures de ce qui a été découvert ou archivé depuis l'aube de l'humanité peut ne pas échapper à ce que Noam Chomsky nomme la « falsification de l'Histoire » dans «Propagande, médias et démocratie » paru en 2000. Une analyse dans laquelle Chomsky retrace l'histoire contemporaine de l'influence de la propagande sur la formation de l'opinion publique aux États-Unis, c'est-à-dire, l'utilisation des médias comme « cheval de Troie ». Les grandes puissances d'hier et les petites d'aujourd'hui, ont élaboré des stratégies de « falsification de l'histoire » et au fil des décennies, cela ne cesse de gagner du terrain et de devenir presque un fait divers. En effet, les empires coloniaux ont, tout au long du dix-neuvième siècle, encouragé des dizaines de scientifiques et de pseudo-scientifiques, dans des domaines comme l'archéologie et les archives, à sillonner les terres conquises, villes ou palais, soit par la force des armes ou la ruse,

afin de trouver tout ce qui pourrait soutenir que les Gaulois sont passés par là.

En ces temps difficiles que traversent les sociétés arabes, et avec tous les gâchis qui s'en suivent, le monde assiste à une machination bien orchestrée. Son terrain n'est autre que les archives et quelques trouvailles archéologiques. D'emblée, il faut signaler que les patrimoines des peuples et nations, quelques soient leur nature, appartiennent à toute l'Humanité .Il ne devrait pas y avoir de parti pris « pour ou contre », mais il est inacceptable de lire ces mêmes patrimoines au dépens des libertés naturelles des peuples, telles, la liberté de jouir d'une patrie, d'un Etat indépendant.

Dans le même champ mais dans un autre registre, une avancée technologique annoncée en grandes pompes par les médias français et israéliens, porte sur l'accessibilité des manuscrits de la mer Morte - également appelés manuscrits de Qumran[2] - via internet. Ces manuscrits sont considérés comme les plus anciens documents bibliques connus à ce jour. Des Dix Commandements au chapitre 1 de la Genèse, des Psaumes au Livre d'Isaïe dans son intégralité.

La découverte officielle de ces 900 manuscrits rédigés entre le IIIe siècle av. J.-C. et l'Ier siècle après J.-C. a été faite dans onze grottes où ils avaient été entreposés. Les manuscrits bibliques de la mer Morte sont antérieurs de plusieurs siècles aux plus anciens textes connus jusqu'alors et présentent un intérêt considérable pour la science biblique. *« On estime aujourd'hui qu'il y avait environ 850 rouleaux dont on a retrouvé plus de 15000 fragments »*[3].

Ces manuscrits qui n'étaient pas accessibles au grand public avant décembre 2012, en raison de leur grande fragilité, sont donc désormais consultables en ligne, en hébreu ou en anglais, via une base de données mise au point par Google en collaboration avec Israël. Selon le professeur Yossi Matias, du R&D Google Center, « *La principale mission de Google est d'organiser l'information mondiale en la rendant universellement accessible et utile à tout un chacun* », et d'ajouter : « *Peut-on imaginer contenus plus importants que ceux liés à l'héritage culturel et religieux de millions de personnes dans le monde ? »*[4](Hic). Abstraction faite de toute considération idéologique et politique, par rapport à ce

qui a été énoncé par ce professeur israélien, ces manuscrits ne sont pas seulement la propriété de quelques millions de personnes, mais aussi l'héritage culturel de toute l'humanité.

Ce qu'il aurait dans ce que les médias suscités annoncent, de louable et en même temps avantageux pour toute l'Humanité, c'est la percée technologique dans le domaine des archives en général et les manuscrits en particulier. Cette prouesse est due essentiellement aux techniques les plus modernes de l'imagerie, développées notamment par les experts de la Nasa. Ces techniques ont été utilisées pour archiver et sortir de l'anonymat l'ensemble de ces milliers de fragments de manuscrits extrêmement fragiles et difficilement « *exposables* » à la lumière. Selon la même source, les photographies réalisées, permettent ainsi au lecteur d'explorer avec une grande précision ces documents, en s'y penchant, chapitre par chapitre, colonnes par colonnes ou même versets par versets.

Somme toute, ceci n'est autre qu'une sensibilisation du public et les décideurs à l'importance des archives et de l'archivage des documents et la constitution de notre mémoire. Et aussi, un petit clin d'œil en direction des archivistes, cette « population » exerçant un métier ingrat mais noble, à l'occasion de leur journée mondiale du 9 juin.

[1]- Avec les supports numériques, l'archivage changea le cours de l'information en général, et plus spécialement l'information scientifique.

[2]-**Qumran** est un site archéologique en surplomb de la rive ouest de la mer Morte en Cisjordanie(Palestine).

[3]-http://tel-avivre.com/2012/12/20/grace-a-la-technologie-le-monde-entier-a-acces-maintenant-aux-manuscrits-de-la-mer-morte/.

4- Ibid.

Les enjeux du Web invisible académique: Spécificités et difficultés

Bentenbi CHAIB DRAA TANI
Université d'Oran 1 Ahmed Benbella.

1. Introduction

La partie du Web que l'on nomme d'ordinaire « Web invisible » est pareille à la partie immergée d'un iceberg. Bien que cette première appellation soit la plus couramment admise, on parle d'ailleurs aussi de « Web profond ». En réalité, l'expression désigne dans une perspective générale l'ensemble du contenu Web non indexé par les moteurs de recherche traditionnels tels que Google.

Il s'agira donc plus précisément, si l'on se réfère à la définition donnée par Sherman et Price[1], de pages de texte, fichiers ou autres informations de référence dotés d'une qualité tangible, accessibles à partir du World Wide Web, et que, souvent, les moteurs de recherche usuels s'avèrent incapables ou choisissent d'eux-mêmes – pour des raisons d'ordre technique (et notamment liées à restriction de l'espace de stockage) – de ne pas indexer, c'est-à-dire de ne pas référencer au sein de leurs pages d'index.

Pour affiner la teneur de cette définition du Web invisible, les analyses du chercheur Bergman[2] sont éloquentes. Ce dernier précise en effet que certains moteurs de recherche sont inaptes à saisir ou appréhender certains types d'information: dans les faits, ils sont dans l'incapacité de « voir » ou de collecter, à partir du Web profond, des pages qui n'existeront concrètement qu'une fois qu'elles auront été créées de façon dynamique, c'est-à-dire en tant que résultat d'une recherche bien spécifique. Autant dire qu'il convient de distinguer, au sein même du Web invisible, les données plus brutes issues de bases de données relationnelles d'un contenu généré dynamiquement.

En définitive, si par leur nature même certains types de pages (ex : *disconnected pages* ou pages accessibles en "mode hors connexion") présentent les germes d'une mauvaise indexation (elles peuvent, notamment, être exemptes des liens nécessaires à l'indexation par les moteurs de recherche – comme sur le Web visible, mais dans une bien moindre mesure – la vraie problématique est, elle, d'ordre proprement technologique, dans la mesure où il existe un réel manque d'informations quant à l'existence de « ce contenu invisible ». En

d’autres mots, il est bien évident que si les moteurs de recherche d’aujourd’hui avaient à leur disposition les moyens de trouver ces pages "laissées pour compte", il leur serait beaucoup moins ardu d’indexer ces dernières.

Il n’en demeure pas moins que si le PDF est désormais quasi reconnu de tous, nombre d’applications telles que *Flash* restent encore illisibles de certains instruments de requête. Ce qui suggère une interrogation d’importance : y-a-t-il un intérêt véritable à indexer le contenu du Web invisible ? Et qu'en est-il plus précisément s'agissant de la part du Web invisible que l'on nomme Web Invisible Académique ou W.I.A?

2. Pour une définition constructive du Web Invisible Académique

C’est donc dans un cadre fondamentalement dichotomique que s’inscrit l’existence du Web Invisible Académique. Or, ce dernier désigne la part du Web profond dédiée plus spécifiquement à la recherche universitaire; elle met donc en jeu l’ensemble des fonds documentaires dits « académiques ». Dans ce contexte, le contenu visé a plus précisément trait aux données fournies par les bases de données ; et dans la mesure où ce type de contenu est souvent au format PDF, c’est un ensemble de données techniquement lisible des moteurs de recherche à visée généraliste, et donc un véritable pivot documentaire.

Néanmoins, tous les obstacles à l'indexation de contenu invisible à partir du Web ne sont pas purement techniques, et dans le cas du W. I. A., la distinction proprement liée au format – opérée par Sherman et Price [3]– est essentielle. Car c'est plus particulièrement s'agissant de recherche documentaire académique qu'édifier une ligne de partage entre "contenu au format propriétaire" (*proprietary content*) et "contenu libre de droits" (*open access content*) prend tout son sens.

En effet, le Web invisible orienté requêtes universitaires est dans une grande proportion composé de fonds tirés des bases de données produites par les éditeurs: il s'agit donc de contenu documentaire au format propriétaire. Car le W. I. A. est avant tout un espace de recherche universitaire. Dans ce cadre, il présente surtout des documents textes d'extensions *.pdf, .doc* et *.ppt*, auxquels l'on peut accéder à partir des bibliothèques ou moteurs de recherche spécifiquement académiques. C'est ici la définition du Web Invisible Académique selon D. LEWAMDOWSKI et P. MAYR[4] qui s'esquisse. Pour ces chercheurs allemands en Sciences de l'information, le W. I. A. désigne l'ensemble des contenus disponibles à partir des bases de données et bibliothèques de documents virtuelles à caractère académique, et que l'on peut difficilement atteindre par le biais des

moteurs de recherche généralistes. C'est la définition du Web Invisible Académique que l'on retiendra.

3. Les enjeux du Web Invisible Académique : aspects techniques et applications

Vers une meilleure évaluation des dimensions du W. I. A.

C'est au chercheur BERGMAN[5] que l'on doit d'avoir initié les recherches sur la taille du Web invisible. Après des investigations fructueuses, lesquelles rencontrent l'approbation de nombre de ses collègues, le chercheur met au jour et publie un certain nombre de découvertes d'un intérêt notable eu égard aux tentatives d'évaluation dimensionnelle de cette "portion cachée" du Web.

Tout d'abord, il nous apprend que le Web invisible est près de 550 fois plus étendu que le Web visible, et qu'il présente un total de 550 milliards de documents environ. La plupart des évaluations ultérieures prendront pour point de départ les calculs de BERGMAN ; c'est ainsi qu'à l'instar de LYMAN et al[6]. en 2003, les scientifiques seront quasi unanimes à adopter l'échelle dimensionnelle établie par ce dernier, laquelle fonde la taille du Web invisible sur le ratio **Taille Web visible/ Taille Web invisible**, soit 1:500.

Dans un second temps, le chercheur s'emploie à la réalisation de calculs plus poussés dans le but de venir affiner les évaluations qu'il a entérinées. Il s'appuie sur un ensemble de bases de données (ce sera le *Top 60*), un échantillon représentatif des plus grandes bases du Web profond. S'appuyant alors sur ce matériel de données, il fonde son raisonnement sur la capacité moyenne de chacune des bases de données rencontrées sur le Web invisible – qu'il établit à 5,43 millions de documents – et parvient à évaluer la capacité totale du Web invisible à un ensemble de données s'élevant à 543 milliards de documents. Il convient néanmoins de garder à l'esprit que la taille du Web visible au moment des recherches évoquées (2001) équivaut approximativement à un contenu plus ou moins égal à 1 milliard de documents (cf. : LAWRENCE et GILES, 1999)[7]. Se basant sur ces présomptions, BERGMAN vient à conclure que le Web invisible est 550 fois plus étendu que le Web visible ou Web de surface.

Or, qu'advient-il plus précisément, face aux conclusions tirées, de la part proprement allouée au Web Invisible Académique ou W. I. A. ? Ce qui permettra d'ébaucher quelque embryon de réponse, ce sont les chiffres de quelques chercheurs, qui bientôt se manifestent et qui viennent remettre en cause les dernières estimations… Parmi ces derniers, on trouve SHERMAN (2001)[8] ou STOCK (2003)[9] ; mais ces deux scientifiques ne font qu'énoncer des hypothèses, sans apporter aucune

formule de calcul innovante, ni même d'explication tendant à montrer que la thèse de BERGMAN serait erronée.

Ainsi, certaines analyses viennent contribuer au débat, mais ce sont celles de LEWANDOWSKI et MAYR[10] qui viennent changer quelque peu la donne. Pour ces derniers chercheurs, le caractère biaisé du raisonnement élaboré par BERGMAN réside dans cet usage de la moyenne qu'il a introduit dans son calcul de la capacité totale dévolue au W.I.A. En l'occurrence, la *moyenne* s'avère très élevée, tandis que la *médiane* des toutes les bases de données impliquées dans les investigations est relativement basse, s'élevant à seulement 4 950 documents. En réalité, il s'avère que le *Top 60* est un argument originellement biaisé, puisque la répartition par taille des bases de données qui le composent est dès le départ faussée. De surcroît, Bergman recourt à une taille exprimée en GB (Giga bites), au lieu d'utiliser le nombre d'enregistrements par base de données ! D'où l'impossibilité de déduire le décompte des enregistrements des données dimensionnelles contenu au sein des fichiers, et ce en raison de dimensions extrêmement variées selon les bases (photos, notices bibliographiques, enregistrements en texte intégral). C'est donc à profit que la Recherche bénéficierait d'une nouvelle collecte, effectuée à partir des bases de données les plus grandes du Web invisible, pour un corpus d'expérimentation beaucoup plus fiable.

Toujours est-il que la classification erronée semble un attribut inhérent à certaines compilations de données collectées pour être ordonnées. Pour preuve, on citera de nombreuses collections de données entreposées dans des bases, comme celle du dispositif *DIALOG*, directement accessible par l'intermédiaire d'une requête Internet. Les 347 fichiers de cette base sont agencés en suivant la logique d'une échelle logarithmique, ce qui montre qu'il existe des bases de données ne comprenant pas moins de 100 000 enregistrements si l'on se réfère aux chiffres mentionnés par WILLIAMS en 2005[11]. Pour la majorité d'entre elles néanmoins, on parle d'une capacité inférieure à moins de 100 000 enregistrements. La répartition effective de ces bases se lit à travers une fonction exponentielle dotée d'une corrélation Pearson élevée égale à 0,96. En termes de tailles, la médiane de ces 347 bases de données tourne autour de 380 000 enregistrements. À ce titre, MAYR et LEWANDOWSKI émettent l'hypothèse selon laquelle le W. I. A. est amené à suivre une répartition exponentielle similaire.

Une fois posées ces bases, il paraît plus aisé d'essayer d'estimer la seule capacité du Web Invisible Académique… Et si l'on reprend pour support de base le *Top 60* bergmanien, il semble que 90 % de cet ensemble puisse être considéré comme du contenu académique ; pourtant, si l'on omet délibérément toutes les bases contenant une

majorité de données brutes, la proportion du contenu académique en jeu ne s'élève plus qu'à 4 %. C'est une hypothèse que vient corroborer l'étude du Web de surface conduite en 1999 par LAWRENCE et GILES[12], lesquels parviennent aux mêmes conclusions.

En tout état de cause, les données brutes font partie intégrante du W. I. A. Les éliminer, c'est réduire de façon drastique et sans raison valable un contenu sans lequel des investigations poussées ne sauraient être validées. À cette effet, et comme l'a déjà dit LEWANDOWSKI[13], parier sur l'indexation du W.I. A. dans son entier, c'est abandonner l'action unilatérale d'une institution unique au profit des efforts concertés d'un groupe d'acteurs qui s'organise. Au service de l'examen de ce processus d'indexation/et ou référencement, WILLIAMS (2005)[14] s'appuie sur les fonds documentaires du *Gale Directory*, un répertoire de données qui ne compte pas moins de 13 000 bases et couvre la plupart des bases académiques d'un contenu qualitatif avéré, aussi bien qu'un certain nombre de bases d'intérêt exclusivement commercial.

Après collecte, WILLIAMS[15] divise l'ensemble des bases de données qui composent le *Gale Directory* en 6 groupes : le premier orienté 'verbe', le second axé sur les chiffres, le suivant rassemblant images et vidéo, un quatrième liés aux documents audio, le cinquième autour des services électroniques et le dernier attaché aux logiciels… Or, pour les bibliothèques et moteurs de recherche académique, ce sont principalement les bases de données axées sur les mots, soit environ 69 % de l'ensemble du *Gale Directory*, qui prévalent. C'est ainsi que sur ces 8 994 bases orientées 'verbe', quelque 80 % sont en *full text* ou bien de l'information provenant de bibliothèques. Pour LEWANDOWSKI, ces chiffres constituent donc un point de départ fiable pour qui cherche à estimer la taille du Web Invisible Académique au plus près de la réalité.

Dans les faits, LEWANDOWSKI se fonde sur un corpus qui s'avère défaillant (certaines bases du *Top 60* de Bergman ne s'y retrouvent pas). Cela dit, l'évaluation de la capacité est établie à 18,92 milliards de documents, la taille moyenne par base de données s'élevant à 1,15 millions d'enregistrements, tout en tenant compte d'une répartition largement biaisée – 5 % d'entre elles comptent plus d'1 million d'enregistrements, certaines plus de 100 millions. Cela dit, si l'on omet les bases de données extrêmement vastes, il s'avère que la taille médiane d'une base est d'environ 150 000 enregistrements. L'estimation de la taille totale est alors calculée en ajoutant les tailles des bases de données connues et en supposant la médiane à 150 000 enregistrements pour toute autre base de données.

Dès lors, et sachant que certaines bases sont manquantes, LEWANDOWSKI[16] conclut qu'on ne peut faire sur la taille du Web

Invisible Académique qu'une supposition motivée, dans la mesure où les chiffres issus de *Gale* sont probablement trop bas. Ce dernier chercheur se base néanmoins sur ces quelques chiffres, à nuancer par conséquent, pour évaluer la taille du W.I.A. entre 20 et 100 milliards de documents. En définitive, l'estimation dimensionnelle du Web Académique invisible qu'il établit se situe dans la fourchette de tailles englobant les plus grands moteurs de recherche du Web de surface.

Accéder au Web académique : quelques approches

Pour promouvoir l'accès au Web, et plus précisément dans sa dimension académique, l'étude des systèmes d'indexation de documents et de l'accessibilité à "la Toile" en général – autrement dit les supports de requête ou moteurs de recherche spécifiques existant à l'heure actuelle – doit être au centre des préoccupations. En effet, le Web tel qu'il se présente aujourd'hui offre plusieurs modèles. Or, par leurs caractéristiques inhérentes ou leurs limites, certains d'entre eux sortent du lot. C'est en ce sens qu'ils nécessitent une analyse plus approfondie.

Au nombre des dispositifs à distinguer – qui ont pour axe commun de se focaliser sur l'Information –, se trouvent d'abord *Google Scholar* et *Scirus* [17], des projets initiés par des entreprises commerciales. Au cœur de leurs ressources, on trouve les banques de données nées à l'initiative des éditeurs, auxquels il convient d'ajouter des matériaux disponibles en accès libre.

À l'heure actuelle, c'est bien *Google Scholar* qui demeure l'approche la plus débattue sur la place publique. En effet, la version bêta est en ligne depuis 2004 et indexe une part substantielle des éditeurs internationaux dits STM, c'est à dire orientés Sciences, Techniques et Médecine. À ces derniers se sont joints quelques éditeurs à l'origine du *Cross Reference Initiative*. Et c'est ainsi que Google a pu mettre en place un prototype doté d'un potentiel manifeste, aux dires de LEWANDOWSKI[18], MAYER et WALTER (2005)[19], mais qui présente néanmoins quelques écueils dont on se passerait volontiers… Pourtant, pour pallier ces quelques défauts intrinsèques, *Google Scholar* cherche à intégrer à son système la technique de l'*influential citation measure*, laquelle a vu le jour à l'initiative de l'*Institute of Scientific Information* (ISI), avant d'être implémentée dans le *Science Citation Index*, auquel succède bientôt le *Web of Science*. Malheureusement, et c'est ce que dénonce JACKSÓ en 2005[20], Google ne fournit aucune documentation qui puisse assurer la transparence du service; impossible d'évaluer la couverture documentaire exacte ou le degré d'actualisation proposés par les services de Google, ajoute le chercheur WALTER, dans l'étude empirique dédiée qu'il publie à la même époque.

De son coté, *Scirus* apparaît comme un dispositif hybride combinant contenu du Web visible et information collectée à partir du W. I. A, puisqu'il s'agit d'un moteur de recherche scientifique indexant à la fois le Web académique visible, mais également quelques compilations de données issues de sources en accès libre ou bien à mettre sur le compte du *Science Direct* d'Elsevier. Avec environ 50 millions de documents indexés à partir du Web visible, *Scirus* est de loin le plus imposant des moteurs de recherche scientifiques développés avec la technologie norvégienne *FAST* (MC KIERNAN, 2005)[21].

À ces deux premiers systèmes que sont *Google Scholar* et *Scirus*, viennent s'ajouter le *Bielefeld Academic Search Engine (BASE)*[22] et *Vascoda*[23] ; ce sont tous deux des projets universitaires dans lesquels s'investissent aussi bien des bibliothécaires que des fournisseurs d'information, qui ont choisi d'ouvrir leurs collections. Ces dernières sont principalement constituées de bases de données académiques faisant autorité, de catalogues et bibliothèques virtuelles, ainsi que de documents additionnels libres de droits (que l'on peut notamment trouver sur le Web visible). Il va sans dire que chacun des systèmes en question a, ou aura tôt ou tard, recours à la technologie propre aux moteurs de recherche. Ces modèles s'enrichissent, en outre, de leurs propres outils (ex. : banque de citations, filtrage spécifique ou traitement spécifique de l'hétérogénéité).

Si l'on reprend la définition énoncée par LOSSAU en 2004 [24], *BASE* est pour sa part un moteur de recherche qui intègre une information mêlant les données issues des catalogues de la Bibliothèque de l'Université de Bielefeld à celles obtenues à partir d'environ 160 sources en libre accès, soit l'équivalent de 2 millions de documents. Le système fait lui aussi appel à la technologie des outils de requête *FAST*. À ses côtés, il y a *Vascoda*, le prototype du portail scientifique interdisciplinaire, lequel intègre les collections érigées par les bibliothèques, des bases de données relatives aux ouvrages scientifiques et quelques éléments de contenu académiques en surplus. *Vascoda* fonctionne comme un "méta-portail" : il délègue les requêtes elles-mêmes, c'est-à-dire qu'en aval, il les confie à certains instruments d'orientation spécifique ou bien encore à des sous-communautés dédiées. Dans la pratique, chacun des domaines composant le système *Vascoda* est responsable de son propre portail disciplinaire, dont la structure peut reposer sur de multiples technologies. C'est pourquoi *Vascoda* peut être considéré, en toute légitimité, comme *le* modèle alternatif visant à combler la sorte d'espace interstitiel que constitue le W. I. A. Sont à l'origine du dispositif les professionnels des bibliothèques et centres de documentation allemands, qui lanceront bientôt la dernière version de *Vascoda*, supportée elle aussi par la technologie *FAST*.

La conception et le développement de ces différents systèmes d'accès et/ou référencement des divers contenus Web donne un sentiment de foisonnement, lequel montre encore, s'il en était besoin, qu'une indexation réelle et bien menée du Web académique repose définitivement sur la concertation des acteurs en présence… Car toute approche unilatérale présente des forces et faiblesses bien spécifiques, que seuls des efforts conjoints sont à même d'effacer. La situation qui en découle actuellement est tout à fait éloquente : d'un côté, il y a persistance d'une couverture documentaire étendue mais largement polarisée puisque confinée aux résultats d'ordre commercial, avec une incapacité notable à exclure des résultats des requêtes les enregistrements qui ne relèvent pas du secteur universitaire ; de l'autre résiste une vision du W.I.A. encore très succincte, alimentée par des ressources en texte intégral passablement minoritaires.

4. La bibliothéconomie : un levier de développement pour le Web académique

Au regard des fonds documentaires qui se destinent plus spécifiquement à la recherche, Il importe de garder à l'esprit que le Web Invisible Académique présente une véritable valeur ajoutée aux yeux des universitaires, professionnels des bibliothèques et autres chercheurs du secteur académique. On sait aujourd'hui que le W. I. A. est en mesure de fournir tout ce qui a trait aux procédures scientifiques. C'est pourquoi la taille et le format des données mises en jeu s'avèrent une question centrale. Dans les faits, l'ensemble de cette information scientifique – des données de référence – comporte aussi bien des études écrites (articles ou ouvrages universitaires) que des données brutes (ex. : informations tirées d'un sondage) et du contenu purement numérique, c'est à dire exclusivement accessible en ligne (ex. : documents libres de droits).

Ce constat fait, il nous appartient de rappeler qui sont les principaux fournisseurs de contenu internet dévolu au W. I. A ; car sur un plan plus orienté bibliothéconomie, c'est une véritable dimension pivot que constitue l'appréhension globale du Web académique. Il s'agit d'abord des fournisseurs de Bases de données documentaires, qui compilent un ensemble de métadonnées bibliographiques enrichies par l'indexation manuelle (thesaurii, classifications et autres systèmes d'organisation des connaissances) et délivrent en outre certains services complémentaires tels que la livraison de documents. A leurs côtés, se trouvent les bibliothèques, qui produisent elles aussi des compilations d'ouvrages à travers un système de gestion en libre accès : en l'occurrence, ce sont ce qu'on nomme OPACs ou *Online Public Access Catalogues*. Elles proposent elles aussi leurs données en les enrichissant *via* indexation manuelle ou en y ajoutant des services complémentaires. On trouve

ensuite les éditeurs commerciaux, lesquels fournissent essentiellement du contenu en texte intégral, mais aussi certains répertoires de sociétés et associations, ainsi que des répertoires en accès libre tels que *Citebase* ou *OpenROAR*.

Or, nombre de ces matériaux ne sont pas forcément directement issus du W.A. I. Néanmoins, ils sont régulièrement mis au jour par les principaux outils de recherche internet. Pour les utilisateurs confrontés à ces différents systèmes et structures d'information (qui varient selon la source), la démarche à adopter renvoie à un nécessaire processus d'adaptabilité. C'est ainsi que la plupart des fournisseurs de fonds documentaires universitaires conservent leurs propres accès par domaine et modèles de structuration de l'information, en raison de leurs coutumes historiques et du type de contenu indexé. Les bibliothèques, plus précisément, indexent surtout les ouvrages et "compilations" de données au moyen de fichiers normalisés qui font aujourd'hui autorité, tandis que les fournisseurs plus orientés bases de données ont recours à des *thesaurii* thématiques (*domain specific*) et classifications au format propriétaire pour indexer les articles de presse. Face à eux, les éditeurs combinent indexation manuelle et indexation automatique au regard des documents qu'ils traitent, des textes intégraux ou documents en *full text*.

C'est l'occasion pour le scientifique KRAUSE de parler de "*polycentral information provision*" et de conclure en 2003 à la complexité de la situation de recherche de l'utilisateur final, un internaute qui peut se retrouver bien dérouté face au *cross data-base searching*. En l'occurrence, il s'agit là d'une recherche de données transversales ou multi-bases qui peut mettre une requête à mal… En d'autres mots, on peut parler de fracture informationnelle, dans la mesure où l'on passe du système de publication imprimée traditionnel à celui de l'édition numérique : les moteurs de recherche affluent, tandis que l'on voit se décentraliser les différents fournisseurs d'information.

Face à ce tableau des acteurs pivots de l'indexation documentaire qui se veut assez exhaustif, les chercheurs allemands LEWANDOWSKI et MAYR [25] tentent de définir le Web Invisible Académique. Pour ce faire, ils reprennent à leur compte le point de vue du chercheur LOSSAU[26], lequel prône une ouverture accrue des bibliothèques sur un Web académique qui demeure pour ces dernières encore bien obscur. Car, dans la pratique, un certain pourcentage des données entreposées au sein des bases universitaires pâtit de cette indexation défaillante qui se manifeste à travers les efforts conduits en matière de bibliothéconomie ou sciences documentaires. En bref, il s'agirait pour cet acteur clé qu'est la bibliothèque d'orienter beaucoup plus ces efforts sur un développement des technologies liées aux moteurs de recherche auxquels elle recourt.

Pour y remédier, c'est donc une démarche collaborative que le secteur de la bibliothéconomie aurait tout intérêt à mettre en place, et ce afin de favoriser la "mise en visibilité" d'un contenu qui reste pour beaucoup quasi inexistant. Tout en gardant toutefois à l'esprit que le W. I. A. est loin de centraliser tous les fonds documentaires se rapportant aux bibliothèques et catalogues online, dans la mesure où il ne représente qu'une partie du Web seulement, et que nombreux sont les documents tout à fait pertinents que l'on peut également trouver sur le Web de surface ou Web visible.

5. Le Web académique maghrébin

Pourquoi un observatoire maghrébin du Web académique ?

Un examen approfondi du monde de la recherche documentaire et de l'Information en général vient mettre en exergue un fait de premier plan : s'est imposé au travers de mutations d'ordres technologique et informationnel, aussi bien en Europe et aux États-Unis que dans les états du Maghreb, un modèle d'accès aux ressources académiques en ligne quasi standardisé… Dans les faits, la situation dénote une sous-utilisation des contenus du Web académique, parmi lesquels on trouve notamment les bases de données et revues spécialisées. Cette "sous-utilisation" est à déplorer, et ce d'autant plus que des dépenses considérables sont régulièrement consenties par les universités maghrébines en vue de s'abonner à des sources électroniques telles que bases de données ou revues scientifiques sur internet. A cet effet, il faut souligner que le système national de documentation en ligne (SNDL) dépouille chaque année le budget du ministère de l'enseignement supérieur de pas moins de 170 millions de dinars algériens pour un retour sur investissement non évalué à ce jour.

Or, la volonté d'établir un observatoire maghrébin du Web académique découle de cette velléité de mieux cerner les modalités d'une recherche documentaire en milieu universitaire et les traits d'un environnement technique et technologique spécifiques au Maghreb : en l'occurrence, il s'agit d'une tentative de diagnostic visant à suivre l'évolution du Web universitaire en vue de mesurer et analyser en son sein les divers usages à l'œuvre au sein de la communauté académique. C'est aussi l'occasion de porter un regard critique sur l'orientation de la Recherche et Développement au Maghreb, dans laquelle le secteur académique joue un rôle des plus actifs.

Dans la pratique, établir un observatoire du Web académique maghrébin, c'est pour la communauté scientifique le moyen d'atteindre un certain nombre d'objectifs fondamentaux, parmi lesquels on trouvera (la liste n'est pas exhaustive) la volonté de :

- Pratiquer une veille informationnelle sur l'évolution du Web académique et les comportements de recherche d'information de la communauté universitaire maghrébine ;
- Définir les différents impacts, enjeux et défis du Web 2.0 dédié au secteur académique maghrébin, ce qui constitue également une problématique de taille.
- Pousser l'acteur humain à mieux maîtriser les compétences informationnelles et se servir au mieux des fonctions et services du Web, en vue d'améliorer son niveau éducatif, social et économique
- Instaurer une culture informationnelle autour du rôle et de l'impact du Web sur les activités de recherche et développement au Maghreb ;
- Capitaliser les savoirs et/savoir-faire des chercheurs maghrébins en les encourageant à se manifester davantage sur le Web, de manière à refléter leurs activités aussi bien quantitativement que qualitativement ;
- Créer un réseau maghrébin de spécialistes de l'information et de la documentation, et organiser des ateliers de formation thématiques sur le Web en fonction des différents profils rencontrés.

***Quel impact sur la Recherche et le Développement* ?**

En toute société, mais encore plus au Maghreb – comme dans les autres pays du Sud –, le développement économique est fortement subordonné à la capacité à produire d'une part, et à celle de transmettre connaissances et information de l'autre. C'est en ce sens que la visibilité, qui prend une dimension particulière au 21^{e} siècle en acquérant une dimension digitale toujours plus grande, est à prendre en considération. Pour ce faire, les promoteurs de cette visibilité doivent s'attacher à développer :

- Une stratégie d'édition - diffusion collant aux réalités économiques…
- Les subventions allouées à l'accessibilité des banques de données scientifiques – sachant que la plupart des données de ce type sont encore l'apanage des pays plus développés…
- Des infrastructures performantes susceptibles de supporter l'expansion fabuleuse des nouvelles technologies de l'information.

En d'autres mots, une Recherche scientifique bien menée repose forcément sur une accessibilité à des résultats de recherches, qui n'est pas bridée et qui n'a de cesse d'être améliorée. À cet égard, le phénomène des archives ouvertes qui a pris son envol au sein du monde académique, dans les pays du Sud, est éloquent : au service de la liberté et de la gratuité d'accès aux ouvrages scientifiques à l'international, il symbolise les premiers soubresauts de l'*Open* Access, ce mouvement qui s'est développé autour des ressources numériques, qu'un bon nombre d'experts jugent indissociable d'une ouverture sur les contenus *onlines*. C'est un point qui risque de poser problème, sachant que les chercheurs arabes éprouvent encore quelques réticences à l'idée de faire

procéder à l'auto-archivage de leurs productions... Pourtant, l'*Open Access* constitue la voie royale pour qui cherche à intensifier les échanges d'information et à développer, par conséquent, son économie numérique.

6. Pour conclure:

Un Web académique maghrébin en devenir : la promesse d'un fonds documentaire enrichi

Désormais, nous voici plus à même de cerner, au Maghreb, les enjeux de la transmission de l'Information en général, et de la gestion de la Recherche documentaire plus précisément. Car nous l'avons vu, certains acteurs de premier plan, ainsi que certains concepts viennent nécessairement prendre part à la mise en place d'une stratégie de développement économique qui doit aussi se baser sur un traitement optimal de l'information. En effet, il s'agit de garder à l'esprit que Recherche scientifique et développement économique ont partie liée.

À cet effet, c'est avec un nouveau secteur, celui de la bibliothéconomie, que les promoteurs du progrès (politiques et institutions) se doivent de composer. C'est donc une action concertée des différents acteurs du secteur documentaire – bibliothèques, centres de recherche et éditeurs numériques, notamment, - qu'il faut viser. Bien évidemment, il ne s'agit pas pour autant de réduire la recherche universitaire à une simple histoire de profit puisqu'il s'agit aussi d'Information au sens large… Néanmoins, l'émergence des principes bibliothéconomiques souligne qu'à l'instar des autres pans de l'économie, l'Information est un matériau, mais également un produit. Et comme tout produit, il nécessite de la part des acteurs (aussi bien dans les pays très industrialisés qu'au sein des états moins développés) qui le prennent en considération de définir et mettre en œuvre les outils de gestion adéquats.

Dans cette perspective, les acteurs de la bibliothéconomie maghrébine se doivent, eux aussi, de se donner les moyens, de découvrir le Web Invisible Académique, cette partie de "la Toile" qui recèle des ressources en information inexplorées, et parfois insoupçonnées. Partant du lien étroit existant entre secteur académique et bibliothèques – dans le sens où la gestion documentaire, au cœur des préoccupations de ces dernières, est indissociable des avancées de la Recherche universitaire – c'est bien la virtualisation de la gestion documentaire qui est en jeu : c'est pourquoi les différentes institutions doivent se donner pour mission d'adopter une démarche collaborative susceptible d'améliorer non seulement la rapidité des outils de requête (technologie(s) propre(s) aux moteurs de recherche), mais également la capacité de couverture (*broad coverage)* des dispositifs de recherche scientifique mis en place par les acteurs du secteur, et en particulier les Bibliothèques.

Dans ce cadre, la vision étriquée consistant à considérer qu'une bibliothèque virtuelle unique est à même d'indexer l'ensemble du Web Académique maghrébin est à proscrire. C'est pourquoi les fournisseurs commerciaux de moteurs de recherche – dotés d'une certaine supériorité technologique et financière – se doivent de travailler de concert avec les bibliothèques, ces dernières disposant d'une expérience aboutie de la collecte d'information, de modèles rodés d'accès aux disciplines et de structuration des données (à travers l'établissement d'ontologies et de taxonomies notamment), en mêlant leurs effort à ceux des éditeurs et fournisseurs de bases de données susceptibles d'apporter leur contribution en "ouvrant" encore plus qu'il ne le font leur collections.

Au final, on retiendra d'experts comme LEWANDOWSKI quelques recommandations des plus pertinentes : concentrer ses efforts sur la *répartition infométrique* (principes statistiques appliqués à la gestion de l'information) dans le but de mieux évaluer la taille du Web Invisible Académique; classifier les différents contenus dans le but de savoir dans quelle mesure chaque discipline contribue à la teneur du W. A. I. et bâtir des moteurs de recherche spécialisés ; faire en sorte, enfin, que les bibliothèques suivent l'exemple des fournisseurs de bases de données qui rendent leurs collections disponibles sur le Web visible, à l'image de Google, afin d'optimiser les processus d'indexation documentaire. Appliquées à la réalité maghrébine, il est bien certain que ces préconisations constituent quelques clés de développement technologique pour un Maghreb soucieux de modernité.

Notes :

1. Sherman, C. and Price, G. (2001), The Invisible Web: Uncovering Information Sources Search Engines Can't See, Information Today, Medford, NJ.
2. Bergman, M.K. (2001), "The Deep Web: surfacing hidden value", Journal of Electronic Publishing, Vol. 7, No. 1, En ligne: www.press.umich.edu/jep/07-01/bergman.html (Consulté le 30/05/2014).
3. Op. Cit
4. LEWANDOWSKI, D. (2001, 2005) : Web Information Retrieval (DGI, Franckfort)
5. BERGMAN, M. K. (2001) : "The Deep Web: surfacing hidden value" in Journal of Electronic Publishing (vol. 7)
6. Lyman, P., Varian, H.R., Swearingen, K., Charles, P., Good, N., Jordan, L.L., et al. (2003), "How much information 2003?" En ligne: [www.sims.berkeley.edu/research/projects/how-much-info-2003] (Consulté le 18/12/2014).
7. LAWRENCE, S. et GILES, C. L. (1999) : "Acessibility of information on the Web" in Nature (vol. 40)
8. Op.Cit

9. Stock, W.G. (2003), "Weltregionen des Internet: Digitale Informationen im WWW und via WWW", Password, Vol. 18, No. 2, pp. 26-28.
10. Lewandowski, Dirk et Mayr, Philipp. Exploring the Academic Invisible Web. En ligne: [http://www.ib.hu-berlin.de/~mayr/arbeiten/lewandowski-mayr_LHT06.pdf],(Consulté le 03/01/2015)
11. Williams, M.E. (2005), "The state of databases today: 2005", in Gale Directory of Data-bases, Vol. 2, pp. XV-XXV, Gale Group, Detroit, MI.
12. Op. Cit
13. Op. Cit
14. WILLIAMS, M. E. (2005), "The state of databases today: 2005" in Gale Directory of Data-bases (vol. 2)
15. Op. Cit
16. Op. Cit
17. http://scholar.google.com
18. (Il est regrettable de signaler la fermeture fin janvier 2014, du moteur de recherche SCIRUS consacré exclusivement à la recherche scientifique) http://corist-shs.cnrs.fr/fermeture_scirus
19. Op. Cit
20. Op. Cit
21. JACSÓ, P. (2005) "Google Scholar: the pros and the con", in Online Information Review, vol. 29
22. MC KIERNAN, G. (2005) : "E-profile: Scirus… for scientific information only" in High Tech News, vol. 22
23. http://www.base-search.net/
24. http://www.vascoda.de
25. LOSSAU, N. (2004) : "Search engines technology and digital libraries: libraries need to discover the academic internet", in D-Lib Magazine (vol. 10)
26. Op. Cit

Writings on Shays and Whiskey Rebellions in the American Early Republic: A Heroic Agrarian Protest

Noria ALLAOUA
University of Hassiba Ben Bouali /Chlef

Introduction

Popular protest accompanied by collective action was a frequent phenomenon in the last quarter of the eighteenth century in British North America, both in urban and rural areas. Protest movements against established authority are often associated with the American Revolution, but precedents for their actions can be traced back to the colonial period. Beginning with Bacon's Rebellion in Virginia in the 1670s, protest, rioting, and various forms of collective action became widespread as the colonial population grew and diversified. In the years between the Seven Years' War and the outset of the Revolutionary War, while there was more urban than rural rioting, agrarian movements had greater amplitude than urban ones, lasted longer, and probably left a more durable impact on the areas they affected, particularly in shaping political attitudes within the struggle for independence (Brown).

2- Rural discontent

It was manifest in the middle colonies well before the movement for independence, in the shape of tenant riots (New Jersey, 1745-54), anti-rent wars (New York, from the 1750s through the 1770s, coming to a head in the Great Rebellion of 1766), and the backcountry uprising of Pennsylvania known as the Paxton Boys' movement (1755-1764). Agrarian conflict was also present in Maryland and Virginia without reaching the state of organized protest achieved in the two distinct movements of Regulation in South Carolina (1766-68) and in North Carolina (1768-71). Nor was New England exempt from rural protest before the Revolution. In New Hampshire, warring factions fought over land grants from 1769 to 1791, their disputes bridging the formative years from the end of the colonial period to independence and the creation of the Constitution. In some areas of Massachusetts, popular protest in the countryside, associated with resistance to Great Britain during the war, developed into internal discord during the debates over the framing and ratification of the state constitution (1777-80). Some of the impetus for the Shays Rebellion derived from these earlier political differences.

Although each movement had its specific context and set of problems, several issues were common to all of them, before and after the Revolution. Among the most significant were:

(1) Land problems—insufficient acreage, inequality of access, or the menace of expropriation;
(2) Taxation policies and, directly related to tax burdens;
(3)The shortage of currency and the question of paper money versus specie, or hard money, and also
(4) Institutional inadequacies, such as corruption in the court systems, abusive legal fees, as well as the lack of representation, or under-representation, in provincial assemblies and, after the Revolution, in state legislatures.

This last problem was especially true in Massachusetts whose state capital remained in the east when those of other states were relocating in the piedmont regions of the Appalachians. Many Massachusetts towns perceived themselves as being too far from the capital to afford maintaining representatives in office when the legislature was in session, and, hence, claimed to be politically isolated. This perception also contributed to secessionist projects in the north-central part of the state.

1- Shays and whiskey Rebellion

Two post revolutionary agrarian movements sharing these problems were the Shays Rebellion, centered in Massachusetts in 1786-87, and the Whiskey Rebellion, which spanned the first years of the 1790s in Pennsylvania before its suppression by federal troops in 1794. Both movements encompassed a larger area and a longer moment in time than these dates imply, as is pointed out by historians attempting to interpret them beyond their immediate agrarian grievances in a broader framework of nation-making.

The continued presence of organized rural protest in the years following the revolutionary war—seen as an aberration by conservative contemporaries—has divided scholars in our own times as to its significance. The historiography of agrarian protest tends, not surprisingly, to reflect the epoch in which it is written, as well, of course, as changes in historical methodology and approaches. How have studies of the Shays and the Whiskey rebellions evolved in their assessments of the meanings of these movements, and to what extent do they appreciate (or belittle) the impact of agrarian protest on the revolutionary settlement and its place in the history of the new nation?

4- Historical Studies and writings on Agrarian Protest

A consensus view of the American Revolution, and with it agrarian conflict, dominated historical studies from the end of World War II until the 1960s. With the exception of Staughton Lynd's work on class conflict in Dutchess County, New York (Lynd 1961 et 1962), the radical dimensions of agrarian unrest remained nearly invisible in historical writings. Although New England town studies revealed differences in land holdings and social status, conflictual issues were not seen as destroying the social fabric of the community. Rural uprisings began to be seen as reflections of earlier, traditional peasant behaviour, and by linking the strategies of these eighteenth- century movements with British and continental precedents, scholars often tended to downplay whatever elements of potential change they contained, associating them with a pastoral ethic, rather than a forward- looking political vision.

In the late sixties the historiography of dissent took a new direction. The research of Jesse Lemisch, Alfred Young and Dirk Hoerder (Lemisch 1968, Young 1976, Hoerder 1977), focusing on popular protest and crowd behaviour, gave agency to ordinary people and found in their movements and actions a radical challenge to established authority. At about the same time several studies on the structure of wealth in the British- American colonies on the eve of the Revolution quantified and underlined the differences and cleavages in societies (Main, Zemsky, Jones). These studies informed my own research in the late seventies and early eighties and led me to formulate a synthetic analysis of agrarian protest movements (Karsky 1976, 1983).

The first book- length study of agrarian protest in Massachusetts since the 1950s was David Szatmary's *Shays' Rebellion: The Making of an Agrarian Insurrection*, published in 1980. Szatmary situates the movement in the larger framework of post revolutionary New England, a world he finds divided between two different cultures: that of traditional subsistence agriculture and that of an expanding market place. Western Massachusetts rapidly becomes the center of his focus, for it was here that the Shays Rebellion had its epicenter. He depicts the life of the independent yeoman farmer, his uses of the land, his choices of crops, and establishes the farmer's ties with the community through the barter and labor- exchange system. After demonstrating that farmers and country artisans followed traditional paths, he contrasts their ways with those of merchants and farmers in market- oriented towns where "an ethic of competitive individualism" prevailed and where new methods in agriculture were more likely to be applied (Szatmary 1-18). While Szatmary's portrait of rural Massachusetts is not wholly inaccurate, it is very narrow. It tends to restrict the principal actors to

two separate spaces, neither allowing for much possibility of interaction or change. Szatmary's vision of subsistence agriculture lacks an adequate margin for manoeuvering and fails to explain how, for example, farmers planned their agricultural cycle so as to be able to meet their fiscal burdens, and how taxes were paid. Taxes and lack of liquidity were, of course, two of the most pressing problems shaping rural protest in the 1780s. Szatmary does point out how state policies in New Hampshire helped farmers by reducing taxes and in Rhode Island by issuing paper money, measures which Massachusetts refused to adopt.

After delineating the main problems besetting Massacusetts farmers and their attempts to remonstrate by peaceful means, Szatmary examines the attitudes and fears of men of government. He exposes the exaggerated fears and accusations of conservative leaders which finally were so influential in persuading people of the need for a stronger national government. Here again, as in his depiction of New England farm life, the author approaches the subject in a dualistic manner, opposing two groups against each other, rather than exploring the plurality of views and the complexities within Massachusetts society.

Following a linear demonstration of the actions of the Shays Rebellion in four successive stages, Szatmary's final chapter on the relation of the movement to the creation of the Constitution concludes that Massachusetts Antifederalists represented a society on its way out, a sort of last stand to preserve an old way of life against encroaching commercialism. In his own words, "the insurrection illustrated the tumultuous effects of the transition from traditional society to merchant capitalism." (Szatmary 14). Certainly post revolutionary society was changing, but merchant capitalism had existed all along.

In his monograph on agrarian protest in Pennsylvania, *The Whiskey Rebellion: Frontier Epilogue to the American Revolution*, Thomas Slaughter stresses the frontier nature of the movement. He argues that rural resistance was extensive, surpassing the boundaries of Pennsylvania, where textbook accounts usually locate it. Slaughter situates the Whiskey Rebellion geographically along the frontiers of several states and politically in the midst of the struggle for the creation of new states and of the internal conflict of the revolutionary period itself. If the federal constitution was the culmination of that epoch, the Whiskey Rebellion was, in Slaughter's words "a violent epilogue to the confrontations that racked the nation during that tumultuous period." (Slaughter 1986, 4). Unlike Szatmary, Slaughter insists on the violence of the frontier. "Violence was endemic to the western counties,» he writes, in reference to Massachusetts in the 1780s, and concerning Pennsylvania: "The western country was perhaps, most of all, a place of

conflict. Violence between Indians and whites was already legendary on the frontier, and hostile interaction among the frontiersmen was even more common." (39, 62)

In keeping with his insistence on frontier conditions, Slaughter argues that many of the grievances of the Whiskey rebels were related to the west, such as unequal access to land, insufficient protection against the Indians, the westward expansion of markets, linked with navigation rights on the Mississippi. Other grievances of a more direct political nature concerned civil liberties and the right of protest. The immediate source of conflict was the excise tax passed by the federal government in 1791 which burdened western distillers disproportionately to eastern citizens and which was to be paid in specie rather than in kind.

Slaughter traces a tradition of excise resistance back to the British Isles where poems and ditties popularizing opposition were passed down from generation to generation, as well as to examples of protest in New England in the mid-eighteenth century. He associates excise opposition with the idea of divided sovereignty , an important issue of ideological conflict between patriots and the British Parliament during the revolutionary conflict, which came to the fore again in the debates over the Constitution. Antifederalists held that internal taxation should be a concern of the individual states, while the federal government should handle external taxation. In Slaughter's words: "… as a matter of logic and political theory, those who opposed the Constitution strongly resisted the idea that two sovereign governmental bodies could coexist, share concurrent jurisdiction, cooperate, and survive. They believed that sovereignty could be divided but not shared."(1986, 26.)

Thomas Slaughter's approach to the Whiskey Rebellion has certain similarities to that of David Szatmary for the Shays Rebellion. Both consider their insurgents as outmoded, as standing for a vision of society which had no place in the changing world around them. While Slaughter situates the Whiskey rebels in the effervescence of revolutionary politics, he interprets their resistance as an epilogue, a conclusion to that period. The two historians share a view of agrarian resistance playing itself out in a primitive economy: for Szatmary, centered entirely around household production and the community, for Slaughter, demanding easier access to markets, but still in a frontier-stage of development. One can only regret that Slaughter failed to define and nuance his conception of frontier. As shown in my own earlier study (1976), the heart of resistance came from the southwestern area of the state with the greatest density of population west of the Appalachian mountains. By the 1790s a considerable number of small manufactures existed in the towns of the region, and a local aristocracy lived in material comfort and considerable ease. While the area was

changing, it was substantially settled and could no longer be considered frontier (Karsky 1976, 87-114). Since Slaughter uses the notion of frontier as an operating concept to explain the motives and the violence of the Whiskey Rebellion, he times the transformations in the region as coming later, shortly after the Whiskey Rebellion, when, he argues, "western Pennsylvania no longer defined an edge of settlement" because people had moved further west (Slaughter 1986, 224).

Like Szatmary, Slaughter tends to interpret events in a dualistic manner, pitting one side against the other in a battle between "the center and the periphery, cosmopolitans and localists, East and West, between those who favoured strong central control and those who demanded local autonomy" in an "either-or" rhetoric, permitting little space for alternative opinions or explanations.

This binary mode of thinking is an easy trap for scholars. A year before his monograph on the Whiskey Rebellion was published, Slaughter had contributed to a collection of essays on the same subject, edited by Steven R. Boyd. In his earlier essay Slaughter had already resorted to this binary pattern of reasoning, contradicting himself in calling for scholarship which would no longer lock itself into a who-was-right/ who-was-wrong debate but would take *both* sides into account (Slaughter 1985, 9-30).

In the same collection Mary K. Bonsteel Tachau analyzed the role of Kentucky in the Whiskey Rebellion. She demonstrated that, contrary to what occurred in Pennsylvania, violence was not the hallmark of resistance in the frontier state of Kentucky where people actively opposed the excise tax until its repeal in 1801—one of the first acts of Jefferson's government. According to Bonsteel Tachau, opposition there was basically non-partisan. People refused to comply with the excise law or help in its execution. Excise collectors could not be hired (unlike Pennsylvania), and both in criminal suits and civil cases, the innocence of distillers was upheld by grand and petit jurors. Regardless of political or factional persuasion, Kentuckians refused to inform on one another and were basically mutually supportive in resisting the excise law (Bonsteel Tachau 97-118). Their unified response to federal efforts at enforcement would suggest that, in the long run, passive resistance on the frontier could achieve more than violence

In bringing together the historiography of their movements, as well as the fruits of contemporary research on eighteenth-century American life, the works of David Szatmary and Thomas Slaughter have earned an important place in the scholarship of rural protest. Since theirs are the only monographs in recent years devoted to the Shays and the Whiskey Rebellions, they are sometimes considered the definitive

studies of each. But subjects so open to questions and doubts can hardly be treated once and for all, and, not surprisingly, scholarly scepticism continues to produce further analyses of these rebellions and others in colonial and revolutionary North America.

The bicentennial of the Shays Rebellion in 1986 was the occasion for a renewed investigation of that movement and brought together scholars working on various aspects of Massachusetts society. *In Debt to Shays: the Bicentennial of an Agrarian Rebellion*, edited by Robert Gross, was the result. In its diversity this collection of essays presents agrarian unrest in a far more complex light than previous works have done. The contributions of Stephen Marini and John Brooke, particularly, analyzing the relationship between protest and religious dissent, open a new dimension to the research on the Shays Rebellion (Gross 205-280).

Marini's earlier *Radical Sects of Revolutionary New England* shows how the revolutionary war drained the Congregational Church of its ministers, leaving vacancies which opened the way to radical sects or simply to a vacuum of power in many of the Massachusetts hill towns. He argues that the growing plurality of society challenged established religion, paving the way for the political defiance of agrarian rebellion. Marini associates the use of Revolutionary ideas in the newer towns with the desire to remodel the social order and establish self-government (Marini 1982). His farmers are the chosen people of the Jeffersonian vision, taking their destiny in their own hands, not harking back to former times.

Marini's work informs Brooke's study of Hampshire County protest, concerning the impact of clerical vacancies and the absence of leadership as a creative force in shaping protest. But Brooke finds that the language of protest in the more remote towns of Hampshire and Worcester counties reflected the older provincial culture, one of personal independence coupled with collective obligation. Brooke's study of central Massachusetts locates the Shays Rebellion in the midst of a larger debate on the significance of republican and liberal ideologies as formative principles in the political and social life of the new nation (Brooke 1989).

Other historians considering agrarian protest in this light have examined the links and differences in political thought between the Whiskey Rebellion and the Democratic- Republican societies of the 1790s. A recent study demonstrates how these societies, which were organized in towns and cities all over the nation (except for Georgia and Rhode Island) combined elements of both republican and liberal ideologies: while recognizing the right of ordinary citizens to pursue individual visions of happiness, the societies centered their activities on the

interests of the community (Schoenbachler 1998). The role of the Democratic- Republican societies—to keep an eye on government—linked them with classical republican philosophy, but by the last decade of the eighteenth century, the key tenets of that philosophy had been redefined and a synthetic language of politics, not entirely liberal nor strictly republican, formed their thought. In his study of the dissenting tradition in America, Saul Cornell argues that the distinguishing feature differentiating the political persuasions of the republican-liberal ideology of the societies and the radical message of the Whiskey Rebellion is the issue of violence. The recourse to violence by Pennsylvania militants of the Whiskey Rebellion, when peaceful measures had failed, tarnished Democratic- Republicanism in general and had a decidedly negative effect on the life of the societies.

In one of the first studies of rural protest to appear in the twenty- first century, Terry Bouton argues that agrarian protest has not only been cut off from the mainstream of American political thought, but also divorced from historical significance. In a new look at the Whiskey Rebellion, in which he refreshingly reinstates economic grievances at the center of the movement, Bouton claims that historians have downplayed the importance of rural protest by their frequent failure to see it in its full duration, or by canalizing it into sporadic outbursts of protest by specific ethnic or frontier groups. “For two hundred years,” he objects, “historians have marginalized rural people, diminished their ideas, and discounted their protests….” (Bouton 887) Rather than erasing them from historical memory, he contends, we should restore them to it by relating them to the larger process of revolutionary history.

As we have seen, Bouton is not alone in wanting to keep the memory of popular protest alive. The historians and works we have mentioned in passing, regardless of their conclusions as to the role of agrarian radicalism in shaping the course of the revolution, have all contributed in keeping alive the memory of those sometimes hidden from history. In the words of Alfred Young: “In a time of upheaval, ordinary people make events possible, and they have done so time and time again in American history …. This long struggle to achieve equal rights and to expand the meaning of liberty … is one of the grand themes of American history. We do well to keep it in public memory.”(Young 1999, 206-207) The need to reexamine the closing decades of the eighteenth century for clearer evidence of popular political involvement in the larger life of the new nation is still very much alive and challenges historians of early American history on both sides of the Atlantic. “What happened to the white farmers who fought for home- rule when they were faced with an even greater, more intensive

threat from their own new national government?" asks British historian Michael McDonnell (McDonnell 504).

Conclusion

While the historiography of agrarian protest has tended to focus on the political significance of the small farmer in the new nation, it might be useful to turn to recent scholarship on early American agriculture in order to reexamine agrarian movements in a larger context.

Still a divisive issue among historians of the Shays and the Whiskey rebellions is the extent of farmers' involvement in the market. Situating these movements in a broader, more dynamic economic and social framework than the frontier- backcountry context which has been the basis for analyzing them until now would not only provide new elements for understanding agrarian protest, but might also help to clarify some of the problems of discord among historians of agrarian America. As new works appear will they refocus agrarian protest in a larger context or resuscitate the older arguments? Decidedly, the last word has not yet been written

Bibliography

Bonsteel Tachau, Mary K. "A New Look at the Whiskey Rebellion." The Whiskey Rebellion, Past and Present Perspectives. Ed. Boyd: 97-118.

Bouton, Terry. "A Road Closed: Rural Insurgency in Post-Independence Pennsylvania." Journal of American History 87 3 (2000)

Boyd, Steven R. Ed. The Whiskey Rebellion, Past and Present Perspectives.Westport, Ct.: Greenwood P, 1985.

Brooke, John L. "A Deacon's Orthodoxy: Religion, Class, and the Moral Economy of Shays' Rebellion". In Debt to Shays: the Bicentennial of an Agrarian Rebellion. Ed. Gross: 205-238.

Brooke, John L. The Heart of the Commonwealth: Society and Political Culture in Worcester County, Massachusetts, 1713-1861. Cambridge, Cambridge UP, 1989.

Brown, Richard M. "Violence and the American Revolution" Essays on the American Revolution. Eds. Stephen Kurtz & James H. Hutson. Chapel Hill: UNC P, 1973. 90-97.

Bushman, Richard Lyman. "Markets and Composite Farms in Early America".William and Mary Quarterly 3d series LV 3 (July 1998):

Cornell, Saul. The Other Founders: Anti-Federalism & the Dissenting Tradition in America, 1788-1828. Chapel Hill, University of North Carolina Press, 1999.

Gross, Robert A., ed. In Debt to Shays: the Bicentennial of an Agrarian Rebellion. Charlottesville, UP of Virginia, 1993.

Hoerder, Dirk. People and Mobs: Crowd Action in Massachusetts during the American Revolution, 1765-1780. New York: Academic Press, 1977.

Jones, Alice Hanson. Wealth of a Nation to Be: The American Colonies on the Eve of the Revolution. New York , Columbia UP, 1980.

Karsky, Barbara. "Agrarian Radicalism in the Late Revolutionary Period (1780-1795)." New Wine in Old Skins. Ed. Erich Angermann et. al. Stuttgart: Klett, 1976. 87-114.

Karsky, Barbara. "Protestation et révolte agraires dans la révolution américaine." Annales historiques de la révolution française 226 (48è année, oct.-déc.1976): 513-528.

Karsky, Barbara. “Le paysan américain et la terre à la fin du XVIIIè siècle.”Annales, Economies, Sociétés, Civilisations 6 (nov.-déc. 1983): 1369-1391.
Lemisch, Jesse. “The American Revolution Seen from the Bottom Up”. Toward a New Past. Ed. Barton S. Bernstein. New York: Vintage Books, 1968: 3-45.
Lynd, Staughton. “Who Should Rule at Home: Dutchess County, New York, in the American Revolution”. William and Mary Quarterly, 3d series, XVIII (1961), 330-359.
Lynd, Staughton. Anti-federalism in Dutchess County, New York: A Study of Democracy and Class Conflict in the Revolutionary Era. Chicago: Loyola U P, 1962.
McDonnell, Michael A. “A People’s Revolution? Towards a New History of the Revolutionary Era.” Reviews in American History 29 (2001): 502-509.

Main, Jackson Turner. The Social Structure of Revolutionary America. Princeton: Princeton UP, 1965.
Marini, Stephen A. Radical Sects of Revolutionary New England . Cambridge, Mass.: Harvard UP, 1982.
Marini, Stephen A.”The Religious World of Daniel Shays.”Ed. Gross: 239-280.
Richards, Leonard L. Shays’ Rebellion: the American Revolution’s Final Battle.Philadephia: University of Pennsylvania Press, 2002.
Schoenbachler, Matthew. “Republicanism in the Age of Democratic Revolution: The Democratic-Republican Societies of the 1790s.” Journal of the Early Republic 18 2 (1998): 237-261.
Slaughter, Thomas P. “The Friends of Liberty, the Friends of Order, and the Whiskey Rebellion: A Historiographical Essay.” Ed. Boyd: 9-30.
Slaughter, Thomas P. The Whiskey Rebellion: Frontier Epilogue to the American Revolution, Oxford, Oxford U Pr., 1986.
Szatmary, David P. Shays’ Rebellion: the Making of an Agrarian Insurrection. Amherst , Mass.: UMass P, 1980.
Young, Alfred F., ed. The American Revolution: Explorations in the History of American Radicalism. DeKalb, Ill.: Northern Illinois UP, 1976.
Young, Alfred F. The Shoemaker and the Tea Party: Memory and the American Revolution. Boston: Beacon Press, 1999.
Zemsky, Robert M. Merchants, Farmers and River Gods. Boston: Gambit, 1971.

THE ROLE OF AUTHENTIC LISTENING MATERIALS IN ENHANCING AURAL ORAL SKILLS.

Nachoua KELKOULA
Faculty of forgein languages
University of Oran 2

Introduction

Listening has a major role in daily life and educational settings, it is an important element that most students rely on to build others skills. However it is considered difficult because it creates many problems for students who want to learn the foreign language and who are willing to be as fluent as native speakers. Recently, teaching listening has been restored to more sophisticated methods. Integrating authentic listening materials is more and more acknowledged by teachers and instructors as a successful way to teaching listening and overcoming most of hinders that students may face when learning.

1. What is Authentic Listening Materials

Authentic listening materials mostly refer to the real or natural speech used by native speakers in real contexts of communication. The definitions of authentic materials are slightly different in literature and there is a spectrum of distinct conceptualization of authenticity. Nunan (1998:54) has described authentic materials as those materials 'which have been produced for purposes other than to teach language'. In the same vein, Jordan (1997) has viewed authentic materials as materials which are not designed for pedagogical aims; they are neither created nor adapted to be used for teaching learning, but to be taken as genuine as possible from reality. For peacock (1997), authentic materials are produced to fulfill some social purposes in the language community in contrast to non authentic texts which are carefully selected and adopted to the learners.

In order to complete the pursuit of genuine, it is important to own materials produced by native speakers. Heitler (2005:5) states that ' authentic materials are any texts written by native English speakers for native English speakers' There is no better version of spoken English than the one produced by the people who live in English spoken countries, so native production is another significant aspect in the classification of authentic materials.

Based on the above definitions there are different opinions and concepts about authentic materials, but the most common one is 'the exposure to real language and its use in its own community'

(Widdowson, 1990) therefore it seems clear that the term authenticity is not solely to the language that is used, but to the all what around it.

2. The Importance of Authentic Materials

The major aim of learning a foreign language is to be able to use the receptive language as it is used by native speakers without any difficulty. . Many scholars believe that exposing students to authentic listening materials is very crucial because students immerse in as much real language as possible. Berardo (2006:62) states that 'authentic materials enable learners to interact with the real language and context rather than the form', and Tomlinson (2003) believes that authentic texts can provide exposure to language as it is typically used ; this guarantee a direct relationship between language classroom and the outside world, and give opportunity to gain real information and know more about what is going on in the world around

Another important aspect of authentic materials is their significant impact on learners' motivation. Neatull (1996) has stated that authentic texts can be motivating because they are proof that the language is used for real life purposes to real people. Krashen (1981) has considered the motivational power of authentic material as the key factor affecting successful language learning. He has stated that the integration of authentic materials in classrooms increases students' motivation and reduces their affective filter as well as solicits their active participation in most activities.

Authentic materials also reflect the culture background of the target language. Sherman (2003:12) states that 'one reason why authentic material is important for language learning in that it is a window into culture'. Authentic materials provide cultural information that would help learners to know about cultures from different parts of the world and develop a global knowledge of the lifestyle of other countries and to be mainly acquainted with what is going on in the world around.

3. Sources of Authentic Materials

Nowadays, there exists a tremendous source of authentic materials for EFL classroom use, the reason why the task of selecting an adequate genuine resource has become a tough one for most teachers.

3.1 Music and Songs

Music is perceived as a superb alternative and powerful tool for language learning because it helps students to learn authentic language expressions when it is introduced into the classroom. Merell (2004) stresses the role that music plays in engaging students and narrowing down diligence issues and some problems within classrooms. He claims

that using music helps to lower anxiety and stress level among learners, and it has some positive psychological effects on them.

The possibility of using songs in English as a foreign language has been actively considered for the two last decades. Mishan (2005:200) states that ' a whispered attitude in language teaching is to treat TL songs merely as authentic examples of grammar structure' and Labed (1997) claims that songs stimulate and motivate students to comprehend the context of materials at hand, help them follow and practice the rhythm, and give further concern on stress and intonation patterns.

3.2 The Use of Visual Material

Using visual aids in classrooms has a significant role in the learning process; they function as stimulators, motivators, and points of focus in which students' attention is concentrated. There are several kinds of visual materials and the more teachers use them in the classroom, the more listening would take place and could be developed. Cunning (2001) discuses the usefulness of using videos in language teaching pointing out that videos provide stimuli to the learners which ease an opportunity for them to get a background schemata of the subject and as cited in Koksal (2004) using videos helps students to predict, infer, and analyze information of the subject matter and to get an idea of the stress and rhythm patterns of the target language.

3.3 The Language Laboratory

In today's globalized world, the language laboratory has become the prime source that acts a key role and an extremely helpful tool for language learning process, especially in improving the listening skill. Dakin (1973) has described the language laboratory as the equipped room where each student has his own tape recorder. These recorders help them to get familiar with various aspects of the language like pronunciation and stress and permit them to listen to the best model and the correct language pattern of the spoken language.

4. Teaching Listening Activities Using Authentic Materials

The new teaching model of listening comprehension has three stages: the pre listening, while listening and post listening.

4.1 The Pre- Listening Stage

This stage plays an important role in helping students to learn how to be good listeners of the foreign language. It is commonly recognized as the preparation and a warm up for authentic listening activities. Underwood (1990:30, in Etman and Zaide, 2009:9) states that 'it is unfair to plunge students straight into the listening text, even when testing rather than teaching''. This means that it would not be just to students to push them right into the listening stage without getting familiarized with the subject or the activity they will work on. The pre

listening stage is vitally important if we want to get students as much as possible out of the listening and help them focus on what they hear and see.

4.2. The While Listening Stage

This stage, as it arises from the name, contains activities done by students during the listening passage. The main aim of activities done during this phase is to help students develop the skill of eliciting messages from spoken language. It is worth mentioning that at the while stage, students should not worry about interpreting long questions or giving full answers, rather they should concentrate on whether they have understood or not. Teachers also should not- forget to give their students immediate feedbacks whenever possible to achieve better understanding.

Guo and Wills (2006:9) suggest these points to be kept in mind when planning the while listening activities:

- Decide what is not important to understand
- Use predicting to encourage students to monitor their comprehension as they listen.
- Use questions to focus students' attention on the elements of the text crucial to comprehension of the whole
- Organize activities to guide listeners through the text. Combine global activities such as getting the main idea, topic, etc.

4.3 The Post Listening Stage

The post listening stage compromises all the activities and exercises that are done after listening to the text. Guo and Wills (2006:9) suggest some points to present post listening activities as follow:

- Tell students to compare their notes and discuss what they understood in pairs or small groups
- Encourage students respond to what they heard. For example, where possible as questions like 'do you agree? And encourage debate
- Tell pairs to write a summary of the main points. Then have them compare their summaries and check if they covered all the main points.
- Evaluate comprehension in a particular task or area.
- Decide if the strategies used where appropriate for the purpose and for the task, modify strategies if necessary. .

After that, the teacher might prolong discussion and combine other skills trough developing the topic at hand into speaking or writing exercises and activities. The main reason why to incorporate the post stage activities into the lesson class is to determine how well the students have understood what they listen to and to find solutions to the problems that they face during this phase.

5. Aim and Description of the Teachers Questionnaire

The teachers' questionnaire is designed to 15 teachers of oral expression at the Department Letters and English Language, Des Frères Mentouri, Constantine to uncover the teachers' perspectives and standpoints on the impact of using authentic listening materials in classrooms and to see whether integrating these materials in classes help students foster their listening capacities when learning a foreign language.

The questionnaire contains a total of 13 items; we used various types of questions: closed and open-ended ones. It includes questions on general information about students listening capacities, the difficulties they encounter while listening and possible solutions to overcome them.

6. The Analysis of the Teachers' Questionnaire

- When asking about information graduation, most of the respondents (73, 33%) of them posses magister/Master certificate and four (26, 66%) of them are PhD holders.
- We wanted to know to what extent our participants are experienced in teaching oral expression. The majority of teachers experience in teaching oral expression ranges between 1-5 years which is an indication that they are more or less experienced.
- When asking about the amount of time that is dedicated to teach oral expression. Most of them (13 teachers) assert three hours per a week. However, only two teachers stated it is half an hour.
- Essentially, 12 teachers (80 %) submitted to the questionnaire believe that time to teach oral expression is not sufficient to reach the objectives, however only three teachers (20%) think that time is sufficient to attain the objectives
- Analyzing the results of teachers' estimate of the separation of oral expression and listening comprehension, we found out that 8 teachers (53.33%) answered "yes", so that it should be separated whereas 7 other teachers (46.66%) believe "not. We can notice that the big number of teachers suggest to separate listening comprehension from Oral expression
- Essentially, 11 teachers declare that the level of their students is average; however 4 teachers state that students have poor listening level.
- All teachers without exception view those pre-listening, while-listening and post-listening activities as very important to teach listening: this proves that these activities provide students with so detailed presentations and further explanations in order to understand carefully.

• When asking about their estimate of intensive and extensive listening, we notice that all teachers judge extensive and intensive listening "important", none of them have said a contrary word. –
• When asking about the difficulties related to listening, most of the teachers assert that the problem is based on the native speakers' accent and language, which students could not get easily, the reason why they believe that implementing authentic materials is very important and fructuous
• We wanted to define the teachers' perception of the usefulness of authentic listening materials and their importance in order to solve these problems faced by the students. We have spotted out that 12 teachers agreed on their importance whereas 3 teachers disagreed.
• Eight teachers (53.33%) confirmed the use of authentic materials in their classes and other seven (46.66%) claimed the absence of authentic listening materials and equipment to teaching listening
• when asking about teachers insights about the role of using authentic materials in EFL classroom. we suggested a scall of importance from very important to not important at all. The results showed that teachers are well aware of the importance and the necissity of using materials in education, mainly in developing listening skills.Ten teachers (66.66 %) point of views towards materials has been "very important" whereas the rest (33.33%) selected "important" to describe their perception concerning the use of materials. None of the questioned teachers have chosen "not important at all "
• When asking about teachers perception of the challenge of integrating authentic materials, ten teachers (71.42%) consider the challenge of using authentic material as "Exciting" while other four teachers (33.33) view it as "Frustrating".

Conclusion

The challenge of implementing authentic speech in EFL listening class is effective and motivating for both teachers and learners as they are highly motivating, giving a sense of achievement when understood and encouraging further speaking. They also arise students' attitude towards language learning and develop their enthusiasm and comfort towards listening activities. The importance of authentic materials has appeared to be a necessity in foreign language classroom,

Refrences

Berardo, SA. (2006). the Use of Authentic Materials in the Teaching of Reading. The Reading Matrix. (62).
Cunning-Wilson, C. (2001). Practical Aspects of Using Video in the Foreign Language Classroom. The Internet TESOL Journal, 6 (11). Np. Retrieved from http://www.tojet.net/articles/v3i3/339.pdf

Dakin, J. (1973). The Language Laboratory and Language Learning. London: Longman.
Etman, D& Zaida, N. (2009); Teaching Listening. Bermuda Ministry of National Education.
Guo, N& Wills, R. (2006). An Investigation of Factors Influencing English Listening Comprehension and Possible Measures for Improvement. Retrieved March 15; 2011, Website: http://www.aare.edu.au/05pap/guo0588.pdf
Jordan, R. R (1979). English for Academic Purposes: A Guide and Resource for Teachers Cambridge: Cambridge University Press.
Krashen, S (19981). Second Language Acquisition and Second Language Learning. Oxford: Pergamum press
Koksal, D. (2004). To Kill the Blackboard Technology in Language Teaching and Learning. The Turkish Online Journal of Educational Technology, 3(3), 62-72.
Labed, N. (1997). Teaching Communication and the Effects of Exposure to Language on 2nd Year Students' Achievements in Listening and Speaking. Unpublished Magister Dissertation. Constantine: MEntouri University.
Merell, A. (2004). The Benefits of Incorporating Music in the Classroom.
Mishan, F. (2005). Designing Authenticity into Language Learning Materials. UK Portland or USA: Bristol.
Nuetall, C (1996) Teaching Reading Skills in a Foreign Language (new edition) Oxford, Oxford University Press.
Nunan, D. (1989) Designing Task for the Communicative Classroom. Cambridge: Cambridge University. Nunan, D, 1989, Language Teaching
Peacock, M. (1997) the Effect of Authentic Materials on the Motivation of EFL Learners', ELT Journal, 51(2) 144-156
Sherman, J (2003). Using Authentic Video in the Language Classroom Cambridge University Press.
Tomlinson, B.2003a. Materials Development Courses. In B. Tomlinson (ed.) Developing Materials for Language Teaching. London: Continuum Press.
Widdowson, H. (1990): Aspects of Language Teaching. Oxford: Oxford University Press.

Appendix

Dear teachers / collleague,

This questionnaire is adressed to oral teachers at freres Mentouri University. Its is a part of research investigation about the role of integrating authentic listening materials in aural oral classes. Whould you put X where applicable and /or supply the required information when necessary. **Thank you for your cooperation**

Questions:

1. What is your qualification?
- BA - MA -PHD

2. How long have you been teaching oral expression?
- 1 to 5 - 6 to 10 -more than 10 years.

3. How many hours a week are allocated to teach oral expression?.....

4. Do you think the allocated time is sufficient to reach the objectives?

- Yes -No

5. Do you suggest that listening comprehension should be taught disjointed from oral expression by concentrating more on the oral skill?

6. How do you assess students' level in the listening?

- excellent - good - average -weak

7. Do you think that pre- listening, while listening and post listening activities are important to the listening comprehension tasks?

- yes -no

8. : Do you think that extensive and intensive listening practice is important in the listening comprehension tasks?

- Important - not important at all

9. According to you what are the main difficulties related to listening comprehension?.....
.....

10. Do you think the implementation of authentic aural materials in classroom helps students overcome their listening comprehension problems**?**

- Yes -No

11. Do you use authentic listening materials in your teaching?

- Yes - No

12. How do you consider the role of using authentic listening materials in EFL classes?

- Very important - Not important at all

13. The challenge of integrating listening materials in teaching is rather :

-: Exciting - Frusturating-

Abstracts

Al mu'tazila au Maghreb central entre Le débat intellectuel et la confrontation militaire

Mohamed Benmaamar
Université d'Oran1 Ahmed Benbella

Certaines tribus zenâta, habitant dans le Sud-Ouest de l'Algérie actuelle et dans les bourgades sahariennes qui en étaient voisines, se sont ralliées à la secte musulmane de Mu'tazila ou Wasiliya, ennemie de l'islam orthodoxe de même que les Kharijites.

Al-Wargalani Abu Zakaria Yahia, historien des Ibadites écrivait vers la fin du XIème siècle, « que les Wasilites qui étaient des Berbères, appartenaient pour la plupart aux Zenâta. Ils s'étaient à l'origine conduits envers plusieurs fractions ibadites, mais ensuite ils proclamèrent ouvertement la révolte contre l'imam rustumide. »

Nous ne savons où se trouvaient les villages des Mutazilites dont parle Al-Wargalani dans son récit sur cette guerre, mais on peut supposer que le domaine occupé par les Zenâta mutazilites embrassait d'un côté les Hauts Plateaux situés au sud de Tiaret et de l'autre la région du Mzab, dont les habitants étaient Wasilites avant leur conversion à l'ibadisme.

*****

La tentative de la préservation et la restauration de Bordj Moussa à Bejaia

Aicha Hanafi
Université d'Alger 2

Le monument de bordj moussa qui se trouve dans la ville de Bejaia est un exemple parfait de l'architecture défensive. Construit par les espagnols au milieu du seizième siècle, sa belle structure architecturale lui vaut l'admiration de tout visiteur lui rappelant son rôle jadis de citadelle protectrice de la ville contre toute attaque

Aujourd'hui ce monument qui relate une des phases historiques de la ville de Bejaia est devenu un musée où sont exposés les travaux artisanaux qui reflètent le patrimoine de la ville

L'activité associative et son rôle dans le renforcement du mouvement national Algérien : L'Union Littéraire Musulmane de Mostaganem(modèle)

Djilali Houria
Crasc/ Oran

Entre les deux guerres, et après la promulgation de la loi des associations en France et son application en Algérie et dans le but de renforcer le mouvement national , notre pays a vu apparaitre plusieurs clubs et associations tel que le Club Littéraire Islamique de Mostaganem qui fut l'un des clubs les plus connus et les plus intéressants, car il comptait parmi ses membres un grand nombre de jeunes très actifs de tendance réformiste et déterminés pour la cause nationale , et qui ont lutté contre l'analphabetisation et le colonialisme en incitant les autres jeunes à étudier et à s'intéresser au mouvement politique et nationale dans toute l'Algérie , ainsi dans les années trente, le club sera influencé par l'Etoile Nord-Africaine puis le Parti du Peuple Algérien et sera remarqué par ses militants nationalistes Mostaganémois et contribuera au mouvement national dans cette ville puis è la révolution du premier novembre 1954…

*****

Altahanaoui's Classification of knowledge from his encyclopedia " Index of terms of arts and sciences".

Nassima Sadouki
University of Oran 1 Ahmed Benbella

Altahanaoui's classification of the knowledge's categories in the late period of the arab-Islamic civilization, and that we find it overall the findings of the arab-muslim thought, because the book is as stated in the title of a study scouts conventions

Arts book in the term , he is technically similar to a book the Khawarizmi

* sciences keys* , it combined what was divided along the lines of his arts , it is also a book in the classification of sciences.

Crime contre les livres et les bibliothèques : Crime contre l'Humanité

Fatiha Goumid
Université d'Oran1 Ahmed Benbella
Djobran Khalil Nacer
Université d'Oran1 Ahmed Benbella

Le monde a vu les conséquences tragiques de la guerre en Iraq, et il a été le témoin du recul réel d'une civilisation et d'un pays, et surtout le témoin d'autres types de pillage et de destruction de toutes les institutions culturelles, historiques et artistiques à Bagdad et dans d'autres villes de l'Irak. La ville de Bagdad, par mal chance a subi des dégâts irréparables tout juste après sa chute. La capitale de Haroun el Rasheed avait beaucoup d'institutions culturelles et de bibliothèques qui étaient vidées de leurs âmes : à partir de la Bibliothèque Nationale, qui est l'une des plus importantes institutions culturelles et intellectuelles, non pas au niveau national, mais aussi au niveau international.

Comme les bibliothèques, les Archives Nationales sont les principales institutions d'archives et de l'histoire de l'Irak. Sans oublier la bibliothèque d'Awqaf, qui comprend le patrimoine islamique et les manuscrits de la période abbasside à l'ère moderne. Et le Musée irakien, qui renferme des trésors d'antiquités irakiennes de l'époque de Sumer et de Babylone et de l'Assyrie. De plus, les Archives de la Radio et la Télévision Iraquienne qui comprenaient la documentation technique et des bandes historiques qui sont difficiles à remplacer. Les bibliothèques des universités irakiennes à Bagdad, Mossoul et Bassorah et d'autres villes irakiennes n'ont pas été épargnés de la destruction et des vols et d'autres formes de pillage. Donc il est tout à fait légitime de s'interroger :

Pourquoi les assassins de la mémoire détruisent le pays où sont nés l'écriture et le livre ?

Combien de temps avons-nous pour restaurer la mémoire humaine que ces agresseurs ont fini par détruire partiellement ?

N'est-ce pas un crime contre l'humanité qu'on détruise volontairement ou involontairement les institutions et les biens culturels d'un pays

Qualité de la performance dans les bibliothèques scolaires : Une nécessité pour le succès du système éducatif en Algérie.

Larbi Benhadjar Miloud
Université d'Oran1 Ahmed Benbella
Khalida Hanae Sidhoum
Université de Batna/ Hadj Lakhdar

Le Secteur de l'éducation bénéficie d'une attention accrue dans la société algérienne, car il est considéré comme un atout stratégique, en apportant à la société une génération pour combler les besoins futurs en cadres humains qui œuvrent à promouvoir l'avenir du pays.

Pour cela, nous constatons que le Ministère de l'Education Nationale fournit de grands efforts pour suivre le rythme des évolutions et tendances du monde et des expériences contemporaines, pour le développement du système éducatif, en mettant l'accent sur la qualité et non la quantité, pour essayer de résorber le chômage - et les carences éducatives et combler l'écart entre la production et l'éducation et apporter l'attention sur les connaissances, les comportements et les compétences, à partir de ces outputs se conformer aux normes internationales.

Il est à noter que le développement du système éducatif algérien dans le cadre de la qualité de la performance est devenu une nécessité impérieuse, ceci en tenant compte des besoins de la modernisation et du développement contemporain, le fait que la qualité de la performance a gagné plus d'importance à tous les niveaux administratifs et éducatifs.

C'est dans cette optique que nous constatons que les outputs des systèmes éducatifs, leurs qualités et les niveaux sont parmi les questions qui donnent lieu à un intérêt croissant par rapport à ceux qui se sont intéressés sur les questions de l'éducation. A partir de là, il est essentiel de s'attarder sur les dimensions et les variables principales qui régissent ces services et de déterminer leurs qualités, en particulier à la lumière des conditions du monde en évolution. Ainsi donc, nous avons un besoin urgent de faire une révision complète du système éducatif pour que nous puissions résister aux défis et à formuler des stratégies et des mécanismes, pour lever les obstacles et suivre le rythme du système éducatif dans le monde développé.

Ainsi comment le bibliothécaire d'un établissement scolaire peut-il changer ses pratiques, ses performances pour qu'il puisse atteindre la qualité dans la pratique ? Dans quel état se trouve la performance dans les établissements d'enseignement à partir de l'une de ses annexes principales qui est la bibliothèque ?

Les archives des directions de l'éducation en Algérie
La nature des documents, leur gestion et leur conservation

Rahmouna Boucheta
Université d'oran1 Ahmed Benbella

Cette étude a pour but de lever le voile sur le plan de recensement et d'archivage de documents répandus au niveau de l'administration de l'éducation de la wilaya d'Oran. Celle-ci comporte un ensemble de dossiers se trouvant au niveau des services des directions de l'éducation. Ainsi nous nous sommes penchés sur la structuration et l'organisation de ces directions ainsi que sur la spécificité de chaque service et bureau et leur rôle dans l'archivage, la gestion et conservation des documents émanant de divers services.

Quels sont les démarches suivies par les archivistes au niveau des direction de l'éducation à l'échelle nationale, dans cette tache ? car nous constatons que la nature des fichiers et des documents qui sont au niveau des directions de l'éducation selon les services suivants(Service de la réglementation pédagogique de l'enseignement fondamental, service de l'organisation pédagogique de l'enseignement secondaire, service de l'orientation et des examens, service du personnel, le service formation et inspection, service finances et moyens, service programmation et suivi, Secrétariat général) que ces services sont tenus de mettre en place un calendrier de versement annuel et de s'y conformer, et d'établir des bordereaux de versement ; tant pour le responsable administratif que pour l'archiviste.

Les caractéristiques du livre pour enfant : Le fonds et la forme

Ahmed BENDAHO

Université d'Oran 1 – Ahmed BEN BELLA

Le livre destiné à l'enfant se distingue des autres catégories puis qu'il est destiné à un public sensible de par sa conduite et sa compréhension. Depuis sa naissance, l'enfant cherche à découvrir et comprendre le monde que l'entoure. Pour ceci les différentes formes de l'éducation sont indispensables, telles que l'éducation familiale, les émissions télévisées ainsi que le livre qui compte dans l'axe de notre étude.

Avant de présenter le livre à l'enfant, il faut prendre en considération l'ensemble des paramètres et des normes qui doivent répondre aux penchants de l'enfant aussi qu'au niveau de son assimilation

La représentation du livre est plus importante que le livre même : l'ensemble des atouts présents au sein du livre attirent son intention, ainsi le choix des images et des couleurs en plus des expressions et la forme du livre sont des détails qui doivent être mis en exergue avant la constitution du livre destiné à l'enfant.

De la récupération des documents au système de récupération des informations

Farès Chacha
Université Mohamed Lamine Debaghine
Sétif 2

La recherche d'information est un processus qui à partir de l'expression d'un besoin pour un certain élément d'information pour un utilisateur particulier peut trouver certains documents répondent à ce besoin, et les processus de récupération sont manuels et de façon traditionnelle quand il y a un certain volume de documents, mais avec l'augmentation significative de la taille des sources d'information, la diversité et l'abondance « flux » et les différentes formes a conduit à l'émergence de nouvelles façons d'organiser et de gérer ces ressources et d'accéder rapidement.

Dans les systèmes de recherche de documents, la fonction de recherche est un élément essentiel et important, afin de récupérer les informations bibliographiques en identifiant le document et indiquer où se trouve dans le système avec la méthode de comparaison des termes qu'on utilise.

Dans le processus de l'identification des besoins, l'utilisateur trouve les termes adéquats pour arriver à bon port à travers l'indexation. Le numérique a changé la philosophie de la recherche d'information, en interpellant les nouvelles techniques pour récupèrer le document dans son intégralité.

Les aspects de l'environnement numérique et leurs impacts sur les bibliothèques : approche théorique

Meriem Hamza Zrekat
Université d'Oran1 Ahmed benbella

Cet article tente de se pencher sur la problématique de l'évolution étourdissante du monde du numérique en général, et les bibliothèques en particulier. Ce changement dans les outils et le savoir-faire a eu son impact sur le comportement et les perspectives des bibliothécaires.

Dans la perspective de lever le voile sur ce dilemme, le chercheur se pose le questionnement suivant : Quelles sont les démarches innovatrices dans le domaine de l'apprentissage et la formation du personnel des bibliothèques à l'ère du numérique ?

Et dans le but d'arriver à un résultat tangible, nous nous sommes basés sur un échantillon composé du personnel technique de la bibliothèque de la faculté des sciences humaines de l'université d'Oran 1 Ahmed Benbella.

Pour ce qui est des hypothèses, le chercheur a avancé quelques-unes :1- Les bibliothécaires, ainsi que tout le personnel de notre institution documentaire, méconnaissent les T.I.C ou les connaissent mal, à cause de l'absence de l'apprentissage dans ce segment. 2- La durée de leur travail, plus ou moins, au sein de la bibliothèque aide à s'imprégner des T.I.C.

Et en guise de conclusion, il est impératif pour le staff de la bibliothèque à acquérir les techniques et outils dans ce domaine par la formation et l'apprentissage, afin d'être plus performant et plus efficace...

L'identité virtuelle entre l'«original self » et « pseudo self »

Zohra Ghomchi
Université d'Oran1 Ahmed Benbella

Cet article essaie de mettre en exergue ce qu'on appelle la crise de l'homme moderne c'est -à -dire l'aliénation, en essayant de créer des espaces débat entre la pensée de Erich Fromm sur le concept de l'aliénation et les développements technologiques représentés par l'Internet et l'Existence virtuelle (l'identité virtuelle). Celles-ci oscillent entre l'«original self » et « pseudo self ».

Après quelques questionnements et quelques hypothèses proposées, la chercheuse est arrivée à la conclusion suivante : la procédure de l'adoption d'une identité virtuelle par un individu a crée un Golem comme une extension de l'Ego. « *Golem est, dans la mystique puis la mythologie juive, un être artificiel, généralement humanoïde, fait d'argile, incapable de parole et dépourvu de libre-arbitre façonné afin d'assister ou défendre son créateur.* »

Ce golem est devient une Idole pour cet individu qui –et à cause de ce fait la- il abandonne leur origine vie vers la pseudo – Existence, c'est-à-dire vers le comportement du troupeau "herd behavior".Tout cela confirme que l'identité virtuelle -et dans le conceptualisation de Fromm- est une "pseudo self" et alors une Ego aliénée.

La conscience politique et l'information numérique : déchiffrage des concepts et leurs rôles

Kaddour Rym Fatiha
Centre universitaire de Relizane

Les médias peuvent exposer des sujets et des faits mais cela reste insuffisant pour créer une conscience chez leurs interlocuteurs ; non pas par insuffisance ou par manque (même si c'est le cas parfois), mais parce qu'ils ne sont aptes pour ce type de conscience .

On pourrait décrire les médias comme un kit de boite équipé de différents outils mais qui n'est en mesure de décrire ou d'analyser qu'un seul phénomène et d'une seule façon

La question de la conscience politique est d'une grande importance, en particulier dans les sociétés qui souhaitent renforcer, consolider les valeurs démocratiques et faire participer ses membres dans les questions politiques de leurs sociétés.

Néanmoins il n'y aura pas de participation effective sans la prise de conscience de ses membres de la valeur et l'importance de ce processus, dans la construction sociale et politique, le degré de participation est souvent mesuré participation au degré de maturité de la conscience politique chez les individus.

Les médias sont considérés comme l'une des plus importantes institutions de socialisation politique, à côté de la famille, l'école, les partis et les groupes de pression. Les nouvelles technologies de communication ont marqué leurs impacts sur la pratique politique à travers l'Internet, et comment le citoyen utilise Internet dans le débat politique et la façon dont les gens interagissent les uns avec les autres lors d'un débat politique, comme le fait d'envoyer des bulletins d'information ou de discussion par e-mail, ou par le biais de diverses formes de presse électronique.

Nous essayons dans cette ébauche de comprendre le concept de la conscience politique et sa relation avec les médias à l'ère du développement des moyens de communication, en explorant le concept de prise de conscience, de conscience politique et de ses composants, ainsi que la définition des médias numériques, leurs fonctions politiques et la connaissance du rôle joué pour la formation de la conscience politique.

The role of Facebook in the consolidation of dialogue between the organization and public

Heteem Ali Haider Essalhi
University of Eden/ Yemen

The study aims at monitoring and evaluating the use of the organizations, operating in Yemen, of Facebook, in strengthening the dialogue with their Publics, using the survey method, by analyzing the content of the Facebook Pages of 50 organizations in Yemen Which have been selected by using the method of the intentional sample, to evaluate their dialogic and interactive capacities through the Facebook from the perspective of the theory of the dialogic communication, the study has arrived into several results , the most important :

- Most published contents on the websites and the pages of the Facebook have focused on targeting the agents and the members of the local community, On the other hand the products and the services of the organizations have come on top of the list of these contents..

- the indications of the dialogic communications have appeared in medium degrees except The generation of return visits which has appeared in a low degree in the organizations' pages of the Facebook.

-There were significant differences between the profit and non-profit organizations in the emergence of two indicators of Ease of interface and the dialogic loop.

Les Acronymes et leurs impacts sur la jurisprudence Malékite

Ahmed Balgandouz Hebali

Université d'Oran 1 Ahmed Benbella

Cette recherche est une étude sur l'impact du phénomène des acronymes sur la jurisprudence Malékite, Elle englobe une introduction trois chapitres et une conclusion.

L'introduction met l'accent sur le thème de la recherche dans laquelle j'ai cité les moyens d « 'authoring » » dans la jurisprudence Malékite depuis sa création jusqu'à l'émergence des acronymes.

Section1 : dont j'ai cité les acronymes les plus importants de la jurisprudence Malékite.

Section 2 : est consacrée pour évoquer l'impact négatif de ces acronymes (les inconvénients des acronymes).

Section 3 : traite de l'impact positif de ces acronymes (les avantages des acronymes).

Les résultats les plus importants :

On peut dire que les acronymes peuvent être bénéfiques (utilisés) pour les débutants s'ils résument, classent et classifient la science, aussi dans le cas où ces acronymes sont utilisés sans ambigüité ni utilisation illimitée. Sinon ils deviendront un obstacle pour le développement de la jurisprudence et sa progression.

Le concept de « communication Islamique » entre authentification et dépendance.

Badreddine Merzouki
Université d'Oran1 Ahmed Benbella

Dans le vocabulaire quotidien, « information » et « communication » par exemple, sont des termes nobles, des mots prestigieux qui à la fois séduisent et intimident. Ces mots sont réservés, ils ne font pas partie du vocabulaire des usines ou des casernes mais ils appartiennent à celui des salons ou des congrès (politiques ou universitaires), bref des milieux intellectuels et politiques. En cela ils sont encore d'autant plus qu'ils ont souvent servi de bannières. Engagés dans de nombreuses batailles idéologiques, ils sont devenus porteurs de préférences morales ou politiques, ils se sont chargés de jugements de valeur. A vrai dire, nous avons tenté à travers notre double approche descriptive et critique d'analyser logiquement les quelques carences épistémologiques relevées dans les définitions célèbres dans les manuels universitaires arabes relatives à « l'information religieuse » (El ilam eddini) ou plus précisément «la communication religieuse » (El itissal eddini) .

****

Le crime organisé: Etude du concept, causes et conséquences

Sarah Soltani
Université d'Oran2 Mohamed Benmohamed

Le crime organisé est considéré parmi les crimes contemporains qui menacent le monde d'aujourd'hui, en raison de son impact sur la stabilité de l'intérieur et l'extérieur du pays et à tous les niveaux. Les organisations internationales, ainsi que la législation comparative ont donné différentes définitions du concept, ce qui a amené le "Fikh" à donner plusieurs opinions.

Le crime ne peut être un crime organisé que si les propriétés d'organisation, la construction hiérarchique ainsi que la planification, la continuité et la complexité sont entourés par un grand secret et que s'il est fondé sur la force, la violence et de la criminalité pour un gain matériel illégal. Aussi il existe des raisons qui soutiennent l'émergence de ce crime qui a des effets désastreux sur les aspects politiques, économiques et sociaux.

The private military and security companies: The other side of mercenaries 'return

Nassreddine BOUSMAHA

University of Oran2 Mohamed BENMOHAMED

Latest years have seen a stunning increase in the number of private military and security companies, and an astonishing rise in their business turnover, which has reached higher levels as a result of the heavy demand for their services from States, Governmental, and non-governmental organizations, and even commercial and industrial companies. This demand has encouraged the military companies to broaden the scope of their activities to cover periods of peace and periods of armed conflict, as well as post-armed conflict, alongside the quality of the services that overstepped the mere counseling and training of the military forces, or some logistical support, to more difficult tasks that overlap with military operations, and even some of them have directly participated in combat operations.

And if the hiring of these companies goes back to few years after world war two, and took its ascending rise directly after the end of the cold war, however, its remarkable emergence was thanks to media coverage that highlighted their activities, and with the declaration of the United States of America of what has been called the war on terror, and its invasion of both Afghanistan and Irak, in which the services of military companies has been used in an unprecedented way that made them presence competes with the regular troops in some cases. This prompted the question about the position of international law and international humanitarian law on the activity of these companies, in light of growing criticism against them, because of their involvement in many violations of international humanitarian law, which recalls the crimes committed by the mercenaries.

And with the existence of these companies as a fact, the debate about the legitimacy of hiring their services has declined, in order to subject them to respect the rules of international humanitarian law, and that is because the rights and duties of these companies are unknown, and the exact legal status of contractors with these companies is also unknown, do they belong to the category of civilians as defined by international humanitarian law, or are they combatants since they carry weapons, or does it depend on the nature of the service they propose.

L'impasse du discours de l'Islam politique : Etude analytique et critique

Houari BARKA
Université d'Oran 2

Ce travail sur la nature et la problématique de l'impasse du discours de l'islam politique contemporain, on peut définir cette problématique comme ainsi :

Quelles sont les causes essentielles et profondes, ou l'on peut définir la nature de l'impasse du discours, de l'islam politique ?

Pour répondre à cette problématique, j'ai abordé trois questions :

- La question de l'herméneutique
- La question de la différence
- La question de la guerre sainte (El Djihad)

Concernant la 1ere question, il se trouve qu'elle forme une nécessité scientifique et cognitive d'un tel ou tel texte.

Ce texte soumis à une lecture multidimensionnelle et à plusieurs mécanismes d'herméneutique.

Dans ce sens, comment peut-on dire qu'il existe une seule lecture pour comprendre ces textes ?

Pour la 2ème question c'est la légitimité de la différence avec tout ce qui se raccorde avec la question d'herméneutique.

Si on ne croit pas à la différence, on ne va pas croire a l'herméneutique, malgré la réalité sociale, culturelle et intellectuelle et historique…qui affirme la différence et sa réalité.

Pour la 3ème question : la guerre saint (El Djihad) est une cause qui affirme l'herméneutique et la différence.

Enfin il y'a plusieurs lectures et plusieurs compréhensions et plusieurs herméneutiques, pour lire les textes coraniques et les causeries prophétiques sur le concept de la guerre sainte et sur sa pratique.